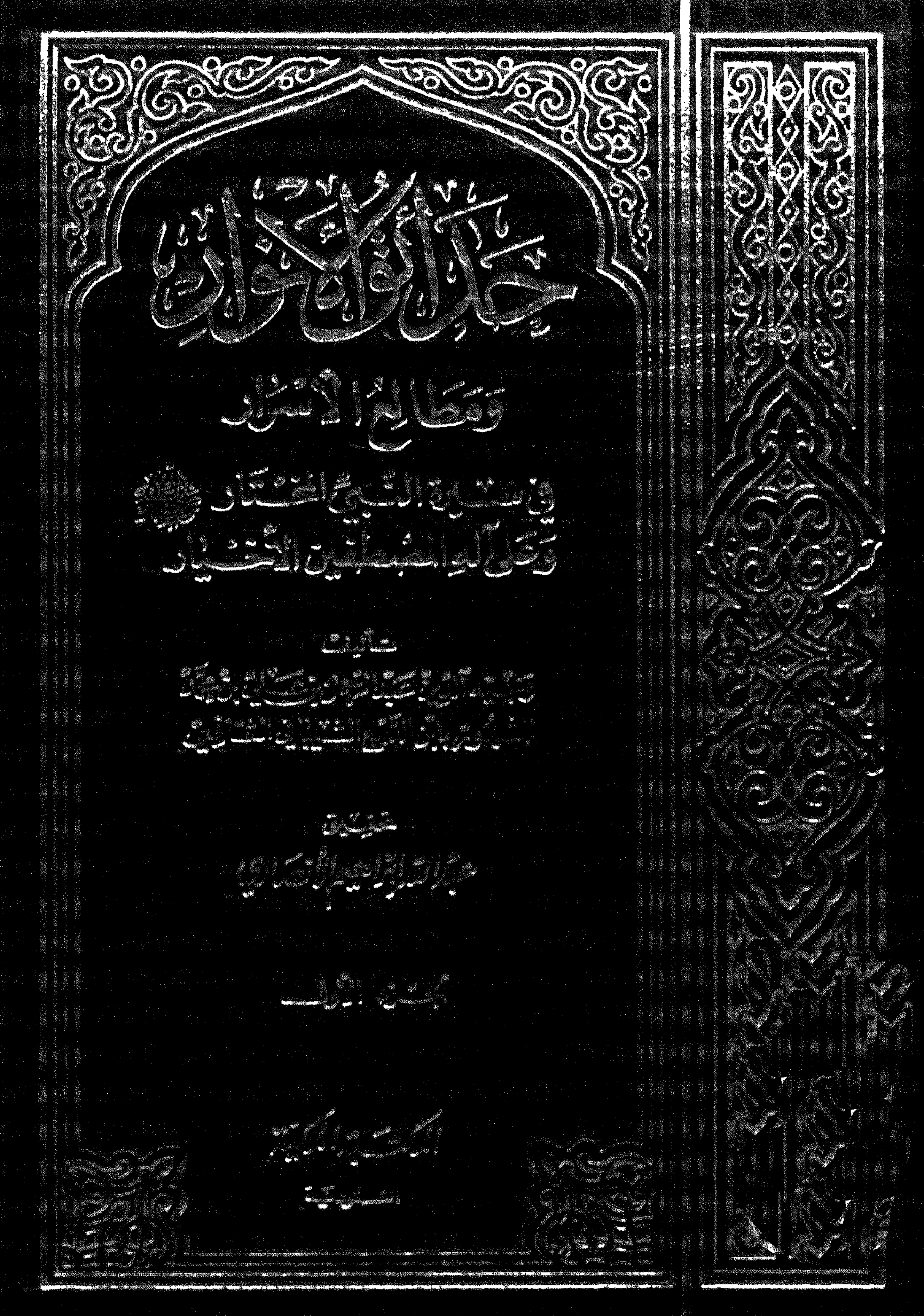
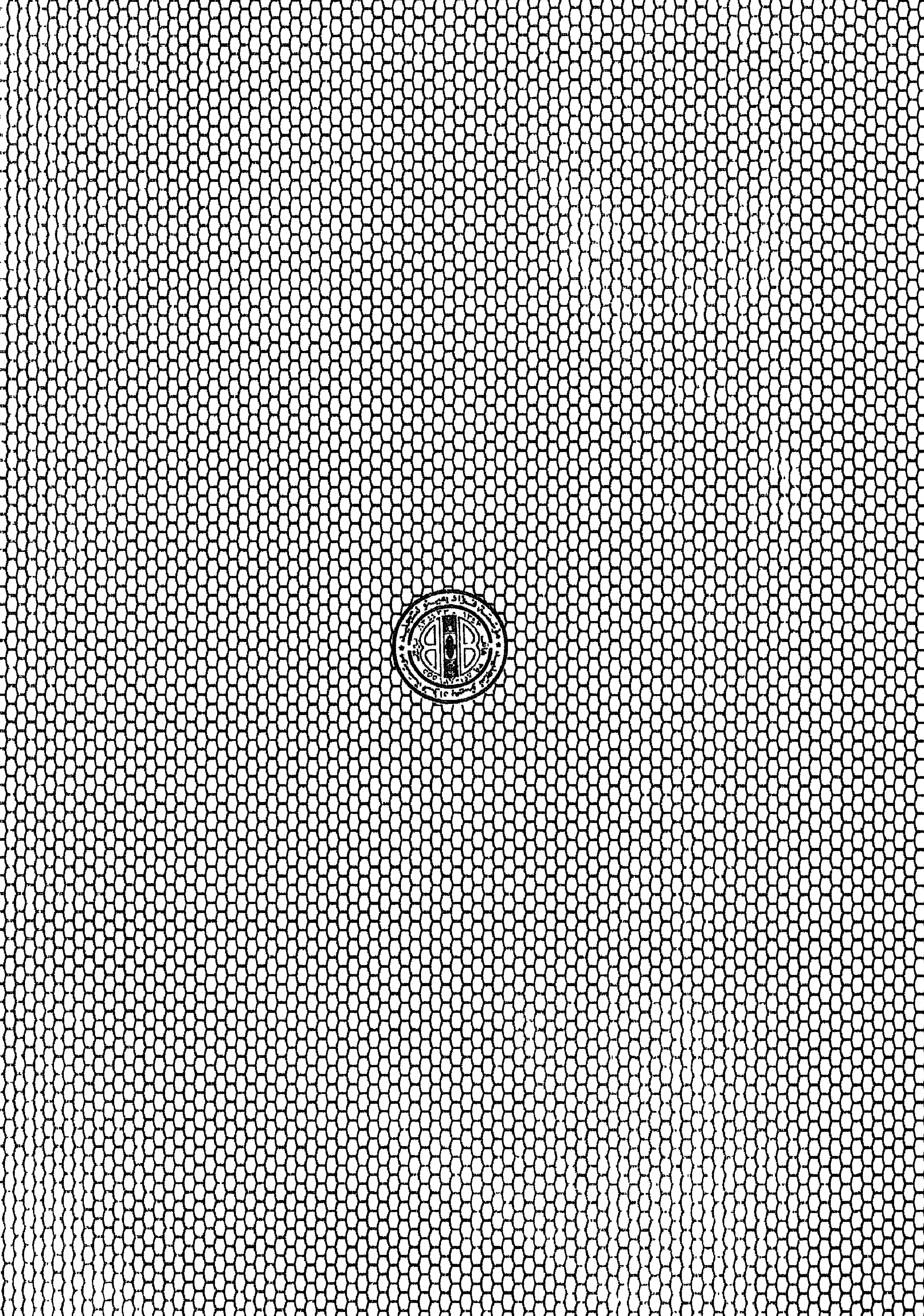
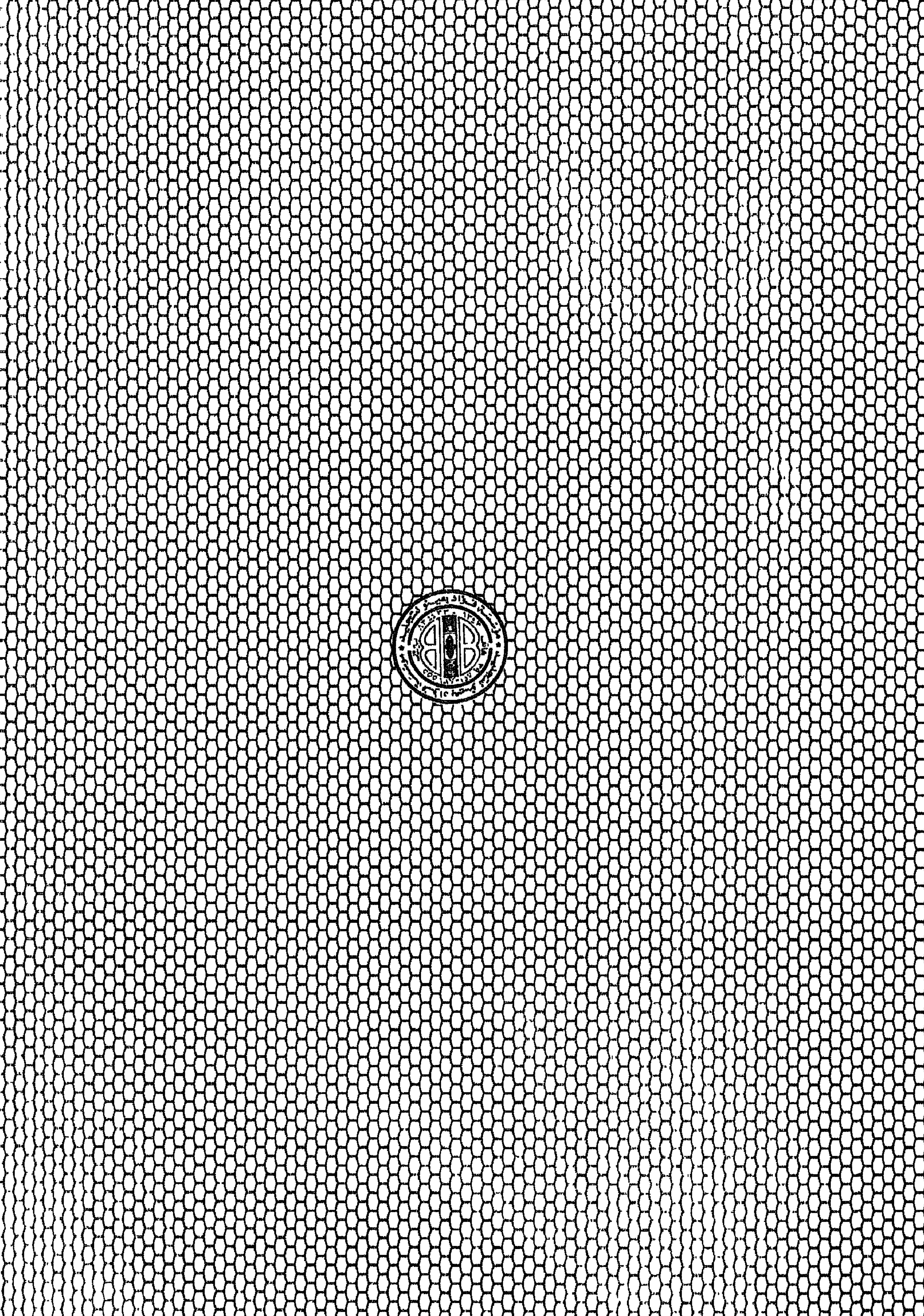

حدائق الأنوار
ومطالع الأسرار
في سيرة النبي المختار ﷺ
وعلى آله المصطفين الأخيار
تأليف
تحقيق
عبد الله إبراهيم الأنصاري
المجلد الأول





حدائق الأنوار

ومطالع الأسرار

في سيرة النبي المختار ﷺ وعلى آله المصطفين الأخيار

تأليف

وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد

المشهور بابن الديبع الشيباني الشافعي

تحقيق

عبد الله إبراهيم الأنصاري

الجزء الأول

المكتبة المكية

السعودية

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحْفُوظَةٌ

الطّبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

المكتبة المكيّة

حي الهجرة - مكّة المكرّمة - السّعوديّة - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية

اللهم لك الحمد، وفقتنا لعمل البر، فسبحانك سبحانك، لا نحصي ثناءً عليك، وصلاة ربي وعظيم تسليماته على سيدنا محمد بن عبد الله، سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن والاه ليوم الدين.

وبعد: فبعونه - تعالى - تمت الطبعة الثانية لكتاب «**حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**» ﷺ لمؤلفه «**ابن الديبع الشيباني**» رحمه الله ولما لهذا الكتاب من عظيم الأثر في السيرة النبوية، وحيث قمنا في طبعته الأولى بتحقيق مخطوطاته على أمهات كتب السيرة النبوية، وإخراجه لحيز الوجود، فلقد لاقى من القبول والأهمية، وتكرار الطلب عليه حتى نفذت جميع نسخه ومازال الطلب يتوالى علينا من الجامعات والهيئات العلمية في العالم الإسلامي.

لذلك بادرت إدارة إحياء التراث الإسلامي - بدولة قطر - بإعادة طبعه بعد إرشادات وتوجيه **صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني** - حفظه الله - لها وحثه لنشر العلم، وتقديم أجلّ الخدمات للعلم والمتعلمين.

وكما قمنا في هذه الطبعة، بتصحيح جميع جداول الخطأ والصواب، وإثبات جميع الاستدراكات في أمكنتها بدقة وأمانة، رغبة في إكمال العمل الصالح وبالجهد المستطاع، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

نسأل الله - تعالى - التوفيق والسداد وأن يجزل الأجر والثواب لنا ولمؤلفه ولمن ساهم بإخراجه وتصحيحه وطبعه إنه خير مسؤول وأعز مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخميس غرة ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

الموافق ١٦ كانون الأول ١٩٨٢م.

خادم العلم

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

مدير عام

إدارة إحياء التراث الاسلامي

بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

حمداً لك اللهمَّ على ما هديت ، وصلاةً وسلاماً على رسولك « المصطفى محمد بن عبد الله » وعلى آله وصحبه .

لقد كان للعناية الفائقة التي أولاها صاحب السمو « الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني » أمير قطر المفدّى في عهده المبارك الميمون النهضةَ العلميةَ ، والاهتمام بالشؤون الثّقافيّة ، ورعايةَ علوم القرآن والسنة النبويّة أكبرُ الأثرِ على هذا البلدِ الطيّبِ الكريم . فَعَزَّزَ بفعالهِ المجيدة ، وأياديه البيضاء القدرات ، ووطّدَ دعائمَ المجتمع ، ورفع منار العرفان ، وثبّتَ معالمَ الحَضَارَةِ ، وَحقّقَ التقدُّمَ والازدهارَ في شتّى مناحي الحياةِ في رُبُوعِ « قَطَر » الفتيّة .

وما هذهِ الصُّروحُ العلميّة الّتي أنشأها سموُّه في «قطر» ، ومَا وعنايتُهُ ببِنَاء المدارس، وإقامة المعاهد ، وفتح دور الكتب ، وإنشاء الكليات للتأهيل والتخصّص ، ما هي إلاّ الخطوات الرّصينة السّديدة الأولية على طريق إقامة « جامعةٍ » تؤهّلُ لجميعِ الاختصاصات ، وتنبثق عنها إشعاعاتُ المعرفة على العالم ، مذكرةً بأمجادِ علمائنا الأوائل الأبرار ، الذين كان لهم عَلَى العَالَمِ فضل السبق ، بأبحاثهم المبتكرة ، واختراعاتهم العجيبة .

وما منْ شكٍّ ، في أنَّ العلمَ هو الّذي يُعطي البلدَ مزيّةَ التقدُّم ، وهو الّذي يدفعُ عنهُ آثارَ الجهلِ والتخلّفِ ، وهوَ الّذي يَمْنَحُهُ الرُّسُوخَ والقُوَّة .

وتمشياً مع هذه الخطة الحكيمة ، فقد أولى سموُّه نشرَ تراثِ الأجدادِ جانباً من اهتماماته ، فشجّع على نشرِ التراث ، وَأسهَمَ فيه بمَالِهِ الحَلاَلِ ، تنشيطاً للعاملينَ في هذه الميادين ، وساعدَ على نشرِ عددٍ من أمّهاتِ الكُتُبِ .

وليس لي بعد ما ذكرتُ إلاّ أن أُنوِّهَ أنَّ نشرَ كتاب « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار » ما هُوَ إلاّ أحد أعمَالِ سُمُوِّه المبرورة ، فجزاه اللهُ خيراً عمَّا أنفق ، وأجزلَ له الأجرَ والثواب ، ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾ واللهُ المستعان ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

المحقق

الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة عامة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ .

أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا كِتَابُ « حَدَائِقِ الأَنْوَارِ وَمَطَالِعِ الأَسْرَارِ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ ـ ﷺ ـ وَعَلَى آلِهِ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ » . صَنَّفَهُ مُحَدِّثُ « اليَمَنِ » وَمُؤَرِّخُهَا ، وَمُحْيِي عُلُومِ الأَثَرِ بِهَا « وَجِيهُ الدِّينِ أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ الشَّهِيرُ بِابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبَانِيِّ ، العَبْدَرِيِّ الزَّبِيدِيِّ ، الشَّافِعِيِّ »، المُتَوَفَّى سَنَةَ (٩٤٤ هـ/ ١٥٣٧ م) .

اقْتَفَى « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي تَأْلِيفِ هَذَا الكِتَابِ سَنَنَ مَنْ سَبَقَهُ مِنْ « عُلَمَاءِ السِّيَرِ وَالمَغَازِي »، فَوَضَعَ هَذَا الكِتَابَ فِي وَقْتٍ كَثُرَ فِيهِ التَّأْلِيفُ فِي « السِّيرَةِ »، وَكَانَتْ مُصَنَّفَاتُ المُحَدِّثِينَ وَأَصْحَابِ المَسَانِيدِ فِي « السِّيرَةِ » تَحْظَى بِالقَبُولِ وَتَحْظَى بِالاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ ، لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْلَى هَذِهِ الكُتُبِ صِحَّةً وَأَصَالَةً ، وَأَحْسَنَهَا تَأْلِيفاً، وَأَصْدَقَهَا ، وَأَبْعَثَهَا عَلَى الطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ . وَكَانَتْ مُؤَلَّفَاتُ الأَخْبَارِيِّينَ وَأَصْحَابِ المَلاحِمِ لا تَرْقَى إِلَى المَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَتْ تَنَالُهَا مُؤَلَّفَاتُ المُحَدِّثِينَ . وَذَلِكَ لأَنَّ المُحَدِّثِينَ كَانُوا لا يَنْقُلُونَ إِلاَّ عَنِ الأَثْبَاتِ مِنَ الرُّوَاةِ ، وَلا يُدْخِلُونَ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ إِلاَّ مَا صَحَّ عِنْدَهُمْ مِنَ الأَخْبَارِ ، وَلا يَأْخُذُونَ إِلاَّ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْ ذِكْرِ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ ، وَيَرْفُضُونَ رِوَايَاتِ الكَذَّابِينَ وَالوَضَّاعِينَ . وَكَانَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » وَاحِداً مِنْ أُولَئِكَ المُحَدِّثِينَ، فَقَدِ التَزَمَ فِي مُصَنَّفِهِ فِي السِّيرَةِ بِكُلِّ قَوَاعِدِ هَذَا العِلْمِ فِي انْتِقَاءِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ

وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِعُلُوِّ الشَّأْنِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ ، وَيَكْفِيهِ تَقْدِيراً أَنَّهُ صاحِبُ «تَيْسِيرِ الْوُصُولِ إلى جَامِعِ الأُصُولِ مِنْ حَدِيثِ الرَّسُولِ» الَّذِي أَسْدَى فِي مُخْتَارَاتِهِ إلى الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ يَداً لاَ تَزَالُ بَرَكَتُهَا شَامِلَةً مَا دَامَ فِي النَّاسِ عَقْلٌ يُقَدِّرُ فَضْلَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَمَا دَامَ فِي الأَرْضِ مَنْ يَقُولُ : «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» [1] .

اخْتَارَ «ابْنُ الدَّيْبَعِ» في سِيرَتِهِ نُبْذَةً كَافِيَةً شَافِيَةً ، لَخَّصَهَا مِمَّا صَحَّ مِنَ الأَخْبَارِ ، وَاشْتَهَرَ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالآثَارِ ، مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَوْ أَحَدِهِمَا ، أَوْ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الأُصُولِ المُعْتَمَدَةِ ، كَالسُّنَنِ الأَرْبَعَةِ ، لأَبِي دَاوُدَ» وَ «التِّرْمِذِيِّ» وَ «ابْنِ مَاجَةَ» وَ «النَّسَائِيِّ» وَكَـ «مُوَطَّأ الإِمَامِ مَالِكٍ» .... وَأَخْذاً بِمَا تَقَدَّمَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : «إِنَّ كِتَابَ «ابْنِ الدَّيْبَعِ» في السِّيرَةِ هُوَ وَاحِد مِنْ كُتُبِ المُحَدِّثِينَ الَّتِي تَأْخُذُ بِالصَّحِيحِ مِنَ الأَحَادِيثِ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الأَخْبارِ» .

أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَهَمِّيَّةِ كُتُبِ السِّيرَةِ وَفَضْلِهَا فَإِنَّنَا لاَ نُجَاوِزُ الْحَقِيقَةَ عِنْدَمَا نَقُولُ : «إِنَّ كُتُبَ السِّيرَةِ وَالمَغَازِي هِيَ مِنْ أَعْلَى الْكُتُبِ مَنْزِلَةً وَأَكْرَمِهَا مَوْضُوعاً ، وَأَحْلاَهَا أَخْبَاراً ، وَأَنْدَاهَا عَلَى الْقُلُوبِ رَوْحاً وَذِكْراً ، وَقَدْ فَطِنَ لِذَلِكَ «الذَّهَبِيُّ» فَأَنْزَلَهَا المَنْزِلَةَ الَّتِي تَلِيقُ بِهَا عِنْدَمَا أَخَذَ فِي تَصْنِيفِ المُؤَلَّفَاتِ التَّارِيخِيَّة وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ فُنُونٍ ، فَأَعْطَى فَنَّ السِّيرَةِ الأَوْلَوِيَّةَ فِي تَصْنِيفِهِ الَّذِي عَدَّدَ فِيهِ أَرْبَعِينَ فَنّاً تَنْتَهِي فِي مَوْضُوعِهَا إلى عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَدْخُلُ فِي حَيِّزِ المُؤَلَّفَاتِ التَّارِيخِيَّةِ [2] .

وَقَدْ تَوَجَّهَتْ عِنَايَةُ المُؤَرِّخِينَ وَعُلَمَاءِ المَغَازِي وَالسِّيَرِ لِلتَّأْلِيفِ فِي فَنِّ السِّيرَةِ ، وَالتَّصْنِيفِ فِيهَا . «وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ المَوْضُوعَ الَّذِي تُعَالِجُهُ «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» لَيْسَ بِالأَمْرِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى التَّجَارِبِ ، وَلَيْسَ هُوَ بِالْفِكْرَةِ الَّتِي يُقِيمُهَا بُرْهَان وَيَنْقُضُهَا بُرْهَانٌ ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي النَّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي يَطْرَأُ عَلَيْهَا التَّجديد وَالتَّغْيِيرُ عَلَى مَرِّ السِّنِينِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ عِمَادُهُ النَّقْلُ وَالرِّوَايَةُ [3] » مِنْ حَيْثُ

---

(١) «تيسير الوصول ــ مقدمة الناشر : ١/ (د)» .

(٢) انظر : «الإعلان بالتَّوبيخ لِمَنْ ذَمَّ التاريخ : ١٥٠ ــ ١٥٤» .

(٣) «سيرة ابن هشام : ١ ــ مقدمة الناشرين ــ : ٦» .

المَبْدَأَ ؛ إلاَّ أنَّ عُلَمَاءَ فِقْهِ السِّيرَةِ ، وَالْفُقَهَاءَ وَالأُصُولِيِّينَ اسْتَنْبَطُوا مِنَ السِّيرَةِ وَحَوَادِثِهَا الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْقَوَانِينَ الدَّوْلِيَّةَ . وَاسْتَمَدَّ عُلَمَاءُ الأَخْلاَقِ مِنْ أَخْلاَقِ « الرَّسُولِ » - ﷺ - وَتَصَرُّفَاتِهِ المَثَلَ الأَعْلَى لِمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ المُسْلِمُ مِنَ الخُلُقِ السَّامِي . وَاقْتَبَسَ البُلَغَاءُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ - ﷺ - الْفِقَرَ النَّفِيسَةَ ، وَالْحِكَمَ السَّدِيدَةَ ، وَتَأَدَّبَ الأُدَبَاءُ بِأَدَبِ « المُصْطَفَى » وَأَحَادِيثِهِ ، وَرِوَايَةِ أَخْبَارِهِ وَمَغَازِيهِ ، وَلِقَائِهِ مَعَ وُفُودِ الْعَرَبِ وَخُطَبَائِهِمْ .

وَهَكَذَا فَالسِّيرَةُ يُنْبُوعٌ ثَرٌّ فَيَّاضٌ ، يُغْدِقُ الْخَيْرَ وَيَعُمُّ بِهِ الإِنْسَانِيَّةَ عَلَى اخْتِلاَفِ مَشَارِبِهَا وَمَنَازِعِهَا .

يَقُومُ فَنُّ « السِّيرَةِ » أَوِ « المَغَازِي » عَلَى عَرْضِ حَيَاةِ « الرَّسُولِ » - ﷺ - بِذِكْرِ الأَخْبَارِ الَّتِي تُرْوَى عَنْهُ - ﷺ - بِالرِّوَايَاتِ المُسْنَدَةِ ، مُرَتَّبَةً عَلَى السِّنِينَ، بِحَسَبِ وُقُوعِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا الأَحَادِيثُ أَوِ الأَخْبَارُ .

وَيَبْدُو أَنَّ لَفظَةَ « السِّيرَةِ » كَانَتْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَخْدِمَهَا « ابنُ هِشَامٍ » بِمَعْنَى«سِيرَةِ النَّبِيِّ» ﷺ عِنْدَمَا جَعَلَهَا عَلَماً عَلَى مُخْتَصَرِهِ لِكِتَابِ«ابْنِ إِسْحَاقَ» وَالْخَبَرُ التَّالِي الَّذِي ذَكَرَهُ « أَبُو الْفَرَجِ الأَصْفَهَانِيُّ » في « الأَغَانِي » يُؤَيِّدُ ذَلِكَ :

[« قَالَ «المَدَائِنِيُّ» فِي خَبَرِ «خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ» - وَأَخْبَرَنِي «ابْنُ شِهَابِ بْنِ عَبْدِ اللهِ » قَالَ : قَالَ لِي « خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ » : « اكْتُبْ لِي النَّسَبَ » ، « فَبَدَأْتُ بِنَسَبِ « مُضَرَ » . فَمَكَثْتُ فِيهِ أَيَّاماً ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : « مَا صَنَعْتَ ؟ » فَقُلْتُ : « بَدَأْتُ بِنَسَبِ « مُضَرَ » وَمَا أَتْمَمْتُهُ » فَقَالَ : « اقْطَعْهُ قَطَعَهُ اللهُ مَعَ أُصُولِهِمْ (يُرِيدُ : « بَنِي أُمَيَّةَ ») وَاكْتُبْ لِي فِي « السِّيرَةِ » . فَقُلْتُ لَهُ : فَإِنَّهُ يَمُرُّ بِي الشَّيْءُ مِنْ « سِيَرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - فَأَذْكُرُهُ ؟ ! » فَقَالَ : « لاَ ، إلاَّ أَنْ تَرَاهُ فِي قَعْرِ « الْجَحِيمِ »] [1] .

وَإِنَّ لَفْظَةَ « المَغَازِي » كَانَتْ شَائِعَةَ الاسْتِعْمَالِ قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ « الوَاقِدِيُّ »

---

(١) « الأغاني : ١٩ : ٥٩ » .

كِتَابَهُ « المَغَازِي » وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا كَتَبَهُ « ابْنُ كَثِيرٍ » فِي « كِتَابِهِ : « الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ » فَقَالَ : [« وَهَذَا الْفَنُّ مِمَّا يَنْبَغِي الاعْتِنَاءُ بِهِ ، وَالاعْتِبَارُ بِأَمْرِهِ ، وَالتَّهَيُّؤُ لَهُ ، كَمَا رَوَاهُ « مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ » عَنْ « عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ » عَنْ أَبِيهِ : « سَمِعْتُ « عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ » يَقُولُ : « كُنَّا نُعَلَّمُ « مَغَازِي « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ « الْقُرْآنِ »] [١] .

[وَقَالَ « الْوَاقِدِيُّ » : « وَسَمِعْتُ « مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ » يَقُولُ : « سَمِعْتُ عَمِّي « الزُّهْرِيَّ » يَقُولُ : « فِي عِلْمِ المَغَازِي عِلْمُ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا »] [٢] .

وَيُسْتَفَادُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ لَفْظَتَيْ « المَغَازِيَ » وَ « السِّيَرَ » إِذَا أُطْلِقَتَا ، فَالمُرَادُ بِهِمَا عِنْدَ مُؤَرِّخِي المُسْلِمِينَ تِلْكَ الصَّفْحَةُ الأُولَى مِنْ « تَارِيخِ الأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ » صَفْحَةُ الْجِهَادِ فِي إِقَامَةِ صَرْحِ الإِسْلاَمِ وَجَمْعِ الْعَرَبِ تَحْتَ لِوَاءِ الرَّسُولِ « مُحَمَّدٍ » ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ وَمَا يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ نَشْأَةِ « النَّبِيِّ » وَذِكْرِ آبَائِهِ ، وَمَا سَبَقَ حَيَاتَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ لَهَا صِلَةٌ بِشَأْنِهِ ، وَحَيَاةِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَبْلَوْا مَعَهُ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ ، وَحَمَلُوا رِسَالَتَهُ فِي الْخَافِقَيْنِ .

وَظُهُورُ « الرِّسَالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ » أَعْظَمُ حَادِثٍ فِي تَارِيخِ « الْعَرَبِ » خَاصَّةً وَالْبَشَرِ عَامَّةً » [٣] .

وَهَكَذَا أَصْبَحَ مِنَ الثَّابِتِ فِي الأَذْهَانِ وَالرَّاسِخِ فِيهَا أَنَّ لَفْظَةَ « السِّيرَةِ » إِذَا جِيءَ بِهَا مُفْرَدَةً مُعَرَّفَةً قُصِدَ بِهَا بِذَلِكَ تَخْصِيصاً « السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ » أَيْ : تَارِيخُ حَيَاةِ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى وَفَاتِهِ ، مَعَ ذِكْرِ آبَائِهِ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَصَحَابَتِهِ ، فَضْلاً عَنْ ذِكْرِ خِصَالِهِ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ وَأَحْوَالِهِ ، وَعَادَاتِهِ ، ثُمَّ الأَحْدَاثِ المُرْتَبِطَةِ بِالدَّعْوَةِ ، كَالْوَحْيِ وَالْهِجْرَاتِ ، وَالْغَزَوَاتِ وَالْوُفُودِ »[٤].

---

(١) و (٢) « البداية والنهاية : ٣ / ٢٤٢ » .

(٣) « سيرة ابن هشام : ١ ـ مقدمة الناشرين : ٣ » .

(٤) القاموس الإسلامي : ٣/٢٩٥ » .

وَأَمَّا لَفْظَةُ « المَغَازِي » فَإِنَّهَا كَانَتْ تَعْنِي مِنْ حَيْثُ وَضْعُهَا اللُّغَوِيُّ [« الْحُرُوبَ » وَالْغَزَوَاتِ » . ثُمَّ تَخَصَّصَ مَعْنَاهَا فَصَارَتْ تَعْنِي « الْحُرُوبَ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا « الرَّسُولُ » ـ ﷺ ـ وَصَحَابَتُهُ بِالْقِتَالِ . وَلَكِنَّ هَذَا الاسْمَ تَدَرَّجَ فِي الزَّمَنِ ، فَاتَّسَعَ مَعْنَاهُ وَشَمَلَ تَارِيخَ حَيَاةِ « النَّبِيِّ » ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ جَمِيعِهَا . وَأُرَجِّحُ أَنَّهُ فِي تَوَسُّعِهِ الأَوَّلِ شَمَلَ حَيَاةَ « النَّبِيِّ » فِي « المَدِينَةِ » وَحْدَهَا ، لأَنَّهَا مُدَّةُ الْجِهَادِ الْحَرْبِيِّ ، الَّذِي سَايَرَ قِيَامَ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ . فَهَذِهِ المُدَّةُ مِنْ حَيَاةِ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ مُزْدَحِمَةٌ بِهَذِهِ الْحَمَلاَتِ عَلَى « قُرَيْشٍ » ، وَ « الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ » وَ « الْيَهُودِ » ثُمَّ مَنْ سَكَنَ « أَطْرَافَ الشَّامِ » وَخَضَعَ « لِلرُّومَانِ » مِنَ « الْعَرَبِ » . وَلِذَلِكَ لاَ يَبْعُدُ المَرْءُ كَثِيراً إِذَا سَمَّاهَا مُدَّةَ المَغَازِي . ثُمَّ اتَّسَعَ اللَّفْظُ حَتَّى شَمَلَ حَيَاةَ « النَّبِيِّ » بِأَكْمَلِهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا « كَانَتِ المُدَّةُ المَدَنِيَّةُ » مُدَّةَ الْجِهَادِ الْحَرْبِيِّ ، فَإِنَّ « المُدَّةَ المَكِّيَّةَ » كَانَتْ مُدَّةَ الْجِهَادِ السِّلْمِيِّ ، فِي سَبِيلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ سِرّاً ثُمَّ جَهْراً . وَعَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ اتَّسَعَ هَذَا اللَّفْظُ ، فَصَارَ يَعْنِي « سِيرَةَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ كُلَّهَا »] (1) .

وَنَعْلَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ [« أَنَّ اللَّفْظَتَيْنِ ـ « السِّيرَةَ » وَ « المَغَازِيَ » ـ مُسْتَعْمَلَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ ، لاَ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا ، فَقَدْ ذَكَرَ « ابْنُ كَثِيرٍ » « سِيرَةَ ابْنِ إِسحاقَ » وَقَالَ : « قَالَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » فِي « المَغَازِي » (2) . عَلَى أَنَّ كُلاًّ مِنَ اللَّفْظَتَيْنِ مُضَلِّلٌ ، بِحَيْثُ أَنَّ مَوْضُوعَ اللَّفْظَةِ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِسِيرَةِ « النَّبِيِّ » عَلَى الإِطْلاَقِ فِي الْحَالَةِ الأُولَى ، وَلِمَغَازِيهِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ »] (3) .

نَشَأَ التَّأْلِيفُ فِي السِّيرَةِ خِلاَلَ أَيَّامِ التَّابِعِينَ ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لِلتَّأْلِيفِ مَنْهَجٌ كَامِلٌ يَقْتَفِيهِ المُصَنِّفُ . وَقَدِ ابْتَدَأَ التَّأْلِيفُ بِجَمْعِ شَذَرَاتِ الأَخْبَارِ وَالْتِقَاطِهَا

---

(1) « المغازي الأولى وَمُؤَلِّفُوها ـ مقدمة المترجم : ط ـ ي » .

(2) « البداية والنِّهاية : ٣/٢٤٢ ـ ٢٤٣ » .

(3) « كتاب المغازي ـ للواقدي : ١ ـ مقدمة التحقيق : ١٩ » .

مِنْ رُوَاتِهَا مِما كَانَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ تُدْنِيهِ مِنْ أُولَئِكَ النَّاسِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إلى « النَّبِيِّ » – ﷺ – أَوْ أَصْحَابِهِ وَنَقَلُوا عَنْهُ الأَخْبَارَ الَّتِي سَمِعُوهَا وَحَدَّثُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ الَّتِي شَهِدُوهَا ، وَأَخْبَرُوا عَنِ الأَعْمَالَ الَّتِي عَمِلُوهَا وَوَافَقَهُمُ « الرَّسُولُ » – ﷺ – عَلَيْهَا .

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ السِّيرَةَ ، أَوَّلَ مَا نَشَأَتْ ، كَانَتْ [« أَحَادِيثَ فِي مَجَالِسِ الخاصَّةِ ، تُدَارُ حَوْلَ مَغَازِي « رَسُولِ اللهِ » – ﷺ – ، فَيَسْأَلُ بَعْضُ الوُلاَةِ أَوِ الأَعْيَانِ فِي الأَمْصَارِ الكُبْرَى الإِسْلاَمِيَّةِ « كَالمَدِينَةِ » وَ « دِمِشْقَ » عَالِماً مِمَّنِ اشْتَهَرَ بِالحِفْظِ وَالرِّوَايَةِ :

– « كَيْفَ كَانَتْ « غَزَاةُ بَدْرٍ ؟ » أَوْ – مَنِ الَّذِينَ شَهِدُوا هَذِهِ الْغَزَاةَ ؟ » أَوْ – « مَا عَدَدُهُمْ ؟ » .

فَيُحَدِّثُ الْعَالِمُ الْقَوْمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ ، مُسْنِداً الحَدِيثَ إلى مَنْ أَفَادَهُ إِيَّاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ .

وكَانَتْ تِلْكَ الأَحَادِيثُ ، أَحْيَاناً ، تَفْسِيراً لِبَعْضِ الآيَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ شَيْئاً مِنْ تَارِيخِ الْوَقَائِعِ وَغَزَوَاتِ «النَّبِيِّ» – ﷺ – ، «كَيَوْمِ بَدْرٍ» ، أَوْ «يَوْمِ أُحُدٍ» أَوْ « يَوْمِ حُنَيْنٍ » . وكَانَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ الرُّوَاةِ يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ فِي جُمْلَةِ الأَخْبَارِ وَتَفْصِيلِهَا ، أَوْ فِي دِقَّةِ الإِسْنَادِ ، عَلَى حَسَبِ المَصَادِرِ الَّتِي أَمَدَّتْهُ .

ثُمَّ تَقَدَّمَتِ السِّيرَةُ خُطْوَةً إِذْ دَوَّنَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ الْحُفَّاظِ ، وكُلُّهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ، مَا وَرِثُوهُ رِوَايَةً عَنْ أَسْلاَفِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وكَانَ الْبَادِئُ بِهَذَا « أَبَانَ بْنَ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ » ثُمَّ « عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ » ، وَهُمَا مِنْ أَبْنَاءِ « أَشْرَافِ الْعَرَبِ » وكُبَرَائِهِمْ ، فَمَكَّنَتْهُمَا قَرَابَتُهُمَا مِنْ « رَسُولِ اللهِ » – ﷺ – أَنْ يَجْمَعَا مِنَ الأَخْبَارِ وَالأَسَانِيدِ مَا لَمْ يَجْمَعْ غَيْرُهُمَا ؛ وَلِذَلِكَ يُمْكِنُ عَدُّهُمَا مُؤَسِّسَيْ تَارِيخِ السِّيرَةِ فِي الإِسْلاَمِ ؛ ثُمَّ تَوَاتَرَ الْكَاتِبُونَ فِيهِ بَعْدَهُمَا مِنْ أَمْثَالِ : « شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ » ، وَ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ » ، وَ « عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ » ،

وَ « عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ » ، ثُمَّ « الزُّهْرِيِّ » وَتَلامِيذِهِ الَّذِينَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ شَأْناً « مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ » ـ صَاحِبُ « السِّيرَةِ » المَشْهُورَةِ »] [1] .

ابْتَدَأَ التَّأْلِيفُ فِي « السِّيرَةِ بَادِىءَ الأَمْرِ بِتَدْوِينِ أَخْبَارِ مَاكَانَ يَقَعُ فِي مَجَالِسِ الخَاصَّةِ ، وَمَا دُوِّنَ لَهُمْ مِنْ رَسَائِلَ ، أَوْ كُتِبَ لَهُمْ مِنْ أَخْبَارٍ ، وَقَدِ اقْتَصَرَ الأَمْرُ لَدَى بَعْضِهِمْ عَلَى تَدْوِينِ أَخْبَارِ المَغَازِي ، وَانْصَرَفَ بَعْضُهُمُ الآخَرُ لِتَدْوِينِ « أَخْبَارِ المَبْعَثِ » أَوِ « الوَحْيِ » ، وَذَهَبَ آخَرُونَ فَكَتَبُوا عَمَّا لاقَاهُ ـ ﷺ ـ فِي « مَكَّةَ » قَبْلَ « الهِجْرَةِ » ، وَذَهَبَ غَيْرُهُمْ فَكَتَبُوا فِي « تَارِيخِ الهِجْرَةِ » وَكَيْفَ كَانَتْ إلخ . . . . . » .

وَلَمَّا اسْتَفَاضَ عَدَدُ تِلْكَ الرَّسَائِلِ وَالمُدَوَّنَاتِ ، اسْتَفَادَ الرُّوَاةُ وَالمُحَدِّثُونَ فِي ضَمِّ المَعْلُومَاتِ الَّتِي يُتَمِّمُ بَعْضُهَا بَعْضَهَا الآخَرَ ، وَأَفْضَى الأَمْرُ إِلَى رَسْمِ مَنْهَجِ التَّأْلِيفِ فِي السِّيرَةِ عَلَى نَحْوٍ عِلْمِيٍّ سَدِيدٍ اقْتَفَى أَثَرَهُ مُصَنِّفُو السِّيَرِ فِيمَا بَعْدُ .

[« وَغَنِيٌّ عَنِ القَوْلِ أَنَّ أَقْوَالَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ وَأَعْمَالَهُ كَانَ لَهُمَا أَهَمِّيَّةٌ كُبْرَى إِبَّانَ حَيَاتِهِ ، وَأَهَمِّيَّةٌ أَكْبَرُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَقَدْ أَوْجَبَتْ هَذِهِ الأَهَمِّيَّةُ العِنَايَةَ الشَّامِلَةَ بِتَدْوِينِ تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ ، وَبِجَمْعِ الأَحَادِيثِ وَالأَخْبَارِ عَنْهُ . وَلَمْ يَكُنِ الدَّافِعُ لِهَذِهِ العِنَايَةِ وَالاهْتِمَامِ التَّقْوَى وَحْدَهَا فَحَسْبُ ، وَلَكِنَّ حَاجَةَ المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ إِلَى إِرْسَاءِ وَتَثْبِيتِ العَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَالأَحْكَامِ التَّشْرِيعِيَّةِ هِيَ الحَافِزُ الأَسَاسِيُّ لَهُمَا »] [2] .

وَبِالرُّغْمِ مِمَّا عُرِفَ عَنْ تَخَصُّصِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي عِلْمَيِ المَغَازِي وَالسِّيَرِ [« ذَكَرَ «ابْنُ سَعْدٍ» عَنْ « أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ » أَنَّهُ تَخَصَّصَ فِيهِمَا،وَقَدْ أَخَذَ « المُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » عَنْهُ بَعْضَ الأَخْبَارِ . وَلَكِنَّهُ مَعَ الأَسَفِ لَمْ يَصِلْنَا أَيُّ كِتَابٍ وُضِعَ فِي عَهْدِ « الصَّحَابَةِ » فِي « المَغَازِي » وَ « السِّيَرِ »] [3] .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها ـ تصدير ـ : هـ ـ و » .

(٢) « المغازي ـ للواقدي ـ مقدمة التحقيق ـ : ١٩/١ ـ ٢٠ » .

(٣) « المغازي ـ للواقدي ـ مقدمة التحقيق ـ : ٢٠/١ » .

وَذَكَرَ « ابْنُ سَعْدٍ » فِي تَرْجَمَةِ « المُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » أَنَّهُ : « كَانَ ثِقَةً ، قَلِيلَ الحَدِيثِ ، إلاَّ مَغَازِي « رَسُولِ اللهِ » – ﷺ – أَخَذَهَا مِنْ « أَبَانِ بنِ عُثْمَانَ » ، فَكَانَ كَثِيراً مَا تُقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرُنَا بِتَعْلِيمِهَا »[1] .

وَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى تَرَاجِمِ أَعْلامِ البَاحِثِينَ فِي السِّيرَةِ « الأَوَائِلِ » وَأَنْ نَسْتَعْرِضَ الأَعْمَالَ الأُولَى الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ .

إنَّ التَّرَاجِمَ الَّتِي وَصَلَتْنَا عَنْ هَؤُلاءِ الأَعْلامِ تُشِيرُ إلَى أَنَّ « أَبَانَ بْنَ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ » وَكَانَتْ أُمُّهُ « أُمَّ عَمْرِو بِنْتَ جُنْدُبٍ »[2] ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اشْتَهَرَ بِمَعْرِفَةِ « المَغَازِي » مَعْرِفَةً دَقِيقَةً ، وَهُوَ مِمَّنْ وُلِدَ قَبْلَ سَنَةِ (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) لا بَعْدَهَا ، وَالمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، وَهُوَ مِنْ رُوَاةِ الحَدِيثِ الثِّقَاتِ ، وَمِنْ فُقَهَاءِ « المَدِينَةِ » أَهْلِ الفَتْوَى . وَدَوَّنَ مَا سَمِعَ مِنْ أَخْبَارِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالمَغَازِي ، وَسَلَّمَهَا إلَى « سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ » فِي حَجِّهِ سَنَةِ (٨٢ هـ/٧٠١ م) فَأَتْلَفَهَا « سُلَيْمَانُ »[3] . « وَلَيْسَتِ « المَغَازِي » الَّتِي رَوَاهَا « المُغِيرَةُ » عَنْ « أَبَانٍ » كِتَاباً بِالمَعْنَى الدَّقِيقِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأَخْبَارِ المُتَعَلِّقَةِ بِسِيرَةِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – ؛ وَيَظْهَرُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَنَا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ المَجْمُوعَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا كَانَتْ تُمَاثِلُ الصَّحَائِفَ وَالكُتُبَ المَذْكُورَةَ آنِفاً »[4] .

وَذَكَرَ « حَاجِّي خَلِيفَةُ » عِنْدَ ذِكْرِ « المَغَازِي » فَقَالَ : « إنَّ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ فِيهَا : « عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ » – وَجَمَعَهَا « وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ » –[5] ، وَهُوَ أَخُو « عَبْدِ

---

(١) « طبقات ابن سعد : ٥/١٥٥ – ١٥٦ »

(٢) « تاريخ الطبري : ٤/٣٠٥٦ »

(٣) « الأعلام ١/٢٧ »

(٤) « المغازي الأولى ومؤلفوها ٦ »

(٥) « كشف الظنون : ٢/١٧٤٦ ١٧٤٧ »

اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ » وَأُمُّهُمَا « أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ » . وَكَانَتْ وِلادَتُه سَنَةَ : (٢٢ هـ/٧١٢ م) . وَهُوَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ فِي « المَدِينَةِ » . وَكَانَ عَالِماً بِالدِّينِ ، صَالِحاً كَرِيماً ، لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفِتَنِ » [١] . وَتُفِيدُنَا رِوَايَةُ « الطَّبَرِيِّ » : [« أَنَّ « عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ » كَتَبَ إِلَى « عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ » أَخْبَاراً عَنْ فَجْرِ الإِسْلاَمِ قَالَ : « حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا « أَبَانُ الْعَطَّارُ » قَالَ : « حَدَّثَنَا « هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ » عَنْ « عُرْوَةَ » ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى « عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ » : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ ـ يَعْنِي « رَسُولَ اللهِ » ـ ﷺ ـ : لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ لِمَا بَعَثَه « اللهُ » مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ ، الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَبْعُدُوا أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ ، وَكَادُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى ذَكَرَ طَوَاغِيتَهُمْ الخ »] [٢] .

[« وَيَشْتَهِرُ « عُرْوَةُ » شُهْرَةً كَبِيرَةً بِمَعْرِفَتِهِ « الحَدِيثَ » ، وَقَدْ مَكَّنَتْهُ إِقَامَتُهُ « بِالمَدِينَةِ » مِنَ الإِلْمَامِ بِكَثِيرٍ مِنَ الأَخْبَارِ عَنِ الأَيَّامِ الأُولَى مِنَ الإِسلامِ خَاصَّةً ، عَرَفَهَا مِنْ وَالِدِهِ « الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ » وَمِنْ أُمِّهِ « أَسْمَاءَ » وَعَنْ « عَائِشَةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا ، وَكَانَ لاَ يَقْطَعُ زِيَارَتَهَا وَسُؤَالَهَا »] [٣] .

[وَقَدْ رَوَى ابْنُهُ « هِشَامٌ » أَنَّ أَبَاهُ « عُرْوَةَ » أَحْرَقَ كُتُبَهُ فِي الْفِقْهِ فِي « يَوْمِ الْحَرَّةِ » سَنَةَ (٦٣ هـ/٦٨٣ م) ، وَقَدْ حَزِنَ عَلَى فَقْدِهَا فِيمَا بَعْدُ »] [٤] .

[« وَلَمْ يَقْتَصِرْ « عُرْوَةُ » عَلَى تَلْقِينِ تَلاَمِيذِهِ الأَخْبَارَ الَّتِي تَلَقَّاهَا عَنِ الثِّقَاتِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ ؛ بَلْ دَوَّنَ مَعْلُومَاتِهِ عَنْ حَوَادِثِ الصَّدْرِ الأَوَّلِ مِنَ « الإِسْلامِ »

---

(١) « الأعلام : ٢٢٦/٤ » .

(٢) « تاريخ الطبري : ٣٢٨/٢ » .

(٣) « المغازي الأُولَى وَمُؤَلِّفُوهَا : ١٨ » .

(٤) « المغازي الأولى ومُؤلفوها : ١٩ » .

وَوَصَلَ إِلَيْنَا بَعْضُ رَسَائِلِهِ المُدَوَّنَةِ فِي كُتُبِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « الْوَاقِدِيِّ » وَ « الطَّبَرِيِّ » (1)] (2) .

[« وَيُخْبِرُنَا ابْنُهُ « هِشَامٌ » أَنَّ « عُرْوَةَ » لَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ قَطُّ مِن بِرَأْيِهِ » .] (3)

[« وَتَأْخُذُ أَقْدَمُ « سِيَرِ النَّبِيِّ » الَّتِي بِأَيْدِينَا جُزْءاً كَبِيراً جِداً مِنْ مَادَّتِهَا مِنْ مَجْمُوعَاتِهِ »] (4) .

[« وَمِنَ الْحَقِّ أَنَّ الإِسْنَادَ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ عَادَةً فِي عَصْرِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ضَرْبَةَ لازِبٍ . أَضِفْ إِلى ذَلِكَ أَنَّ « عُرْوَةَ » رَجَعَ أَيْضاً إِلَى وَثَائِقَ مَكْتُوبَةٍ ، فَيَذْكُرُ مَثَلاً نَصَّ الرِّسَالَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا « النَّبِيُّ » — ﷺ — لأَهْلِ « هَجَرٍ » . وَتُعْنَى الأَخْبَارُ المَرْوِيَّةُ عَنْ «عُرْوَةَ» بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ حَيَاةِ «النَّبِيِّ» — ﷺ — »] (5) .

[« أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بالسَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا « عُرْوَةُ » ، فَلَيْسَ يُوجَدُ خَبَرٌ يَقِينِيٌّ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ مُعْظَمَ الثِّقَاتِ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ عَامَ (٩٤ هـ /٧١٢ م) . وَقَدْ مَاتَ فِي « مُجَاحٍ » بِجِوَارِ « الْفُرْعِ »] (6) .

وَمِمَّنْ يُذْكَرُ فِي تَارِيخِ المَغَازِي ، مَعَ « أَبَانٍ » وَ « عُرْوَةَ » « شُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ » — مَوْلَى « بَنِي خَطْمَةَ » المَدَنِيِّينَ — وَيُقَالُ : « إِنَّهُ عَرَفَ «عَلِيّاً» المُتَوَفَّى سَنَةَ (٤٠ هـ/٦٦١ م) وَمَاتَ « شُرَحْبِيلُ » عامَ (٧٤٠/١٢٣ م) وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى المِائَةِ [« وَكَانَ عَالِماً بِالمَغَازِي وَالبَدْرِيِّينَ ، وَكَانَ يُفْتِي وَيَرْوِي الحَدِيثَ . وَفِي رِوَايَتِهِ ضَعْفٌ »] (7) .

---

(1) « انظر : « تاريخ الطبري : ٣٢٨/٢ ، ٣٧٥/٢ ، ٣٨١/٢ ، و ٥٥/٣ ، ٧٠/٣ » الخ . . . » .

(2) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ١٩ » .

(3) و (4) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٣ » .

(5) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٣ — ٢٤ » .

(6) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ١٨ » .

(7) « الأعلام : ١٥٩/٣ » .

[« ويَروِي « ابْنُ حَجَرٍ » الخَبَرَ التَّالي : « كَانَ « شُرَحْبِيلُ » « أَبُو سَعْدٍ » عَالِماً بِالمَغَازِي،فَاتَّهَمُوهُ بأنه يُدْخِلُ فِيهِمِ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ « بَدْراً »،وَفِيمَنْ قُتِلَ يَوْمَ « أُحُدٍ » مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ ،وَكَانَ قَدِ احْتَاجَ فَسَقَطَ عِنْدَ النَّاسِ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ « مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ » ، فَقَالَ : « وَإِنَّ النَّاسَ اجْتَرَؤُوا عَلَى هَذَا ؟ فَدَبَّ عَلَى كِبَرِ السِّنِّ ، وَقَيَّدَ مَنْ شَهِدَ « بَدْراً » وَ « أُحُداً » وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى « الْحَبَشَةِ » وَ« المَدِينَةِ » وَكَتَبَ ذَلِكَ » .

وَيَدُلُّ هَذَا الْخَبَرُ بِوُضُوحٍ عَلَى أَنَّ كَاتِبَ الْقَوَائِمِ هُوَ « مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ » لا « شُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ »] [1] .

[« وَذَكَرَهُ « ابْنُ حِبَّانَ » بَيْنَ الثِّقَاتِ » . وَلاَ يَرْوِي عَنْهُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » أَوِ « الْوَاقِدِيُّ » شَيْئاً . أَمَّا « ابْنُ سَعْدٍ » [2] فَيَأْخُذُ عَنْهُ خَبَراً عَنْ « هِجْرَةِ « النَّبِيِّ » مِنْ « قُبَاءَ » إِلَى « المَدِينَةِ » . وَلاَ يَذْكُرُ « شُرَحْبِيلُ » فِي هَذِهِ الْفِقْرَةِ أَيَّ إِسْنَادٍ». وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ لَمْ يَقْصُرْ نَفْسَهُ عَلَى « المَغَازِي » بِالمَعْنَى الْخَاصِّ»][3]

وَكَانَ « أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ » وَ « عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ » وَ « شُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ » مِنْ أَبْنَاءِ « المَدِينَةِ » ، فَقَضَوْا حَيَاتَهُمْ فِيهَا .

أَمَّا « وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ » فَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ السِّيرَةِ غَيْرِ« المَدَنِيِّينَ » [وَهُوَ يُعَدُّ فِي « التَّابِعِينَ » ، كَانَ مِنْ جَنُوبِ « بِلاَدِ الْعَرَبِ » ، وَهُوَ مِنْ أَصْلٍ فَارِسِيٍّ ، مِنْ إِحْدَى الأُسْرَاتِ الْفَارِسِيَّةِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي جَنُوبِ

---

(١) « المغازي الأولى وَمُؤَلِّفُوهَا : ٢٦–الحاشية (١) نقلاً عن « ابن حجر في : «تهذيب التهذيب– – طبع الهند – ١٠ : ٣٦١ » . و « تعليق الدكتور حسين نصار حَوْل الخبر » .

(٢) انظر : « طبقات ابن سعد : ١/١٦٠ » .

(٣) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٧ » .

« بِلادِ الْعَرَبِ » فِي الْعُصُورِ الْجَاهِلِيَّةِ ، تَحْتَ حُكْمِ « كِسْرَى أَنُوشَرْوَانَ » وَعُرِفُوا بِالأَبْنَاء »] [1] ،

وَقَدْ أَوْرَدَ « الزِّرِكْلِيُّ »[2] تَرْجَمَتَهُ « عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: [« وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ الأَبْنَاوِيُّ ، الصَّنْعَانِيُّ ، الذِّمَارِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ » وَنَعَتَهُ بِأَنَّهُ مُؤَرِّخٌ كَثِيرُ الأَخْبَارِ عَنِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ ، عَالِمٌ بِأَسَاطِيرِ الأَوَّلِينَ . وُلِدَ فِي « صَنْعَاءَ » سنة : (٣٤ هـ = ٦٥٤ م) وَمَاتَ فِيهَا سَنَةَ : (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) »] .

[وَيُقَالُ : « إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْلٍ يَهُودِيٍّ ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ أَكْثَرُ « الإِسْرَائِيلِيَّاتِ» الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْمُؤَلَّفَاتِ الْعَرَبِيَّةِ . . . . كَانَ يُتْقِنُ « الْيُونَانِيَّةَ » وَ « السُّرْيَانِيَّةَ » وَ « الْحِمْيَرِيَّةَ » وَيُحْسِنُ قِرَاءَةَ الْكِتَابَاتِ الْقَدِيمَةِ الصَّعْبَةِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى قِرَاءَتِهَا »] [3] .

[« وَكَانَ يَقُولُ : سَمِعْتُ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ كِتَاباً كُلُّهَا أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ ، اثْنَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي الْكَنَائِسِ ، وَعِشْرُونَ فِي أَيْدِي النَّاسِ ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ قَلِيلٌ ، وَوَجَدْتُ فِي كُلِّهَا أَنَّ مَنْ أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئاً مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ » . . . . . « وَاتُّهِمَ بِالْقَدَرِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ . وَيُقَالُ أَلَّفَ فِيهِ « كِتَاباً » ثُمَّ نَدِمَ عَلَيْهِ . وَحُبِسَ فِي كِبَرِهِ وَامْتُحِنَ »] [4] .

[وَيُعْرَفُ « وَهْبٌ » فِي الْمَصَادِرِ بِأَنَّهُ ثِقَةٌ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ رَوَى عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » وَ « جَابِرٍ » وَ « أَبِي هُرَيْرَةَ » وَغَيْرِهِمْ ؛ وَلَكِنْ لَمْ يُقْبِلِ الرُّوَاةُ عَلَى الأَخْذِ عَنْهُ إِلاَّ فِي النَّادِرِ ، بِخِلاَفِ غَيْرِهِ مِنْ تَابِعِي « الْمَدِينَةِ » ؛ وَقَدْ نَقَلَ « الْبُخَارِيُّ » حَدِيثاً يَرْوِيهِ « وَهْبٌ » عَنْ أَخِيهِ « هَمَّامٍ » عَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ » .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٧ » .
(٢) « الأعلام : ١٢٥/٨ — ١٢٦ » .
(٣) « تاريخ العرب قبل الإسلام : ٨٤/١ — نَقْلاً عَنْ « إرشَادِ الأريب : ٢٣٢/٧ » .
(٤) « الأعلام : ١٢٥/٨ — ١٢٦ » .

وَيَخْتَلِفُ « وَهْبٌ » عَنِ « المَدَنِيِّينَ » فِيمَا يَلِي :

– أَنَّهُ يُعْنَى عِنَايَةً خَاصَّةً بِأَحَادِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ ؛ وَقَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ فِي مَوْضُوعِ « مَغَازِي وَهْبٍ » يَجِبُ أَنْ نُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى الْكِتَابَاتِ الأُخْرَى المَنْسُوبَةِ لَهُ ، وَالَّتِي تُعْنَى خَاصَّةً بِتَارِيخِ « أَهْلِ الْكِتَابِ » ، أَوْ تَارِيخِ وَطَنِهِ « الْيَمَنِ » .

وَتُؤَيِّدُ مَعْرِفَةُ « وَهْبٍ » الدَّقِيقَةُ بِأَحَادِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالرِّوَايَاتِ الْقَائِلَةِ إِنَّهُ قَرَأَ الْكَثِيرَ مِنْ كُتُبِهِمْ المُقَدَّسَةِ . وَإِنَّنَا جِدُّ مُوقِنِينَ أَنَّ « وَهْبًا » عَرَفَ مَا تَحْوِيهِ كُتُبُ « الْيَهُودِ » وَ « المَسِيحِيِّينَ » المُقَدَّسَةُ ، عَنْ طَرِيقِ صِلاتِهِ بِالْيَمَنِيِّينَ مِنْ « أَهْلِ الْكِتَابِ » ؛ الَّذِينَ كَثُرَ عَدَدُهُمْ فِي جَنُوبِ « بِلادِ الْعَرَبِ » ؛ وَيُوَافِقُ كَثِيرٌ مِنْ أَقْوَالِ « وَهْبٍ » مَا فِي المَصَادِرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالمَسِيحِيَّةِ تَمَامَ المُوَافَقَةِ ، وَيُخَالِفُهَا فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ . وَتَشْمَلُ أَخْبَارُهُ جَمِيعَ مَيْدَانِ أَحَادِيثِ الأَنْبِياءِ وَالْعُبَّادِ وَأَحَادِيثِ « بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

وَتَبْعُدُ جَمِيعُ كِتَابَاتِ « وَهْبٍ » الآنِفَةِ عَنِ « المَغَازِي » ؛ وَلَكِنَّنَا إِذَا فَهِمْنَا لَفْظَةَ المَغَازِي بِمَعْنَاهَا الْعَامِّ ، كَمَا يَنْبَغِي ، طِبْقًا لِاسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ فِي الأَيَّامِ الأُولَى مِنَ « الإِسْلامِ » ، وَتَوَسَّعْنَا فِيهَا لِتَشْمَلَ حَيَاةَ « النَّبِيِّ » جَمِيعَهَا ، فَإِنَّ كِتَابَاتِ « وَهْبٍ » هَذِهِ تَدْخُلُ فِي نِطَاقِ الْبَحْثِ ، لِأَنَّهَا مَدْخَلٌ إِلَى « سِيرَةِ النَّبِيِّ » ، كَمَا تَرْتَبِطُ بِالرِّسَالاتِ قَبْلَ « مُحَمَّدٍ » – ﷺ – .

وَيَقُولُ « حَاجِي خَلِيفَةَ » عَنْ « وَهْبٍ » إِنَّهُ جَمَعَ « المَغَازِي » ؛ وَلَكِنَّ « وَهْبًا » لا يُذْكَرُ فِي كُتُبِ السِّيرَةِ الْقَدِيمَةِ مَعَ رُوَاةِ « سِيرَةِ النَّبِيِّ » ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَوْلُ « حَاجِّي خَلِيفَةَ » صَحِيحٌ »[1] .

[« وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِ « النَّبِيِّ » عَنْ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ » إِلاَّ الْقَلِيلُ ، وَقَدْ وَجَدَ « بِيكَر » C. H. Becker « قِطْعَةً صَغِيرَةً كُتِبَتْ عَلَى « الْبَرْدِيِّ فِي مَجْمُوعَةِ سكوت رينهارت « Papyri Schott Reinhardt 8 » ذَكَرَ فِيهَا بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ »] [2] .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٣٠ – ٣٤ » .

(٢) « المغازي – للواقدي – مقدمة التحقيق – ٢٢ – » .

وَقَدْ رَوَى « ابْنُ إسْحَاقَ » عَنْ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ » خَبَرَ ابْتِدَاءِ وُقُوعِ النَّصْرَانِيَّةِ « بِنَجْرَانَ » فِي حَدِيثِهِ عَنْ « فَيْمِيُونَ » وَ « صَالِحٍ » وَنَشْرِ النَّصْرَانِيَّةِ « بِنَجْرَانَ » وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي « سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : ٣١/١ – ٣٤ » .

« قَالَ « ابْنُ إسْحَاقَ » : « حَدَّثَنِي « المُغِيرَةُ بْنُ أَبِي لَبِيدٍ » – مَوْلَى الأَخْنَسِ – عَنْ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهِ اليَمَانِيِّ » أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ : أَنَّ مَوْقِعَ ذَلِكَ الدِّينِ « بِنَجْرَانَ » الخ . . . . . » وَقَالَ فِي نِهَايَةِ الخَبَرِ : « قَالَ « ابْنُ إسْحَاقَ » : فَهَذَا حَدِيثُ « وَهْبِ ابْنِ مُنَبِّهٍ » عَنْ « أَهْلِ نَجْرَانَ » .

ثُمَّ تَلاَ ذَلِكَ مَرْحَلَةٌ أُخْرَى فِي تَطَوُّرِ السِّيرَةِ ارْتَقَى شَأْنُهَا عَلَى أَيْدِي :
« عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ » المُتَوَفَّى سنَةَ : (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م) .
وَ « مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ » المُتَوَفَّى سنة: (١٢٤ هـ = ٧٤٢ م) [(١)] .

وَ « عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيِّ : المُتَوَفَّى عَلَى قَوْلِ « ابْنِ حَجَرٍ » سَنَةَ : (١٣٥ هـ / ٧٥٢ م) ، وَيُقَالُ سَنَةَ : (١٣٠ هـ/٧٤٧ م) .

وَقَالَ « ابن العِمَادِ الحَنْبَلِيُّ » وفيهَا : عَلَى الأَصَحِّ يَعْنِي سَنَةَ : (١٣٥ هـ) كَانَتْ وَفَاةُ « عَبْدِ اللهِ بن أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيِّ المَدَنِيِّ » [(٢)] .

أَمَّا «عَاصِمٌ» فَقَدْ تَرْجَمَهُ « ابْنُ العِمَادِ الحَنْبَلِيُّ » بِقَوْلِهِ : « عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ ابْنِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ الأَنْصَارِيُّ » ، شَيْخُ « مُحَمَّدِ بْنِ إسْحَاقَ » ، وَنَعَتَهُ بِأَنَّهُ : « كَانَ أَخْبَارِيّاً ، عَلاَّمَةً « بِالمَغَازِي » يَرْوِي عَنْ « جَابِرٍ » وَغَيْرِهِ [(٣)] .
وَذَكَرَهُ « ابْنُ قُتَيْبَةَ » فَقَالَ : « فَهُوَ صَاحِبُ المَغَازِي وَالسِّيَرِ » [(٤)] .

---

(١) قال « ابنُ خِلِّكَانَ » : « تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثَّلاثَاءِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (١٢٤ هـ)، وقيلَ (١٢٣ هـ) وقيل (١٢٥ هـ) » « وَفيات الأعيان : ١٧٨/٤ » .
(٢) « شذرات الذهب : ١٩٢/١ » .
(٣) « شذرات الذهب : ١٥٧/١ » .
(٤) « المعارف : ٤٦٦ » .

[«ويُخبِرُنا «ابنُ سعدٍ» أنَّ «عاصِماً» «وفَدَ علَى«عُمرَ بْنِ عبْدِ العَزيزِ» فقضَى دَيْنَهُ ، وأَمرَهُ أنْ يَجلِسَ فِي مَسْجِدِ « دِمَشْقَ » فيُحدِّثَ النَّاسَ بالمَغازِي ومَناقِبِ الصَّحابَةِ ؛ ففَعَلَ ، ثُمَّ رجَعَ إلَى « المَدينَةِ »] [1] .

وَ [« عاصِمٌ » أحدُ رُواةِ « ابنِ إسْحاقَ » وَ « الوَاقِدِيِّ » ،وهُما مُتفَرِّدانِ فِي « المَغازِي » بالمَعْنَى الخاصِّ ، ولَكِنَّهُ عُنِيَ أيْضاً بتَفاصِيلِ قِصَّةِ شَبابِ « النَّبيِّ » — ﷺ — والفَتْرَةِ المَكِّيَّةِ عامَّةً ، كَمَا تُبيِّنُ مُقتَبَساتُ « ابنِ سعْدٍ » خاصَّةً وهُوَ يُصَرِّحُ غالِباً بأسانِيدِهِ ، ولَكِنَّهُ كانَ كَذَلِكَ يَحذِفُ السَّنَدَ كَثيراً »] [2] .

[« ويَتَّضِحُ مِنَ الفِقْرَةِ الَّتِي ذكَرَها « ابنُ إسْحاقَ » أنَّهُ لَمْ يكُنْ يَجمَعُ الأَخْبارَ فحَسْبُ ، بَلْ كانَ يُعَبِّرُ مِنْ حِينٍ لآخَرَ عَنْ رأيِهِ الخاصِّ فِي الدَّوافِعِ الَّتِي تَدفَعُ لارْتِكابِ الحَوادِثِ . يَقولُ « ابنُ إسْحاقَ » [3] : وأمَّا « عاصِمُ بنُ عُمرَ» فقالَ : « واللهِ ! » ما قالَ ذَلِكَ « العَبَّاسُ » — أعْنِي تَوْثِيقَ حِلْفِ « الأَنْصارِ » علَى طاعَةِ « النَّبيِّ » — ﷺ — ، معَ أنَّهُمْ كانُوا مُسْتَعِدِّينَ للتَّضْحيَةِ بأرْواحِهِمْ وأمْوالِهِمْ فِي سَبيلِ هَذِهِ الطَّاعَةِ — « إلاَّ ليَشُدَّ العَقْدَ « لرَسُولِ اللهِ » — ﷺ — فِي أعْناقِهِمْ »] [4] .

« وأمَّا « الزُّهْرِيُّ » فهُوَ « مُحمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بنِ شِهابٍ »مِنْ« بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلابٍ » مِنْ « قُرَيْشٍ » أبُو بكْرٍ : مَكِّيُّ المَوْلِدِ ، وُلِدَ سنَةَ (٥٨ هـ — ٦٧٨ م) . أوَّلُ مَنْ دوَّنَ الحَديثَ ، وأحَدُ أكابِرِ الحُفَّاظِ والفُقَهاءِ ، تابِعِيٌّ ، عاشَ فِي « المَدينَةِ » ، وكانَ يَحفَظُ « ألفَيْنِ ومائتَيْ حَديثٍ ، نِصْفُها مُسْنَدٌ » .

---

(١) « المغازي الأُولى ومؤلِّفوها : ٤٨ — الحاشية : (١) — » .

(٢) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٤٩ » .

(٣) « سيرة ابن هشام : ٤٤٦/١ » .

(٤) « المغازي الأولى ومؤلِّفوها : ٤٩ » .

[« نَزَلَ «الزُّهْرِيُّ» «الشَّامَ» وَاسْتَقَرَّ بِهَا، وكَتَبَ «عُمَرُبْنُ عَبْدِ العَزِيزِ» إلى عُمَّالِهِ : « عَلَيْكُمْ «بِابْنِ شِهَابٍ» فَإِنَّكُمْ لا تَجِدُونَ أَحَداً أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ المَاضِيَةِ مِنْهُ »] (١).

ومَاتَ بِـ « شَغْبٍ » آخِرِ حَدِّ « الحِجَازِ » وَأَوَّلِ حَدِّ « فِلِسْطِينَ » (٢) ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِعُلُوِّ المَنْزِلَةِ كَثْرَةُ الأَخْبَارِ الَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » وَ « الوَاقِدِيُّ » وَأَنَّهُ مِنْ أَجَلِّ « عُلَمَاءِ السِّيرَةِ » وَيَبْدُو أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ مَا رَوَاهُ التَّابِعُونَ مِنَ « السِّيرَةِ » وَأَضَافَ إِلَيْهَا مَا رَوَاهُ هُوَ أَيْضاً، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَتَّبَ هَذِهِ الأَخْبَارَ عَلَى شَكْلِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ المَعْرُوفِ عِنْدَ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » وَ « الوَاقِدِيِّ »] (٣) .

وَقَدْ عَدَّدَ « حَاجِّي خَلِيفَةُ » كُتُبَ المَغَازِي فَقَالَ : « وَمِنْهَا : « مَغَازِي مُحَمَّدِ ابْنِ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ » (٤) .

« وَمَعَ الأَسَفِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا هَذَا الكِتَابُ ، وَهُوَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ أَهَمِّيَّةِ « الزُّهْرِيِّ » فِي تَطَوُّرِ السِّيرَةِ ، بَلْ إِنَّ كَثْرَةَ الاعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي كُتُبِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « الوَاقِدِيِّ » لَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِ الكِتَابِ . أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلاًّ مِنْ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » وَ « مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ » وَغَيْرِهِمْ مِنْ تَلامِذَتِهِ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ »] (٥) .

[« وَنَعْرِفُ مِنْ قَوْلِ « مَعْمَرٍ » — « تِلْمِيذِ الزُّهْرِيِّ » أَنَّهُ وُجِدَتْ فِي مَكْتَبَةِ الأُمَوِيِّينَ « بِدِمَشْقَ » أَكْوَامٌ مِنَ المُجَلَّدَاتِ الَّتِي احْتَوَتْ عَلَى المَادَّةِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي جَمَعَهَا « الزُّهْرِيُّ »] (٦) وَهَاكَ نَصَّهُ كَمَا أَوْرَدَهُ « ابْنُ سَعْدٍ » (٧) : « كُنَّا نَرَى أَنَّا قَدْ أَكْثَرْنَا عَنِ « الزُّهْرِيِّ » حَتَّى قُتِلَ « الوَلِيدُ » ، فَإِذَا الدَّفَاتِرُ قَدْ حُمِلَتْ

---

(١) « وفيات الأعيان : ١٧٧/٤ — الترجمة (٥٦٣) — » .

(٢) « الأعلام : ٩٧/٧ » .

(٣) « المغازي — للواقدي — مقدمة التحقيق : ٢٣ » .

(٤) « كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ » .

(٥) « المغازي — للواقدي — مقدمة التحقيق : ٢٣ » .

(٦) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٦٥ — ٦٦ » .

(٧) « طبقات ابن سعد : ١٣٦/٢ » .

علَى الدَّوَابِّ مِنْ خزَائِنِهِ ، يقُولُ : « مِنْ عِلْمِ « الزُّهْرِيّ » .

وَلَعَلَّ انْصِرَافَ « الزُّهْرِيِّ » إلَى دَفَاتِرِهِ وَكُتُبِهِ الْكُلِّيِّ هُوَ الَّذِي حَدَا زَوْجَتَهُ لِتَقُولَ : « وَاللهِ ! » لَهَذِهِ الْكُتُبُ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرَ » (1) .

وَمِمَّا يُرْوَى عَنِ « الزُّهْرِيِّ » أَنَّهُ كَتَبَ لِجَدِّهِ « أَسْنَانَ الخُلَفَاءِ » (2) : « وَهِيَ قَائِمَةٌ حَوْلِيَّةٌ وَعَى مِنْهَا « الطَّبَرِيُّ » اقْتِبَاسَيْنِ » (3) ، وَذُكِرَ عَنْهُ أَيْضاً أَنَّهُ بَدَأَ كِتَاباً عَنِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ بِأَمْرٍ مِنْ « خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ » وَلَكِنَّهُ لَمْ يُتِمَّهُ . وَبِأَمْرٍ أَيْضاً مِنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ » كَتَبَ « السِّيرَةَ لَهُ » (4) . وَقَدْ أَلْمَعْنَا إلَى خَبَرِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ سَابِقاً (ص : [11 م]) .

[وَرَوَى « يُونُس بنُ يَزِيدَ » « مَشَاهِدَ « النَّبِيِّ » – ﷺ – عَنِ « الزُّهْرِيِّ »] (5) .

[« وَكَتَبَ « سِيرَةً » أَيْضاً ، وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إلَيْنَا كِتَابٌ مُسْتَقِلٌّ لَهُ ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ فِي مَجْمُوعَةِ الأَحَادِيثِ (المُسَمَّاةِ : « الزُّهْرِيَّاتُ ») – الَّتِي رَوَاهَا وَجَمَعَهَا كُتَّابٌ مُتَأَخِّرُونَ – عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْفِقْرَاتِ الَّتِي اسْتَعَارَتْهَا كُتُبُ مُتَرْجِمِي « النَّبِيِّ » ، وَالْكُتَّابُ عَنْ « تَارِيخِ الإِسْلَامِ الأَوَّلِ » .

وَقَدْ تَنَاوَلَ « الزُّهْرِيُّ » كَمَا تُبَيِّنُ مُقْتَبَسَاتُ « ابْنِ سَعْدٍ » خَاصَّةً ، جَمِيعَ حَيَاةِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – لَا « المَغَازِي » بِالمَعْنَى الخَاصِّ وَحْدَهَا .

وَاسْتَخْدَمَ الزُّهْرِيُّ » نَفْسُهُ لَفْظَ « السِّيرَةِ » لِيَصِفَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ بِأَمْرِ « خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيِّ » .] (6) .

---

(1) « وفيات الأعيان : 4/177 – 178 » .

(2) « تاريخ الطبري : 5/499 » .

(3) « المغازي الأولى ومؤلفوها : 66 » .

(4) انظر الخبر في « الأغاني : 19 : 59 » .

(5) « الإعلان بالتَّوْبِيخِ لِمَنْ ذَمَّ التَّارِيخَ : 159 » .

(6) « المغازي الأولى ومؤلفوها : 67 » .

[« ويُصَدِّرُ « الزُّهْرِيُّ » عَامَّةَ أَحَادِيثِهِ بِالإِسْنَادِ ، وَلَكِنَّهُ يَحْذِفُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ أَيْضاً . وَحِينَمَا يَجْمَعُ عِدَّةَ رِوَايَاتٍ ، تَخْتَصُّ جَمِيعاً بِحَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ ، يُنْشِئُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ المُخْتَلِفَةِ خَبَراً جَمَاعِياً ، يُصَدِّرُهُ بِأَسْمَاءِ الرُّوَاةِ مُجْتَمِعِينَ » .] [1] .

وَمِنْ شُيُوخِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » [« عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيُّ المَدَنِيُّ» المُتَوَفَّى سنة(١٣٥هـ=٧٥٣م)ـ شَيْخُ مَالِكٍ وَالسُّفْيَانِيْنِ ـ رَوَى عَنْ «أَنَسٍ» وَجَمَاعَةٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ العِلْمِ ».][2] . وَقَدْ [«كَتَبَ إِلَيْهِ «عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ» : أَنِ انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ «رَسُولِ اللهِ» ـ ﷺ ـ أَوْ سُنَّةٍ مَاضِيَةٍ ، أَوْ حَدِيثِ «عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » فَاكْتُبْهُ ، لِخَوْفِ «عُمَرَ» مِنْ دُرُوسِ العِلْمِ وَذَهَابِ أَهْلِهِ » .] [3] [« وَيُخْبِرُنَا « الزُّهْرِيُّ » (الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ : « إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ فِي « المَدِينَةِ »)][4] [« وَنَسْتَطِيعُ مِنْ مُقْتَبَسَاتِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « الوَاقِدِيِّ » وَ « ابْنِ سَعْدٍ » وَ « الطَّبَرِيِّ » أَنْ نُصَوِّرَ نَشَاطَ « عَبْدِ اللهِ » بَيْنَ رُوَاةِ الحَدِيثِ إِلَى حَدٍّ مَا ، فِيمَا يَخْتَصُّ بِالمَغَازِي » .] [5] .

[« وَلَمْ يَقْنَعْ « عَبْدُ اللهِ » بِجَمْعِ الأَخْبَارِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا ، فَحَاوَلَ أَيْضاً فِي هَذَا الزَّمَنِ المُبْكِرِ ، أَنْ يَبْتَكِرَ التَّرْتِيبَ السَّنَوِيَّ لِلْحَوَادِثِ ، فَجَمَعَ قَائِمَةً بِغَزَوَاتِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ مُرَتَّبَةً تَرْتِيباً سَنَوِيّاً ، اسْتَعَارَهُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » لِكِتَابِهِ . وَعُنِيَ إِلَى جَانِبِ أَخْبَارِ رُوَاتِهِ بِالمُدَوَّنَاتِ ، مِثْلِ الرِّسَالَةِ الَّتِي كَتَبَهَا « النَّبِيُّ » إِلَى « مُلُوكِ حِمْيَرَ » [6] ، وَالوَثِيقَةِ الأُخْرَى الَّتِي أَعْطَاهَا « النَّبِيُّ » جَدَّهُ الأَكْبَرَ

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلِّفوها : ٦٨ » .

(٢) « شذرات الذهب : ١/١٩٢ » .

(٣) « طبقات ابن سعد : ٢/١٣٤ » .

(٤) « المَغَازِي الأُولى وَمُؤَلِّفُوهَا : ٤٠ » .

(٥) « المَغازي الأولى ومُؤَلِّفُوها : ٤١ » .

(٦) انظر : « تاريخ الطبري : ٣/١٢٠ ـ ١٢٢ » .

« عَمْرِو بنَ حَزْمٍ » (١) ليأخُذَها مَعَهُ ، حينَ بَعَثَهُ إلَى « أهالِي نَجْرانَ » ليُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ .

[« ويُدْخِلُ «عَبْدُ الله» في الحَوادِثِ الأشْعارَ علَى أفْواهِ أولئكَ الَّذينَ كَانَ لَهُمْ أثَرٌ ظاهِرٌ فِيها » .] (٢) .

وبَعْدَ وَفاةِ « الزُّهْرِيِّ » خَلَفَهُ نُخْبَةٌ مِنْ تَلامِذَتِهِ فَعَمِلُوا في « فَنِّ السِّيرَةِ » نَخُصُّ بِالذِّكْرِ مِنهُمْ :

« مُوسَى بْنَ عُقْبَةَ » وَ « مَعْمَرَ بْنَ رَاشِدٍ » وَ « مُحَمَّدَ بْنَ إسْحَاقَ » وَهَؤُلاءِ جَمِيعاً مِنَ « المَوَالِي » .

« فَمُوسَى بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ » مَوْلَى « زَوْجِ الزُّبَيْرِ » « أمِّ خَالِدٍ » وُلِدَ بِـ « المَدِينَةِ » في حُدُودِ سَنَةِ (٥٥ هـ / ٦٧٤ م) كَانَ عَالِماً بالسِّيرَةِ ، وَمِنْ ثِقَاتِ رِجَالِ الحَدِيثِ فِي « المَدِينَةِ » وَعُرِفَ فَقِيهاً وَمُفْتِياً ، وكَانَتْ نَشَاطَاتُهُ فِي الحَيَاةِ العَامَّةِ لا تَتَجَاوَزُ ذَلِكَ ، وقَدْ بَقِيَ بَعِيداً عَنِ البَلاطِ الأمَوِيِّ في «دمشقَ» وكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ أنِ انْقَضَى عَلَى سُقُوطِ الحُكْمِ الأُمَوِيِّ فِي « دِمَشْقَ » قُرَابَةُ عَشَرَةِ أعْوَامٍ سَنَةَ (١٤١ هـ / ٧٥٨ م) فِي « المَدِينَةِ » .

وكَانَ « مُوسَى » مِنَ المُتَبَحِّرِينَ المُتَخَصِّصِينَ فِي « المَغَازِي » (٣) . « رَوَى « ابنُ أبِي حَاتِمٍ الرَّازِيُّ » بِسَنَدِهِ عَنْ « مَعْنِ بْنِ عِيسَى » قَالَ : « كَانَ « مَالِكُ بْنُ أنَسٍ » إذَا قِيلَ لَهُ : « مَغَازِي مَنْ نَكْتُبُ ؟ » قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِمَغَازِي « مُوسَى ابْنِ عُقْبَةَ » فَإنَّهُ ثِقَةٌ » .

وقَالَ « ابْنُ حَجَرٍ » قَالَ « إبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ » عَنْ « مَعْنِ بْنِ عِيسَى » : [« كَانَ «مَالِكٌ» يَقُولُ : « عَلَيْكُمْ بِمَغَازِي«مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » فَإنَّهُ ثِقَةٌ » . . . .

---

(١) انظر : « سيرة ابن هشام : ٢/٥٩٤ — ٥٩٦ » .

(٢) « المغازي الأولى ومؤلِّفوها : ٤٣ — ٤٤ » .

(٣) ملخص عن « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٦٩ — ٧٠ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « فَإِنَّهُ رَجُلٌ ثِقَةٌ ، طَلَبَهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ ، وَلَمْ يُكْثِرْ كَمَا أَكْثَرَ غَيْرُهُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ : « عَلَيْكُمْ بِمَغَازِي الرَّجُلِ الصَّالِحِ « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » فَإِنَّهَا أَصَحُّ المَغَازِي »] (1) .

وَقَالَ « حَاجِّي خَلِيفَةُ » : « مَغَازِي « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ » أَصَحُّ المَغَازِي » — كَذَا فِي « المُقْتَفَى » — . (2) .

[« وَرُبَّمَا نَسْتَنْبِطُ مِمَّا قَالَهُ « مَالِكٌ » أَنَّ كِتَابَ « موسى بن عُقْبَةَ » كَانَ أَصْغَرَ حَجْماً مِنَ الكُتُبِ الأُخْرَى الَّتِي عَالَجَتْ المَوْضُوعَ نَفْسَهُ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّ « مَالِكَ ابْنَ أَنَسٍ » كَانَ يهاجِمُ بِقَوْلِهِ هَذَا « ابْنَ إِسْحَاقَ » الَّذِي كَانَ يعيبُ مَغَازِيَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ ، كَمَا نَعْرِفُ .

وَقَدْ حَدَّثَ بِمَغَازِي « موسى بن عُقْبَةَ » ابْنُ أَخِيهِ « إِسْمَاعِيلُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ » الَّذِي تُوُفِّيَ عامَ (١٥٨ هـ/٧٧٥ م) وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا الكِتَابُ ، أَوْ بِالدِّقَّةِ ، لاَ يُعْرَفُ شَيْءٌ عَنْ وُجُودِهِ] (3) .

أَمَّا تِلْمِيذُ « الزُّهْرِيِّ » الثَّانِي فَهُوَ « مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ » مَوْلَى بَنِي حُدَّانَ ، مِنْ قَبِيلَةِ « الأَزْدِ » — المَوْلُودُ فِي « البَصْرَةِ » حَوَالِي عام (٩٥ هـ/٧١٣ م) ، وَالمُتَوَفَّى فِي « اليَمَنِ » عام (١٥٣ هـ/٧٧٠م) وَلَهُ مِنَ العُمْرِ ثمانيةٌ وَخَمْسُونَ عاماً(4) . [« وَزَعَمُوا فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ اخْتَفَى. وَلَكِنْ يُصَرِّحُ تِلْمِيذُهُ « عَبْدُ الرَّزَّاقِ » أَنَّهُ تُوُفِّيَ وَسَطَ أُسْرَتِهِ فِي « صَنْعَاءَ » وَأَنَّ « مُطَرِّفَ بن مَازِنٍ » قَاضِي « صَنْعَاءَ » تِلْمِيذَهُ تَزَوَّجَ أَرْمَلَتَهُ »] (5) .

---

(1) « المغازي — للواقدي — المقدمة : ٢٤ — ٢٥ » و « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٠ » .

(2) « كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ » .

(3) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٠ » .

(4) « طَبَقَاتُ فُقَهَاءِ اليَمَنِ : ٦٦ » .

(5) « طبقات ابن سعد : ٣٩٧/٥ » .

وَيُوصَفُ « مَعْمَرٌ » بِأَنَّهُ ذُو أَخْلاَقٍ حَمِيدَةٍ ، وَلَهُ شُهْرَةٌ طَيِّبَةٌ فِي مَيْدَانِ الْحَدِيثِ ، وَمِمَّا يُقَالُ : إِنَّ «ابْنَ جُرَيْجٍ» قَالَ عَنْهُ : « عَلَيْكُمْ بِهَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ أَعْلَمُ مِنْهُ »] (١) .

وَيَذْكُرُ « ابْنُ النَّدِيمِ » (٢) أَنَّ « مَعْمَرَ بْنَ رَاشِدٍ » قَدْ صَنَّفَ : « كِتَابَ الْمَغَازِي» الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْهُ غَيْرُ فِقْرَاتٍ أَكْثَرُهَا عِنْدَ « الْوَاقِدِيِّ » وَ « ابْنِ سَعْدٍ » وَبَعْضُهَا عِنْدَ « الْبَلاَذُرِيِّ » وَ « الطَّبَرِيِّ » ، وَيَرْجِعُ مُعْظَمُ أَخْبَارِهِ إِلَى « الزُّهْرِيِّ » .

وَيُصَرِّحُ « مَعْمَرٌ » بِوُضُوحٍ أَنَّهُ وَجَّهَ أَسْئِلَةً إِلَى « الزُّهْرِيِّ » . وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ فِي الأَعْوَامِ الَّتِي وَهَبَ نَفْسَهُ فِيهَا لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، حَضَرَ مَجَالِسَ « الزُّهْرِيِّ » مُعْتَنِياً بِهَا . وَيَذْكُرُ « ابْنُ مَعِينٍ » «مَعْمَراً» وَحْدَهُ مَعَ « مَالِكٍ » وَ « يُونُسَ » عَلَى أَنَّهُمْ أَثْبَتُ الرُّوَاةِ عَنِ « الزُّهْرِيِّ » .

وَلَمْ يَلْتَزِمْ « مَعْمَرٌ » أَيْضاً « الْمَغَازِي » بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ ، بَلْ وَجَّهَ عِنَايَتَهُ كَذَلِكَ إِلَى تَارِيخِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنِ « الرُّسُلِ » السَّابِقِينَ، وَكَذَلِكَ تَارِيخِ « النَّبِيِّ » قَبْلَ الهِجْرَةِ »] (٣) .

« أَمَّا « مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ » الْمُطَّلِبِيُّ بِالْوَلاَءِ، الْمَدَنِيُّ، فَهُوَ أَشْهَرُ تَلاَمِذَةِ « الزُّهْرِيِّ » ، وَمِنْ أَقْدَمِ مُؤَرِّخِي « الْعَرَبِ » مِنْ أَهْلِ « الْمَدِينَةِ » ، وَغَطَّتْ شُهْرَةُ مُصَنَّفِهِ فِي « الْمَغَازِي » جَمِيعَ مَنْ سَبَقَهُ وَعَاصَرَهُ بِكِتَابِهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ كِتَابٍ وَصَلَ إِلَيْنَا كَامِلاً ، لاَ فِي قِطَعٍ وَلاَ مُقْتَطَفَاتٍ ، وَقَدْ هَذَّبَ « ابْنُ هِشَامٍ » كِتَابَهُ وَنَشَرَهُ بِاسْمِ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، ثُمَّ عَزَاهَا النَّاسُ لَهُ .

نَشَأَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » فِي أُسْرَةٍ مِنَ الْمَوَالِي . وَيَبْدُو أَنَّ « مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ » وُلِدَ حَوَالَي عام (٨٥ هـ/٧٠٤ م) ، وَقَدِ انْصَرَفَ مُنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّهِ إِلَى رِوَايَةِ الْحَدِيثِ

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٤ » .

(٢) « الفهرست ـ لابن النديم : ١٤٤ » .

(٣) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٥ » .

الاشْتِغَالِ بِهِ ، وَوَسَّعَ فِيمَا بَعْدُ مَدَارِكَهُ بِزِيَارَةِ أَشْهَرِ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَمْثَالِ « عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ » وَ « عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ » وَ « الزُّهْرِيِّ » وَقَدْ رَجَعَ إلى الثَّلاثَةِ جَمِيعِهِمْ فِي كِتَابِهِ . ولَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَحْصَلَ عَلَى « الأَخْبَارِ » مِنْ كُلِّ مَكَانٍ آخَرَ ، وَيَذْكُرُ قُرَابَةَ مِائَةِ رَاوٍ مِنَ « المَدِينَةِ » وَحْدَهَا .

وَوَفَدَ « ابْنُ إسْحَاقَ » عَامَ (١١٥ هـ/٧٣٣ م) عَلَى « الإِسْكَنْدَرِيَّةِ » حَيْثُ سَمِعَ خَاصَّةً مِنْ « يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ » المُتَوَفَّى عام (١٢٨ هـ/٧٤٥م) الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَرَسَ دِرَاسَةَ الْحَدِيثِ فِي «مِصْرَ» ثُمَّ عَادَ إلَى « المَدِينَةِ » . وَفِي إحْدَى الزِّيَارَاتِ أَبْرَزَهُ أُسْتَاذُهُ « الزُّهْرِيُّ » لِلْحَاضِرِينَ فِي عامِ (١٢٣ هـ/٧٤١ م) . وَقَابَلَ « سُفْيَانَ ابْنَ عُيَيْنَةَ فِي « المَدِينَةِ » فِي عام (١٣٢ هـ/٧٤٩ م) ، ثُمَّ غَادَرَ « المَدِينَةَ » إلى« الكُوفة» وَ « الجَزِيرَةِ » وَ « الرَّيِّ » وَ « بَغْدَادَ » حَيْثُ يُقَالُ إنَّهُ ظَلَّ فِيهَا حَتَّى وَفَاتِهِ »[1] . وَمَاتَ « ابْنُ إسْحَاقَ » فِي « بَغْدَادَ » عَامَ (١٥١ هـ / ٧٦٨ م) ، وَدُفِنَ بِـ « مَقْبَرَةِ الخَيْزُرَانِ » – « أُمِّ الرَّشِيدِ » – . قَالَ « ابْنُ حِبَّانَ » : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ « بِالمَدِينَةِ » يُقَارِبُ « ابْنَ إسْحَاقَ » فِي عِلْمِهِ أَوْ يُوَازِيهِ فِي جَمْعِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ سِيَاقاً لِلأَخْبَارِ »[2] . ، اتَّصَلَ « مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ » بِـ « العَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ العَبَّاسِيِّ » وَالِي « الجَزِيرَةِ » فِي « الجَزِيرَةِ » وَكَانَ « العَبَّاسُ » حِينَئِذٍ وَالِياً عَلَيْهَا فِي عَامِ (١٤٢ هـ/٧٥٩ م) فِي عَهْدِ « أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُورِ » الَّذِي تَوَلَّى الخِلافَةَ مِنْ عامِ (١٣٦ – ١٥٨ هـ = ٧٥٤ – ٧٧٥ م) . فَقَصَدَ « ابْنُ إسْحَاقَ » « الخَلِيفَةَ « أَبَا جَعْفَرٍ المَنْصُورَ » بِـ « الحِيرَةِ » فَكَتَبَ إلَيْهِ « المَغَازِيَ » قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ الخَلِيفَةُ « أبوجَعْفَرٍ المَنْصُورُ » إلى عَاصِمَتِهِ الجَدِيدَةِ « بَغْدَادَ » سَنَةَ : (١٤٦ هـ/٧٦٣ م) .

وَلا تَعْنِي « هَذِهِ الرِّوَايَةُ أَنَّ « ابْنَ إسْحَاقَ » كَتَبَ « المَغَازِيَ » لِلْخَلِيفَةِ بِعَهْدٍ مِنْهُ ، إذْ تُبَيِّنُ قَائِمَةُ الرُّوَاةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ أَنَّهُ أَلَّفَ مَادَّتَهُ عَلَى أَسَاسِ الأَحَادِيثِ الَّتِي جَمَعَهَا فِي « المَدِينَةِ » خَاصَّةً ، وَعَلَى أَسَاسِ الأَحَادِيثِ الَّتِي جَمَعَهَا فِي

---

(١) « الأعلام : ٦/٢٨ » .

(٢) « ملخص عن « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٥ – ٨٠ » .

« مِصْرَ » أَيْضاً ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى لاَ يَذْكُرُ أَسْمَاءَ رُوَاةٍ مِنَ « الْعِرَاقِ » فِي أَيِ مَكَانٍ .

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الكِتَابَ تَمَّ حِينَ غَادَرَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » أَخِيراً مَدِينَةَ آبَائِهِ « المَدِينَةَ » [1] .

وَمِنَ الجَدِيرِ بالذِّكْرِ أَنْ نبينَ أَنَّ فِقْدَانَ كِتابِ « مَغَازِي ابْنِ إِسْحَاقَ » مِنَ الخِزَانَةِ الْعَرَبِيَّةِ – أَوْ بِالأَصَحِّ – فِقْدَانَ بَعْضِ أَجْزَائِهِ ، وَوُجْدَانَ بَعْضِ أَجْزَائِهِ فِي خِزَانَةِ الْقَرَوِيِّينَ « بِفَاسٍ » يَرْجِعُ تارِيخُ كِتَابَتِهَا إِلى سَنَةِ (٥٠٦ هـ/١١١٢ م)– قَدْ تَرَكَ ثُغْرَةً فِي نِطَاقِ مَعْرِفَتِنَا الْعَامَّةِ بِالْكِتَابِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدَّى « ابنُ هِشَامٍ » المُتَوَفَّى سنة : (٢١٨ هـ/٨٢٨ م) خِدْمَةً جُلَّى بِاخْتِصَارِهِ كِتَابَ « ابْنِ إِسْحاقَ » الَّذِي أَوْجَزَ فِيهِ الأَصْلَ وَسَمَّاهُ « سِيرَةَ « النَّبِيِّ » –ﷺ– الَّذِي رَوَاهُ عَنْ تِلْمِيذِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » المُبَاشِرِ « الْبَكَّائِيِّ » المُتَوَفَّى سنة (١٨٣ هـ/٧٩٩ م) ، فَأَتَاحَ المُنَاخَ المُنَاسِبَ لِتَكْوِينِ صُورَةٍ وَاضِحَةٍ عَنْ مَنْهَجِ الكِتَابِ فِي صُورَتِهِ الأَصْلِيَّةِ بَعْدَ رَبْطِهَا بِالْقِطَعِ الْكَثِيرَةِ المَذْكُورَةِ فِي « الطَّبَرِيِّ » وَغَيْرِهِ مِنَ كُتُبِ التَّارِيخِ .

[« وَيُقَرِّرُ « ابنُ هِشَامٍ » فِي مُقَدِّمَةِ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ : ٤/١ » مَا أَحْدَثَهُ مِنَ التَّغْيِيرَاتِ فِي كِتَابِ « ابْنِ اسْحَاقَ » . فَتَرَكَ تَارِيخَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ « آدَمَ » إِلَى « إِبْرَاهِيمَ » وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ سُلاَلَةِ « إِسْمَاعِيلَ » غَيْرَ أَجْدَادِ « النَّبِيِّ » المُبَاشَرِين وَكَذَلِكَ تَرَكَ بَعْضَ الْحِكَايَاتِ الَّتِي رَوَاهَا « ابْنُ إِسْحَاقَ » وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ « النَّبِيِّ » – ﷺ – أَوْ لاَ يُشِيرُ إِلَيْهَا « الْقُرْآنُ » وَلاَ تَحْتَوِي عَلَى مُنَاسَبَةٍ أَوْ شَرْحٍ أَوْ تَأْكِيدِ أَيِّ أَمْرٍ آخَرَ مَرْوِيٍّ فِي كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » . وَقَدْ أَجْرَى كُلَّ هَذَا الحَذْفِ لِيَخْتَصِرَ الْكِتَابَ . وَلَكِنَّ هُنَاكَ مَحْذُوفَاتٍ أُخْرَى لأَسْبَابٍ أُخْرَى : فَقَدْ حَذَفَ الْقَصَائِدَ الَّتِي كَانَ لا يَعْرِفُهَا عُلَمَاءُ الشِّعْرِ الَّذِينَ سَأَلَهُمْ عَنْهَا ، وَالْحَقَائِقَ الَّتِي يُؤْذِي ذِكْرُهَا بَعْضَ النَّاسِ ، أَوْ يُحْتَمَلُ أَنْ يُسِيءَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ الأَخْبَارَ المَنْسُوبَةَ حَقّاً « لابْنِ إِسْحَاقَ » وَلَكِنَّ « الْبَكَّائِيَّ » كَانَ يَجْهَلُهَا .

---

(١) انظر : « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٨٠ – ٨١ » .

وَأَجْرَى « ابْنُ هِشَامٍ » أَيْضاً تَصْحِيحَاتٍ حَقَّةً ، وَإِضَافَاتٍ كَثِيرَةً في الأَنْسَابِ وَاللُّغَةِ ، يُشِيرُ إِلَيْهَا دَائماً مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُغَيِّرْ فِي النَّصِّ ؛ وَلاَ يَحْتَوِي مُلَخَّصُهُ إلاَّ عَلَى إشَارَاتٍ ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، إِلَى المَوَاضِعِ الَّتِي حَذَفَ مِنْهَا أَشْيَاء .

وَمَعَ ذَلِكَ ، فَنَحْنُ فِي مَوْقِفٍ نَسْتَطِيعُ فِيهِ بِمُسَاعَدَةِ الفِقْرَاتِ الَّتِي فِي الكُتُبِ الأُخْرَى مِنْ كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » أَنْ نَسْتَرْجِعَ قَدْراً كَبِيراً مِمَّا حَذَفَهُ « ابْنُ هِشَامٍ » ، فَنَمْلأَ النَّقْصَ فِي نُسْخَتِهِ . وَقَدْ وَعَى « الطَّبَرِيُّ» خَاصَّةً جُزْءاً كَبِيراً مِنَ الفَصْلِ الخَاصِّ بِأَنْبِيَاء « أَهْلِ الكِتَابِ » ، فَهُوَ يُعْطِينَا فِي « تَارِيخِهِ » وَفِي«تَفْسِيرِه» مُقْتَطَفَاتٍ كَثِيرَةً كَبِيرَةً مِنْ تِلْكَ الفُصُولِ مِنْ كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » المنتمية « لِلْمُبْتَدَإِ » . عَلَى حِينَ حَفِظَ لَنَا « الأَزْرَقِيُّ » أَخْبَاراً تَتَنَاوَلُ « تَارِيخَ « مَكَّةَ » القَدِيمَ « المَحْذُوفَ عِنْدَ « ابْنِ هِشَامٍ » ، وَيُسْتَنْتَجُ مِنْ مُقَدِّمَةِ « ابْنِ هِشَامٍ » أَنَّ مَحْذُوفَاتِهِ مِنَ « المَغَازِي » كَانَتْ طَفِيفَةً ، بِعَكْسِ هَذِهِ المَحْذُوفَاتِ المُهِمَّةِ مِنَ « المُبْتَدَإِ » وَلَكِنَّ « الطَّبَرِيَّ » يَفُوقُ الجَمِيعَ هُنَا أَيْضاً فِي تَقْدِيمِ مَا يُمَكِّنُنَا مِنْ مِلْءِ الثُّغَرَاتِ .

وَإِذَا عُنِينَا بِهَذِهِ الفِقْرَاتِ المَحْفُوظَةِ فِي مُقْتَطَفَاتٍ لَيْسَتْ فِي نَصِّ « ابْنِ هشامٍ» وَصَلْنَا إلى الصورَةِ التَّالِيَةِ لِمَنْهَجِ «كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ »] [1] .

اتَّبَعَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » فِي تَأْلِيفِهِ كِتَابَهُ « المَغَازِيَ » مَنْهَجاً وَاضِحَ المَعَالِمِ وَالأَهْدَافِ ، وَرَتَّبَهُ عَلَى ثَلاَثَةِ مَوْضُوعَاتٍ :

وَهِيَ :

أ ــ « المُبْتَدَأُ » .

ب ــ « المَبْعَثُ » .

جـ ــ « المَغَازِي »

أ ــ « المُبْتَدَأُ »

تَحَدَّثَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » في « المُبْتَدَإِ » عَنِ « التَّارِيخِ الجَاهِلِيِّ » وَفَصَّلَ مَوْضُوعَاتِهِ فِي أَرْبَعَةِ فُصُولٍ .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٨٢ ـــ ٨٤ » .

فَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الأَوَّلِ عَنِ « الْوَحْيِ » قَبْلَ الإِسْلاَمِ » .
وَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الثَّانِي عَنِ « تَارِيخِ الْيَمَنِ » فِي الْعُصُورِ الجَاهِلِيَّةِ » .
وَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الثَّالِثِ عَنِ « الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَعِبَادَتِهَا لِلأَصْنَامِ » .
وَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الرَّابِعِ عَنْ « أَجْدَادِ « النَّبِيِّ » المُبَاشَرِينَ وَالدِّيَانَاتِ المَكِّيَّةِ » .
وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الأَسَانِيدَ نَادِرَةٌ فِي « المُبْتَدَإِ » .
فَهَذَا هُوَ كُلُّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ « الجزْءُ الأَوَّلُ » .

ب – « المَبْعَثُ » :

تَحَدَّثَ « ابنُ إِسْحَاقَ » فِي « المَبْعَثِ » فِي مَوْضُوعَيْنِ :
المَبْحَثُ الأَوَّلُ عَنْ « حَيَاةِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – فِي « مَكَّةَ » .
وَالمَبْحَثُ الثَّانِي عنْ « الهِجْرَةِ » ، وَرُبَّمَا شَمَلَ الْعَامَ الأَوَّلَ مِنْ نَشَاطِهِ – ﷺ – فِي « المَدِينَةِ » .

وَيُلاحَظُ فِي « المَبْعَثِ » ازْدِيَادُ عَدَدِ الأَسَانِيدِ . وَيَعْتَمِدُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » خَاصَّةً عَلَى رِوَايَاتِ أَسَاتِذَتِهِ « المَدَنِيِّينَ » الَّتِي يُبْرِزُهَا فِي نِظَامٍ سَنَوِيٍّ ، وَهُوَ يُقَدِّمُ لِلأَخْبَارِ الْفَرْدِيَّةِ بِمُوجَزٍ حَاوٍ لِمُحْتَوَيَاتِهَا فِي الْغَالِبِ .

وَفِي هَذَا الجُزْءِ ، إِلَى جَانِبِ الْقِصَصِ الَّتِي يَجْلِبُهَا بِإِسْنَادٍ أَوْ بِغَيْرِهِ ، تُوجَدُ وَثِيقَةٌ دَوَّنَهَا «ابْنُ إِسْحَاقَ» عَنْ مُعَاهَدَةِ «النَّبِيِّ» المَشْهُورَةِ مَعَ الْقَبَائِلِ المَدَنِيَّةِ ، المُسَمَّاةِ : « نِظَامُ مُجْتَمَعِ المَدِينَةِ » . وَيُوجَدُ أَيْضاً مَجْمُوعَاتٌ كَامِلَةٌ مِنَ الْقَوَائِمِ ذَكَرَ فِي بَعْضِهَا أَسْمَاءَ المُسْلِمِينَ الأَوَّلِينَ ، أَوْ الَّتِي ذَكَرَ فِي غَيْرِهَا مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ ، أَوَ أَوائِلِ مُسْلِمِي الأَنْصَارِ . . الخ .

وعِنْدَ هَذِهِ الحُدُودِ يَنْتَهِي الجزْءُ الثَّانِي .

جـ – « المَغَازِي » :

تَحَدَّثَ « ابنُ إِسْحَاقَ » فِي « المَغَازِي » عَنْ « تاريخِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – فِي « المَدِينَةِ » مُنْذُ أَوَّلِ صَيْحَةٍ لِلْحَرْبِ رَفَعَهَا لِمُقَاتَلَةِ الْقَبَائِلِ المُشْرِكَةِ إِلى أَنْ تُوُفِّيَ « النَّبِيُّ » – ﷺ – .

وَلاَ يعَالِج « ابْنُ إِسْحَاقَ » بِتَفْصِيلٍ فِي هَذَا الجُزْءِ غَيْرَ مَرَضِ « النبِي » ـ ﷺ ـ الأخِيرِ وَوَفَاتَهُ ، وَالْقَاعِدَةُ هُنَا وُجُودُ الإِسْنَادِ .

وَيَسْتَخْدِمُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » مَنْهَجاً مُحَدَّداً لِعَرْضِ الْغَزَوَاتِ الْفِعْلِيَّةِ فَيقدِّمُ مُلَخَّصاً حَاوِياً لِلمُحْتَوَيَاتِ فِي المُقَدِّمَةِ .

وَالْقَوَائِمُ كَثِيرَةٌ فِي « المَغَازِي » أَيْضاً فَهُوَ يُدَوِّنُ قَائِمَةً بِأُولَئِكَ الَّذِينَ حَارَبُوا فِي « بَدْرٍ » وَأُخْرَى بِالْقَتْلَى وَالأَسْرَى ، وَثَالِثَةً بِقَتْلَى « أُحُدٍ » ، وَكَذَلِكَ قَتْلَى « الْخَنْدَقِ » ، وَ « خَيْبَرٍ » وَ « مُؤْتَةَ » والطَّائِفِ وَالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ رَجَعُوا مِنَ « الْحَبَشَةِ » .

وَمِنَ الجَدِيرِ بالذِّكْرِ أَنْ نُنَوِّهَ هُنَا أَنَّ « ابْنَ إِسْحَاقَ » سَمَّى كِتَابَهُ « المَغَازِي » بِاسْمِ المَوْضُوعِ الَّذِي دَارَ عَلَيْهِ البَحْثُ فِي الجُزْءِ الثَّالِثِ من كِتابِهِ ، فَبَعْدَ هَذَا التَّخصِيصِ صَارَ تَعْمِيمُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كَامِلِ الْكِتَابِ وَصَارَ الاسمُ عَلَماً يُدَلُّ بِهِ عَلَى كِتَابِ « ابنِ إِسْحَاقَ » إِذْ لَمْ يَنْتَشِرْ ذِكْرُ « المُبْتَدَأ » وَلاَ ذِكْرُ « المَبْعَثِ » . وَمِنْ ثَمَّ شَاعَتِ التَّسْمِيَةُ فَصَارَتْ عَلَماً مَخْصُوصاً بِهَا عَمَلُ كُلِّ مَنْ تَصَدَّى لِتَارِيخِ حَيَاةِ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ عِنْدَ مُعْظَمِ المُؤَرِّخِينَ وَمُؤَرِّخِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِيمَا بَعْدُ .

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ « مَغَازِيَ ابْنِ إِسْحَاقَ » عَمَلٌ ضَخْمٌ ، أَوْفَى صَاحِبُهُ عَلَى الْغَايَةِ فِي جَمْعِ الرِّوَايَاتِ وَالأَخْبَارِ ، فَأَوْرَدَهَا وَدَوَّنَهَا كَمَا وَقَعَتْ إِلَيْهِ مَعْزُوَّةً إِلَى مَصَادِرِهَا وَرُوَاتِهَا الأَوَائِلِ الَّذِينَ وَقَعَتْ إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِهِمْ . وَفِي هَذَا الكِتَابِ تَتَجَلَّى قُدْرَةُ « ابْنِ إِسْحَاقَ » عَلَى التَّنْسِيقِ ، وَحُسْنِ التَّأْلِيفِ ، فَسَاقَ كُلَّ مَا وَقَعَ إِلَيْهِ عِلْمُهُ مِنْ أَحْدَاثِ السِّيرَةِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ المُبَشِّرَاتِ عَلَى نَسَقٍ تَارِيخِيٍّ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ ، مُتَّبِعاً فِي تَرْتِيبِ كِتَابِهِ الأَوَّلَ فالأَوَّلَ .

لَمْ يَلْتَفِتْ « ابْنُ إِسْحَاقَ » [1] وَمِنْ بَعْدِهِ « ابنُ هِشَامٍ » إلى نَقْدِ مَا اجْتَمَعَ

---

(١) قَالَ « ابْنُ سَلاَّمٍ الجُمَحِيُّ » : « وَكَانَ مِمَّنْ أَفْسَدَ الشِّعْرَ وَهَجَّنَهُ وَحَمَلَ كُلَّ غُثَاءٍ مِنهُ « مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ » ـ مَوْلَى « آلِ مَخْرَمَةَ بْنِ =

إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الأَخْبَارِ ، لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْهَا مِمَّا دَخَلَهُ الزَّيْفُ وَالتَّمْوِيه ، عَلَى طَرَائِقِ المُؤَرِّخِينَ المُحْدَثِينَ ، وَلاَ عَلَى طَرَائِقِ المُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الرِّوَايَةِ وَالحَدِيثِ .

وَيُلاَحَظُ أَنَّ المُؤَلَّفَاتِ الَّتِي تَمَّ ذِكْرُهَا ، هِيَ مُؤَلَّفَاتٌ تَامَّةٌ ، لَمْ يَتَوَصَّلْ إِلَيْهَا أَصْحَابُهَا إِلاَّ بَعْدَ جَهْدٍ مُضْنٍ ، وَإِلاَّ بَعْدَ تَدَرُّجٍ وَأَعْمَالٍ مَسْبُوقَةٍ فِي جَمْعِ الأَخْبَارِ الَّتِي تَوَلَّى القِيَامَ بِهَا التَّابِعُونَ فَرَوَوْا مَا آلَتْ إِلَيْهِمْ رِوَايَتُهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ الَّذِينَ صَحِبُوا « الرَّسُولَ » ـ ﷺ ـ فَنَقَلُوا عَنْهُ مَا سَمِعُوهُ أَوْ شَهِدُوهُ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمَا أَقَرَّ عَلَى فِعْلِهِ ـ ﷺ ـ أَصْحَابَهُ مِنْ أُمُورٍ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهَا ، أَوْ لَمْ يَنْهَ عَنْهَا .

= المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ بِالسِّيَرِ . [قَالَ « الزُّهْرِيُّ » : « لاَ يَزَالُ فِي النَّاسِ عِلْمٌ مَا بَقِيَ مَوْلَى آلِ مَخْرَمَةَ » ، وَكَانَ أَكْثَرُ عِلْمِهِ بِالمَغَازِي وَالسِّيَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ] ـ فَقَبِلَ النَّاسُ عَنْهُ الأَشْعَارَ ، وَكَانَ يَعْتَذِرُ مِنْهَا وَيَقُولُ : « لاَ عِلْمَ لِي بِالشِّعْرِ ، أُوتَى بِهِ فَأَحْمِلُهُ » وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُ عُذْراً . فَكَتَبَ فِي « السِّيَرِ » أَشْعَارَ الرِّجَالِ ، الَّذِينَ لَمْ يَقُولُوا شِعْراً قَطُّ ، وَأَشْعَارَ النِّسَاءِ فَضْلاً عَنِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ جَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى « عَادٍ » وَ « ثَمُودَ » ، [فَكَتَبَ لَهُمْ أَشْعَاراً كَثِيرَةً ، وَلَيْسَ بِشِعْرٍ ، إِنَّمَا هُوَ كَلاَمٌ مُؤَلَّفٌ مَعْقُودٌ بِقَوَافٍ] . « أَفَلاَ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ : مَنْ حَمَلَ هَذَا الشِّعْرَ ؟ ! وَمَنْ أَدَّاهُ مُنْذُ آلافٍ مِنَ السِّنِينَ ، [وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ـ « سُورة الأنعَام : ٦/٤٥ ـ م » ـ، أَيْ : لاَ بَقِيَّةَ لَهُمْ . وَقَالَ أَيْضاً] : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى * وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى ﴾ ـ « سُورة النَّجم : ٥٣/٥٠ ـ ٥١ ـ » . وَقَالَ فِي « عَادٍ » : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ . ـ « سُورَةُ الحَاقَّةِ :٦٩/٨ ـ ك ـ » ـ (وَقَالَ : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ ـ « سُورَةُ الفُرقَانِ : ٢٥/٣٨ ـ ك ـ » . وَقَالَ : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ ﴾ ـ « سُورَةِ إِبْراهِيمَ : ١٤/٩ ـ ك ـ » . « طَبَقَات فُحُول الشعراء : ٨ ـ ٩ » .

نواحٍ من التأليف في السيرة

حَفَلَتِ الخِزَانَةُ العَرَبِيَّةُ بِتُرَاثٍ زَاخِرٍ عَظِيمٍ ، مُتَعَدِّدِ الجَوَانِبِ وَالأَهْدَافِ . وَقَدِ اتَّسَعَ هَذَا التُّرَاثُ حَتَّى نَظَمَ جَمِيعَ مَظَاهِرِ الحَيَاةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلَامِيَّةِ فِي جَمِيعِ جوانبِهَا العَقْلِيَّةِ ، الفِكْرِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ ، وَالمعارفِ الإنسانِيَّةِ في شَتَّى مَجَالَاتِهَا فِي الاعْتِقَادِ والتَّارِيخِ والنُّظُمِ والآدَابِ وَالفُنُونِ وَاللُّغَةِ .

وَلِلأَهَمِّيَّةِ الكُبْرَى وَالمَحَبَّةِ العُظْمَى لِشَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ - ﷺ - نَالَتِ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ العِنَايَةَ الفَائِقَةَ مِنْ جُهْدِ المُصَنِّفِينَ ، فَتَبَارَوْا فِي مِضْمَارِ التَّأْلِيفِ في نواحٍ مِنَ السِّيرَةِ الشَّرِيفَةِ ، « فَالبَيْهَقِيُّ » وَ « أَبُو نُعَيْمٍ » وَ « المَاوَرْدِيُّ » أَلَّفُوا في « أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ » . وَأَلَّفَ « التِّرْمِذِيُّ » وَ « السُّيُوطِيُّ » وَ « الزُّرْقَانِيُّ » في « شَمَائِلِ الرَّسُولِ » - ﷺ - وَأَحْوَالِهِ » .

وَأَرَّخَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » وَ « ابْنُ هِشَامٍ » وَ « ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ » وَ « الشَّمْسُ الصَّالِحِيُّ » وَ « النُّورُ الحَلَبِيُّ » لأَطْوَارِ حَيَاتِهِ - ﷺ - .

وَأَلَّفَ « ابْنُ دِحْيَةَ » فِي « مُعْجِزَاتِهِ » .

وَأَلَّفَ « ابْنُ عَبْدِ البَرِّ النَّمِرِيُّ القُرْطُبِيُّ » وَ « ابْنُ الأَثِيرِ » وَ « ابْنُ حَجَرٍ » فِي أَصْحَابِهِ - ﷺ - .

وَتَبَارَى آخَرُونَ فِي مَوْضُوعِهَا ، وَالكَشْفِ عَنْ أَخْبَارِهَا ، وَعَمَدُوا إلى التَّدْقِيقِ وَالتَّمْحِيصِ لِلوُصُولِ إلى الأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ وَحِفْظِهَا ، وَإلى الأَخْبَارِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ وَنَبَّهُوا إِلَيْهَا ، وعَمَدَ بَعْضُهُمْ إلى نَبْذِ كُلِّ مَا لَيْسَ مِنْهَا .

وَالنَّاظِرُ فِي التُّرَاثِ يَرَى أَكْدَاساً مِنَ المُصَنَّفَاتِ في السِّيرَةِ ، وَتُبْهَرُ الأَنْظَارُ ، لِكَثْرَتِهَا إِلَّا أَنَّ هَذَا التُّرَاثَ المَائِلَ في أَعْدَادِهِ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ حَيْثُ الجَوْهَرُ. وَإِنَّ عَامِلَ التَّبَايُنِ بَيْنَ هَذِهِ المُؤَلَّفَاتِ لَا يَمَسُّ إِلَّا الشَّكْلَ وَالصُّورَةَ . وَمِنْ تَقَصِّي أَغْوَارِ هَذِهِ المُصَنَّفَاتِ يُمْكِنُنَا أَنْ نُصَنِّفَهَا فِي نِطَاقِ ثَلَاثَةِ اتِّجَاهَاتٍ :

فَالاتِّجَاهُ الأَوَّلُ تُمَثِّلُهُ مُصَنَّفَاتُ الرُّوَّادِ الأَوَائِلِ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي السِّيرَةِ وَالمَغَازِي مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ مِمَّنْ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمُ الأَعْمَالُ الرَّصِينَةُ فِي فَنِّ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، ونعُدُّ مِنْهُمْ : « عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ » وَ « أَبَانَ بنَ عُثْمَانَ ابنِ عَفَّانَ » وَ « وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ » وَ « ابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ » ، وَ « عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ ابْنِ قَتَادَةَ » و « عَبْدَ اللهِ بنَ أَبِي بَكْرِ بنِ حَزْمٍ » ، وَ « مُوسَى بْنَ عُقْبَةَ » وَ «مَعْمَرَ ابْنَ رَاشِدٍ ، وَ « مُحَمَّدَ بنَ إِسْحَاقَ » ، وَ « الْوَاقِدِيَّ » .

وَأَعْمَالُ هَؤُلَاءِ الرُّوَّادِ تَتَّصِفُ بِالأَصَالَةِ وَالسَّبْقِ وَالابْتِكَارِ فِي فَنِّ التَّأْلِيفِ فِي السِّيرَةِ .

أَمَّا الاتِّجَاهُ الثَّانِي فَيُمَثِّلُهُ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي أَخَذَ أَعْمَالَ الرُّوَّادِ الأَوَائِلِ وَمَنْ تَلَاهُمْ وَأَخَذَ فِي شَرْحِهَا وَفَكِّ مُغْلَقِهَا ، أَوْ قَامَ بِتَشْذِيبِهَا وَاخْتِصَارِهَا ، وَاسْتِبْعَادِ كُلِّ الأَخْبَارِ الَّتِي لاَ تَتَحَقَّقُ الْقَنَاعَةُ فِي صِدْقِهَا ، وَالإِيجَازِ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ الإِسهابُ . ولَجَأَ بَعْضُهُمْ إِلى « السِّيرَةِ » فَنَظَمَهَا وَصَاغَهَا شِعراً بُغْيَةَ اسْتِسْهَالِ حِفْظِهَا .

وَيُلاحَظُ عِنْدَ ذَوِي هَذَا الاتِّجَاهِ الهَدَفُ التَّعْلِيمِيُّ الْكَامِنُ وَرَاءَ هَذِهِ الآثَارِ .
وَيُمَثِّلُ هَذَا المَسْلَكَ فِي الْعَمَلِ « ابنُ هِشَامٍ » وَمَنْ نَحَا نَحْوَ كِتَابِهِ شَرْحاً أَوِ اخْتِصَاراً .

وَيُمْكِنُ أَنْ نُضِيفَ إِلى قَائِمَةِ النَّظَّامِين : « عَبْدَ العزيزِ بْنَ أَحْمَدَبنِ سعيد الدَّمِيرِيَّ المعروفَبِالدَّيْرِينِيِّ » المُتَوَفَّىسَنَةَ :(٦٩٤هـ/١٢٩٥م).وَ«أَبَاالْحَسَنِ فَتْحَبْنَ مُوسى الْقَصْرِيَّ المُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٦٨ هـ/١٢٦٩ م) . وَ « ابْنَ الشَّهِيدِ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٩٣ هـ/١٣٩٠ م) .

أَمَّا الاتِّجَاهُ الثَّالِثُ فَيُمَثِّلُهُ أُولَئِكَ المُؤَلِّفُونَ الَّذِينَ اضْطَلَعُوا بِحَمْلِ مُؤَلَّفَاتِ الأَوَائِلِ وَعَمَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلى جَمْعِهَا ، ثُمَّ اسْتَقَى مَوْضُوعَ سِيرَتِهِ مِنْ مَضْمُونِ هَذِهِ المُصَنَّفَاتِ ، وَخَرَجَ بِهِ إِلى النَّاسِ بِكِتَابٍ جَدِيدٍ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَهُ ، وَمِنْ حَيْثُ الحقيقَةُ مِنْ عَمَلِ غَيْرِهِ مِمَّنْ سَبَقُوهُ .

وَنَضْرِبُ مِثالاً عَلَىٰ ذَلِكَ: «ابْنَ فَارِسٍ اللُّغَوِيّ» المُتَوَفّى سَنَةَ: (٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

وَ«ابنَ أَبي طَيٍّ، يحيى بن حميدة» المتوفّى سنة (٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) وَغَيرهُم كَثِيرٌ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نَقِفَ عَلَىٰ مُؤَلَّفَاتِ «السِّيَرِ» وَ«المَغَازِي» مِنْ خِلالِ الاسْتِقْصَاء الَّذي عَقَدَهُ «السَّخَاوِيُّ» المتوفّى سنة (٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) في كِتَابِهِ: «الإعْلاَنُ بالتَّوْبِيخِ لِمَنْ ذَمَّ التَّارِيخَ» وَفي ذَلكَ يَقُولُ:

[«فَأَمَّا السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ وَالمَغَازِي فَقَدِ انْتُدِبَ لِجَمْعِها، معَ سائرِ أَيَّامِهِ، مِمَّا يُرْشِدُ لِطَرِيقَتِهِ مَنْ فَاقَ كَثْرَةً، وَرَاقَ خِبْرَةً.

١ ـ كَـ: «مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ الأَسَدِيِّ المَدَنِيِّ ـ أَحَدِ التَّابِعِينَ.

٢ ـ و«محمَّد بن إسْحَاقَ المُطَّلِبيِّ»، مولاهُمْ، المدنيِّ، أحَدِ التَّابعينَ أيضاً، لرؤيَتِهِ «أَنَساً» ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ.

٣ ـ وَ«أَبِي عبدِ اللهِ محمد بن عمر الأسلميِّ»، مولاهم، المدنيِّ، القاضي، «الواقِدِيِّ» نسبةً لِجَدِّهِ «واقد». وفي أوَّلِ «الطَّبَقَات الكُبرى» لكاتبه «أبي عبد الله محمد بن سعد البغداديِّ»، سيرَةٌ مطوَّلَةٌ.

٤ ـ وَ«أبي بَكرٍ عبدِ الرزاق بن هَمَّام الحِمْيَرِيِّ، مولاهم، الصَّنْعانيِّ».

٥ ـ و«أبي أحْمد محمَّد بن عائذٍ، القرشيِّ، الدمشقيِّ، الكاتب».

٦ ـ وَ«أبي عثمانَ سعيدِ بنِ يحيى الأمويِّ، البغداديِّ».

٧ ـ وَ«أبي القاسِمِ التَّيْمِيِّ الإصبهانيِّ».

وَأَوَّلها: «سيرَة موسى بن عقبة» أصحُّها، كما قاله تلميذُه «الإمام مالك» وغَيرُهُ.

وَأَمَّا الثاني: وهو القائل فيهِ «الشَّافعيُّ» ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «مَنْ أَرَادَ التَّبَحُّرَ في «المغازي»، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَيْهِ» فَرَوَى «المُبْتَدَأ» و«المغازي» عنه «سلمةُ بنُ الفَضْلِ الرازي» و«المغازي» كل من «جرير بن حازم» و«يحيى بن محمد بن عَبَّادِ بن هاني». وروى كتابَه الشهير جماعةٌ منهم «أبو محمد»، و«أبو زيد زياد بن عبد الله بن الطُّفَيْلِ البكَّائيُّ»

العامِريّ » ، و « يونس بن بُكَيرِ الشَّيبانيُّ » الكُوفيَّان، وأوَّلُهُما أوْثَقُهُمَا . وأخذَ الإمامُ « أبو محمَّدٍ عبد الملكِ بن هشامٍ » كتاب « ابن إسحاقَ » ، بعدَ أنْ سَمِعَهُ مِن زيادٍ البكَّائيِّ عَنْهُ ، فَهَذَّبَهُ وَنَقَّحَهُ بحيثُ صارَ المُعوَّلَ عليه . وكتَبَ عليه « أبُو القَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ » : « الرَّوْض الأُنُفِ » الَّذي اختصَرَهُ «الذَّهَبِيُّ» وغيرُه؛ بَلْ «لِمُغْلَطاي» عَلى كُلٍّ مِنَ « السِّيرَةِ » وَ « الرَّوْضِ » « الزَّهَرُ الباسِمُ » . ولشيخِنا تخْريجُ الأحاديثِ المنقطعات فيها ، وشرَحَ مِنْها قطعةً كبيرةً « شَيْخُنا « البدْرُ العينيُّ » ورواها جماعةٌ حسبما بيَّنْتُ ذلك كُلَّهُ وَاضِحاً في جزءٍ عَمِلْتُهُ حينَ ختَمَ قراءتَهَا عَلَيَّ .

ثُمَّ إنَّهُ قد روى « ابنُ لَهيعَةَ » عن « أبي الأسودِ » عنْ « عُروَةَ بن الزبير » « المغازي » وكذا «الزُّهْرِيُّ» عَن « عروة بن الزُّبَيْرِ » عن أبيه . و « حَجَّاجُ بن أبي مَنِيعٍ » عن« الزُّهْرِيِّ ».

وروى « يونسُ بنُ يزيد » مشاهدَ « النَّبِيِّ » ﷺ عنِ « الزُّهْرِيِّ » ، و « الوليد بن مسلم أبو العبَّاس القرشي الدمشقي» الَّذي قالَعَنْهُ «أبُوزُرْعَةَ الرَّازِيُّ»: إنَّهُ «أعلمَ بأمرالمغازي وَالسِّيَر عن « الأوزاعِي » ، و « محمد بن عبد الأعلى » « السِّيَر » عن « مُعْتَمر بن سليمان » عن أبيه ، و « عبد الملك بن حبيب[. . .] [1] المسيب بن واضح، و «أبُو عَمْرٍو معاوية بن عَمْرٍو » « السِّيَرَ » عن « أبي إسحاقَ الفزارِيِّ » .

و « الحسن بن سفيان » عن « أبي بكر بن أبي شيبة » « المغازي » .

ولكلٍ من « أبي بكر بن أبي خيثمة » .

وَ « أبي القاسم بن عساكر » في « تاريخهما ، وكذا « ابن أبي الدمّ » .

و « أبي زكريا النووي » في « تهذيب الأسماء واللغات » .

و « أبي الحجاج المزي » في « تهذيب الكمال » .

و « أبي عبد الله الذَّهبيِّ » في « تاريخه » .

و « العماد بن كثير » في مقدِّمة « بدايته » .

وَ« أبي الحسن الخزرجِيِّ » في مقدِّمة « تاريخ اليمن » .

و « التَّقِيِّ الفاسيِّ » في « تاريخ مكَّةَ » في آخرين .

سِيرَةٌ مُطَوَّلَةٌ لِبعضهم ، « كابنِ عَسَاكِرَ » ، أو مُخْتَصَرَةٌ .

---

(١) يبدو أنَّ في النصِّ اضطراباً لم يستطع محققُ « الإعلان بالتوبيخ » إصلاحَهُ .

وأفردها :

« أبو الشيخ بن حيّانَ » .

و « أبو الحسن بن فارس اللُّغويُّ » .

و « أبو عمر بن عبد البَرِّ » في « الدُّرَرِ في اختصارِ المغازي وَالسيَرِ » .

و « أبو محمد بن حزم » .

و « الشرف أبو أحمد الدِّمْيَاطِيُّ » .

و « عبد الغني المقدسيُّ » ، وكَتَبَ على كتابِهِ « القطبُ الحلبيُّ » « المورد الهني » وهو نافعٌ جِدّاً . و « أبو عبد الله الذَّهبي » و «أبو الفتح ابن سيد الناس» في «عيون الأثر» وما أَحْسَنَهُ ! ، كَتَبَ عليهِ « البرهَانُ الحلبيُّ » — تعليقاً — في مجلدين سمَّاه : « نُور النِّبْرَاس » يعني : « المصباح » ، وفي «نور العيون» وهو مختَصَرٌ ، وقالَ «ابنُ القَوْبَعِ»: «إنَّه أوقفه على «الْعُيُونِ» فَعَلَّمَ عليها على أكثر من مائة موضعِ أَوْهَامٍ .

و « أبُو الرَّبِيعِ الكَلَاعِيُّ » ، وضمَّ إليها سِيَرَ الثلاثَةِ الخلفاء ، وسماه: « الاكتفاء » .

و « للعَلَاءِ عَلِيٍّ بن محمَّدِ بنِ إبراهيمَ البغداديِّ الخازِنِ » صاحبِ « مقبول المنقول » — سيرَةٌ مُطَوَّلَةٌ — .

وكَذَا«لِلظَّهِيرِ عليٍّ بن محمَّدِ بن محمودِ الكازَرونيِّ ثُمَّ البغداديِّ »،وهو سابقٌ عليه«سِيرةٌ».

و « المحبُّ الطَّبريُّ » .

و « القاضي عز الدين بن جَمَاعة » في تصنيفين .

و « الشَّمْسُ البِرْمَاوِيُّ » كذلك . وله على أحدهما حاشيةٌ ، أفردها مضمومةً للأصلِ « التَّقِيُّ بنُ فَهْدٍ » ، سوى سِيرَةٍ لَهُ في مجلَّدَيْن .

وَ « العَلَاء علي بن عثمان التركمانيُّ » الحنفيُّ .

و « أبو أمامة بن النقَّاش » .

و « الشمس بن ناصر الدين » في مؤلفٍ حافلٍ مُتقَنٍ .

و « التَّقِيُّ المقريزيُّ » في كتابه : « الإمتاع » وفيه الكثير ممَّا يُنتقَد .

و « لعثمَان بن دَرْبَاس الماراني » : « الفوائد المنيرة في جوامع السيرة » .

و « كذا » الشهاب أحمد بن إسماعيل الإبْشيطي الشافعي» الواعظ، المُتَوَفَّىٰ في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٢ م) ، كتاب جامع ، كتبَ منه نحو ثلاثين سفراً ، يحتوي عَلى « سِيرَةِ ابنِ إسحاقَ » مع ما كتبه «السُّهَيْلِيُّ» وغيره عليها ، وما اشتملت عليه « البداية » « لابن كَثِيرٍ »، وعلى ما احتوتْ عليه « المغازي » للواقدي » وغير ذلك ضابطاً للألفاظ الواقعة فيها ، وكان زائد اللهج بها .

ونَظَمَهَا :

« الفتح بن مسمار » .

و « الشِّهاب بن العماد الأَقفهسيُّ » .

و « البِقَاعِيُّ » .

وشرح كل نظمه ، وكذا نظمها « العزُّ الديريني » .

و « فتح الدين بن الشهيد » في بضع عشرةَ ألف بيتٍ ، مع زياداتٍ دلتْ عَلى سعة باعه في العلم.

و« الزَّيْنُ العِرَاقِيُّ » في « أَلْفِيَّتِهِ » الَّتِي مَشَى فيها على سيرَةٍ مختصرةٍ لِـ « العَلاء مُغُلْطَاي » . كتب على هذه المختصرة ، و « فوائد الشمس البِرماوي » و « الشرف أبو الفتح المراغي » وجرَّدَ ذلكَ في تصنيفٍ مُفْردٍ « التَّقِيُّ بنُ فَهْدٍ » .

وشرحَ النَّظْمَ «الشهابُ بنُ رسلان» ، وَمِنْ قَبْلِهِ « المحبُّ بن الهائم » ، الفريد في الذكاء ، وهُوَ مُطَوَّلٌ ، وَقَفْتُ على مجلَّدٍ منه قَرَضَهُ[1] له الناظم وغيره . وكذا شرح شيخنا بعضَ أبياتٍ مِنْ أوَّلِهِ . وَتَمَّمْتُ عليه وأرجو تَحْريرَهُ وإبْرازَهُ .

ونظم « سيرة مُغُلْطَاي » أيضاً في زيادةٍ عَلى أَلْفِ بيتٍ ، « الشمسُ الباعونيُّ الدِّمَشْقِيُّ » ، أخو الأستاذ « البُرْهَان » . وسمِعْتُ بعضَهُ منهُ ،وسمَّاهُ : « منحة اللبيبِ في سِيرَةِ الحَبِيبِ » .

وأفْرَدَ مولدَهُ[2] بالتَّأليفِ غيرُ واحدٍ .

كـ « أبي القاسم السَّبْتِيِّ » في « الدُّرِّ المُنَظَّمِ في المولِدِ المُعَظَّمِ » في مجلدين، استَطْرَدَ فيه لزوائد على موضوعه .

ثُمَّ « العِرَاقيِّ » .

و « ابن الجزريِّ » .

---

(١) ربما كان الصواب : قَرَّظَهُ .

(٢) أي : « مولد الرسول » ـ ﷺ ـ .

و « ابن ناصر الدين » .

وأسلافِهِ [1] « محمَّدُ بن إسحاق المُسَيَّبِيُّ » .

و « أسمائهِ « أبو الخطَّاب بن دِحْيَةَ » .

و « القُرْطبي » وغيرهما ، نظماً ونثراً ، وبلغتها نحو خمسمائةٍ ، وهي قابلةٌ للزيادة ، وأكثرُهَا أوْصَافٌ .

و « ختِانِهِ » وأنهُ وُلِدَ مختوناً ، « الكمال بن طلحة » ، وردَّ عليه ، في تصنيفٍ أيضاً « الكمالُ أبُو القاسمِ بنُ أَبي جرادة » .

« ولأبي بكر الخرائطِيِّ » : « هَوَاتِفُ الجانِّ ، وعجيبُ مَا يُحكى عنِ الكُهَّانِ » ، مِمَّنْ بَشَّرَ « بِالنَّبِيِّ » – ﷺ – بِوَاضِحِ البُرْهَانِ » .

وكذا لـ « ابن أبي الدُّنْيَا » : « الهواتِف » .

ولـ « ابن دُرُسْتُوَيْه » : « حديث قسٍّ بن ساعدة » .

و لـ « هشام بن عمار » : « المبعث » .

ولـ « أَبي الخطَّاب بن دِحْيَةَ » وغيرِه : « المعراج » .

وجَمَعَ « دَلائِلَ النُّبُوَّةِ » كَثيرونَ مِنْهُمْ :

« أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ » .

وَ « ثابِتُ السَّرَقَسْطِيُّ » .

وَ « أَبُو الْقَاسِمُ الطَّبَرَانِيُّ » .

وَ « التَّيْمِيُّ » .

وَ « أبو عَبْدِ الله بْنُ مَنْدَةَ » .

وَ « أَبُو الشَّيخ بن حبَّان » .

وَ « أَبُو نُعَيْمٌ الإصْبَهَانِيُّ » .

وَ « أَبُو بَكْرٌ بن أَبي الدُّنْيَا » .

وَ « أَبُو أحْمَد بن العَسَّال » .

وَ « أَبُو بَكرِ النَقَّاشُ » المُفَسِّرُ .

---

(١) التقدير : وألف في أسلافهِ ، وَأسمائهِ ، وَختانِهِ الخ . . .

وَ « أَبُو العَبَّاس المُسْتَغْفِرِي» .
وَ « أَبُو الأَسْوَدِ عبدُ الرَّحمن بن الفيض » .
وَ « أَبُو ذَرٍّ المَالِكِيُّ » .
وَ « أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ » .
وَهُوَ أَحفظُهَا ، كما بينتُه في جزءٍ مُفردٍ في ختمِهِ .
وكذا جمعها مع غرائبِ الأحَاديثِ « إبرَاهِيمُ بنُ الهيثمِ البَلَدِيُّ » .
وَ « أَعْلاَمُ النُّبُوَّةِ » : « أَبُو مُحَمَّدِ بنُ قُتَيْبَةَ » .
وَ « أَبُو دَاود » ـ « صَاحِبُ « السُّنَنِ » .
وَ « أَبُو الحُسَيْنِ بنُ فَارِسَ » .
وَ « أَبُو الحُسَينِ المَاوَرْدِيُّ » الفَقيه .
وَ « قَاضِي الجمَاعَةِ » « أَبُو المُطَرَّف المَغربيُّ » .
وَ « العلاءُ مُغُلْطَاي » .
وَ « الشَّمَائِلُ النَّبَوِيَّةُ » .
« أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ » .
« و « أَبُوُ الْعَبَّاسِ المُسْتَغْفِرِيُّ » .
وَ « أَبُو بَكْرِ بِنُ طُرْخَانَ الْبَلْخِيُّ » .
وَكَتَبْتُ منْ شرحِ أَوَّلِهَا قطعةً . ورَأَيْتُ قطعَةً مِنْ مُسَوَّدَةٍ بخطِّ « الجَمَالِ بن الظَّاهِرِ » كالمستخرج عليها .
وَ « الصِّفَةُ النَّبَوِيَّةُ » :
وَ « أَبُو البَحْتَرِيِّ » .
وَ « أَبُو عليٍّ محمَّد بن هارون » .
وَ « الأخلاقُ النَّبَوِيَّةُ » .
وَ « إسْمَاعِيلُ القاضي » .
و « صِفَةُ نَعْلِهِ الشَّرِيف » : « أبو اليمن بن عساكر » .
وَ « الهَدْيُ النَّبَوِيُّ » : « ابْنُ القَيِّمِ » وغيرُه .

وَ « لأبِي نُعَيْمٍ و « المُسْتَغْفِرِيَ » .

وَ « الضِّيَاءِ المَقْدِسِيِّ » : « الطِّبُّ النَّبَوِيّ » .

وَ « القَاضي عياض » : « الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصطَفى » .

وقَدْ شَرَحْتُ شأنَهُ وَبَيَانَ مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ فِي مؤلَّفٍ لي في خَتْمِهِ .

و « لأبي الرَّبِيعِ سليمان [. . .] بن سَبُع السَّبْتِيِّ »: «شفاء الصُّدُور» في مُجَلَّدَاتٍ . واخْتَصَرَهُ بعضُ الأئمَّةِ . وفيه مناكيرُ كثيرةٌ .

وَ لِـ « أبي الفَرَجِ بن الجوزيِّ » : « الوفا بالتعريفِ بالمصطفى » .

وَ لِـ « ابن المنير » : « الاقتفا » .

وَ لِـ « أبي سعدٍ النَّيْسابوري » : « شَرَفُ المصطَفى » في مجلداتٍ .

وَ لِـ « جعفر الفرْيابي » : « المعجزات » و « تكرير الطَّعام والشَّراب » .

وكذا لغيره : « المعجزات » .

وَ لجماعةٍ : « كالماورديِّ » ، و « ابن سبعٍ » و « الجلالِ البُلْقيني » : « الخصائص » .

وَ « لأبي أحمد العَسَّال » وَ « أبي الشيخ بن حيَّان » : « خطبه » — ﷺ — .

وأفردَ بعضُهمْ « خطْبَةَ الوداع » : وهي فيما قَالَ « ابن بَشْكوال » آخرُ خُطَبِهِ .

بَلْ لبعضِهِمْ كلماتُه المفردة .

و « للطَّبرانيِّ » ، و « أبي عبدِ الله بنِ مَنْدَةَ » : « نَسب النَّبيِّ » .

وكذا لِـ « عُمَارَةَ بن زَيْدٍ » : « مكاتباتُه — ﷺ — لِلأشْرَافِ وَالمُلُوكِ » .

ولغيرهم : « الوَفَاةُ النَّبَوِيَّة » .

وَ « للبَيْهَقِيِّ » : « حَيَاةُ الأنْبِياءِ في قُبورِهِمْ » .

ولآخرين : « فَضْلُ الصَّلاةِ على « النَّبِيِّ » — ﷺ — » .

كـ « إسماعيل القاضي » و « أبي بكر بن أبي عاصم » . ومَنْ سَرَدْتُ أَسْماءَهُمْ في خاتمةِ كتابي : « القولُ البديع في الصَّلاةِ عَلى الحبيبِ الشَّفيعِ » . وَلِخَلْقٍ كَمَا سيأتي : « أصحابه » مع بيانِ من أفرد منهم : «أرْدَافُهُ»[1] و « أزواجُه » ممَّن جمعَهُنَّ « الدِّمياطِيُّ » . و « كُتَّابُهُ ».

---

(١) « الأَرْدافُ » : الَّذِينَ يركَبُون معهُ — ﷺ — عَلى جَمَلٍ أثْنَاء الغزواتِ .

و «مواليه» . و «كُتَّابُهُ »: ممَّنْ جمعهمْ « عَبْدُ اللهِ بنُ عليٍّ بن أحمدَ بن حَديدةَ » وَسَمَّاهُ : « المِصْبَاحُ المُضي في كُتَّابِ النَّبِيِّ » .

إلىغيرها ممَّا لو حَصَلَ التَّصَدّي لِجَمْعِهِ كُلِّهِ في كِتاب لكانَ فيعِشرينَ مجلداًفأكثر»][(1)]

وَمِمَّن ألَّفَ في «السِّيرَةِ» وَلَم يَأْتِ عَلى ذِكْرِه «السَّخاوِيُّ» في كتابِه «الإعلان بالتوبيخ»:

« ابن أبي طي يحيى بن حَمِيدةَ » المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .

و « علاءُ الدين علي بن محمد الخلاطي » الحنفي المتوفى سنة ٧٠٨ هـ .

و « شهابُ الدين الرعيني الغرناطيُّ » المتوفّى سنة : ٧٧٩ هـ .

و « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر » الأندلسيُّ » المتوفّى سنة ٧٨٠ هـ .

وَمِنَ البَدَهِيِّ أنَّ كُتُبَ « السِّيرَةِ » وَ« المَغَازِي » الَّتِي أتَى عَلَى ذِكْرِهَا«السَّخاوِيُّ» مَا هِيَ إلاَّ جَانِبٌ مِمَّا أُلِّفَ فِيهَا . فَهُوَ لَمْ يغْفِلْ ذِكْرَ المُؤَلَّفَاتِ التَّارِيخِيَّةِ – الحَوْلِيَّاتِ – الَّتِي خَصَّتْ « السِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ » بِجَانِبٍ مِنْهَا « كتَارِيخِ الرُّسُلِ وَالمُلُوكِ » « لِلطَّبَرِيِّ » المُتَوَفَّى سنة (٣١٠ هـ/٩٢٣ م) ، وَ« الكَامِلِ فِي التَّارِيخِ » « لابْنِ الأثِيرِ » الإمام عز الدِّين أبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمّدٍ الشَّيْبَانِيِّ»المتوفّى سنة (٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م) ، و « التَّارِيخِ الكَبِيرِ » أو « تاريخ الإسْلامِ وَطَبَقَاتِ المشَاهِيرِ والأعلامِ » لِلحَافِظِ شَمسِ الدِّينِ « أبِي عَبْدِ اللهِ مُحمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عثمَانَ الذَّهَبِيِّ » المُتوفّى سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) و «البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ » لِلإمَامِ عِمَادِ الدِّينِ أبِي الفِدَاءِ «إسماعيل بن عمر بن كثير القُرَشِيِّ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٧٤ هـ/١٣٧٣ م) وَهو لم يغفل ذِكْرَ مُؤَلَّفَاتِ أصْحَابِ تَوَارِيخِ المُدُنِ كـ « تاريخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ » للإمَامِ الحَافِظِ « أبِي القَاسِمِ » عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ ، المعروفِ بِـ « ابْنِ عَسَاكِرَ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٧١ هـ/١١٧٦ م) ، وَلا كُتُبَ الطَّبَقَاتِ وَالتَّرَاجِمِ كَـ « طَبَقَاتِ ابنِ سَعْدٍ » لِـ « مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٢٣٠ هـ/٨٤٥ م) ، وَلاَ كُتُبَ الأنسابِ كَكِتَابِ « أنْسَابِ الأشْرَافِ » لأحْمَدَ بْنِ يَحْيَى « المَعْرُوفِ » بِـ « البَلاَذُرِيِّ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) . ولا كُتُب « الوفيات » كَـ « الوَافِي

---

(1) « الإعلانُ بالتوبيخِ : ١٥٧ – ١٧١ » .

في الْوَفَيَاتِ » للصَّلاَحِ الصَّفَدِيِّ « خَلِيلِ بْنِ أَيْبَكَ » الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م) ، وَلا كُتُبُ أَصْحَابِ الجَمْهَرَاتِ الْعَامَّةِ » كَكِتَابِ « نِهَايَةِ الأَرَبِ فِي فُنُونِ الأَدَبِ » لِـ « شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ النُّوَيْرِيِّ » الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م) وَإِنَّمَا أَعَادَ ذِكْرَ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتِ فِي نِطَاقِ مَظَانِّ تَرْتِيبِهَا فِي كِتَابِهِ .

وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ أَنَّ سِلْسِلَةَ التَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ فِي « فَنِّ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » لَمْ تَنْقَطِعْ بَعْدَ « السَّخَاوِيِّ » فَقَدْ وَضَعَ « الشَّمْسُ الشَّامِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ الصَّالِحِيُّ » المتوفَّى سنة (٩٤٢ هـ/١٥٣٦ م) كِتَابَهُ : « سُبُلَ الهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ » الْمَشْهُورَ بِـ « السِّيرَةِ الشَّامِيَّةِ » الَّذِي جَمَعَهُ مِنْ أَلْفِ كِتَابٍ — وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ قَيْدَ الطَّبْعِ ، وَقَدْ طُبِعَ بَعْضُ أَجْزَائِهِ — .

وَوَضَعَ «الشَّيْخُ الإِمَامُ وَجِيه الدين عبد الرحمن بن علي بن الدَّيبع» المتوفَّى سنة (٩٤٤هـ / ١٥٣٧ م) سِيرَتَهُ هَذِهِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَالَّتِي تُنْشَرُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ .» .

وَصَنَّفَ « الإِمَامُ الشَّيْخُ حسين بن محمد الديار بكري الْمُتَوَفَّى سنة (٩٦٦ هـ/١٥٥٩ م) كِتَابَهُ « تَارِيخَ الخميس في أَحْوَالِ أَنْفَسِ نَفِيسٍ » فِي مجلَّدين — فَأَجْمَلَ فِيهِ « السِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ وتاريخَ الخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ » .

وَصَنَّفَ « النُّورُ الحَلَبِيُّ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ » الْمُتَوَفَّىسنة (١٠٤٤ هـ/١٦٣٥م) كِتَابَهُ « إِنْسَانَ الْعُيُونِ فِي سِيرَةِ الأَمِينِ المَأْمُونِ » المَعْرُوفَ بِـ « السِّيرَةِ الحَلَبِيَّةِ » .

وَأَوْجَزَ « شَيْخُ الإِسْلاَمِ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ » الْمُتَوَفَّى سنة (١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢ م) السِّيرَةَ » فَوَضَعَ « مُخْتَصَرَ سِيرَةِ « الرَّسُولِ » — ﷺ — فَسَلَكَ فِيهِ مَسْلَكَ مَنْ عَرَفَ حَقَائِقَ الأَحْوَالِ ، وَنَبَّهَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » .

وَوَضَعَ أَيْضاً الإِمَامُ « بَدْرُ الأَعْلامِ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الشَّيْخِ مُحَمَّد بنِ عبدِ الْوَهَّابِ » الْمُتَوَفَّى بِمِصْرَ سَنَةَ (١٢٤٢ هـ/١٨٢٦ م) « مُخْتَصَرَ سِيرَةِ « الرَّسُولِ » — ﷺ — » ، وَهِيَ سِيرَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ ، أَصْغَرُ مِنْ « سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ » وَأَكْبَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ الَّذِي أَلَّفَهُ وَالِدُهُ .

وَلَقَدْ حَظِيَ العصرُ الحاضرُ بظهورِ طبقةٍ مِنَ الكتَّابِ المرمُوقِينَ، فَوَجَّهُوا عنايتَهم للكِتَابَةِ في موضوعِ « السِّيرَةِ النَّبوِيَّةِ » نخصُّ بالذكرِ منهم :

الشيخ محمد بن عفيفي الباجُورِيِّ » المعروف بالشيخ « محمد الخضري » المتوفى سنة (١٢٤٥هـ/ ١٩٢٧ م) فصنَّف كتاب « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين » .

ومحمد أحمد جاد المولى المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤ م) فصنَّفَ كتاباً بعنوان : « محمَّد — ﷺ — المثل الكامل » .

و « مصطفى الغلاييني » المتوفَّى سنة (١٣٦٤ هـ/١٩٤٤ م) صنَّفَ كتاباً سماه « لباب الخيار في سيرة النبي المختار » .

و « محمد رضا » المتوفى سنة (١٣٦٩ هـ/١٩٥٠ م) عمل كتاباً بعنوان : « محمد — ﷺ —» .

و « محمد لطفي جمعة » المتوفَّى سنة (١٣٧٢ هـ/١٩٥٣ م) ألَّفَ كتاباً جعَلَ عنوانَهُ : « ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله » وقد صدر هذا الكِتابُ بعد وفاة مؤلفِه سنة (١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) .

و « محمد حسين هيكل » المتوفَّى سنة (١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م) ألَّفَ كتاب « حياة محمد — ﷺ —

و « محمد الخَضِرُ حسين » المتوفَّى سنة (١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م) وضعَ كتاباً بعنوان : « محمَّد — رسول الله — وخاتم النبيِّينَ » .

و « عباس محمود العقاد » المتوفَّى سنة (١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م) صنَّف كتاب « عبقرية محمد »

و « مصطفى بن حسني السباعي) المتوفَّى سنة (١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م) صنَّف كتاب « السِّيرَة النبوية » — تاريخها ودروسها صدر بعد وفاته .

و « طه حسين » المتوفَّى سنة (١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م) كتب « على هامش السيرة » في أسلوب فني رائق .

والشيخ « محمد بن أحمد أبو زهرة » المتوفَّى سنة (١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م) ألَّف كتاباً في «السيرة»

ومن التصنيفات في « فقه السيرة » ما كتبه « محمد الغزالي » و « محمد سعيد رمضان البوطي » .

و « نظمي لوقا » الكاتب المصري الذي وضع كتاباً في « سيرته » — ﷺ — .

ونقل إلى اللغة العربية من اللغة الإنكليزية كتاب « محمد رسول الله » تأليف « مولاي محمد علي» وقد صدرت لهذا الكتاب ترجمتان : الأولى في «مصر» بقلم «مصطفى فهمي» و « عبد الحميد جودة السحار » ، والثانية في «لبنان» بقلم « الأستاذ منير البعلبكي » .

ونقل إلى اللغة العربية من اللغة الفرنسية كتاب « حياة محمد » للمستشرق الفرنسي « إميل درمنغم ، وقد قام بنقله إلى العربية « عادل زعيتر » .

وهناك أبحاثٌ وكتبٌ خُصصٌ « الرَّسُولُ » – ﷺ – بِهَا جاءت في مؤلَّفات الغربيين :

فترجم « كارليل » الإنكليزي « الرَّسول » – ﷺ – في كتابه « الأبطال » .

وَأَلَّفَ باللغة الانكليزية المستشرق النمسويُّ « ألويس سبرنجر بن كرستوفر » المتوفَّى سنة (١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م) كتاباً في « السيرة النبوية » بعنوان « حياة محمَّد » .

وصنَّف باللغة الإنكليزية المستشرق البريطاني الإسكتلندي الأصل « وليم موير » المتوفَّىٰ سنة (١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) كتباً في « السيرة النبوية » .

وكتب المستشرق الفرنسي « بول كَزَنُوفا » المتوفَّى سنة (١٣٣٤ هـ / ١٩٢٦ م) كتاباً بالفرنسية عن « محمَّد » – ﷺ – ونهاية العالم » .

وكتب المستشرق الألماني « تيودور نولدكه » المتوفَّىٰ سنة (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) كتابه عن « حياة النبي « محمَّد » .

وعمل المستشرق الدانمركي « فرانتس بوهل (بول) » المتوفَّى سنة (١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م) كتاب « حياة محمَّد » فكتبه باللغة الدانمركية ثمَّ ترجمه إلى الألمانية .

ونحنُ نعجز عن ذكرِ كلِّ ما أُلِّفَ من كتُبٍ حولَ شخصيَّةِ « الرَّسُولِ » – ﷺ – ولكن نعلم أنَّ الجمَّ الغفيرَ من الكتب بمختلف اللغات في الغرب والشرق قد عالجت موضوع « السيرة النبوية المحمدية » إلاَّ أنَّ كتابات هؤلاء الكتاب يتنازعها الهوى بين منصفٍ ومُغْرِضٍ ونمسكُ عن ذكرِ ذلك لضيقِ المجال .

ومن الجلي أنَّ حياة « رسول الله » – ﷺ – كانتْ واضحةً كلَّ الوضوح في جميعِ مراحلِها ، منذ زواج أبيه « عبد الله » بأمه « آمِنة » إلى وفاته – ﷺ –، فنحنُ نَعرِفُ الشيءَ الكثيرَ عن ولادتِه وطفولتِه وشبابِه ومكسبه قبل النبوَّة ورحلاته خارج مكة ، إلى أن بعثه اللهُ رسولاً كَريماً ، ثمَّ نعرفُ بشكلٍ أدق وأوضح وأكمَل كلَّ أحوالِه بعد ذلك سنةً فسنة ، ممَّا يجعلُ سيرَتَه – ﷺ – واضحةً وضوحَ الشمس ، وذلك ما حدا ببعضِ النقَّادِ الغربيِّينَ إلى القولِ : « إنَّ « محمَّداً » – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – هو الوحيد الذي وُلِدَ عَلى ضَوْءِ الشَّمسِ » ، وهذا ما لم يتيسَّر مثله ولا قريب منه لِرسولٍ مِنْ رُسُلِ اللهِ السَّابِقِينَ » .

وفي الختام ، فإنَّ سيرةَ « الرَّسولِ » – ﷺ – تحكي سيرةَ إنسانٍ أكرمَهُ اللهُ بالرسالةِ ، وأكرمَهُ اللهُ بالخُلُقِ الرَّفيعِ والسُّلوكِ السَّويِّ ، والتَّفكيرِ السَّديدِ ، فكانَ الإنسانَ الكامل ، ولم تلحق حياته بالأساطيرِ ، بل كانَ بشراً نبيّاً . ولَقَدْ أعْلى « اللهُ » – سُبحانَه وتعالى – من شأنِهِ ، ومدحَهُ بقولِه : ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وَحَضَّ – سبحانَهُ وتعالى – المؤْمِنِينَ على التَّأسِّي « بِرسولِ اللهِ » – ﷺ – فقالَ عزَّ من قائلٍ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرِ ﴾ .

وإنَّا لنرجو من الله – سبحانه وتعالى – أنْ ينفعَ المؤمنينَ بهذِهِ السِّيرَةِ الشريفة ، بالإقبالِ عليها والانتفاع بها ، وبالاقتباسِ من فضائلِهِ – ﷺ – ومزاياه ، وأنَ يهديَنا إلى سواء السَّبيلِ ، واللهُ وَليُّ التَّوفيق .

عصر المؤلف

عرض تاريخي لعصر المؤلف

يَجْدُرُ بِنا قَبْلَ الدُّخُولِ في تَرْجَمَةِ « ابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيباني » أَنْ نَأْتي بِلَمْحَةٍ تُنيرُ جوانبَ العصْرِ الذي عَاشَ أَيَّامَه المضطربة وَأَنْ نُشيرَ إلى الحَوادِثِ الّتي عاصَرَهَا وَأَنْ نُبْرِزَ مظاهرَ الحياةِ العامَّةِ والسياسيَّةِ التي سادَت «اليَمَنَ» حتّى نُدْرِكَ طَبيعَةَ ذلكَ العصرِ، على وجهِها الجليِّ وواقعِهَا الحقيقِيِّ.

عاصَرَ « ابْنُ الدَّيبعِ » حكمَ « بَني طاهِرٍ » في « اليمَنِ » في وَقْتٍ ارتقَتْ فيهِ هَٰذِهِ الأسرَةُ العربيَّةُ القُرَشيَّةُ الأمويَّةُ إلى حُكمِ المدنِ السَّاحليَّةِ وَالمدُنِ القَريبةِ منَ السَّاحلِ اليَمَني فحكمتْ « عَدَنَ » و « زَبِيدَ » . وَتَلَقَّبَ ملُوكُ هذهِ الأسرَةِ بالسَّلاطينِ . حَكَمَ « بَنُو طَاهِرٍ » في « اليَمنِ » من سنة (٨٥٨ — ٩٢٣ هـ = ١٤٥٤ — ١٥١٧ م) وَاستمرَّ حكمُهم قرابةَ ثلاثةٍ وستِّينَ عاماً ، أنشأ حكمَ هذهِ السُّلالةِ « طاهرُ بنُ مَعُوضَةَ » عندما اكتَسبَ حمايةَ « الملكِ النَّاصرِ أحمد الرَّسُولي » وَتأييدَهُ وشارَكَ « طاهراً » في توطيدِ حكمِهِ في « اليمنِ » وتثبيتِ الملكِ في بيتِهِ وَلَداهُ :

« الملكُ الظافرُ صلاحُ الدينِ عامر الأوَّل بن طاهر بن معوضة » .

وَ « الملكُ المجاهدُ شمسُ الدِّين علي بن طاهر بن معوضة » .

وعندما حلَّتْ سنة (٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م) أدرَكَ « الملكُ المسعودُ الرَّسولي » الذي حَكَمَ ما بينَ سنة (٨٤٧ — ٨٥٨ هـ) = (١٤٤٣ — ١٤٥٤ م) أنَّهُ لنْ يقوَى على مواصلةِ الحكم ومُجابَهَةِ الضرباتِ التي وجَّهها له « بنُو طاهرٍ » فانسحبَ منَ اليمنِ وَلجأَ إلى « مكَّةَ » وَاختارَ لنفسِهِ العُزْلَةَ، وخلا الحكمُ للأخوَينِ، بَعْدَ انحسار حكم «بَني رَسُولٍ» وغُروب شمسهم عن « اليمنِ » وتولي الدنيا عن دولتِهمْ ، وحلول السعد في منافسيهِمْ « أَبْنَاء طَاهِرٍ » .

فحكمَ « عَامرٌ » مستقلاً في « زَبِيد » وَافْتَتَحَ مَا جَاوَرَهَا ، فكانَ لَهُ مِنْ « حَيْسٍ » إلى « عَدَنَ » وَمَا يلحقُ ذَلكَ « كتَعزَّ » و « إبَّ » ثمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ « ذِمَاراً » وَحاوَلَ الاستيلاء عَلى « صَنْعَاءَ » فهاجمَها خمْسَ مرَّاتٍ فامتنعتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ عَلى بابِها حوالي سنةَ (٨٦٩ هـ = ١٤٦٤ م) .

وَأَخَذَ « عليٌّ » أرْضَ « تِهامَةَ » (١) مِنْ « حَرَضٍ » إلى « حَيْسٍ » مُدُنَها وَبَنادِرَها وبرَّها وبحرَها مع ما يتَّصِلُ بذلك من جزائر « فَرَسَانَ » و « كَمَرَانَ » . ولمَّا قُتِلَ أَخُوهُ « عامِرٌ » ضَمَّ « الملكُ المُجاهِدُ عَلِيٌّ » البِلادَ التي كانَ حَكَمَها أَخُوهُ مِنْ « حَيْسٍ » إلى « عَدَنَ » وَمَا يلحقُ بها من مُدُنِ الجبالِ كـ « تَعزَّ » و « إبَّ » و « جِبْلَةَ » وَ « ذِمارٍ » .

وَعكفَ « الملِكُ المُجاهِدُ عَلِيٌّ » على إصْلاحِ بِلادِهِ ، وَبَنى فيهَا المَساجِدَ وَالرُّبُطَ ، وفرَضَ الرُّسومَ . وكانَ « الملكُ المجَاهِدُ » أَحَبَّ إلى أهْلِ زَمَانِه مِنْ أخيهِ « الملكِ الظَّافِرِ » وَأكبرَ سنّاً ، وكَانَ فَاضِلاً قَوِيَّ الشَّكِيمَةِ على المُفسدِينَ ، كريماً ، وَلَهُ آثارٌ في « تَعزَّ » وَ « عَدَنَ » و « زَبِيدٍ » . وَهُوَ الَّذي غرَسَ النَّخْلَ ، وَقَصَبَ السُّكَّرِ ، والأرزَّ في « وَادي زبيدٍ » . . وعهد « الملكُ المُجَاهِدُ » بالملكِ مِنْ بَعدِهِ لابْنِ أخيهِ عبدِ الوهَّابِ بنِ دَاودَ ابنِ طاهرِ بن مَعوضَةَ » ، وعندَ وفَاةِ المجاهِدِ سنة (٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م) خَلَفَهُ بالسَّلطنَةِ وتَلَقَّبَ بِـ « الملكِ المنصورِ تاج الدِّين عَبدِ الوهَّابِ » . وكانَ حَلِيماً ذَا رَأيٍ وَبَأسٍ ، ولهُ آثارٌ في « اليمَنِ » وكانتْ إقامَتُهُ في « زَبِيدٍ » وتوفيَ فيها سنةَ (٨٩٤ هـ = ١٤٨٩ م) .

وآلَتِ السَّلطَنَةُ بعدَ وفاةِ « الملكِ المنْصُورِ تاجِ الدِّينِ عَبْدِ الوَهَّابِ » إلى وَلَدِهِ ، « الملكِ الظَّافِرِ صلاحِ الدينِ عامرِ الثَّاني بنِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ دَاوُدَ بنِ طاهرِ بنِ مَعُوضَةَ » وكانَ شديدَ الشَّكِيمَةِ ، بطَّاشاً ، أَقَامَ فِي«زَبِيدٍ » واستولى عَلى « صَنْعاءَ » ففتكَ بِبَعْضِ أعْيانِهَا ، وَامتَدَّ سُلْطَانُهُ في جَميعِ « اليَمنِ » ، وكانَ مِنْ مآثرِهِ عمارَةُ الجامعِ الأعْظَمِ في مدينةِ « زبيدٍ » وعِمَارَةُ مدرَستَينِ ، وَإجْرَاءُ العَينِ في «تَعزَّ»،وبناءُ مدرسَةٍ عَظِيمَةٍ في « عَدَنَ » وكثيرٍ مِنَ المَسَاجِدِ وَالمدَارِسِ وَالصَّهَاريجِ والآبَارِ في أمَاكِنَ مُختَلِفَةٍ .

---

(١) بكسر التَّاء .

وَبالرغمِ منْ بَطش «الملكِ الظّافرِ صلاحِ الدينِ عامر الثاني» وَشدّتِهِ على النّاسِ فَقَدْ تدَهْوَرَتِ الأحْوَالُ العامّةُ في «الْيمَنِ» ، فتهَاوَنَ النّاسُ في أمُورِ الدّينِ، وَانحلّتْ عُرَى الأخْلاَقِ القَويمَةِ ، وَسادَتِ المفاسدُ ، واستُحِلّتْ حُرُمَاتُ اللهِ ، وَتَرَدّتِ الأحْوَالُ الاجْتمَاعيّةُ وَساءَتِ الحالُ الصحيّةُ، وَهَا هُوَذَا «ابنُ الدّيْبَعِ» يَنْعى مَا حَلّ بقوْمِهِ منْ مفاسِدَ في تاريخِهِ «الفصل المزيد» فيَقُولُ في وَقَائعِ شَهرِ صفر من سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) :

[« ظَهَرَ في هذا الوقتِ في « زبيدِ » مِنَ الفُسوقِ والفُجورِ، وشُربِ الخمُورِ، وشَهَادَةِ الزُّورِ مَا لمْ يكُنْ يَعْهَدُهُ مِثْلُهُ، حتى لَقَدْ وجد جماعة في نهار رَمضانَ يشرَبونَ الخَمْرَ . وبنى بعضهُمْ بزوجَةِ أبيهِ، وَتَظَاهَرُوا بصحْبَةِ الأحدَاثِ، وَحُمِلَ بَعْضُ الصِّبْيَانِ إلى الأمَاكِنِ المُظْلِمَةِ للفُحْشِ ، وَفَشَا في النّاسِ الحبُوبُ المعروفَةُ بالنّارِ الفارِسِيّ بسبَبِ ذلكَ ، واللهُ الوَاقِي »] (١) .

وحَدَثَ في عهدِ حكمِ «عامرِ الثّاني» أن طَلَب « سلطان كجرات » –الهند– « السلطان خليل شاه – مظفر شاه – ابن السلطان محمود شاه الكجراتي» (٩١٤ هـ = ١٥٠٨ م) مساعدَةَ « مصر » في عهدِ السلطانِ المملوكِي الجركسي « قانصوه الغوري » العونَ منه لمكاتفَتِهِ علَى « البرتُغاليّينَ » الذينَ وصلَتْ أساطيلُهُم البحريّةُ إلى سواحِلِ الهندِ . فاستجابَ « السلطانُ قانْصُوه الغوري » لمطلبِ سلطان الكجرات وَأرْسَلَ « الغُورِي » أحدَ أمرائِهِ المقدمين ، « الأمير حُسَيْنَ الكردي » وجهزَ معهُ عسكراً من « التُّرْكِ المغاربَةِ » المعروفين بـ «اللّوَنْد» في نحو خمسين غراباً (٢) ، لدفعِ ضَرَرِ « الفرتقال » – «البرتغال» – في «بحر الهند» وكان مبادي ظُهُورِهِمْ .

والمشهورُ عَنِ « الأميرِ حسين الكردي » أنّهُ كَانَ ظَلُوماً غَشُوماً ، سَفّاكاً للدّمَاء وكَانَ كرديّاً دَخيلاً في طائفَةِ « الجرَاكِسَةِ » فَأرادَ « السُّلطَانُ الغُورِيُّ » إبعادَهُ عَنْ

---

(١) « غَايَة الأماني في أخبار القطر اليماني : ٢/٦٣٢ » .

(٢) « غراب » ج « غربان » : هو « الشيني » ، من المراكب البحرية يجدفُ بمائةٍ وأربعين مجدافاً ، وَفيه المقاتِلونَ والجدّافونَ » – « النجوم الزاهرة : ١١/٣٥ – الحاشية رقم (٤) – » .

« أُمَرَاءِ الجراكِسَةِ » ، حِمَايَةً لهُ منْهُمْ . وكانَ « الغُورِي » معتنياً بهِ ،وَجَهَّزَ معهُ عمارةً لمُقَاتَلَةِ « الفِرَنْج » الذينَ ظَهَرُوا في « بنادر أرْضِ الهِنْدِ » واستطرقوا (تسلَّلُوا) إليْهَا من « بَحْرِ الظُّلُمَاتِ » — « المُحيط الأطلسي » — مِنْ ورَاءِ«جبَالِ القُمْرِ » التي هِيَ منْبَعُ مَاءِ « النِّيلِ » وَعَاثُوا في أرْضِ « الهِنْدِ » وَوَصَلَ أذاهُمْ وإفسادُهُمْ إلى « جزيرةِ العَرَبِ » و « بنَادِرِ اليمن » . وقَصَدَ « السُّلطانُ الغوريُّ » دَفْعَ أذاهُمْ عنِ المَسلمينَ بإرْسالِ « الأميرِ حسين الكردي » إلى « جُدَّةَ » . فَتَقَوَّى بالمالِ وتَأثَّلَ ، وَجَمَعَ خزَائِنَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ، فتَوَجَّهَ إلى « الهِنْدِ » فِي حدودِ سنة (٩٢١ هـ = ١٥١٥ م) وَدخلَها واجْتَمَعَ « بسلطان الكُجرات » يومئِذٍ ، فأكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وأنْعَمَ عليهِ بنعمةٍ طائِلَةٍ جَزِيلَةٍ . فلمَّا سمِعَ « الفِرَنْجُ » بِهِ ارْتَفَعُوا عَنْ « بنَادِرِ كجرات » إلى « بنادر الدَّكَنِ » وَتَحَصَّنُوا بِقَلْعَةٍ مُتْقنَةٍ مُحكمَةٍ لهُمْ هُناكَ يُقال لها:«كُوَّه » — « غُوَّا » — . وَعَقِبَ إنْجَازُ « الأمير حسين الكردي » مهمَّتَهُ في « الهند » قَفَلَ راجعاً إلى مصر ، وفي طريقِهِ إلى جُدَّة توجَّهَ « الأميرُ حسين » بأسطولِهِ نحوَ شواطىء « اليمنِ » . فكَاتَبَ « السلطانَ عامر الثاني ابن عبدالوهاب ابنِ داودَ » أنْ يُعينَهُمْ بشيءٍ مِنَ الميرَةِ لخُروجِهِم من « الديار المصرية » لمقاتلة « الفرنج » — « البرتغاليِّينَ » — الَّذِينَ كانُوا يَتَخَطَّفُونَ مراكِبَ المسلمين ، فامتنَعَ « عَامِرٌ » فدخَلَ « الأميرُ حسين » بلادَهُ ، وَمعهُمُ البنَادِقُ ، وَلَمْ يكُنْ لأهْلِ « اليَمَنِ » عَهْدٌ بِهَا إذْ ذَاكَ ، فبعَثَ إليْهِمْ « عامِرٌ » جَيْشاً كَبيراً مِنْ أصْحَابِهِ ، وكانَ « الجرَاكِسةُ » في قِلَّةٍ ، فوَقَعَ التَّلاقِي ، فرمَى « الجَرَاكسَةُ » بالبنادِقِ ، فلَمَّا سَمِعَ « جَيْشُ عامِرٍ » أصْوَاتَها ، ورَأوا القَتْلَى منْهُمْ ، فَرُّوا . فتبِعَهمْ « الجَرَاكسةُ » يقتُلونَ كَيْفَ شاءُوا، وفَرَّ « عَامِرٌ » أيْضاً ، وتَبِعَهُ « الجَرَاكِسَةُ » مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ ، واسْتَوْلَى « حسين الكُرْدِيُّ » عَلَى « زَبِيدٍ » وَنَصَّبَ أخاهُ « برسباي » وقيلَ — بلْ هُوَ جركسِيٌّ مِنْ ممَالِيكِهِ — نَائِباً لَهُ في « زَبِيدٍ » سنةَ — (٩٢٢ هـ) = (١٥١٦ م) .

وَاسْتمرَّتْ قوَّاتُ « الأميرِ حسين » الجركسية في مطاردةِ « عَامِرِ الثَّاني » وَأخيهِ « عبد

---

(٤) « العمارة » : مجموعة السفن ، « الأسطول » .

(٥) « البنادر » ج « بندر » : « مرسى السُّفن في الميناء » .

الملك » حتَّى سقطا صريعين في جبل « نَقَم » قرب«صَنْعَاءَ » في الثالث والعشرين من رَبيعِ السنة من عام (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) ، وَقَدْ عَرَضَ « ابنُ الدَّيْبَعِ الشَّيْباني » خبرهُما في كِتابَيْه : « بغْيَة المستفيد بأخْبارِ مدينة « زبيد » وَ « قُرَّةُ العُيُونِ بِأخْبارِ اليَمَنِ المَيْمُونِ ». وقَدْ تَأَثَّرَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » لمصْرَعِهِمَا فَرَثَاهُمَا بِقَوْلِهِ :

« أَخِلاَّيَ ضَاعَ الدِّينُ مِنْ بعْدِ «عَامِرٍ» وبَعْد أَخِيهِ أَعْدَلِ النَّاسِ بالنَّاسِ
فَمُذْ فُقِدَا وَاللهِ إنَّنَــــا مِنَ الأَمْنِ وَالإِينَاسِ في غَايَةِ اليَاسِ

وَدَخلَ « الجراكِسَةُ » « صنعاءَ » سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) فَفَعَلوا أفاعيلَ مُنْكَرَةً » .

ثمَّ قصَدَ « الجراكِسَةُ » في « اليَمَنِ » « المتوكلَ عَلَى اللهِ شرف الدين يحيى بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى » فوقَعَ الصلحُ على بقاء « الجرَاكِسَةِ » في « صَنْعَاءَ » والإمَام في حصن « ثُلا » . وَاشْتَرَطَ « الجراكِسةُ » ملاقاةَ« الإمَامِ » فاستشارَ « الإمامُ » أصحَابَهُ فأشيرَ عليه بعدَمِ ذلكَ ، لمَا جُبِلَ عليهِ « الجَرَاكِسَةُ » منَ المَكرِ والغَدْرِ ففعَلَ . فلَمَّا علِمَ « الجراكِسَةُ » ذلكَ عادُوا إلى القِتالِ فلمْ يَظْفَرُوا بطائِلٍ .

وَفي وَهْلَةِ هذهِ الحوادث بلغَ « الجراكسةَ » في «اليَمنِ» مقتلُ سلطانهمْ « قانْصُوَة الغوري » لدى اشتباكِهِ مع « السلطانِ سليم بن بايزيد العثماني » ـــ صاحب الروم ـــ في « معركة مرج دَابِقٍ » ـــ شمالي « حَلَب » ـــ ٢٥ رجب سنة (٩٢٣ هـ الموافق ٢٤ /آب ١٥١٦ م) ودخُول السلطانِ « حَلَبَ » و « دِمَشْقَ » و « مِصْرَ » وحينئذٍ أعلنَ « جَرَاكِسَةُ اليمنِ » دخولَهم في طاعَةِ « السلطانِ سليم » وجعَلُوا الخُطبَةَ في « اليَمنِ » باسمِهِ .

وعندَ مآلِ الحوادِثِ إلى هَذِه الحالِ كَفَّ « الجَرَاكِسةُ » عنْ مقاتلَةِ « الإمام المتوكلِ على اللهِ شرفِ الدين يحيى » ورجَعوا عمَّا كانوا فيهِ منَ القِتالِ بعد عبثِهِمْ « باليَمَنِ »وقتلِهم النُّفوسَ البريئةَ ، وهتَكِهِم الحُرُمَ ، ونهبِهِم الأموالَ .

وانفرَدَ الإمامُ بالحُكمِ فدانتْ لهُ « صنْعاءُ » وبلادُها ، و « صَعْدَةُ » وَما بينهما من المُدُنِ ، وَخَضَعَتْ لهُ بالطَّاعَةِ . ثمَّ عمِلَ الإمامُ على تَوْسِيعِ حدودِهِ بعد مقْتَلِ « عامرٍ الثاني » فافتتحَ منْ « بلادِ بني طاهر » « التَّعْكُرَ » و « قاهرَةَ تعز » و « حَرَاز » .

وحينئذٍ استقرَّ كثيرٌ منَ « الجراكسةِ » في «اليمنِ» ممَّنْ عملوا تحتَ إمرةِ « الأميرِ حسين الكردي » في الأسطول ، وأقاموا إمارةً صغيرةً في « زَبيدٍ » ، واستولى « برسباي » على تعزَّ » في ٦ صفر سنة ٩٢٣ هـ/ (١٥١٧ م) . واستمرَّ « برسباي » في حكم هذه الإمارة إلى أن وافاهُ أجلُه في « زبيد » في « جمادى الآخرة من سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) . وخلفَهُ أميرٌ جركسي آخرُ اسمه « إسكندر » .

وكانَ مِن شأنِ « السلطانِ سليمٍ » أنْ صدَّقَ أوَّلاً عَلى إمارة « الأميرِ حسين الكُردي » في « اليمَنِ » ثمَّ رجع عن تعيينِه ، فأمرَ « أميرَ مكةَ الشريف بركات » بإعدامِه للشَّكاوَى الخطيرةِ الَّتي قُدِّمَتْ إليْهِ مِنْ ظُلمِه ، فأُخِذَ مُقيَّداً إلى « جُدَّةَ » فَرُبِطَ حَجَرٌ كَبيرٌ في رِجْلِه ، وَغُرِّقَ في « بَحْرِ جُدَّةَ » ، مُقيَّداً بالأَصْفادِ في مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : « أم السَّمَكِ » فَأَكَلَتْهُ الأسماكُ ، بعدَ أنْ قَتَلَ مَا شَاءَ اللهُ منَ العباد . وكان إعدامُهُ في سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) .

أمّا السلطانُ « سليم الأوَّل » فقدِ استمرَّ في الحكم إلى وفاتِه في شوَّال سنة (٩٢٦ هـ = الموافق لـ ٢٢ ايلول ١٥٢٠) في طريقه إلى « أدْرَنَةَ » وخلفه ابنُهُ « سليمانُ الأوَّل » في ١٦ من شوال سنة (٩٢٦ هـ = الموافق لـ ٣٠ إيلول ١٥٢٠ م) وكان من شأنِ « السلطان سليمان » أن عزلَ « إسكندر » عن إمارة « اليمن » في سنة (٩٢٧ = ١٥٢٠) . وفي عهده وُلِّيَ «اليمن» رؤساءُ منَ « الأتراك » عرفُوا باسم « رُوملي لَوَنْد » . وكان أوَّل هؤلاءِ الولاةِ « كَمال بك » سنة (٩٢٧ هـ ١٥٢١ م) فاستمرَّ في حُكمِ « اليمَنِ » حتى مصرعهِ عَلى أيدي جنودهِ سنة (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م) فخلفه « إسكندر » في سنة (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م) ثمَّ تلاهُ « حسين بك » سنة (٩٣١ هـ= ١٥٢٤ م) ، ثمَّ عقبهُ « الروملي مصطفى » في سنة (٩٣٥ هـ = ١٥٢٩ م)، ثم خلفه « سيد علي بك» لبضعةِ أشهرٍ في سنة (٩٣٥ هـ = ١٥٢٩ م) . وكانَ آخر الأمراء«اللَّوَند »[1] حكماً في « اليمن » « إسكندر » فامتدَّ حكمُه على مدى السنين (٩٣٧ ــ ٩٤٣ هـ = ١٥٣٠ ــ ١٥٣٦ م) ، ثمَّ ارتأى « السلطانُ سليمانُ الأوَّلُ » أنَّ من الحكمَةِ أنْ يعهدَ في حكم « اليمن » إلى وُلاةٍ من «العثمانيين» فاختار بادىءَ بدءٍ « بهرام بك » ، وأصدر أمراً بتعيينِه سنة (٩٤٣ هـ = ١٥٣٦ م) ، والحقيقةُ فإنَّ حَظَّ الولاةِ العثمانيِّينَ في حُكمِ « اليمنِ » لم يكن أفضلَ من سابقيهِمْ من أمراء « اللَّوَنْد »

(١) مِنَ الجُنْدِ « التُّرْكِ » ، وَهُمْ بَحَّارَةُ الأُسْطُولِ المُجَنَّدُونَ مِنَ « الأَنَاضُولِ » .

فَقَدْ عجزَ الولاةُ الذينَ اختارَهمْ « السلطانُ سليمانُ الأوَّلُ » عن حسمِ الخلافَاتِ بين « الأتْرَاكِ » أنفُسِهِمْ من « الإنكشاريةِ » الذينَ وَفَدُوا على « اليمنِ » من « مصرَ » ممَّنْ كَانُوا في جَيْش السلطان « سليمِ الأوَّلِ » ودخلَ بهم « مصرَ » ولم يتمكَّنوا أيضاً من حسمِ الفتَنِ التي كانت تندلعُ في « اليمَنِ » من جانبٍ آخرَ .

ويَجدُرُ أن نذكُرَ هُنَا مَا كانَ يلقاهُ الوُلاَةُ الأتراكُ منْ شقِّ الأنفُسِ في حُكمِ «اليمنِ» فالكثيرُ منْ مَشَاهيرِ الوُلاَةِ « الأتْرَاكِ » مِمَّنْ عُرِفوا بالبأسِ وَحسنِ التَّدْبيرِ فَقَدُوا مراكزَهم وَنُحُّوا عن أعمالهم لْلإخفاقِ الذّريعِ الذي كانوا يمنونَ به في حكمِ «اليمن» ، وقليلٌ منهُمْ مَنْ تمكَّنَ من المحافظةِ على مركزه واعتبارِه .

ولقد أتاحَت الخلافاتُ بين الأتراكِ أنفسِهِمْ الفرْصَةَ الملائمةَ « للأئمَّةِ الزَّيديِّينَ » لالتقاطِ الأنفاسِ ، ثمَّ الاستعداد لتدعيمِ مراكزِهم ، وتقويةِ معاقلهِم وقلاعِهِم وحصونِهِمْ التي كانت مبثوثَةً في كُلِّ مكانٍ في الجبَالِ اليمنيَّةِ ومرتفعاتِها . الأمرُ الذي سبَّبَ « للعثمانيِّينَ » أتعاباً كبيرَةً حالَتْ دُونَ تثبيتِ قبضتِهم على«اليَمَنِ» وانتفاضتها عليهم أكثر من مرَّة .

وحدث في عهد « السلطان سليمان الأول » مثل ما حدث في عهد « قانصوه الغوري » فقد استنجد « بهادرشاه » — سلطان « الكجرات » : « الهند » — الذي تسلطنَ في ٢٤ شوال سنة (٩٢٢ هـ = ١٥٢٦ م) — « بالسلطان سليمان الأول » طالباً عونَهُ لدَفعِ « البُرْتُغَاليِّينَ » عن بِلادِهِ ، فكَلَّفَ « السلطانُ سلَيْمَانُ » ممْلُوكَهُ الأرنؤُوطيَّ — « خَادِمَ سُلَيْمَانَ » — والي «مِصْرَ» وجعلَه « سَرْدَارَ عَسْكَرِهِ » الْمُجَهَّزِ إلى « الهِنْدِ » لدَفْعِ ضَرَرِ«البُرْتُغاليِّينَ» عنِ المُسْلِمِينَ ، واستيلائِهِم عَلى « بَنَادِرِ الهِنْدِ » ثمَّ كثْرَة أذاهُم « لِبنادِرِ اليمَنِ »ووصولهم إلى « بندر جُدَّةَ » وإلى « بَنَادِرِ السُّوَيْسِ » ، وعَاثُوا في البحرِ فساداً ، وأخذوا سَفَاينَ الحُجَّاجِ والتجَّارِ غَصباً ، ونَهَبوا أمْوَالَ المسلمينَ وأنفسهم أسراً وقَتلاً ونهباً . وفتكهمْ بسلطانِ « كُجُرَاتٍ » السعيد الشهيد « بهادرشاه » ، المقتول غدراً في الثالثِ منْ رمضانَ سنة (٩٤٤ هـ = ١٥٣٧ م) على ظهر سفينةٍ « بُرْتُغاليَّةٍ » أمام « ديو » .

وتجاوَبَ « السلطانُ سليمانُ الأوَّلُ » مع مطالبِ « بهادرشاه » فوَجَّهَ أمرَهُ إلى « خادِمِ سُليمانَ » بالعوْدَةِ إلى « مِصرَ » . وأنْ يعمرَ ما يحتاجُ إليهِ مِنْ سفاينَ يركبُهَا معَ عَسكرٍ جرَّارٍ

إلى « أرْضِ الهِندِ » ، ويقطع دابرَ الكُفَّارِ ، وينظف تلكَ الأقطارِ منَ الكفرَةِ الفُجَّارِ ، فَعمِلَ نحوَ سبعينَ غراباً ، وسفاينَ مسمارِيةً كبيرةً لحمْلِ الأثْقَالِ ورتَّبَ العساكرَ ، ثمَّ أقلعَ « خادمُ سليمان » علَى رأسِ أسطولٍ كبيرٍ إلى « الهِنْدِ » .

وعند مرورِ الأسطول العثماني السليماني بالسواحلِ اليمَنيَّةِ انحازَ قائدُ الأسطولِ « خادم سليمان » الذِي اشتهرَ أمرُهُ بالظلمِ والغَدْرِ ، وعَدَمِ الوفاءِ ، نحو « عَدَنَ » وأنزلَ قواتـهِ أمام « عَدَنَ » وقبضَ بحِيلَةٍ علىصاحبِ « عدَن » الأمير « عامر بن داود بن طاهر بن مَعُوضَةَ » وصَلَبَهُ على صارِي السفينةِ سنة (٩٤٤ هـ = ١٥٣٧ م) ومع أنَّ « عامرَ بنَ داود » فتح لقائد الأسطول « خادم سليمان » باب « عدن » ، وزيَّنَ الأسواقَ بوصول العسكر المنصور السليماني ، فتكَ بهِ وصلبَهُ . ويُعَدُّ هذَا الفتحُ أوَّلَ فتحٍ عثمانيٍّ لليَمَنِ .

وأقَامَ « خادمُ سليمان » سنجقاً في « عَدَنَ » وتركَ فيها حاميةً تحتَ رئاسةِ « بهرامبك » .

ثُمَّ تابعَ « خادمُ سليمان » طريقَهُ إلى « الهِنْدِ » ثُمَّ قَفَلَ عائداً منها إلى « اليَمَنِ » من غيرِ أنْ ينالَ « كُفَّارَ الهِنْدِ » منهُ ضَرَرٌ .

وكانَ « الأميرُ أحمد » — صاحِبُ « زَبِيدِ » — إذْ ذَاكَ مِنْ جُملَةِ « اللَّوَنْدِ » الذِينَ استولوا على تلك الديار ، فأعْطاهُ الأمَانَ ، وطلبَهُ إليْهِ ، وقتلَهُ ، وولَّى موضِعَهُ أميراً ممَّن كانوا معــهُ .

ولَقَدْ سالمَ بعضُ الأئمَّةِ « الوُلاةَ الأتْرَاكَ » أحياناً ، إلاَّ أنَّ بعضَهم الآخر قد أبَى كُلَّ الإباءِ أن يخضعَ لهمْ ، بل على العكس فإنَّ بعضَ الأئمَّةِ جَاهدوا الولاة العثمانيِّينَ ما وَسِعَهمُ الجِهادُ ، وأقَضُّوا مضاجِعَهمْ حِفاظاً على استقلالهم وحريتهم ، وكانَ أكثرَ الأئمَّةِ مقاومةَ « المطهَّرُ بن المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين » الذي عارَضَ أبَاهُ « المتوكل على الله » الذي أتينا على ذكرهِ ، وقبل بسياسة الملاينة مع « العثمانيين » . فقاومَ « المطهَّرُ » الحاكمَ العثمانيَّ وأعْلنَ استقلالَه سنة (٩٦٤ هـ / ١٥٥٦ م) وكذلك كان أولادُهُ منْ بعدِه .

ومِنْ كُلِّ ما تقَدَّمَ تبيَّنَ لنا أنَّهُ :

١ — احتدَمَ الصراعُ على السلطةِ بين الأسر اليمنيَّةِ المتنازِعةِ على حُكمِ « اليَمَنِ » .

٢ — نشبت الفتَنُ والاضطراباتُ القَبَليَّةُ والعصَبيَّةُ والمَذْهَبِيَّةُ .

٣ ـ تسلّلَ «البرتغاليّونَ» إلى السّواحلِ اليمنيّةِ » وحاولُوا بسطَ نفُوذِهِم على الموانىء التي تساعدُهم على حمايةِ الطّريقِ إلى « الهندِ » وإقامةِ محطّاتٍ وموانىء تكفل للأسطولِ البرتغالي تأمينَ حاجياته عند نشاط التوسّعِ الاستعماري البرتغالي .

٤ ـ نزلت قواتُ الأسطولِ المملوكي المصري بقيادةِ « الأميرِ حسين الكردي » الذي وجّههُ « السلطان قانصوه الغوري » تلبيةً لمعونةِ « سلطان الكجرات » « مظفّر شاه » في طريقِها في « اليمن » ودخول « الجراكسة » إلى « اليمنِ » .

٥ ـ ظهرتْ طبقةٌ من « أمراءِ الجراكسةِ » على مسرح الأحداث في « اليمن » وسيطرَتْ على بعضِ المدُنِ ، وبدأ الحكم الجركسي في « اليمن » .

٦ ـ قهرَ « الجَراكسةُ » « اليمنيينَ » لتفوّقِ « الجراكسةِ » عليهمْ باستعمالِ البنادقِ والأسلحةِ الناريّةِ التي لم يعهدْهَا اليمنيّون في حرُوبِهِمْ السابقة .

٧ ـ اعترَفَ « أمرَاءُ الجراكِسةِ » « باليمَنِ » بالتّبَعيّةِ للسلطانِ العثمانيِّ بعدَ زوالِ وسقوطِ الحكمِ المملوكي في « الشّامِ » و « مصرَ » .

٨ ـ فتحَ العثمانيّونَ « اليَمنَ » على يدِ « خادم سليمان » الفتْحَ الأوّلَ لليمن ، وهو في طريقِهِ إلى « الهِندِ » عند استنجادِ « سلطانِ كُجرات » « بهادر شاه » بالسلطان سليمان الأول » وقيام « السلطان العثماني » بإنجادِهِ .

٩ ـ قام الأمراءُ اليمنيُّون المحليُّونَ بالدّفاعِ عنْ بلادِهِمْ حِفاظاً على حرّياتهم واستقلالهم ، واشتدّتْ مقاومَةُ « الأئمّةِ الزّيديّينَ » للأمراءِ الجراكسَةِ أوّلاً ثمّ للعثمانيّينَ ثانياً .

١٠ـ توالى الأمراء الأتراكُ على « اليمَنِ » واختلَفَ أمرَاؤُهُمْ فيما بينهم .

فهذه سماتُ العصرِ الذي عاصرَهُ « ابنُ الدّيْبَع » صِراعٌ وفِتَنٌ واضطرَاباتٌ داخِليّةٌ ، وغَزْوٌ خارجِيٌّ ، وتَطوُّرٌ في السّلاحِ واستعمالاتِهِ ،فهذِهِ العوامِلُ مجتمعَةً ، فتّتَتْ « اليمنَ » داخِلياً « وجعلَتْهُ هدَفاً أمامَ أطماعِ المغيرينَ ونَهباً أمامَ المتسللينَ « البرتغاليّينَ » .

ولقدْ أعطَت التّضاريسُ الجبليّةُ العاليةُ منَعةً لليمنِ ، ومنحتْهُ القدرَةَ على المقاوَمةِ ، وحبتْه قلاعاً حصينةً لا ترَامُ ، وحصوناً منيعةً لا تُدرَك ، ومعاقِلَ لا يستطيعُ أنْ ينالَها مُغيرٌ ، لذلك حافظتْ الأراضِي اليمنيّةُ الدّاخليّةُ على استقْلالِها وصَانَتْ حريةَ أبنائِها ،

وقد تورّطَ « العثمانيّونَ » في التوغّلِ في داخلِ « اليمَنِ » ، واضطرّوا لافتتاحِ أراضيهِ المرّةَ تلْوَ المرّةِ ، إلاَّ أنَّ ذلكَ لمْ يُجدِهِمْ بحالٍ ، فكانت « اليمنُ » مقبرةَ « الأتَاضُولِ » .

شَاهدَ «ابنُ الدَّيْبَعِ» مَا كانَ يجري في «اليمنِ» منْ وقائعَ فكَانَ شاهدَ الإثباتِ أمامَ التاريخ ،

فحفظ لنا في الخطبةِ التي افتتحَ بها القسمَ الثاني من سيرتهِ الشّريفةِ غاراتِ « البرتُغاليِّينَ » على «اليمنِ» ومُهاجمتَهُمْ للسفنِ اليمنيّةِ والتجّارِ، ونهبهمْ مَا على السُّفُنِ مِنْ حُمُولةٍ ، وأسرَهُمُ التجّارَ ، واستعبادهم لأحرارِ المسلمين ، وقتلهم النُّفُوس البريئة ، ولواذهم بالفرار ، فساء هذا المصيرُ المؤلمُ « ابنَ الدَّيْبَعِ » فثارَ حميّةً لدينِ اللهِ ، ودعا للجهادِ عزّةً للإسلامِ والمسلمينَ ، وتلبيةً لصوْتِ المروءةِ والشّهامةِ والنّجدةِ ، واتّخذَ «ابنُ الدَّيبعِ» من هذهِ الحوادثِ موضوعاً للخطبةِ التي خاطبَ بهِ جماهيرَ الشّعْبِ اليمنيِّ المؤمنِ بدعوتهِ للدّفاعِ عن وطنِه .

ومن ذلك قال : « الجهادَ الجهادَ أيُّهَا المُؤْمنونَ ! الجنّةَ الجنّةَ أيُّهَا المؤمنون ! وقَاتلُوا دُونَ أنفسِكمْ وأموالِكمْ أعْداءَ اللهِ الفجّارِ ، وارفعُوا عنْ أنفُسكُمْ شُؤْمَ العارِ والنّارِ ، فقَدْ جاؤوكُمْ يُحادُّونَ اللهَ ورَسُولَهُ بكُفْرِهِمْ ، ويَسْتَأصلُونَ شأفَةَ الإسلامِ بمكْرِهِم ، فقَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ ، ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ أكْبَرُ ، فقَاتلُوا المُشْرِكينَ كَافّةً كَمَا يُقَاتلُونَكُمْ كَافّةً ، واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتّقِينَ » .

سَخّرَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » عِلْمَهُ وقَلَمَهُ لِخدْمَةِ المُجتمعِ اليَمَني رِضْوَاناً للهِ - تَعالى - ورَسُولِهِ ، وحِفاظاً عَلى كَرَامَةِ بَني قَوْمِهِ ، ووَفَاءً لِمَصْلَحَةِ بِلادِهِ . فَسَلَكَ طَرِيقَ العِلْمِ ، وَأَخَذَ فِي التّصْنيفِ والتّأليفِ ، فَألّفَ فِي الحَديثِ وَعُلُومِهِ ، وَالسِّيرَةِ النّبَوِيّةِ الشّرِيفَةِ ، وَالتّارِيخِ وَفُنُونِهِ .

وَتَدُلُّ « مُؤَلّفَاتُ « ابْنِ الدَّيْبَعِ » الحَدِيثِيّةُ عَلَى تَعَمُّقِهِ في عُلُومِ الحَدِيثِ وَتَبَصُّرِهِ فِيهِ . وَقَدْ أَوْفَى « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي « كِتَابِهِ « تَيْسِيرِ الوُصُولِ إِلَى جَامِعِ الأُصُولِ ، مِنْ حَدِيثِ « الرَّسُولِ » - ﷺ - عَلَى القِمّةِ فِي المَعْرِفَةِ ، وَحُسْنِ الاخْتِيَارِ وَالتّقْدِيرِ . ومِثْلُ ذلكَ يُقَالُ فِي كِتَابِهِ الآخَرِ « تَمْيِيزُ الطّيِّبِ مِنَ الخَبِيثِ فِيمَا يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النّاسِ مِنَ الحَدِيثِ» . فَقَدْ مَحّصَ كِتَابَ أُسْتَاذِهِ «الشّمسِ السّخَاوِيِّ » : « المَقَاصِدَ الحَسَنَةَ فِي بَيَانِ كَثِيرٍ مِنَ الأَحَادِيثِ الدَّائِرَةِ عَلَى الأَلْسنة»

فَأَثْبَتَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي كِتَابِهِ الشَّائِعَ مِنْ تِلْكَ الأَحَادِيثِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ لِتَقْرِيبِهِ لِلطَّالِبِينَ ، وَتَيْسِيرِهِ لِلرَّاغِبِينَ .

وَهَذَا الْعَمَلُ يَحْدُونَا إِلَى الْقَوْلِ أَنَّ « ابْنَ الدَّيْبَعِ » اخْتَارَ فِي كِتَابِهِ الأَوَّلِ رَوَائِعَ الأَحَادِيثِ الَّتِي يَحْتَوِي عليها كتاب « جامع الأصول » الحاوِي لأَحادِيثِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ ، فَمَحَضَ زُبْدَةَ هَذِهِ الْكُتُبِ ، وَأَتَى بِالنَّافِعِ الْمُفِيدِ ، وَالشَّائِعِ النَّاجِعِ . وَشَذَّبَ فِي كِتَابِهِ الثَّانِي مَا لَيْسَ مِنَ الْحَدِيثِ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا مَا كَتَبَهُ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » فَقَدِ اخْتَارَ مَضْمُونَ مَوْضُوعَاتِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ مَقْرُوءاتِهِ فِي كُتُبِ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » فَأَوْرَدَهَا فِي كِتَابِهِ « حَدائقِ الأَنْوَارِ » فَجَاءَتْ سيرَتُهُ هَذِهِ نَقِيَّةً مِنَ الشَّوَائِبِ ، وَاضِحَةَ الْبَيَانِ ، مُشْرِقَةَ الأُسْلُوبِ، يَسْتَسِيغُهَا الذِّهْنُ وَتَسْتَرْوِحُ إِلَيْهَا النَّفْسُ ، وَيَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ ، وَيُقْبِلُ عَلَيْهَا أَيَّمَا إِقْبَالٍ .

ترجمة المؤلف

وبعدُ فلندخُل في رِحَابِ ترجمَةِ هَذَا الرَّجُلِ الذِي يُعتَبَرُ مِنْ كِبارِ رِجالِ الحَدِيثِ في بِلادِهِ ، فَمَنْ هُوَ ابنُ الدَّيْبَعِ ؟

هُوَ الشيخُ الإمامُ ، العلامةُ ، الأوحَدُ ، المُحقِّقُ ، الفَهَّامَةُ ، مُحدِّثُ « اليَمَنِ » ومُؤرِّخُها ، ومحيي علُومِ الأثَرِ بها وجيهُ الدِّينِ أبو الفرجِ [1] عبد الرحمن بن علي بن محمَّد ابن عمر بن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني العبدري الزبيدي .

و « الدَّيْبَعُ » [2] لَقَبٌ لجَدِّه الأعلى علي بن يوسف ، ومعناه بلغة « النوبة » : الأبيض .

مولـده :

قال « ابنُ الديبع » في آخرِ كتابِهِ « بغية المستفيدِ بأخبارِ « زبيد » : كانَ مولدي بمدينةِ « زبيد » المحروسة في يومِ الخميسِ الرابع من محرَّم الحرام سنة (٨٦٦ هـ = ١٤٦١ م) في منزلِ وَالِدِي مِنهـا .

نشـأته :

قَالَ : « وَغَابَ والدي عن مدينة « زبيد » في آخرِ السنة التي وُلِدْتُ فيها ، وَلَمْ تَرَهُ عينِي قطُّ . ونشأتُ في حجْرِ جدِّي لأمِّي العلامة الصالح العارف باللهِ تعالى « شرف الدين أبي المَعروفِ إسماعيل بن محمد بن مبارز الشَّافعي » ، وانتفعتُ بدعائهِ لي ، وهُوَ الَّذِي رَبَّاني ، جزاهُ الله عني بالإحسان ، وقابله بالرحمةِ والرِّضوانِ .

نشأ « ابنُ الدَّيبع » في مدينةِ « زبيد » في كنفِ جَدِّهِ لأُمِّهِ ،فقدْ تركَهُ أبُوهُ في « زبيدِ » طفلاً صغيراً دونَ سِنِّ الفطامِ وسافرَ إلى « بلادِ الهِنْدِ » في طلبِ الرِّزْقِ . وفيهَا تُوُفِّيَ

(١) جاءت كنيته في « شذرات الذهب » : ٢٥٥/٨ » : « أبو محمد » وفي « تاريخ آداب اللغة العربية : ٣٢٨/٣ » : « أبو عبد الله » .

(٢) ضبطه « قطب الدين الحنفي » في كتابه : : « البرق اليماني في الفتح العثماني » : « الدَّيبع » بفتح الدال المهملة ، ومعناه بلغة السودان : «الأبيض» . وضبطه محمد حامد الفقي ــ بِكَسْرِ الدال ــ » . انظر « تيسير الوصول : ١/ط ، ترجمة المؤلف : ــ والحاشية (١) ــ » .

أبُوهُ سنةَ (٨٧٦ هـ = ١٤٧١ م) ، وليسَ « لابنِ الدَّيْبَعِ » منَ العُمُرِ سوى عشر سنين ، ولم يترك له والدُهُ منَ الميراثِ إلاَّ ثمانية دنانير ذهباً ، وتَوَلَّى جَدُّهُ لأُمِّهِ العناية الفائقةَ بالطِّفْلِ ، ورَبَّاهُ التربيةَ الصَّالِحَةَ ، وعَلَّمَهُ العلمَ النَّافعَ المفيد .

ولمَّا توفي جَدُّهُ سنة (٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م) تَوَلاَّهُ خالُهُ « جَمالُ الدين أبو النَّجا محمد الطيب بن إسماعيل بن محمد بن مبارز » فأحسن تربيتَهُ وتهذِيبَهُ ، وأتْقَنَ تعليمَه ، واعتنى بِه العِنَايةَ المُجدية .

علومه وشيوخه :

حفِظَ « ابنُ الدَّيْبَع » « القُرآنَ الكريمَ » في « زَبِيد » . وتلاهُ بالسَّبْعِ إفْراداً وجَمْعاً عَلى الشيخ الفقيه « نور الدين علي بن أبي بكر حطاب » ، وعَلى خالِه العلاَّمة الفقيه فرضيِّ « زَبِيد » جمال الدين أبي النجا محمد الطيب ، الآنف الذكرِ ، و« الشَّاطِبِيَّة » و « الزبد » — « للبارزي » — وبعض « البهجة » ، وهو في العاشرةِ من عُمُرِه .

واشتَغلَ « ابنُ الدَّيْبَع » في علم الحساب ، والجبرِ والمُقَابلةِ ، والهندسةِ والفرائض والفقهِ والعربيةِ ، على خالِه المشار إليه .

وقرأ في الفقهِ « كتابَ الإمامِ شرفِ الدين البارزي » على « الشيخ تقي الدين عمر بن محمَّد الفنا بن معيبد الأشعريِّ » في سنة (٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م) .

واشتغَلَ في الفقه والعربيَّةِ على الفَقيهِ « إبراهيم بن أبي القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن جعمان » .

ثمَّ صحِبَ العلاَّمَةَ المحدِّثَ زينَ الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي » وَأخَذَ عليهِ علمَ الحديثِ ، وقرأ عليهِ « صحيحَي البُخاري ومسلم » و « سنن أبي داوُدَ » و«الترمذيّ» و « النَّسائي » و « الموطَّأ » و « الشِّفَا » و « عمل اليوم والليلة » — « لابنِ السُّنّيِّ » — و «الشمائل » « للتِّرمذِيِّ » — وغير ذلكَ منَ المؤلَّفَاتِ والمُصَنَّفاتِ الكَثيرَةِ .

ثُمَّ ارتحلَ « ابنُ الدَّيْبع » إلى « بيتِ الفقيهِ ابن عجيل » فأخذَ الفقهَ هناكَ على « جمال الدين محمد الطاهر بن جعمان » .

وقال « السخاوي » : « فقرأ علي « بلوغ المرام » وغيره » . وذكر أنه أخذ عنه في علم الحديث والمصطلح :

حجه :

قال « السخاوي » : « حج مراراً ، أولها في سنة (٨٨٣ هـ =١٤٧٩ م) وأنفق في حجه الدنانير الثمانية التي ورثها عن أبيه » .

وحج الحجة الثانية في سنة (٨٨٥ هـ = ١٤٨١ م) .

وحج الحجة الثالثة في سنة (٨٩٢ هـ = ١٤٨٧ م) .

مكانة « ابن الديبع » :

قال « السخاوي » في « الضوء اللامع : ٤/١٠٥ » في ترجمته : « وهو فاضل ، يقظ راغب في التحصيل والاستفادة ، نفع الله به » .

وقال « العيدروس » — صاحب : « النور السافر في أعيان القرن العاشر » — : « شيخ الإسلام علامة الأنام ، الجهبذ الإمام ، مسند الدنيا ، أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين ، خاتمة المحققين ، ملحق الأواخر بالأوائل ، أخذ عمن لا يحصى ، وأخذ عنه الأكابر كالعلامة « ابن زياد » ، و « السيد الحافظ الطاهر بن حسين الأهدل » و « الشيخ أحمد بن علي المزجاجي » وغيرهم » (١) .

« وكان ثقة ، صالحاً ، حافظاً للأخبار والآثار ، متواضعاً ، انتهت إليه رئاسة الرحلة في علم الحديث ، وقصده الطلبة من نواحي الأرض » (٢) .

وقال « الشوكاني » في « البدر الطالع : ١/٣٣٦ » : « وله شهرة في « اليمن » طائلة » .

وجعل له « السلطان صلاح الدين الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة » قراءة الحديث بمسجد « زبيد » .

وأجاز لمن أدرك حياته أن يروي عنه » (٣) .

---

(١) و (٢) و (٣) : « شذرات الذهب : ٨/٢٥٥ » .

مؤلفات « ابن الديبع » وتصانيفه :

أ ــ مصنَّفاتُه في الحديثِ وعلُومِه :

برَعَ « ابنُ الدَّيْبَع » في علوم « القرآنِ الكريم » والحديثِ وأصوله ، والتاريخ ، فاشتَهرَ ذِكْرُهُ ، وبَعُدَ صيتُهُ ، فصنَّفَ في بعضِها التصانيفَ الحِسانَ ، وقدْ عُرِفَ من تصانيفِهِ :

١ ـ « تَيسير الوصول إلى جامع الأصول » اختصره اختصاراً حسناً من كتاب « جامع الأصول » « لابن الأثير الجزريّ » وتداوله الطلبة وَانتفَعُوا بِهِ . وطبع هذا الكتاب في « القاهرة » مراراً » .

وقال « ابنُ الدَّيبع » في كتابه هذا :

« كتابي « تيسيرُ الوُصُولِ » الذي حوَى أُصُولَ الحديثِ السِّتِّ عَزَّ نَظِيرُهُ
فَمَنْ بمَعَانيهِ اعتَنَى وَدُرُوسِهِ وَتحْصِيلِهِ استَغْنَى وَدامَ سُرُورُهُ

٢ ـ « تمييزُ الطيِّبِ منَ الخبيثِ ممَّا يدُورُ على ألسنَةِ النَّاسِ من الحديثِ »

في تجريد « المقاصدِ الحسنة » « للسَّخَاوِيِّ » . وقد طبع هذا الكتاب في « القاهرة » و « دمشق » .

٣ ـ « غايةُ المطلوب وأعظم المنَّة فيما يغفر اللهُ تعالى به الذنوب ويوجبُ الجنَّة » .

٤ ـ « كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة » .

٥ ـ « مصباح المشكاة » .

ب ــ مؤلفات « ابن الدَّيبع » التاريخية :

١ ـ « بغيةُ المستفيد في أخبارِ مدينة « زبيد » : هو مطوَّل مرتب على السنين في تاريخ مدينة « زبيد » أرَّخ فيهِ « ابنُ الدَّيْبع » للأسر التي حكمت « زبيد » حتى عصرِه ، نقل فيه عن مؤرِّخي « اليمن » ــ كـ « عمارة اليمني » و « الجندي » و « الخزرجي » و « ابن عبد المجيد القُرَشي » النَّسَّابة ، و « شرف الدين ابن المقرىء » وغيرهم .

قال : « إنَّه لم يجد بين المؤرِّخين مَن أفرَدَ تاريخاً لأئمةِ اليمن وملوكها و « بني طاهر » فألَّفَ كتابَه هذا ورتَّبه على مقدِّمةٍ وعشرة أبوابٍ :

المقـدمــة : في فضل « اليمن » وأهله .

الباب الأول : في ذكر مدينة « زبيد » .

الباب الثاني : في « بَنِي زياد » .

الباب الثالث : في دولة « بَنِي نجاح » .

الباب الرابع : في وزارة « آل نجاح » .

الباب الخامس : في دولة « بني مهدي » .

الباب السادس : في دولة « بني أيوب » .

الباب السابع : في « بني رسولٍ » .

الباب الثامن : في « عليٍّ الطَّاهِرِيِّ » .

الباب التاسع : في ابنه « عبد الوهاب » .

الباب العاشر : في ابنـه « محمد » .

لهُ نسخٌ متعدِّدةٌ منهـا :

أ ـ في مكتبة « المدينة المنورة » .

ب ـ في « الأمبروزيانا » .

جـ ـ في « دار الكتب المصرية » .

٢ ـ « الْفَصْلُ المزيد على بغية المستفيد » .

جعله ذيلاً على كتابه « بغية المستفيد في أخبار مدينة « زبيد » .

أرَّخ فيه من سنة (٩٠١ هـ ـ ٩٢٣ هـ = ١٤٩٥ ـ ١٥١٧ م) ، وهو تاريخ فتح السلطان سليم « للشام » و « مصر » مرتباً على السنين ، توجد منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم : (١١) « بدار الكتب المصرية » وأخرى بـ « مكتبة رضا رامبور في الهند » ـ تاريخ نسخها (١٠١٤ هـ) .

وختم كتابه السابق بأرجوزة سماها : :

٣ ـ « أحسن السلوك في نظم من ولي مدينة زبيد من الملوك » .

منظومة في « تاريخ « مدينة زبيد » إلى سنة (٩٢٣ هـ) .

لها نسخ متعددة .

أ ــ مخطوطة سنة (١٢٥٠) هـ / « بدار الكتب المصرية » رقم : (١١) .

ب ــ نسخة مخطوطة « بمكتبة الحبشي » .

وقد نقل الكتاب «بغية المستفيد» و « الفَضل المزيد » و « أحسن السلوك » إلى اللاتينية وطبع في « بون » عام ١٨٢٨ م .

٤ً ــ قرة العيون في أخبار « اليمن » الميمون » .

رتبه على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في ذكر اليمن وفي ملك « صنعاء » و « عدن » .

الباب الثاني : في ذكرِ مدينة « زبيد » وأمرائها وملوكها .

الباب الثالث : في ذكر « الدولة الطاهرية » .

أ ــ توجد منه نسخة مخطوطة سنة (١٠٠٣ هـ) برقم (١٣٥٥) .

في«دار الكتب المصرية » .

ب ــ نسخة أخرى بمكتبة«المتحف البريطاني» .

جـ ــ نسخة في « المتحف العراقي » برقم (١٧٦٠) .

٥ً ــ « العقد الباهر في تاريخ دولة « بني طاهر » .

ضمنه « ابن الديبع » تاريخ « الدولة الطاهرية » . أخذه من كتابه : « بغية المستفيد » وأكرمه « الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب»لأجله غاية الإكرام .

٦ً ــ « تاريخ الدولتين الطاهرية والناصرية » .

٧ً ــ « تحفة الزمن بفضائل « اليمن » يشتمل على أحاديث وآيات .

٨ً ــ « فضلُ « اليمن » وأهله » .

مختصر في فضائل « اليمن » . توجد نسخة منه بمكتبة « الأمبروزيانا » .

٩ً ــ « مختصر طبقات « الملك الأشرف الرسولي » .

١٠ً ــ « نشر المحاسن اليمانية في خصائص « اليمن » ونسب القحطانية » .

« نسخة مخطوطة سنة (٩٢٨ هـ) في ٣٤ ورقة ، بـ«المكتبة الظاهرية» بـ«دمشق » .

وأورد « ابن العماد الحنبلي » في كتابه « شذرات الذهب : ٢٥٦/٨ » من مصنفاته :

١١ – المعراج .

١٢ – « مولد شريف نبوي » .

هذا ما وجدتُهُ من كتبِهِ وَلَمْ أَجِدْ أحداً ممَّن ترجمَهُ قد ذكرَ كتاب سيرته « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار » ، ولعلَّ هذا الكتاب قد غفل عن ذكره مترجمُوه أو لم يشتهر أمرُه ؛ ويدُلُّ مضمُونُ الكتابِ ونهجُهُ على أنَّ هذا الكتابَ من تصنيف محدث ، له في فنِّ الحديثِ باعٌ طويلٌ ، فمختاراتُهُ الحديثيَّةُ تذكِّرُ بالصِّلَةِ الَّتي تجمَعُ بين « سيرَةِ « ابنِ الدَّيْبَعِ » هذِهِ ، وكتابِهِ « تيسير الوُصُولِ » ، ونرجو منَ اللهِ أنْ يُوَفِّقَنَا لجمعِ معلوماتٍ تُفيدُنَا أكثرَ فِي تَوْثِيقِ هَذِهِ السِّيرَةِ وَصِلَتِهَا « بابن الدَّيْبع » في المستقبل ، ممَّا سيجتمعُ إلَيْنَا منْ آراءِ القراء الكرام الَّتي نأمَلُ أنْ يُوَافُونَا بِهَا . وبما سَنَتَوَصَّلُ إلَيهِ فِي المُسْتَقْبَلِ إن شَاءَ اللهُ إنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ .

وفاته :

ولم يزلْ «ابنُ الدَّيْبع» عَلَى الإفادَةِ وملازمَتِه بيتَهُ ومسجدَه بتدريسِ الحديثِ والعبادة ، واشتغاله بخويصته عمَّا لا يعنيهِ حتى كانت وفاتُه ، وانتقل إلى رحمتِهِ تعالى بمدينةِ « زَبِيد » يوم الجمعة السادس أو السابع والعشرين من شهر رجب سنة (٩٤٤ هـ = ١٥٣٧ م) وصُلِّيَ عليْهِ في « جامع الأشاعرة » ودفن بتربة « باب سِهَام » عند « قبة الشيخ إسماعيل الجبرتي » .

وخلفه ولده « عليٌّ » يقرأ الحديثَ عوضه في « جامع زبيد الكبير » – رحمه اللهُ تعالى – .

مخطوطات المجمـــوع

اعتمَدْتُ في تحقيقِ هَذَا الكِتَابِ على نسخةٍ فريدةٍ ، تقعُ في حوزتي ، فاتخَذْتُهَا أصلاً ، وجعلْتُ مدارَ عملي قائماً عليها في التحقيقِ ، وترقيمِ الصفحات .

تقعُ هذه السيرةُ الكريمةُ ضمْنَ مجموعٍ يتألّفُ منْ (١٣٩) ورقة ، ويضمُّ الكتبَ التالية :

أولاً : « تَمْييزُ الطيِّبِ مِنَ الْخَبيثِ فِيمَا يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ مِنَ الحَدِيث» وهُوَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ « ابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبَانِيِّ » الشَّهِيرَةِ ، وهُوَ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ ، اخْتَصَرَهُ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » مِنْ كِتَابِ : « الْمَقَاصِدُ الْحَسَنَةُ فِي بَيَانِ كَثِيرٍ مِنَ الأَحَادِيثِ الدَّائِرَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ » تصنيف الناقِد الحُجَّةِ « أَبِي الخَيْرِ شمس الدين محمَّد بن عبد الرحمن بن محمَّد السَّخَاوِيِّ الْقَاهِرِيِّ » شيخ « ابنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبانيِّ » ، ويَستغرِقُ كتابُ « تمييزِ الطيِّبِ » الأوراقَ (١ ــ ٤٩) .

ثانياً : « حَدَائِقُ الأَنْوَارِ وَمَطَالِـعُ الأَسْرَارِ فِي سِيرَةِ « النَّبِيِّ » المُخْتَارِ » ــ ﷺ ــ وَهُوَ مِنْ مؤَلَّفَاتِ « ابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبَانِيِّ » .

ثالثاً : وقَعَ فيالورقَة (١٣٦) والأسطر الستَّة الأولى منلاحِقتها نَقْلٌ ،جاء فيه : وَمِنْ لطائِفِ مَا نَقَلَهُ « القُرْطُبِيُّ » في « الأعلام » أنَّ الأنصارَ الذِينَ نَاصَرُوا « النَّبِيَّ » ــ ﷺ ــ كانوا مِنْ أَوْلادِ العلماءِ الَّذِينَ كانُوا مع تُبَّعٍ الأَكبر » فيما ذكرَهُ « ابنُ إسحاقَ » . ثُمَّ تَحَدَّثَ عن خُرُوجِهِ مِنَ «اليَمنِ» وانتهائِهِ إلى « مَكَّةَ » ثُمَّ عزمه على هدمِ « الكعبَةِ » . . . الخ . ثمَّ رجوعه عن عزمِهِ وكسوته الكعبة . . . . الخ .

رابعاً : رسالة « الْكَشْف عَنْ مُجَاوَزَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ الأَلْفَ » : وهِيَ رِسالَةٌ صغيرَةٌ مِنْ تصنيفِ « الشيخ جلال الدِّين السيوطي وتستغرِقُ هذِهِ الرسالة الأوْرَاقَ (١٣٧ــ١٣٩) وَفي خِتَامِ هذِهِ الرسالةِ ينتهي المجموع .

وصف نسخة « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار »

« عنوان الكتـــاب »	:	« حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله المصطفين الأخيار » .
« المؤلف »	:	« وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الدَّيبـــع الشيباني الشافعي » . المتوفّى سنة : (٩٤٤هـ) = (١٥٣٧م).
« عدد الأوراق »	:	(٨٦) ورقة – تبتدىء بالورقة (٥٠) وتنتهي بالورقة (١٣٥)
« قياس الورقـة »	:	(٢١ سم × ١٥ سم) .
« مسطرة الورقـة »	:	(٢٩) سطراً .
« متوسط عدد الكلمات في السطر »	:	حوالي (١٢) كلمة .
« نوع الخط »	:	« خط النسخ » .
« اسم النـاسخ »	:	« علي بن عبد الناصر المصري » .
« تاريخ ومكان النسخ »	:	« نهار الإثنين في الثاني والعشرين من محرم الحرام من سـنة (٩٣٨ هـ) في البلد الحرام .

ملاحظاتي على هذه النسخة :

أ – « عنوان الكتاب » معلق بخط الثلث الجميل . وأرجح أنَّ هذه العنونة مستحدثة يعـود تاريخ كتابتها إلى زمن متأخر عن زمن نسخهـا .

ب – ترك الناسخ في خطبة تقديم الكتاب في ظهر الورقة (٥١) بياضاً في ثلاثة مواضع .

الموضع الأوَّل بعد قوله : « ناقلاً ذلك عن كتب الحديث المعتمدة ، ليكون كتاباً جامعاً للحضرتين ، شافعاً للجامع بين السيرتين . . . . زاد الله مما آتاه من الملك والحكمة وعلمه مما يشاء :

الموضع الثاني بعد قوله : فوسمت باسمه هذا الكتاب الكريم ، ورسمته برسمه ، ﴿ وَإِنَّـهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فسميته بصيرة (هكذا) الحضرة . . . .
النبوية ، متوسلاً إلى اللهِ — تَعَالَى — بصاحب الحضرة النبوية خير الأنَامِ .

الموضع الثالث بعد قوله — لاحقاً لسابقه — « عليه أفضل الصلاة والسلام . . . .
قواعد الإسلام ، وأن يعمر ويغمر بِوُجُودِهِ وَجُودِهِ البلاد والعباد » .

فالبياض في الموضع الأول أخفى عنا معرفة الملك الذي قدم إليه « ابن الديبع » هذا الكتاب ووسمه باسمه ورسمه برسمه .

والبياض في الموضع الثاني حجب عنا معرفة اسم الكتاب على وجه التحقيق والتأكيد .

والبياض في الموضع الثالث فَوَّتَ علينا فرصة معرفة تتمة الدعاء الذي ابتدأ به ابن الديبع ، ولم نظفر بتتمته وأبعد عنا معرفة ما كان يتوخاه من مرجوه أو ما كان مطلبه منه .

جـ — الكتاب كامل تام لا نقص في أوراقه .

د — حرص الناسخ على التعقيب بين الصفحات ، على عادة النساخ ، فكان الناسخ يثبت في منتهى كل ورقة الكلمة التي يَبتدىء بها النص في الورقة اللاحقة بها ، وذلك بكتابتها في الزاوية الأنسية اليمنى من كل ورقة ، وهكذا دواليك حتى منتهى الكتاب .

هـ — أرجح أنّ ترقيم المجموع جاء في زمن متأخر ، ولذلك فلا اعتبار له ، ولا فائدة ترجى منه بعد وجود التعقيب بين الصفحات .

و — تَعَرَّضَ هذا المجموع لعمل الأرضة فأحدثت فيه ثقوباً اخترقت المجموع من الغلافِ إلى الغلاف ، وأحدثت فيه ضرراً بالغاً ، وأتت على بعض الكلمات فاقتطعتها ، ولقد قمنا بتثبيتِ هذه الكلمات على النحو الصحيح . مستفيدين من قرائن النص .

خصائصُ الرسمِ الإملائيِّ في مخطوطة « حدائقِ الأنوارِ »

اتَّبَعَ ناسخُ مخطوطَةِ « حدائق الأنوارِ » قواعدَ الرسمِ الإملائيِّ المتعارَفِ عليْها بينَ أبناء عصرِه . وهذهِ القواعدُ تختلفُ اختلافاً يسيراً عن القواعدِ الّتي نجري عليها في زَمانِنَا هَذَا ، وَلِذَا عَمَدْنا إلى اتِّباعِ القَوَاعِدِ الإملائيَّةِ السَّائِدة في زمانِنَا ، وللأمانَةِ العلميَّةِ سنأتِي ببعضِ تلكَ الخصائصِ الَّتي استخْدَمهَا النَّاسخُ في نسْخِ هذهِ السِّيرَةِ المباركَةِ لِنَتَعَرَّفَ عَلَيْهَا :

١ً ـ الهَمْزَةُ في أوّلِ الكلمةِ : تحلَّلَ النَّاسِخُ مِنْ رَسْمِ همزَةِ الألِفِ في أوَّلِ الكلمةِ إطلاقاً ، سواءٌ كَانَتْ تُرسَمُ فوقَ الألِفِ أو تحتها .

٢ً ـ الهمْزَةُ في وسط الكلمة : اتَّبعَ الناسخُ أسلوبَ التسهيلِ في رَسْمِ الهمزةِ في وَسطِ الكلمةِ واكْتَفَى برسمِ الحرفِ الذي يناسبها في التسهيلِ دونَ أن يعمدَ إلى تثبيتِ الهمزَةِ عليهِ .

٣ً ـ الهمزة في آخرِ الكلمة : أهمل الناسخ رسم الهمزة في آخر الكلمة في جميع الحالات حيثما وردت .

٤ً ـ المد : أعفى الناسخُ نفسَه من رسم المد في أوَّل الكلمة وفي وسطها وحيثما وُجد .

٥ً ـ التنوين : أهملَ النَّاسخُ رسمَ التنوين في حالاتِه الثلاث نصباً ورفعاً وجراً .

٦ً ـ الألفُ اللَّيِّنَةُ والألِفُ المقصورةُ : اضطرب الناسخُ في رسمهما اضطراباً لا قاعدةَ له فيهما ولا ضابط ، فكثيراً ما رسم الألف المقصورة ممدودَةً ، والممدودةَ مقصورةً ، وقد جرينا في رسمهما على ما هو الصوابُ في ذلك .

٧ً ـ حذفُ الألفِ : حَذَفَ النَّاسخُ رسمَ الألفِ من الأسماءِ الأعجميَّةِ الكثيرَةِ الاستعمال وَغيرِ الأعجميَّةِ كـ : « « إبراهيم » و « إسماعيل » و « الحارث » و « عثمان » و « معاوية » ؛ وحذفها أيضاً في كتابة الأعداد كـ : « ثمانية » و « ثلاث عَشرة » و « ثلاثمائة » وفي بعض الأسماءِ كـ « ملائكة » و « القيامة » و « الكتاب » .

٨ً ـ زيادةُ الألف : جرى الناسخ على زيادة رسم الألف في مثل : « بنوا قريظة » و « أولوا العَزْمِ » و « يدعوا » الخ . . .

٩ – قلب كتابة بعض الحروف : عمدَ الناسخُ إلى قلب كتابة الظاء إلى ضاد في بعض الأسماء فكان يكتب « قريضة » بدلاً عن « قريظة » وجرى أيضاً على قلبِ كتابة السين إلى صادٍ في بعضِ الأسماء فكان يكتب « صرة » عوضاً عن « سرة » و « صيرة » عوضاً عن « سيرة » ولا شك في أنّ ذلك من الخطأ الذي كان يقع فيه الناسخ أحياناً .

١٠ – إعجامُ الحروفِ وإهمالها : تحلّلَ الناسخُ من إعجامِ بعض الحرُوفِ المعجمةِ ثقةً منه بفطنةِ القارىء في مثل : « رمرم » يريد « زمزم » ، وعمدَ أيضاً إلى إعجامِ الألفِ المقصورةِ في مثل « إلي » و « علي » و « سعي » . والأصح عدم إعجامها .

ونكتفي ببيانِ هذا القدر من خصائص الناسخ التي سار عليها في كتابة هذه السيرة تجنباً للإطالة.

◎ ◎ ◎

عملنا في تحقيق كتاب « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار »

اتبعنا في تحقيق هذه السيرة المباركة المنهج التالي :

١ ـــ كان مدارُ عملنا في تحقيق هذه السيرةِ المباركة على نسخةٍ فريدةٍ في حوزتي ، فأثبتنا نصَّها ، ولم نبدل فيه إلاّ ما ظهر لنا فيه التصحيف أو التحريف ، أو الخطأ ، فأبدلنا ذلك بالصواب ، وأشرنا في الهامش إلى ما كان عليه الأصل .

٢ ـــ قمنا بضبط النص وشكله بالشكل الكامل .

٣ ـــ عارضنا نصوصَ هذه المخطوطة على أصولها ، والنقول على مصادرها ، والأشعار على دواوينها أو مظانها ما أمكننا ذلك .

٤ ـــ خرَّجنا الآيات الكريمة وبينا مواقعها من السور ، وأشرنا إلى رقم السورة ورقم الآية فيها ، وبينا ما هو مكي منها وما هو مدني .

٥ ـــ خرَّجنا الأحاديث الشريفة على أصولها ، وأشرنا إلى مصادرها في الصحاح وغيرها ما أمكننا ذلك .

٦ ـــ شرحنا معاني المفردات اللغوية الغامضة التي تحتاج إلى شرح وأثبتنا الشرح في الهوامش .

٧ ـــ عمدنا إلى الفصل بين الموضوعات المتلاحقة ، فوضعنا عنواناً لكل موضوع استوحيناه من النص وميزناه بوضعه ضمن قوسين مُجَنَّحتين وأثبتنا العنوان بالحرف الأسود للتفريق بينه وبين نص المؤلف .

٨ ـــ عمدنا إلى التعريف بالأعلام والجماعات والأماكن والبلدان والأيام والمعارك ، التي تحتاج إلى تعريف في نطاق الفهارس العامة الملحقة بآخر الكتاب .

٩ ـــ استعنا ببعض الرسوم والخرائط وجداول الأنساب المقتبسة عن كتاب « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » من تأليف « الدكتور محمد حميد الله » ، و كتاب « الرسول العربي وفن الحرب » من تأليف « العماد مصطفى طلاس » ، و كتاب « حياة محمد »

من تأليف الدكتور « محمد حسين هيكل » ، وقد نوَّهنا بذلك عند الاستفادة من كل كتابٍ .

١٠ ــ وضعنا الفهارس التالية للكتـاب :

١ ــ فهرس الأعلام .

٢ ــ فهرس الأمم والشعوب والقبائل والجماعات .

٣ ــ فهرس البلدان والأماكن والمواقع والجبال والأنهار .

٤ ــ فهرس الغزوات والبعوث .

٥ ــ فهرس الآيات الكريمـة .

٦ ــ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

٧ ــ فهرس الشعر .

٨ ــ فهرس المصطلحات العَقَدِيّة أو الدينيّة .

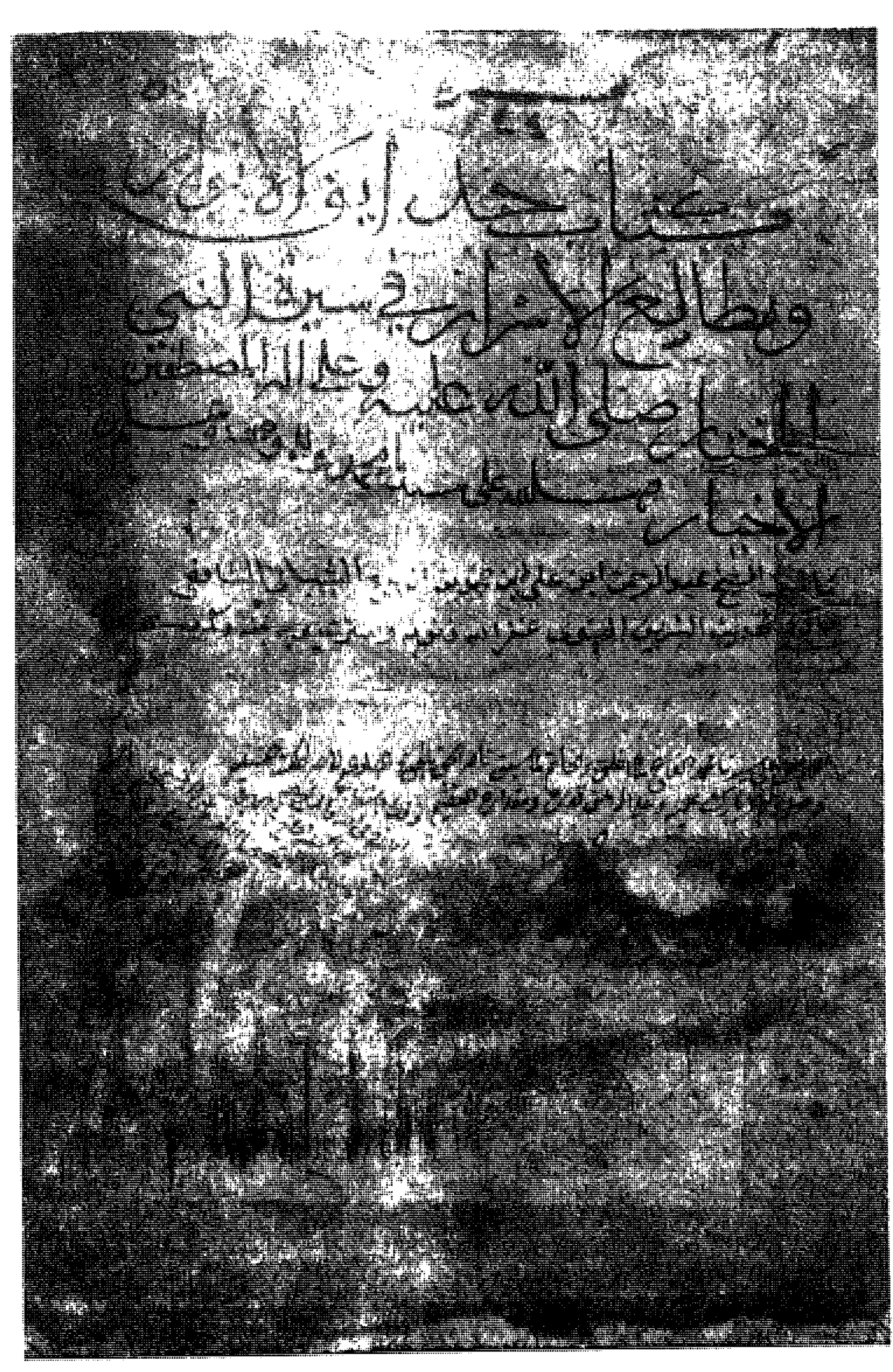
٩ ــ فهرس مصادر التحقيق ومراجعه .

١٠ ــ فهرس الموضوعـات .

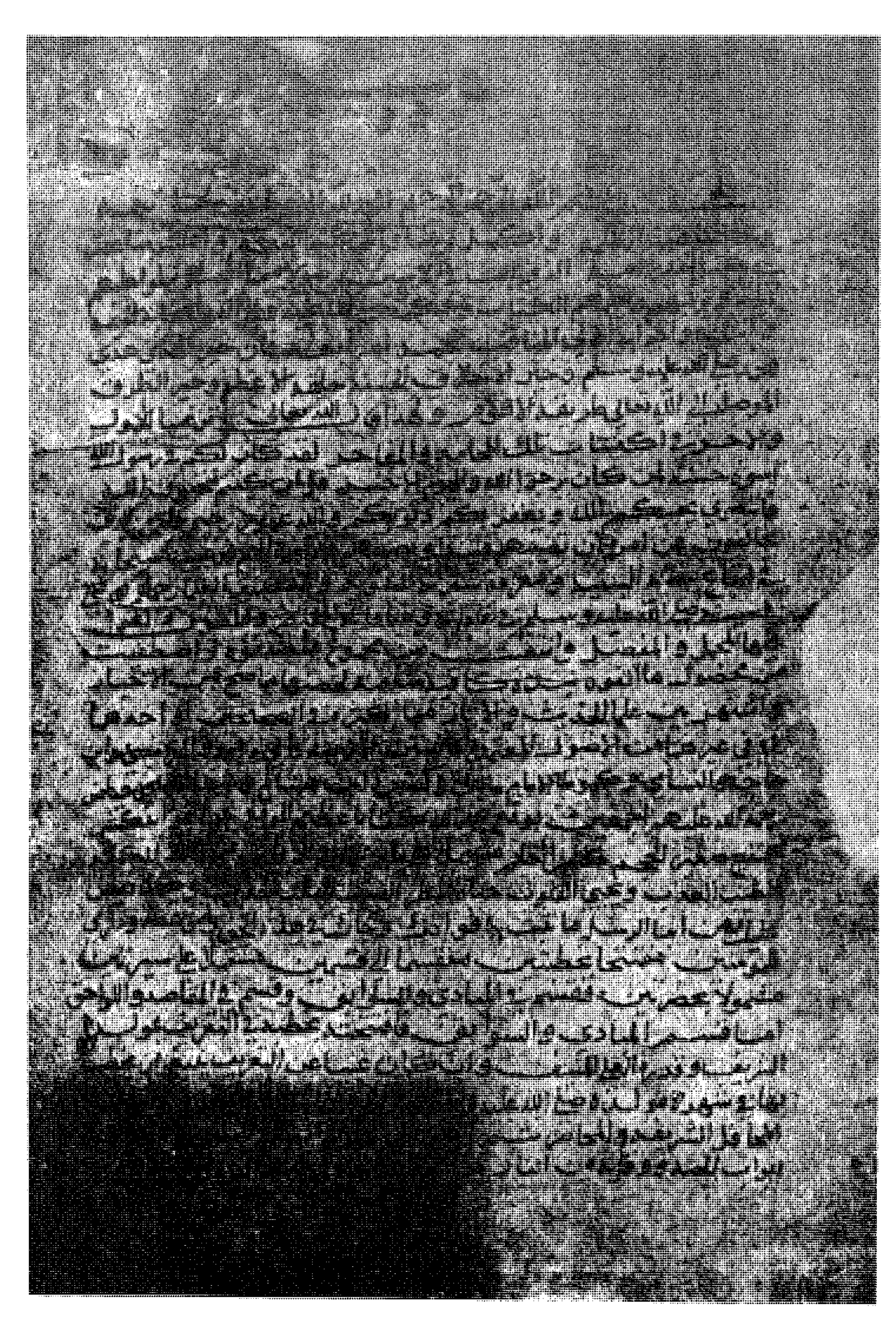
الرموز والأقواس

استعملت في التحقيق الرموز والأقواس والإشارات المبينة أدناه :

الأصـل	:	تشير إلى المخطوطة المعتمدة في التحقيق .
ص	:	تشير إلى الصفحة .
ط	:	تشير للكتاب المطبوع .
خ	:	تشير للكتاب المخطوط
ك	:	ـ في تخريج الآيات القرآنية ـ تدل على أن الآية مكية .
م	:	ـ في تخريج الآيات القرآنية ـ تدل على أن الآية مدنية .
ح	:	ـ تعني « الحاشية » ـ .
/	:	الخط المائل في متن النص تشير للفصل بين صفحات الأصل .
[و] ـ [ظ]	:	في الهامش ، مشفوعتان برقم الورقة للدلالة على رقم الصحيفة في المخطوطـة وجهاً أو ظهراً .
م	:	مشفوعةً بترقيم صفحات المقدمة
﴿ ﴾	:	القوسان المزهرتان تحصران الآيات القرآنية الكريمة .
[ ]	:	القوسان المربعتان أو المعقوفتان تحصران الإضافات المزادة على النص .
ـ( )ـ	:	القوسان المجنحتان تحصران ما أدخل على النص من عناوين .
« »	:	علامات التنصيص تحصر الأقوال والنقول وأسماء الكتب ومختلف الأعلام .
ـ ـ	:	المعترضتان تحصران الجمل الاعتراضية .
(؟ كذا)	:	تَلْحَقُ ما لم نهتد إلى فهمه أو قراءته .
. . . .	:	النقاط المتوالية تدل على البياض في الأصل أو للإشارة على اختصار في النص



راموز صفحة العنوان من السيرة



راموز الصفحة الثانيـة من السيرة



راموز الصفحة الأخيرة من المخطوط

حدائق الأنوار

ومطالع الأسرار

في سيرة النبي المختار ﷺ وعلى آله المصطفين الأخيار

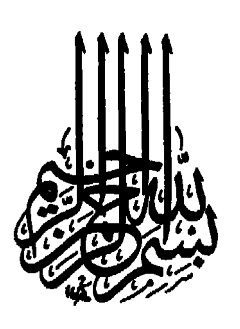
تأليف

وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد

المشهور بابن الديبع الشيباني الشافعي

تحقيق

عبد الله إبراهيم الأنصاري



[٥٠ظ](*)

خُطْبَةُ تَقْدِيمِ الكِتَابِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَشَفَ عَنَّا الْغُمَّةَ (١)، وَجَلَا غَيَاهِبَ (٢) الظُّلْمَةِ، وَأَكْمَلَ دِينَنَا وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ، وَأَكْرَمَنَا بِخَيْرِ نَبِيٍّ فَكُنَّا (٣) خَيْرَ أُمَّةٍ (٤)، ﴿ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ (٥) رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ (٦) ﴿ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

(*) « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار » طرف من مجموع قوامه (١٣٣) ورقة ، فالطرف الأول من المجموع هو كتاب « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث » ويمتد على مدى الصفحات (١ و – ٤٩ ظ) ثم يلي ذلك كتاب « حدائق الأنوار » والكتابان من تصنيف ابن الديبع الشيباني .

(١) « الغُمَّةُ » : « الكَرْبُ » .

(٢) « غَيَاهِبُ » ج « غَيْهَب » وَ « الغَيْهَبُ » : « الظَّلَامُ » وَلَيْلٌ غَيْهَبٌ : أي مُظْلِمٌ .

(٣) الأصل : كنا .

(٤) اقتباسٌ منَ الآية الكريمة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ « سورة آل عمران : ٣/١١٠ – م – » .

(٥) « الأُمِّيُّون » ج « أُمِّيّ » و « الأُمِّيُّ » : الَّذي لا يَكْتُبُ ولا يَقْرَأُ ، قَالَهُ « مُجَاهِدٌ » . وفي تَسْمِيَتِهِ بِالأُمِّيِّ قَوْلانِ ، أَحَدُهُمَا : لأَنَّهُ عَلى خِلْقَةِ الأُمَّةِ الَّتي لَمْ تَتَعَلَّمِ الكِتَابَ ، فَهُوَ عَلى جِبِلَّتِهِ ، قَالَهُ « الزَّجَّاجُ » .

والثَّاني : أَنَّهُ يُنْسَبُ إلى أُمِّهِ لأَنَّ الكِتَابَةَ في الرِّجَالِ كانَتْ دُونَ النِّسَاء .

وقيلَ : لأَنَّهُ عَلى مَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . « زاد المسير : ١/١٠٥ » .

وجاء في الحديث الشريف : « بُعِثْتُ إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ » . قيلَ لِلْعَرَبِ : الأُمِّيُّون ؛ لأَنَّ الكِتَابَةَ كَانَتْ فِيهِم عزيزةً أو عَدِيمَةً . وَمِنْهُ قوله تعالى : ﴿ بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ . « النهاية في غريب الحديث : ١/٦٨ – مادة : « أمم » .

(٦) « سورة الجمعة : ٦٢/٢ – م – » .

ءَايٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (١) ، ـ ﷺ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ـ الْأَئِمَّة ، وأَتْبَاعِهِ وَأَحْزَابِهِ أُولِي الْمَنَاقِبِ الْجَمَّة .

أَمَّا بَعْدُ «فَإِنَّ خَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ « مُحَمَّدٍ »(٢) ـ ﷺ ـ ، وَخَيْرَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ خُلُقُهُ الْأَعْظَم ، وَخَيْرَ الطُّرُقِ الْمُوصِلَةِ إِلَىٰ اللهِ ـ تَعَالَىٰ ـ طَرِيقُهُ الْأَقْوَم . وَلِهٰذَا قَالَ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ تَرْغِيباً لِلْأَوَّلِ وَالْآخِر ، فِي اكْتِسَابِ تِلْكَ الْمَحَامِدِ وَالْمَفَاخِرِ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (٣) . ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤). ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) . فَرَغَّبَ سُبْحَانَهُ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِه ، وَمَعْرِفَةِ سِيرَتِهِ السَّوِيَّةْ .



(١) « سورة آل عمران : ١٦٤/٣ ـ م ـ » .

(٢) صحيح مسلم : ٥٩٢/٢ ـ (٧) كتاب الجمعة ـ (١٣) باب : تخفيف الصلاة والخطبة ـ الحديث : ٤٣ ـ (٨٦٧) ـ » وانظر : « التعليق في الحاشية رقم : (٥) » .

(٣) « سورة الأحزاب : ٢١/٣٣ ـ م ـ » .

(٤) « سورة آل عمران : ٣١/٣ ـ م ـ » .

(٥) « سورة النور : ٦٣/٢٤ ـ م ـ » .

ـ(مصادر المؤلِّف)ـ

وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَـاءُ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ تَعَـالَىٰ ـ فِي سِيرَتِهِ ـ ﷺ ـ فِي عَادَاتِهِ وَعِبَادَاتِهِ الْمُخْتَصَرَ وَالْمُطَـوَّل ، وَأَلَّفُوا فِيهَـا الْمُجْمَـلَ وَالْمُفَصَّل ، وانْتَقَيْتُ مِنْ مَجْمُوعِ مَا صَنَّفُوه ، واصْطَفَيْتُ مِنْ مَحْصُولِ مَا أَلَّفُوه ، نُبْذَةً كَافِيَةً شَافِيَةً ، لَخَّصْتُهَا مِمَّا صَحَّ مِن الْأَخْبار ، واشْتَهر بيْن عُلَماءِ الْحديثِ والْآثَار ، مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي « الصَّحيحيْن » أَو أَحدِهِما ، أَوْ فِي غَيْرِهِمَا ، مِنَ الْأُصُولِ الْمُعْتَمَدَة ، كَالسُّنَنِ الْأَرْبَعَة ، « لِأَبِي[1] دَاوُدَ » و « التِّرْمذِيِّ » وَ « ابْنِ مَاجَة » ، وَ « النَّسَائِيِّ » وَ « كَمُوَطَّإِ الْإِمَامِ مَالِكٍ » و « كَسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ » و « شِفَاءِ الْقَاضِي عِيَاضٍ » ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين ـ . فَوَقَعَ بِحَمْدِ اللهِ كِتَاباً عَظِيمَا لْوَقْعِ ، جَمَّ الْفَوَائِدِ ، كَثِيرَ النَّفْعِ ، صَغِيرَ الْحَجْمِ ، كَثِيرَ الْعِلْمِ ، مُشْتَمِلاً عَلَىٰ مَا يَزِيدُ فِي الْإِيمَانِ مِنَ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ الْعَذْبِ ، ويُحْيِي الْقُلُوبَ حَيَاةَ الْمَطَرِ الصَّيِّبِ[2] لِلْبَلَدِ الْجَدْبِ ، ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] ، مُفْتَتَحاً بِخُطْبَتَيْنِ ، مُنْقَسِماً إِلَىٰ

---

(١) الأصل : كأبي داود .

(٢) « الصَّيِّب » : جاءَ في حَديثِ الاستِسْقَاء : « اللَّهُمَّ اسْقِنا صَيِّباً » ـ أي : مُنْهَمِراً مُتَدَفِّقاً ـ وأَصْلُهُ الْوَاو ، لأَنَّهُ مِنْ صَابَ يَصُوبُ إذَا نَزَلَ ، وَبِنَاؤُهُ صَيْوِب ، فَأُبْدِلَت الْوَاوُ يَاءً وأُدْغِمَتْ . « النهاية في غريب الحَديث : ٣/٦٤ ـ مادة : صيب» .

(٣) « سورة هود : ١١/١٢٠ ـ ك ـ » .

قِسْمَيْنِ ، مُشْتَمِلاً عَلَىٰ سِيرَتَيْنِ ، مَشْمُولاً بِحَضْرَتَيْن ، فَقِسْمٌ فِي الْمَبَادِيء وَالسَّوَابِق ، وَقِسْمٌ فِي الْمَقَاصِدِ وَاللَّوَاحِق .

أَمَّا قِسْمُ الْمَبَادِيءِ وَالسَّوَابِقِ فَافْتَتَحْتُهُ بِخُطْبَةٍ فِي التَّعْرِيفِ بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيف ، وَقَدْرِهِ الْعَلِيِّ الْمُنِيف ، وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا عَنِ التَّعْرِيف ، يَنْبَغِي أَنْ يُخْطَبَ بِها فِي شَهْرِ مَوْلِدِهِ - ﷺ - فِي الْجُمَعِ عَلَىٰ الْمَنَابِرِ، وَيُطَّرَدَ بِقِرَاءَتِهَا [فِي] [1] الْمَحَافِلِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَحَاضِر ، ثُمَّ أَتْبَعْتُهَا [2] بِثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ ، كُلُّ بَابٍ مِنْهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّة ، وَوِقَايَةٌ مِنَ النَّارِ لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْهِ السَّمْعَ وَجُنَّة [3] .

ـ(أبواب قسم المبادىء والسوابق)ـ

[٥١ و] الْبَابُ الْأَوَّلُ : فِي سَرْدِ / مَضْمُونِ الْكِتَابِ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ أُولُو الْأَلْبَابِ مِنْ لَدُنْ مَوْلِدِهِ - ﷺ - إِلَىٰ وَفَاتِهِ .

الْبَابُ الثَّانِي : فِي شَرَفِ بَلَدَيْ مَوْلِدِهِ وَنَشْأَتِهِ ووَفَاتِهِ وَهِجْرَتِهِ ، وَشَرَفِ قَوْمِهِ ونَسَبِهِ وَمَآثِرِ آبَائِهِ - ﷺ - وَحَسَبِهِ.

---

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) الأصل : اتبعها .

(٣) « جُنَّةٌ » : « وِقَايَةٌ » ومنه الحديث : « الإمَامُ جُنَّةٌ » : لِأَنَّهُ يَقِي المأمُومَ الزَّلَلَ وَالسَّهْوَ . « النهاية في غريب الحديث : ٣٠٨/١ مادة : « جنن » .

الْبَابُ الثَّالِثُ : فِي ذِكْرِ مَنْ بَشَّرَ بِهِ – ﷺ – قَبْلَ ظُهُورِهِ ، وَمَا أَسْفَرَ قَبْلَ بُزُوغِ شَمْسِ نُبُوَّتِه ، مِنْ صُبْحِ نُورِه .

الْبَابُ الرَّابِعُ : فِي سِيرَتِهِ – ﷺ – مِنْ حِينِ وِلَادَتِهِ إِلَىٰ بَعْثِهِ ، مِنْ تَنَقُّلِهِ فِي أَطْوَارِهِ كَرَضَاعِهِ ، وَشَقِّ صَدْرِهِ ، وَبَعْضِ أَسْفَارِه .

الْبَابُ الْخَامِسُ: فِي نَسْخِ دِينِهِ – ﷺ – لِكُلِّ دِينٍ ، وَعُمُومِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَتَفْضِيلِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، – صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ – .

الْبَابُ السَّادِسُ: فِي بَعْضِ مَا اشْتَهَرَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ، وَظَهَرَ مِنْ دَلَالَاتِ صِدْقِهِ ، – ﷺ – وَآيَاتِه .

الْبَابُ السَّابِعُ: فِي بَعْضِ سِيرَتِهِ – ﷺ – مِمَّا لَاقَاهُ مِنْ حِينَ بَعَثَهُ اللهُ ، إِلَىٰ أَنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الله .

الْبَابُ الثَّامِنُ : فِي بَعْضِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ «حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ» مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَانْطَوَىٰ [١] عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْغَرَائِبِ ، مِمَّا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ – ﷺ – .

---

(١) الأصل : اطوى .

وَأَمَّا قِسْمُ الْمَقَاصِدِ واللَّوَاحِقِ فَافْتَتَحْتُهُ أَيْضاً بِخُطْبَةٍ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَإِيرَادِ بَعْضِ الآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ ، لِيُخْطَبَ بِهَا حَيْثُ تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهَا لِتَحْرِيضِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَتَذْكِيرِهِمْ بِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] . ثُمَّ أَتْبَعْتُهَا [2] بِذِكْرِ مَا اشْتَهَرَ مِنْ سِيرَتِهِ - ﷺ - مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَىٰ وَفَاتِهِ ، وَمِنْ تَشْرِيعِ أَحْكَامِ دِينِهِ وَغَزَوَاتِهِ ، وَمَا فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ ومُعْجِزَاتِه ، وَأَسْبَابِ نُزُولِ سُوَرٍ مِنَ « الْقُرْآنِ » وَآيَاتِه ، مُرَتِّباً لَهَا عَلَىٰ سِنِي هِجْرَتِهِ - ﷺ - الْعَشْرِ ، نَاشِراً لِما انْطَوَىٰ مِنْ مِسْكِهَا الطَّيِّبِ النَّشْرِ [3] .

ثُمَّ ذَيَّلْتُ ذٰلِكَ بِفُصُولٍ فِي وُجُوبِ نَصْبِ الْإِمَامِ ، وَأَنَّ الْإِمَامَ الْحَقَّ بَعْدَ « رَسُولِ اللهِ » - ﷺ - « أَبُو بَكْرٍ » ، ثُمَّ « عُمَرُ » ، ثُمَّ « عُثْمَانُ » ، ثُمَّ « عَلِيٌّ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وَهٰذِهِ خِلَافَةُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - الَّذِينَ

---

(١) « سورة الذاريات : ٥١/٥٥ - ك - » .

(٢) الأصل : اتبعها .

(٣) « النَّشْرُ » : - بالسُّكونِ - « الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ » ، أَرَادَ : سُطُوعُ رِيحِ المِسْكِ . « النهاية في غريب الحديث : ٥/٥٥ - مادة : « نَشَرَ » .

جَاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَخُلَفَائِهِ الْأَرْبَعَةِ ، الْمُوَضِّحِينَ سُبُلَ رَشَادِهِ ، مَعَ ذِكْرِ تَرْتِيبِهِمْ فِي الْفَضْلِ ، وَالرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ قَدَحَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ الْفَصْلِ .

ثُمَّ خَتَمْتُ الْكِتَابَ بِشَيْءٍ مِنْ سِيرَتِهِ - ﷺ - فِي أَحْوَالِهِ النَّفِيسَةِ النَّفْسِيَّةِ ، وَأَقْوَالِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْقُدْسِيَّةِ ، إِذْ لَا يَنْطِقُ - ﷺ - عَنِ الْهَوَىٰ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١) .

أَمَّا أَحْوَالُهُ النَّفْسِيَّةُ فَفِي حُسْنِ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ ، وَوفورِ عقلِهِ ، /وَحُسْنُ [٥١ ظ] عِشْرَتِهِ ، وسَمَاحَتُهُ وشجاعتُهُ ، وَزُهْدُهُ - ﷺ - .

وَأَمَّا أَقْوَالُهُ [الْقُدْسِيَّةُ] (٢) فَفِي ذِكْرِهِ لِرَبِّهِ فِي سَوَابِقِ صَلاتِهِ وَلَوَاحِقِهَا ، وَفِيهَا (٣) . وَفِي صِيَامِهِ ، وحَجِّهِ ، وَجِهَادِهِ ، وسَفَرِهِ ، ومَعَاشِهِ ، ومُعَاشَرَتِهِ ، وَمَرَضِهِ ، وَعِنْدَمَوْتِهِ - ﷺ - نَاقِلاً ذَلِكَ عَنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ الْمُعْتَمَدَةِ ، لِيَكُونَ كِتَاباً جَامِعاً لِلْحَضْرَتَيْنِ ، شَافِعاً لِلْجَامِعِ بَيْنَ السِّيرَتَيْنِ . . . .

. . . .

. . . . . . (٤) زَادَ اللهُ مِمَّا آتَاهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْحِكْمَةِ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ

---

(١) « سورة النجم : ٥٣/٤ - ك - » .

(٢) الأصل : التشريعية ، وما أثبت صحح عما جاء في عرض المؤلف لهذا الباب .

(٣) الضمير في كلمة « فيها » يعود إلى « الصلاة » .

(٤) بياض في الأصل بمقدار سطر وبعض السطر .

وَأَوْزَعَهُ (١) أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَتَهُ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ وَالِدَيْهِ وَأَنْ يَعْمَلَ صَالِحاً يَرْضَاهُ، وَأَصْلَحَ لَهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ، وَأَدْخَلَهُ بِرَحْمَتِهِ، فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ(٢):

« فَأَحْمَدُ أَسْمَىٰ مَنْ بَنَىٰ (٣) اسماً وكُنْيَةً

وَفِعْلًا وَوَصْفاً مُلْكُهُ مِنْ أَسَاسِهِ

شِهَابٌ فَخُذْ مِنْ عِلْمِهِ واقْتِبَاسِهِ

سَنَا النُّورِ، وَاخْشَ النَّارَ فِي وَقْتِ بَاسِهِ

وَعَنْ بِيضِهِ (٤) أو سُمْرِهِ (٥) أَوْ قِيَاسِهِ (٦)

سَلِ الْخَصْمَ عَنْ بُرْهَانِهِ (٧) أَوْ قِيَاسِهِ (٨)

(١) « أَوْزَعَ » : « أَلْهَمَ » وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ : « اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِي شُكْرَ نِعْمَتِكَ » أَيْ : أَلْهِمْنِي وَأَوْلِعْنِي بِهِ . « النهاية في غريب الحديث : ١٨١/٥ – مادة : « وزع » .

(٢) اقتباسٌ مِنَ الآيَةِ الكريمةِ : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا ، وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ « سورة النمل : ١٩/٢٧ – ك – » .

(٣) الأصل : بنا .

(٤) « البيض » : « السيوف » .

(٥) « السُّمْرُ » : « الرِّمَاحُ » .

(٦) « قياس » : ج « قوس » وَيُقَالُ : « قِسِيٌّ » وَ « قُسِيٌّ » وَ « أَقْوَاسٌ » وَ « قِيَاسٌ » وَهُوَ آلَةُ الرَّمْيِ المَعْرُوفَةُ . « القاموس المحيط : مادة : « قوس » .

(٧) الأصل : أو برهانه . و « البرهان » : « الحجة والدلالة » .

(٨) « القياس » : عمل عقلي يترتب عليه انتقال الذهن مِن الكلي إلى الجزئيّ المندرج تحتَه .

فَتِلْكَ رُجُومٌ[1] قَدْ أُعِدَّتْ لِبَأْسِهِ
نُجُومَ هُدًى فِي زِيِّهِ وَلِبَاسِهِ

فَلَا زَالَ مَحْمُوداً حَمِيداً مُظَفَّراً
شِهَاباً عَلَىٰ أَعْدَائِهِ كَأُنَاسِهِ

يُنَكِّسُ جَالُوتُ الصَّلِيبُ صِلَابَهُ
بِتَأْيِيدِ دَاوُدٍ عَلَىٰ أُمِّ رَاسِهِ

وَيَحْظَىٰ بِمَا آتَاهُ مُلْكاً وَحِكْمَةً
بِأَجْنَادِهِ أَمْ نَفْسِهِ أَمْ مِرَاسِهِ»[2]

فَوَسَمْتُ بِاسْمِهِ هٰذَا الْكِتَابَ الْكَرِيمَ، وَرَسَمْتُهُ بِرَسْمِهِ ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[3] فَسَمَّيْتُهُ : بِ«سِيرَةِ[4] الْحَضْرَةِ».

. . . .[5]

النَّبَوِيَّةِ، مُتَوَسِّلاً إِلَىٰ اللهِ ـ تَعَالَىٰ ـ بِصَاحِبِ الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ خَيْرِ الْأَنَامِ

---

(١) « الرُّجُومُ » : « الشُّهُبُ ».

(٢) « المِرَاسُ » : « الجَلَدُ وَالقُوَّةُ ».

(٣) « سورة النمل : ٣٠/٢٧ ـ ك ـ ».

(٤) الأصل : بصيرة الحضرة ، وأرجح صواب ما أثبت .

(٥) بياض في الأصل بمقدار سطر واحد .

عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ . . . .
. . . . [١] قَوَاعِدَ الإِسْلَامِ وَأَنْ يَعْمُرَ وَيَغْمُرَ بِوُجُودِهِ وَجُودِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَأَنْ يُلْحِقَ الْحَضْرَةَ بِالْحَضْرَةِ ، وَيَحْشُرَ الزُّمْرَةَ فِي الزُّمْرَةِ . فَـ « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » [٢] . وَ « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » [٣] . ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴾ [٤] .



(١) بياضٌ في الأصل بمقدار سطر واحد .

(٢) « صحيح البخاري : ٤٨/٨ – (٧٨) كتاب الأدب (٩٦) باب علامة حب الله عزَّ وَجَلَّ » .

(٣) « سنن أبي داود : ٣٦٧/٢ – كتاب اللباس – باب في لبس الشهرة – .

(٤) « سورة المائدة : ٥٦/٥ – م – » .

خُطْبَةٌ فِي التَّعْرِيفِ بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ وَقَدْرِهِ الْعَلِيِّ الْمُنِيفِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَارِئِ أَمْشَاجِ [١] النَّسَم [٢] . وفَاتِقِ رِتَاجِ الكِمَم [٣] . وَمُولِـجِ الْأَنْوَارِ فِي الظُّلَم . ومُخْرِجِ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْعَدَم . خَلَقَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ « آدَم » [٤] . وَنَجَّىٰ « نوحاً » [٥] فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْغَرَقِ الَّذِي عَم . وَقَالَ لِلنَّارِ ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰماً عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٦] وَهِيَ

---

(١) « المَشِـجُ » وَ « المَشِيجُ » كل شيئين مختلطين ج « أمشاج » وفي التنزيل العزيز : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ « سورة الإنسان : ٢/٧٦ ــ م ــ » .

(٢) « النَّسَم » : « الخَلْق » .

(٣) « فَاتِقِ رِتَاجِ الكِمَمِ » كناية عن تفتح براعم الأزهار بعد انغلاقها . ويقال كِمَام في جَمْع الكِمَامَةِ ، ولا يقال كِمَم . والكمامة وعاء الطلع وغطاء النَّوْر .

(٤) اقتباسٌ من الآية الكريمة : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ « سورة الرحمن : ١٤/٥٥ ــ م ــ » .

(٥) إشارة إلى التنزيل العزيز : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ « سورة الشعراء : ١١٩/٢٦ ــ ك ــ » . وكذلك : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَا ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ « سورة العنكبوت : ١٥/٢٩ ــ ك ــ » .

(٦) « سورة الأنبياء : ٦٩/٢١ ــ ك ــ » .

تَضَرَّم . وسَلَّمَ « مُوسَىٰ » (١) مِنْ سَطْوَةِ « فِرْعَوْنَ » (٢) وَنَجَّاهُ مِنَ الْيَم . وَأَنْطَقَ « عِيسَىٰ » فِي الْمَهْدِ (٣) بِبَرَاءَةِ « مَرْيَم » . وَخَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ « بِمُحَمَّدٍ » (٤) ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ أَجْمعِينَ وسَلَّمَ ـ وَجَعَلَهُ سَيِّدَ وَلَدِ « آدَمَ » وَأُمَّتَهُ خَيْرَ الْأُمَم . أَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا رَزَقَ وَأَنْعَم ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَيْهِ فِيمَا قَضَىٰ وَأَبْرَم ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ مَنْ آمَنَ بِـهِ وَأَسْلَم ، وَأَشْهَدُ أَنَّ « مُحَمَّداً » عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ الْمُكَرَّم ، وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَىٰ الْمُعَظَّم ، أَرْسَلَهُ إِلَىٰ كَافَّةِ « الْعَرَبِ » و « الْعَجَم » ، وَاخْتَصَّهُ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ / والشِّيَم . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَهْلِ الْفَضْـلِ وَالْكَرَم ، وَأَصْحابِهِ الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ والذِّمَم . [٥٢ و]

---

(١) انظر « خبر « موسى » ـ عليه السلام ـ و« فرعون » في « القرآن الكريم ـ سورة القصص : ١/٢٨ ـ ٤٠ ـ ك ـ » .

(٢) « فِرْعَوْن » : كلمة تتألف من لفظين منحوتين : « بر » و « عو » أي : « البيت الأعظم » كانت نعتاً للقصر الملكي منذ أيام الدولة المصرية القديمة . ثم أصبحت علَماً على ملوك مصر منذ الألف الأول قبل الميلاد . وهي تقارب في معناها معنى « الباب العالي » الذي كان يعنى به السلطان العثماني في إستانبول . وتردد ذكر « فرعون » و« آل فرعون» في «القرآن الكريم» أربعاً وسبعين مرة .

(٣) إشارة إلى التنزيل العزيز : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ﴾ « سورة مريم : ٢٩/١٩ ـ ك ـ » .

(٤) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ « سورة الأحزاب : ٤٠/٣٣ ـ م ـ » .

أَمَّا بَعْـدُ فَحَقِيقٌ بِيَوْمٍ كَانَ فِيـهِ وُجُودُ « الْمُصْطَفَىٰ » - ﷺ - أَنْ يُتَّخَذَ عِيـداً [(١)] . وَخَلِيقٌ بِوَقْتٍ أَسْفَرَتْ فِيـهِ غُرَّتُهُ أَنْ يُعْقَدَ طَالِعاً سَعِيداً ، فَاتَّقُوا عِبَادَ اللهِ وَاحْذَرُوا عَوَاقِبَ الذُّنُوبِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ اللهِ بِتَعْظِيمِ شَأْنِ هٰذا النَّبِيِّ الْمَحْبُوبِ ، وَاعْرِفُوا حُرْمَتَهُ عِنْدَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ، ﴿ ذٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰئِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ ﴾ [(٢)] ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا أَكْرَمَ أَيَّامَ مَوْلِدِهِ الشَّرِيفَةَ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهَا ، وَمَا أَعْظَمَ بَرَكَتَهَـا عِنْدَ مَنْ لاحَظَ سِرَّهَا ، فَفِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ انْبَثَقَتْ [(٣)] عَنْ جَوْهَرَةِ الْكَوْنِ بَيْضَةُ الشَّرَف . وَفِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ مِنْهُ ظَهَرَتِ الدُّرَّةُ الْمَصُونَةُ مِنْ بَاطِنِ الصَّدَف . وفي ثَانِي عَشَرِهِ [(٤)] أَبْرَزَ سَابِقُ السَّعْدِ مِنْ كُمُونِ الْعَدَم . وَ « بِمَكَّةَ » الْمُشَرَّفَةِ أَنْجزَ صَادِقُ الْوَعْدِ بِمَضْمُونِ الْكَرَم . حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ فِي شَهْرِ رَجَبٍ الْأَصَمِّ . وَمَاتَ أَبُوهُ وَحَمْلُهُ مَا اسْتَتَمَّ . ثُمَّ أَدَّتْ مَا حَمَلَتْهُ مِنَ الْأَمَانَةِ آمِنَة . وَكَانَتْ مِمَّا تَشْكُو الْحَوَامِلُ آمِنَة . فَحِينَئِذٍ أَسْفَرَ صُبْحُ السَّعَادَةِ وَبَدَا . وَبَشَّرَتْ طَلَائِعُهُ بِطُلُوعِ شَمْسِ الْهُدَىٰ . وَطُوِّقَ جِيـدُ

---

(١) أورد الإمام محمد بن يوسف بن علي الصالحي المتوفىٰ سنة ٩٤٢ هـ مجموعة من الفتاوى والآراء حول اتخاذ يوم مولد المصطفى ﷺ عيداً تيمناً ببركته . انظر : « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ــ الباب الثالث عشر : ١/٤٣٩ ــ ٤٥٤ » .

(٢) « سورة الحج : ٢٢/٣٢ ــ م ــ » .

(٣) الأصل : انبسقت .

(٤) الأصل : ثاني عشرة .

الْوُجُـودِ بِعُقُودِ الْإِفْضَـال ، وَدَارَتْ أَفْـلَاكُ السُّعُودِ بِقُطْبِ دَائِرَةِ الْكَمَال ، فَوَضَعَتْهُ - ﷺ - وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَىٰ الْأَرْض ، رَافِعـاً رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ ، مَقْطُوعَ السُّرَّةِ (١) مَخْتُوناً ، مُنَزَّهاً عَنْ قَذَرِ النُّفَاس مُكَرَّما ، فَأَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ « بُصْرىٰ » مِنْ « أَرْضِ الشَّامِ » ، وَخَمَدَتْ نَارُ « فَارِسَ » (٢) الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَلَمْ تَخْمُدْ مُنْذُ أَلْفِ عَام ، وَانْشَقَّ لِهَيْبَتِـهِ حِينَ وُلِدَ « إِيوانُ كِسْرَىٰ » ، وَتَوَاصَلَتْ مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْكُهَّانِ هَوَاتِفُ الْبُشْرَىٰ ، وَأَشْرَقَتْ مَطَالِـعُ الْأَنْوَارِ بِمَيْمُونِ وِفَادَتِه ، وَتَعَبَّقَتْ أَرْجَـاءُ الْأَقْطَارِ بِطِيبِ وِلَادَتِه ، وَخَرَّتِ الْأَصْنَامُ عَلَىٰ وُجُوهِهَا إِذْعَاناً لِسِيَادَتِه . فَأَرْضَعَتْهُ « ثُوَيْبَةُ » مَوْلَاةُ عَمِّهِ أَيَّاما . ثُمَّ تَوَلَّتْ مِنْهُ « حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ » رِضَاعاً وَفِطَاما ، فَشَمَلَتْهَا الْبَرَكَاتُ بِحَضَانَتِه ، وَلَمْ تَزَلْ تَتَعَرَّفُ الْخَيْرَاتِ فِي مُدَّتِه ، فَدَرَّ ثَدْيُهَا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَاطِلا ، وَجَادَتْ شَارِفُها (٣) بِاللَّبَنِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَا تَرْوِي نَاهِلا (٤) ، وَأَسْرَعَتْ أَتَانُهَا فِي السَّيْرِ وَقَدْ كَانَتْ ثَاقِلا ، وَأَخْصَبَتْ بِلادُهَا وَكَانَتْ قَبْلَ ذٰلِكَ مَاحِلا . ثُمَّ فَصَلَتْهُ بَعْـدَ [أَنْ] (٥) تَمَّ لَهُ الْحَوْلَان ، وَكَانَ يَشِبُّ شَبَاباً لَا يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ ، وَظَهَرَتْ

(١) الأصل : الصرة .

(٢) الأصل : نار الفارس .

(٣) « الشارف » : المسن من الدواب .

(٤) الناهل : الشارب .

(٥) التكملة يقتضيها السياق .

لَهُ فِي صِغَرِهِ مَخَايِلُ نبُوَّته . وَأَخَذَهُ المَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ فَشَقَّا مِنْ تَحْتِ صَدْرِهِ إِلَىٰ سُرَّته [١] ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ ، وَقَالَا هٰذَا حَظُّ « الشَّيْطَانِ » ، وَغَسَلَاهُ بماءِ « الْكَوْثَر » .

ـ قُلْتُ : « المَشْهُورُ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُمَا غَسَلَاهُ بِمَـاء « زَمْزَمَ » . فَلِذٰلِكَ جَزَمَ « الْبُلْقَيْنِيُّ » وغَيْرُهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ مَـاءَ « زَمْزَمَ » أَفْضَلُ مِنَ « الْكَوْثَرِ » ـ ثمَّ خَتَمَاهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَان .

ثُمَّ مَاتَتْ لِسِنِّ تَمْيِيزِهِ أُمُّه ، وَكَفَلَهُ / جَدُّهُ ثُمَّ عَمُّه . وَلَمْ يَزَلْ [٥٢ ظ] ـ ﷺ ـ يَنْشَأُ وَعَيْنُ الْعِنَايَةِ تَرْعَاه ، وتَحْفَظُهُ مِمَّـا يَحْذَرُهُ وَيَخْشَاه ، وَمَنَحَهُ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ مُنْذُ نَشَأَ كُلَّ خُلُقٍ جَمِيل ، وَأَحَلَّهُ مِنَ الْقُلُوبِ فِي المَحَلِّ الْجَلِيل . وَعُرِفَ مِنْ بَيْنِ أَقْرانِهِ بِالْعِفَّةِ والصِّيَانَة ، وَتَمَيَّزَ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَة . وَلَمَّا أَخَذَتْ مَطَالِـعُ بِعْثَتِهِ فِي أُفُقِ سُمُوِّهَا ، وَآنَ لِشَمْسِ نُبُوَّتِهِ أَنْ تَطْلَعَ مِنْ عُلُوِّهَا . حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلْوَةُ لِلْأُنْسِ بِرَبِّه . وَكَانَ يَخْلُو فِي « حِرَاءٍ » [٢] وَيَتَنَعَّمُ بِقُرْبِه . وَكَانَتْ تَظْهَرُ لَهُ الْأَضْوَاءُ وَالْأَنْوَار ، وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالرِّسَالَةِ الْأَحْجَارُ وَالْأَشْجَار .

ثُمَّ كَانَ وَحْيُهُ مَنَامًا ، وتَعْلِيمُهُ إِلْهامًا ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْياً إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْح ، وَلَا يَنْوِي أَمْراً إِلَّا ظَفِرَ بِالْفَوْزِ وَالنُّجْح .

---

(١) في الأصل : صرته .

(٢) « حِراءٌ » ـ بالكسر والتخفيف والمد ـ . « مراصد الاطلاع : ١/٣٨٨ » .

فَلَمَّا بَلَغَ الْأَرْبَعِين ، جَاءَهُ « جِبْرِيلُ » الْأَمِين ، مِنْ رَبِّهِ ذِي الْجَلَالِ بِمَنْشُورِ [١] النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ، فَأَقْرَأَهُ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [٢] فَمَكَثَ ﷺ ـ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَة، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّهِ ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [٣] ، فَآمَنَ بِهِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ فِي دَارِ الْبَقَاءِ ، وَكَذَّبَ بِهِ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ فِي الْأَزَلِ الشَّقَاءُ .

وَلِعَشْرِ سِنِينَ مِنْ مَبْعَثِهِ الْكَرِيم ، خَصَّهُ اللهُ بِالْإِسْرَاءِ الْعَظِيمِ . فَسَارَ وَ « جِبْرِيلُ » مُصَاحِبٌ لَهُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ السَّمٰوَاتِ الْعُلَىٰ ، وَجَاوَزَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ ، وَشَرُفَ بِالْمُنَاجَاةِ فِي الْمَقَامِ الْأَسْنَىٰ ، وَنَالَ مِنَ الْقُرْبِ مَا تُرْجِمَ عَنْهُ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٤] . ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ دَارِ هِجْرَتِهِ ، وَمَأْوَى [٥] أَنْصَارِهِ وَأُسْرَتِه ، فَسَلَّ سَيْفَ الْحَقِّ مِنْ غِمْدِه ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ غَايَةَ جَهْدِه ، حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ لَهُ أَقْفَالَ الْبِلَاد ، وَمَكَّنَهُ مِنْ نَوَاصِي [٦] الْعِبَاد ،

(١) « المنشور » : بيان بأمرٍ من الأمور يذاع بين الناس ليعلموه .

(٢) « سورة العلق : ٩٦/١ ــ ٥ ــ ك ــ » .

(٣) « سورة النحل : ١٦/١٢٥ ــ ك ــ » .

(٤) « سورة النجم : ٥٣/٩ ــ ك ــ » .

(٥) في الأصل : وما .

(٦) « النواصي » : جمع « النَّاصية » مُقَدَّم الرأس ، وشعر مقدم الرأس إذا طال (ج) نواصٍ وناصيات . ويقال : أذل فلان ناصية فلان : أهانه وحطَّ من قدره . وفلان ناصية قومه : شريفهم . « المعجم الوسيط : ٢/٩٣٥ » .

وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّه. ثُمَّ تَوَفَّاهُ عِنْدَ حُضُورِ أَجَلِه ، إِلَىٰ مَا أَعَدَّ لَهُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ حَبَاهُ بِأَنْوَاعِ الْإِكْرَامِ ، وَأَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِجَمِيعِ الْأَنَامِ ، وَجَعَلَهُ سَيِّدَ وَلَدِ « آدَمَ » وَمُعَوَّلَهُمْ ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَأَوَّلَهُمْ ، وَنَسَخَ بِشَرْعِهِ الشَّرَائِعَ ، وَمَلأَ بِذِكْرِهِ الْمَسَامِعَ ، وَشَرَّفَ بِرِسَالَتِهِ الْمَنَائِرَ وَالْمَنَابِر ، وَقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ فِي لِسَانِ كُلِّ ذَاكِرٍ ، وَذَلَّلَ كُلَّ صَعْبٍ لِطُلَّابِه ، وَأَمَدَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ الْكِرَامِ تُجَاهِدُ فِي رِكَابِه .

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِظُهُورِه ، وَأَخْرَجَنَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ بِنُورِه ، أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ شَمِلَتْهُ بِرَحْمَتِهِ الْعِنَايَة ، وَلَاحَظَتْهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ عَيْنُ الرِّعَايَة ، وَأَنْ يُشَرِّفَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا بِطَاعَتِه ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِه ، وَاغْتِنَامِ زِيَارَتِه ، وَيَحْشُرَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي شَفَاعَتِهِ وَزُمْرَتِه .

« اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَجَّهُ إِلَيْك ، وَنَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ بِحَقِّهِ عَلَيْك ، فَهُوَ أَوْجَهُ الشُّفَعَاءِ لَدَيْك ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْك ، أَنْ لَا تَدَعَ لَنَا ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَه ، وَلَا هَمّاً إِلَّا فَرَّجْتَه ، وَلَا ضُرّاً / إِلَّا كَشَفْتَه ، وَلَا عَدُوّاً إِلَّا كَفَيْتَه ، وَلَا [٥٣ و] شَرّاً إِلَّا صَرَفْتَه ، وَلَا خَيْراً إِلَّا يَسَّرْتَه ، وَلَا وَالِياً إِلَّا أَصْلَحْتَه ، وَلَا مُجَاهِداً فِي سَبِيلِكَ إِلَّا نَصَرْتَه ، وَلَا طَالِباً لِلْخَيْرِ إِلَّا أَعَنْتَه ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلَّا قَضَيْتَهَا ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! » .

القسم الأول

في سيرة الحضرة

الْبَابُ الأَوَّلُ

في سَرْدِ مَضْمُونِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ
مِنْ ذِكْرِ مَوْلِدِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَىٰ[1] وَفَاتِهِ،
وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَغَزَوَاتِهِ ، بِحَيْثُ لَوِ ٱقْتَصَرَ
عَلَيْهِ مُقْتَصِرٌ لَأَغْنَاهُ عَمَّا فَصَّلْنَاهُ فِي سَائِرِ ٱلْكِتَابِ[1]
وَفَرَّطْنَاهُ

(١) الأصل : الكتب .

ـ(مَوْلِدُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ وَرَضَاعُهُ فِي « بَنِي سَعْدٍ »)ـ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : « وُلِدَ [١] نَبِيُّنَا « مُحَمَّـدٌ » - ﷺ - فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ [٢] بِلَا خِلَافٍ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْـهُ عَلَى الأَشْهَرِ [٣] . وأَرْضَعَتْهُ [٤] « حَلِيمَـةُ السَّعْدِيَّةُ » ، وَفَصَلَتْهُ لِحَوْلَيْنِ

(١) انظر خبر ولادة رسول الله ﷺ في : « سيرة ابن هشام : ١٥٨/١ » ، و «الروض الأنف : ١٤٣/٢ و ١٥٨ الحاشية (١) ـ » و « إنسان العيون : ٨٦/١ » ، و « تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام ـ للذهبي ـ : ٥/٢ » . ، و « عيون الأثر : ٣٤/١ و ٣٥ » . و « إمتاع الأسماع : ٣/١ » و « نهاية الأرب : ٦٧/١٦ » ، وانظر أيضاً في « سبل الهدى والرشاد : ٤٠١/١ » : تاريخ مولده ﷺ ومكانه ، و « طبقات ابن سعد : ٦٢/١/١ » . و « تاريخ الخميس : ١٩٥/١ ـ ١٩٧ » ، و « تاريخ الطبري : ١٥٥/٢ » . و « أنساب الأشراف : ٩٢/١ الفقرة (١٥٨) » .

(٢) قال قتادة الأنصاري : سأل أعرابي رسول الله ﷺ ، فقال : « ما يقول في صوم يوم الإثنين ؟ » قال : « ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، وفيه أُوحِيَ إليَّ » . ـ أخرجه « مسلم » ـ .

(٣) انظر : « تاريخ الخميس : ١٩٧/١ » و « التقويم العربي قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته ﷺ : ٣٦ ـ ٣٩ » ، وذكر فيه المرحوم « محمود باشا الفلكي » : أن ولادة الرسول كانت في صبيحة يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ إبريل (نيسان) عام الفيل سنة ٥٧١ م . وانظر أيضاً : « سيرة ابن هشام : ١٥٨/١ ـ الحاشية : (٤) » ، و « إنسان العيون : ٩٤/١ » .

(٤) انظر رضاعه ـ ﷺ ـ من « ثويبة » و«حليمة السعدية » في : « سيرة ابن هشام:١٦٠/١ » و « الروض الأنف : ١٤٤/٢ ـ ١٤٥ و ١٦٣/٢ ، و « تاريخ الإسلام ـ للذهبي ـ : ١٩/٢ » و « عيون الأثر : ٤١/١ ـ ٤٤ » ، وما جاء في مراضعه ـ ﷺ ـ في : « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : ٤٥٧/١ ـ ٤٦١ و ٤٧٠ ـ ٤٧٧ » ، وانظر « طبقات ابن سعد : ٦٧/١/١ ـ ٧٠ » . وإمتاع الأسماع : ٥/١ » و « تاريخ الطبري : ١٥٥/٢ » . و « نهاية الأرب : ٨٠/١٦ » ، و « إنسان العيون : ١٣٨/١ ، و « أنساب الأشراف : ٩٢/١ الفقرة : (١٦٠) » .

كَامِلَيْنِ . وَقَدِمَتْ بِهِ « مَكَّةَ » ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ إِلَىٰ بِلَادِ [١] « بَنِي سَعْدٍ » لِحِرْصِهَا عَلَيْهِ . وَشُقَّ [٢] صَدْرُهُ - ﷺ - فِي الْعَامِ الْخَامِسِ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ .

ثُمَّ قَدِمَتْ [٣] بِهِ بَعْدُ لَمَّا تَخَوَّفَتْ عَلَيْهِ . فَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ عِنْدَهُمْ نَحْوَ خَمْسَةِ أَعْوَامٍ .

-(خروج « آمنة » إلى « المدينة » ووفاتها)-

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مَوْلِدِهِ - ﷺ - : خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ مَعَهَا إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » ، فَأَقَامَتْ بِهِ شَهْراً ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ فَمَاتَتْ « بِالْأَبْوَاءِ » [٤] - بِوَاحِدَةٍ - ، بَيْنَ « مَكَّةَ » وَ « الْمَدِينَةِ » .

---

(١) الأصل : بلد بني سعد .

(٢) انظر خبر شق صدره ﷺ في « سبل الهدى والرشاد : ١ / ٤٧٣ - ٤٧٥ » . وانظر : حديث الملكين اللذين شقّا بطنه - ﷺ - في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ ، وفي « الروض الأنف : ١٦٨/٢ و ١٧٨/٢ ، و « إمتاع الأسماع : ٦/١ » و « تاريخ الإسلام : ٢٠/٢ - ٢١ » .

(٣) انظر « رجوع « حليمة السعدية » « بمحمد » - ﷺ - لأمه » في « سيرة ابن هشام : ١٦٥/١ » و « الروض الأنف : ١٧٩/٢ » و « إمتاع الأسماع : ٦/١ » ، و انظر خبر وروده ﷺ إلى جده في « سبل الهدى والرشاد : ٤٧٥/١ » . و « أنساب الأشراف : ٩٤/١ الفقرة : (١٦٣) » .

(٤) انظر خبر وفاة أمه « آمنة » - ﷺ - في « الأبواء » في : « سيرة ابن هشام : ١٦٨/١ » ، و « الروض الأنف : ١٨١/٢ و ١٨٤/٢ ، و « سبل الهدى والرشاد : ١٦٣/٢ » ، و « إمتاع الأسماع : ٦/١ » ، و « نهاية الأرب : ٨٧/١٦ » ، و « طبقات ابن سعد : ٧٣/١/١ » ، و « إنسان العيون : ١٧٢/١ » ، و « تاريخ الطبري : ١٦٥/٢ ، » ، و « أنساب الأشراف : ٩٤/١ الفقرة (١٦٤) و ٩٥ - الحاشية (١٦٦) » و « تاريخ الإسلام : ١٢٣/٢ » ٥

ـ(وفود « عبد المطلب » على « سيفِ بن ذي يزنَ »)ـ

وَفي السَّنَةِ السَّابِعَةِ : وَفَدَ جَدُّهُ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » عَلَىٰ « سَيْفِ بْنِ ذِي يَزنٍ الْحِمْيَرِيِّ » فَأَخْبَرَهُ [1] « سَيْفٌ » وَالْكُهَّانُ بِنُبُوَّةِ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ .

ـ(وفاة « عبد المطلب »)ـ

وَفي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ : تُوُفِّيَ جَدُّهُ [2] « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » وَكَفَلَهُ عَمُّـهُ « أَبُو طَالِبٍ » .

---

(١) انظر خبر تهنئة «عبد المطلب» «سيف بن ذي يزن الحميري» في : « أخبار مكة المشرفة ـ للأزرقي ـ : ٩٨/١ ـ ١٠٢ » ، و « سبل الهدى والرشاد : ١٤٦/١ ـ ١٤٨ » ، و « نهاية الأرب : ١٦/ ١٣٧ ـ ١٤١ » .

(٢) انظر خبر وفاة جد الرسول ـ ﷺ ـ في « سيرة ابن هشام : ١٦٩/١ ، و « الروض الأنف : ١٨٨/٢ و ١٩٧/٢ » ، و « إنسان العيون : ١٨٤/١ » ، و « سبل الهدى والرشاد : ١٨٣/٢ ، و « إمتاع الأسماع : ٧/١ » ، و « نهاية الأرب : ٨٨/١٦ » ، و « طبقات ابن سعد : ٧٥/١/١ » ، و « تاريخ الطبري : ١٦٦/٢ و ٢٧٧/٢ » ، و « تاريخ الإسلام : ٢٦/٢ » .

ــ(خروج «أبي طالب» «بمحمد» ــ ﷺ ــ إلى«الشام» وتحقق «بحيراء» من نبوته)ــ(*)

وَفِي الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ (١) : خَرَجَ(٢) بِهِ عَمُّهُ « أَبُوطَالِبٍ » إِلَىٰ « الشَّامِ » ، فَلَمَّا بَلَغُوا « بُصْرَىٰ » رَآهُ « بَحِيراءُ » الرَّاهِبُ ـ بِفَتْحِ الْمُوَحَّــدَةِ وَكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ مَهْمُوزاً ـ فَتَحَقَّقَ فِيهِ صِفَاتِ النُّبُوَّةِ (٣) ، فَأَمَرَ عَمَّهُ بِرَدِّهِ ، فَرَجَعَ بِهِ .

ــ(حرب « الفجار » بين « قريش » و « هوازن »)ــ

وَفِي الرَّابِعَةَ(٤) عَشْرَةَ : كَانَتْ « حَرْبُ الْفِجَارِ » (٥) ـ بِكَسْرِ الْفَاءِ ـ

(*) وقد سكت المؤلف عن ذكر حياته ما بين التاسعة من عمره حتى الحادية عشرة .

(١) الأصل : الثانية عشر .

(٢) انظر خبر خروج عمه « أبي طالب » به ﷺ إلى « الشام » في « سيرة ابن هشام : ١٨٠/١ ــ ١٨٣ » ، و « الروض الأنف : ٢١٦/٢ ــ ٢١٩ » ، و « أنساب الأشراف : ٩٦/١ ــ الفقرة ١٧٢ » . و « طبقات ابن سعد : ٧٦/١/١ ــ » . و « نهاية الأرب : ٩٠/١٦» ، و « سبل الهدى والرشاد : ١٨٨/٢ ــ ١٩١ » ، وانظر بشكل خاص « خبر بحيرا » ، في « تاريخ الطبري : ٢٧٧/٢ » ، و « إمتاع الأسماع : ٨/١ » ، و « إنسان العيون : ١٩١/١ » ، و « عيون الأثر : ٥٢/١ ــ ٥٤ » . وانظر بوجه خاص الخلاف بين الرواة حول سنه حينئذ .

(٣) الأصل : النبوية .

(٤) الأصل : الرابعة عشر ، وقد سكت المؤلف عن ذكر حياته في السنة الثالثة عشرة .

(٥) جاء في «تاريخ الإسلام ــ للذهبي ــ : ٣٠/٢»: « هي أربعة أفجرة في الأشهر الحرم وكانت الدبرة على « قيس » ــ أي : « قيس عيلان » ــ » .

وحرب الفجار هي حرب وقعت بين «قريش» وحلفائها وبين«هوازن» ، وحضرها النبي ــ ﷺ ــ انظر : «المعجم الوسيط : ٦٨١/٢ » . وقال « المقريزي » : « وشهد « حَرْبَ الفجار » الأيام سائرها إلاّ «يوم نخلة» ، وكان يناول عمه ــ «الزبير بن عبد المطلب» ــ النَّبْلَ ، وكان عمره ﷺ يومئذ عشرين سنة ، وقيل أربع عشرة أو خمس عشرة سنة ، انظر : « إمتاع الأسماع : ٩/١ » ، وحدد «الزركلي» في « الأعلام : ١٥٧/٨ » هذه الحرب أنها كانت سنة (٣٣ ق . هـ/٥٩١ م) .

بَيْنَ « قُرَيْشٍ » وَ « هَوَازِنَ » وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ « لِهَوَازِنَ » عَلَىٰ « قُرَيْشٍ » فَشَهِدَهَا ـ ﷺ ـ مَعَ قَوْمِهِ يَوْماً ، فَانْقَلَبَتِ الدَّائِـرَةُ « لِقُرَيْشٍ » عَلَىٰ « هَوَازِنَ » .

ـ(عقد حلف الفضول لنصرة المظلوم)ـ

ثُمَّ عَقَدَتْ « قُرَيْشٌ » « حِلْفَ الْفُضُولِ »[1] لِنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ فَشَهِدَهُ مَعَ قَوْمِهِ .

ـ(خروجه ـ ﷺ ـ بتجارة « لخديجة » إلى « الشام »)ـ

وَفِي الْخَامِسَةِ والْعِشْرِينَ[2] خَرَجَ ـ ﷺ ـ مَعَ « مَيْسَرَةَ » غُلَامِ « خَدِيجَةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ فِي تِجَارَةٍ لَهَا فَرَآهُ « نَسْطُورُ » ـ بِفَتْحِ النُّونِ ـ الرَّاهِبُ فَقَالَ : « أَشْهَدُ أَنَّ هٰذَا نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ » . فَلَمَّا رَجَعَا أَخْبَرَهَا « مَيْسَرَةُ » بِذٰلِكَ ، وَبِمَا شَاهَدَ مِنْـهُ ـ ﷺ ـ فَخَطَبَتْهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا ، فَنَكَحَهَا[3] .

---

(١) حلف الفضول هو حلف شهده « النبي » ﷺ مع عمومته في دار « عبد الله بن جُدْعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة » . انظر : « الروض الأنف : ٢/٦٣ » .

(٢) سكت المؤلف عن ذكر حياته ﷺ من السنة الخامسة عشرة حتى الرابعة والعشرين .

(٣) انظر : « زوَاجُهُ ﷺ « بِخَدِيجَةَ » في : « السِّمْطِ الثَّمِينِ : ١٦ ـ ٣٢ » .

—(تجديد « قريش » لبناء « الكعبة »)—

وَفِي الْخَامِسَةِ والثَّلَاثِينَ [١] : بَنَتْ « قُرَيْشٌ » « الْكَعْبَةَ » وَوَضَعَ — ﷺ — « الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ » فِي مَكَانِهِ [٢] .

—(تحنثه ﷺ في « حراء »)—

وَفِي الثَّامِنَةِ والثَّلَاثِينَ [٣] : حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلْوَةُ . فَكَانَ يَخْلُو « بِغَارِ حِراءٍ » ثُمَّ كَانَ يَرَىٰ الْأَنْوَارَ ، وَيَسْمَعُ الْهَوَاتِفَ [٤] . ثُمَّ كَانَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ الْأَحْجَارُ وَالْأَشْجَارُ .

وَقَبْلَ مَبْعَثِهِ — ﷺ — بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ كَانَ وَحْيُهُ مَنَاماً ، وَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ — أَي : الصُّبْحُ الْمَفْلُوقُ —

---

(١) سكت المؤلف عن ذكر حياته — ﷺ — ما بين السادسة والعشرين حتى الرابعة والثلاثين من مولده الشريف .

(٢) انظر ما جاء بشأن بناء الكعبة المشرفة ما ذكره أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي في كتابه : « أخبار مكة المشرفة : ٣/١ » . وانظر أيضاً : « سبل الهدى والرشاد : ١٧٠/١ — ١٧٢ و١٩٢ و١٩٦ » فقد استعرض فيه مؤلفه الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي تاريخ بناء البيت مذ عمارة الملائكة له فعمارة آدم — عليه السلام — فأولاده ، وعمارة إبراهيم وإسماعيل — عليهما السلام — وعمارة العمالقة وجرهم ، وعمارة قصي بن كلاب ، وعمارة قريش ، وعمارة عبد الله بن الزبير ، ثم عمارة الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٣) سكت المؤلف عن ذكر حياته — ﷺ — من السنة السادسة والثلاثين حتى السابعة والثلاثين من مولده الشريف .

(٤) « الهواتف » ج « هاتف » وهو الصوت يُسْمَعُ دون أن يُرَىٰ شخص الصائح . « المعجم الوسيط : مادة هتف » .

الوَحْي

ـ(بدء الوحي ونزول جبريل بالقرآن ثم الدعوة)ـ

وَلَمَّا بَلَغَ ـ ﷺ ـ أَرْبَعِينَ سَنَةً جَاءَهُ « جِبْرِيلُ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِسُورَةِ « اقْرَأْ » (١) ثُمَّ « الْمُدَّثِّرِ » (٢) ثُمَّ « الْمُزَّمِّلِ » (٣) . فَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ اللهِ سِرّاً حَتَّىٰ / أَنْزَلَ [٥٣ ظ] اللهُ عَلَيْهِ : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (٤) ـ أَيْ : شُقَّ جُمُوعَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ فَأَظْهَرَ الدَّعْوَةَ ـ .

ـ(المهاجرون الأوَّلُونَ مِنَ الصَّحابةِ إلى « الحَبَشَةِ »)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ مَبْعَثِهِ ـ ﷺ ـ : هَاجَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ : « عُثْمَانُ [بنُ عَفَّانَ »] (٥) و « الزُّبَيْرُ [بْنُ الْعَوَّامِ »] (٥) و « عَبْدُ الرَّحْمٰنِ [بْنُ عَوْفٍ »] (٥) و « جَعْفَرُ [بْنُ أَبِي طَالِبٍ »] (٥) ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ وَمَنْ مَعَهُمْ إِلَىٰ « الْحَبَشَةِ » فَأَقَامُوا بِهَا عَشْرَ سِنِينَ .

---

(١) « سورة العلق » : « هي السورة السادسة والتسعون في القرآن الكريم »

(٢) « المدثر » : « هي السورة الرابعة والسبعون في القرآن الكريم » .

(٣) « المزمل » : « هي السورة الثالثة والسبعون في القرآن الكريم » .

(٤) « سورة الحجر : ١٥/٩٤ ـ ك ـ » .

(٥) ـ التكملة لِرَفع الالتباس .

—(إسلامُ « حَمْزَةَ » وَ « عُمَرَ »)—

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مَبْعَثِهِ ـ ﷺ ـ أَسْلَمَ « حَمْزَةُ [بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ »] [1] و « عُمَرُ [بْنُ الْخَطَّابِ »] [1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ فَعَزَّ بِإِسْلَامِهِمَا الْإِسْلَامُ .

—(قَطِيعَةُ « قُرَيْشٍ » « لِبَنِي هَاشِمٍ »)—

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِمُسْتَهَلِّ الْمُحَرَّمِ مِنْهَا : تَعَاهَدَتْ « قُرَيْشٌ » عَلَىٰ قَطِيعَةِ « بَنِي هَاشِمٍ » إِلَّا أَنْ يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ وَيَبْرَؤُوا مِنْهُ ، وَكَتَبُوا بِذَٰلِكَ بَيْنَهُمْ صَحِيفَةً وَعَلَّقُوهَا فِي « الْكَعْبَةِ » .

—(اعْتِزَالُ « بَنِي هَاشِمٍ » فِي « شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ »)—

فَاعْتَزَلَ « بَنُو هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » وَتَبِعَهُمْ إِخْوَانُهُمْ « بَنُو الْمُطَّلِبِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » مَعَ « أَبِي طَالِبٍ » إِلَىٰ « شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ » [2] فَأَقَامُوا بِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، إِلَىٰ أَنْ سَعَىٰ « الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » ، و « زَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ [الْمُطَّلِبِ بْنِ] [3] أَسَدٍ » فِي نَقْضِ « الصَّحِيفَةِ » فَخَرَجَ « بَنُو هَاشِمٍ » وَ « بَنُو الْمُطَّلِبِ » مِنَ « الشِّعْبِ » فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ .

---

(١) التكملة ليرفع الالتباس .

(٢) « شعب أبي طالب » : هو « شعب أبي يوسف » . « معجم البلدان : ٣٤٧/٣ » .

(٣) التكملة عن « إمتاع الأسماع : ٢٦/١ » .

ـ(موت « أبي طالبٍ » ثم موت « خديجة » ـ رضي الله عنها ـ)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ : مَاتَ « أَبُوطَالِبٍ » ، ثُمَّ مَاتَتْ « خَدِيجَةُ » [١] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ [بَعْدَهُ] [٢] بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَحَزِنَ ـ ﷺ ـ لِمَوْتِهِمَا حُزْناً شَدِيداً ، وَنَالَتْ « قُرَيْشٌ » مِنْهُ ـ ﷺ ـ مَالَمْ تَنَلْهُ فِي حَيَاةِ [٣] عَمِّهِ « أَبِي طَالِبٍ » .

ـ(خروج « الرَّسُول » ﷺ ـ إلى « الطَّائفِ »)ـ

فَخَرَجَ ـ ﷺ ـ إِلَىٰ « الطَّائِفِ » وَأَقَامَ بِهَا شَهْراً ، يَدْعُو « ثَقِيفاً » إِلَىٰ اللهِ ـ تَعَالَىٰ ـ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، وَأَغْرَوْا بِهِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ سُفَهَاءَهُمْ ، فَرَجَعَ إِلَىٰ « مَكَّةَ » فَلَمْ يَدْخُلْهَا إِلَّا بِجِوَارِ « الْمُطْعِمِ ابْنِ عَدِيٍّ » .

ـ(عَرْضُ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ نَفْسَهُ عَلى الْقَبَائِلِ)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ [٤] اجْتَهَدَ ـ ﷺ ـ فِي عَرْضِ نَفْسِهِ عَلَىٰ

(١) انظر : « وفاة أبي طالب وخديجة » في « سيرة ابن هشام : ٤١٥/١ » .
(٢) التكملة يقتضيها السِّيَاق .
(٣) الأصل : حيوه .
(٤) الأصل : الحادية عشر .

الْقَبَـائِلِ فِي الْمَوْسِمِ ، فَآمَنَ بِهِ سِتَّةٌ [١] مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَنْصَارِ ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » فَفَشَا [٢] فِيهَا الْإِسْلَامُ .

(الإسراء وفرض الصلاة)

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ [٣] ، فِي « رَجَبٍ » مِنْهَا أَوْ « رَمَضَانَ » : أَسْرَىٰ بِهِ مَوْلَاهُ مِنَ « الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » إِلَىٰ « الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ » ثُمَّ إِلَىٰ « سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ » . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أُمَّتِهِ خَمْسَ الصَّلَوَاتِ .

---

(١) هؤلاء الرؤساءُ السِّتَّةُ هُمْ :

١ً — « أبو أُمامةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدَسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثعلبةَ بنِ غَنْمِ ابنِ مالكِ بنِ النَّجَّـار » .

٢ً — « عوفُ بنُ الحارثِ بنِ رفاعةَ بنِ الحارثِ بنِ سَوَادِ بنِ مالكِ بنِ غَنْمٍ » [ويُقالُ لهُ : « عوفُ بنُ عفراءَ »] .

٣ً — « رافعُ بنُ مالكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عمرو عامرِ بنِ زُرَيْقٍ » .

٤ً — « قُطْبَةُ بنُ عامرِ بنِ حديدةَ [ويُقالُ : « قُطْبَةُ بنُ عَمْرِو بنِ حديدةَ »] ابنِ عَمْرِو بنِ سَوَادِ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمَةَ بنِ الخزرجِ » .

٥ً — « عُقْبَةُ بنُ عامرِ بنِ نابي بنِ حَرامٍ » .

٦ً — « جابرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ رئابِ بنِ النُّعْمانِ بنِ سنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عديِّ ابنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمَةَ » . « إمتاع الأسماع : ١/٣٢ — ٣٣ » .

(٢) الأصل : ففشي .

(٣) في الأصل : الثانية عشر .

ـ(بيعة « العقبة » الأولى وإسلام « السعدين »)ـ

وَفِي آخِرِ تِلْكَ السَّنَةِ فِي الْمَوْسِمِ وَافَاهُ اثْنَا (١) عَشَرَ رَجُلاً مِنَ « الْأَنْصَارِ » « بِالْعَقَبَةِ » (٢) لَيْلاً ، فَبَايَعُوهُ « بَيْعَةَ النِّسَاءِ » (٣) المذكُورَةَ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ (٤) ـ الْآيَة ـ وَبَعَثَ مَعَهُمْ « مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ » ، يُقْرِئُهُمُ « الْقُرْآنَ » . فَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ

---

(١) في الأصل : اثني عشر .

وهؤلاء الاثنا عشر ـ منهم تسعة من « الخزرج » ، وهم :
١ ـ «أسعد بن زُرَارَة» . ٢ ـ «عوف بن عفراء» . ٣ ـ «رافع بن مالك بن العجلان» .
٤ ـ «قطبة بن عامر» . ٥ ـ «عقبة بن عامر» . ٦ ـ «معاذ بن الحارث بن رفاعة» [أخو عوف بن عفراء] . ٧ ـ « ذكوان بن عبد القيس بن خَلَدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيْق » . ٨ ـ « عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج» . ٩ ـ «يزيد بن ثعلبة بن خزمة ابن أصرم بن عمرو بن عَمَّارة [ويقال يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَة بن أصرم بن عمرو بن عَمَّارة من بني فَرَّان بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وكنيته أبو عبد الرحمن] ...

وثلاثة من الأوس وهم :
١ ـ «أبو الهيثم مالك بن التَّيِّهان بن مالك بن عُبَيد بن عمرو بن عبد الأعلَم» ـ ذُو السَّيْفَيْن ـ» .
٢ ـ «عُوَيم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف » .
٣ ـ «البراء بن مَعْرور بن صخر بن خنساء بن سِنَان بن عُبَيْد بن عَدِي بن غَنْم بن كعب ابن سَلَمَة» . « إمتاع الأسماع : ٣٣/١ » .

(٢) « العَقَبَة » ـ بالتحريك ـ وهو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب إلى صعود الجبل . « معجم البلدان : ١٣٤/٤ » .

(٣) « بيعة النساء » : سبب تسمية هذه البيعة ببيعة النساء يكشف عنه ما جاء في قول « عبادة بن الصامت » : « بايعنا رسول الله ـ ﷺ ـ بيعة النساء » أي كبيعة النساء أي كمبايعته للنساء التي كانت يوم فتح «مكة» ، وهي على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا » « إنسان العيون : ١٦١/٢ » .

(٤) « سورة الممتحنة : ١٢/٦٠ ـ م ـ » .

السَّعْدَانِ: «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، سَيِّدُ «الْأَوْسِ»، و «سَعْدُ بنُ عُبَـادَةَ» سَيِّدُ «الْخَزْرَجِ»، فَأَسْلَمَ لِإِسْلَامِهِمَا كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِمَا.

—(بيعة العقبة الثانية)—

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ (١)، فِي آخِرِهَا، فِي الْمَوْسِمِ، وافَاهُ سَبْعُونَ(٢) رَجُلاً مِنْ مُسْلِمِي «الْأَنْصَارِ» فَبَايَعُوهُ عِنْدَ «الْعَقَبَةِ» أَيضاً عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ إِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، وَأَخْرَجُوا (٣)

---

(١) في الأصل: الثالثة عشر.

(٢) في «إمتاع الأسماع: ٣٥/١»: «وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان هما: «أم عُمَارة نُسَيْبَةَ بنت كعب بن عمرو». و«أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي».

(٣) في «إمتاع الأسماع: ٣٦/١» وأقام ﷺ اثني عشر نقيباً هم:
١ - «أسعد بن زرارة». ٢ - «سَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك الأغرّ».
٣ - «عبد الله بن رواحة بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج».
٤ - «رافع بن مالك بن العَجلان». ٥ - و«البراء بن معرور». ٦ - «عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْمِ بن كعب بن سلمة».
٧ - «سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي سلمة [ويقال ابن أبي حزيمة] بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج». ٨ - «المنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لوذان بن عَبْدِ وُدٍّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج». ٩ - «عبادة بن الصامت».
فهؤلاء تسعة من «الخزرج».
ومن «الأوس» ثلاثة:
١ - «أسيد بن الحُضَيْر». ٢ - «سَعْد بن خيثمة بن النحاط بن مالك بن كعب بن الحارث ابن كعب بن حارثة بن غَنْمِ بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس».
٣ - «رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس [وهو «أبو لُبَابَةَ»، وقيل اسمه: «مبشر بن عبد المنذر»]».
ويقال بل الثالث من «الأوس»: «أبو الهيثم مالك بن التيِّهان».
وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود». والمقصودُ: عَلَىٰ حَرْبِ «العَجَم» وَ«الْعَرَب» وَقِيلَ «الجِنّ» و «الإنْس».

لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ، تِسْعَةً مِنَ « الْخَزْرَجِ » ، وَثَلَاثَةً مِنَ « الْأَوْسِ » ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » .

ـ(أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة)ـ

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ حِينَئِذٍ أَصْحَابَهُ بِالْهِجْرَةِ / إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » [٥٤و] وَهَاجَرُوا إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ ـ ﷺ ـ يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ فِي « الْهِجْرَةِ » . وَحَبَسَ مَعَهُ « عَلِيّاً » وَ « أَبَا بَكْرٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ .

ـ(اجْتِمَاعُ « قُرَيْشٍ » فِي « دَارِ النَّدْوَةِ » وَتَآمُرُهَا عَلَى قَتْلِ « النَّبِيِّ » ﷺ)ـ

فَاجْتَمَعَتْ « قُرَيْشٌ » فِي « دَارِ النَّدْوَةِ » لِلْمُشَاوَرَةِ فِي أَمْرِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ فَأَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ ، فَنَزَلَ « جِبْرِيلُ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَٰلِكَ .



الهِجْـــرَة

ـ(مُهَاجَرَتُهُ ـ ﷺ ـ إلى « المَدِينَةِ)ـ

وَأَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » فَهَاجَرَ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ (١) ، لِتَمَامِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ (٢) مِنْ مَبْعَثِهِ ـ ﷺ ـ .

ـ(دُخُولُهُ ـ ﷺ ـ عَوَالِيَ المَدِينَةِ)ـ

وَدَخَلَ ـ ﷺ ـ « عَوَالِيَ الْمَدِينَةِ » يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

ـ(مَكْثُهُ ـ ﷺ ـ « بِقُبَاءَ » وَبِنَاؤُهُ « مَسْجِدَ قُبَاءَ »)ـ

فَلَبِثَ « بِقُبَاءَ » عِنْدَ « بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ » أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً . وَبَنَىٰ فِيهَا « مَسْجِدَ قُبَاءَ » ثُمَّ انْتَقَلَ فَنَزَلَ فِي « بَنِي النَّجَّارِ » ، أَخْوَالِ جَدِّهِ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» فِي «مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ» شَهْراً ، إِلَىٰ [أَن] (٣) بَنَىٰ مَسْجِدَهُ الشَّرِيفَ وَمَسَاكِنَهُ .

---

(١) الأصل : الرابعة عشر .

(٢) الأصل : لتمام ثلاث عشر .

(٣) التكملة يقتضيها السياق .

—(شَرْعُ الأذان)—

وفي تِلْكَ السَّنَةِ ، وَهِيَ الأُولَىٰ مِنْ سِنِيِّ [(١)] الْهِجْرَةِ شُرِعَ الْأَذَانُ .

—(نزول آيةِ فَرْضِ الجِهَادِ)—

وَفِي أَوَّلِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، أَوْ أَوَاخِرِ الْأُولَىٰ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [(٢)] ـ الْآيَات ـ فَأَمَرَ بِالْجِهَادِ .

—(تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام)—

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، فِي رَجَبٍ ، نَزَلَ قَوْلُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [(٣)] فَحُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ إِلَىٰ « الْكَعْبَةِ » بَعْدَ أَنْ صَلَّىٰ إِلَىٰ « بَيْتِ الْمَقْدِسِ » ، نَحْوَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً .

—(نزول آية فرض الصيام في رمضان وفرض الرسول صدقة الفطر فيه)—

وَفِي شَعْبَانَ مِنْهَا : نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [(٤)] ـ الآيات ـ فَفُرِضَ صَوْمُ رَمَضَانَ ، وَفَرَضَ فِيهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صَدَقَةَ الْفِطْرِ .

---

(١) في الأصل : سنين الهجرة .
(٢) « سورة الصف : ٦١/١٠ ــ ١١ ــ م ــ » .
(٣) « سورة البقرة : ٢/١٤٤ ــ م ــ » .
(٤) سورة البقرة : ٢/١٨٣ ــ م ــ » .

—(وقعة « بدرٍ الكبرى » ونزول سورة الأنفال في قسمة غنائمها)—

وَفِيهَا أَيْضاً فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ كَانَتْ وَقْعَةُ [١] « بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ » وَهِيَ ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ [٢] وَنَزَلَتْ « سُورَةُ الْأَنْفَالِ » فِي قِسْمَةِ غَنَائِمِهَا [٣] .

—(مقتل « كعب بن الأشرف الطَّائِيِّ »)—

وَفِيهَا بَعْدَ « بَدْرٍ » أَمَرَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - بِقَتْلِ « كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الطَّائِيِّ » [٤] ، وَأُمُّهُ مِنْ « بَنِي النَّضِيرِ » ، وَهُوَ فِي حِصْنٍ مِنْ « يَثْرِبَ » ، فَقَتَلَهُ خَمْسَةٌ مِنَ « الْأَوْسِ » عَلَيْهِمْ « مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ » - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ - .

—(مَقْتَلُ « أبي رافعٍ سلَّامٍ بنِ أبي الحُقَيْقِ »)—

ثُمَّ أَمَرَ بِقَتْلِ « أَبِي رَافِعٍ [سَلَّامٍ] [٥] بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ » وَهُوَ فِي حِصْنٍ « بِخَيْبَرَ » ، فَقَتَلَهُ سَبْعَةٌ مِنَ « الْخَزْرَجِ » ، عَلَيْهِم « عَبْدُ اللهِ بْنُ عَتِيكٍ » بِتَقْدِيمِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَىٰ التَّحْتِيَّةِ كَعَظِيمٍ - .

---

(١) في الأصل : وقعت .

(٢) « سورة الأنفال : ٤١/٨ — م — » .

(٣) وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا - الآية - ﴾ « سورة الأنفال : ٤١/٨ — م — » .

(٤) وفي الأصل : الطاي .

(٥) التكملة لرفع الالتباس .

ـ(نقض يهود المدينة بني قَيْنُقاعَ عهدهم مع الرسول ﷺ)ـ

وَفِيهَا : نَقَضَتْ « يَهُودُ الْمَدِينَةِ » « بَنُو قَيْنُقَاعَ » رَهْطُ « عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ » الْحَبْرِ الْإِسْرَائِيلِيِّ الْعَهْدَ ، فَحَاصَرَهُمُ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ حَتَّىٰ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِهِ ، فَاسْتَوْهَبَهُمْ مِنْهُ « عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ » [١] ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ .

ـ(وقعة أُحُـدٍ)ـ

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فِي شَوَّالٍ ، فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْهُ كَانَتْ « وَقْعَةُ [٢] أُحُدٍ » ، فَأَكْرَمَ اللهُ فِيهَا مَنْ أَكْرَمَ بِالشَّهَادَةِ ، وَمِنْهُمْ : « حَمْزَةُ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ . وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [٣] ـ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ ـ .

---

(١) « عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول » ، كتابة «ابن سلول» بالألف ويعرب بإعراب عبد الله ، فإنَّه وصفٌ ثانٍ له ، لأنه عبد الله بن أُبَيّ . وهو عبد الله بن سلول أيضاً ، « فَأُبَيٌّ » أبوه ، و « سلول » أمُّه فنُسِب إلى أبويه : انظر : « صحيح مسلم : ٥/٥٨٤ ـ الحاشية: (٧٧) » . وجاء في « إمتاع الأسماع ١/٩٩ ـ الحاشية (٥) أن « سلول » هي جدَّته .

(٢) الأصل : وقعت .

(٣) « سورة آل عمران : ٣/١٢١ ـ م ـ » .

ـ(يَوْمُ الرَّجِيعِ)ـ

[٥٤ ظ] وَفِيهَا : بَعْدَ « أُحُدٍ » بَعَثَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ « عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ » [١] /فِي عَشْرَةٍ عَيْناً [٢] ، فَلَمَّا كَانَ « بِالرَّجِيعِ » ، وَهْوَ مَاءٌ « لِهُذَيْلٍ » ، بَيْنَ « عُسْفَانَ » وَ « مَرِّ الظَّهْرانِ » ظَفِرَ بِهِمْ « بَنُو لِحْيَانَ » بَعْدَ أَنْ أَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ بِالْأَمَانِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سِتَّةً ، وَهَرَبَ اثْنَانِ ، وَأَسَرُوا اثْنَيْنِ ، وَهُمَا : « خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ » وَ « زَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ » فَبَاعُوهُمَا « بِمَكَّةَ » « لِقُرَيْشٍ » فَاشْتَرَوْهُمَا وَقَتَلُوهُمَا .

ـ(قَبَائِلُ سُلَيْمٍ : عُصَيَّةُ وَرِعْلٌ وَذَكْوَانُ وَخَفْرُهَا لِجِوَارِ عَامِرِ بنِ مَالِكٍ)ـ
ـ(وَقَتْلُهَا لِلْقُرَّاءِ)ـ

وَفِيهَا أَيْضًا : بَعْدَ « أُحُدٍ » بَعَثَ ـ ﷺ ـ [إِلَىٰ] [٣] « عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ الْعَامِرِيِّ » ـ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ ـ سَبْعِينَ رَجُلًا ، وَهُمُ « الْقُرَّاءُ » [٤] بِجُوَارِهِ [٥] ، فَقَتَلَهُمْ « قَبَائِلُ سُلَيْمٍ » : ـ « عُصَيَّةُ » [و] [٦] « رِعْلٌ » وَ « ذَكْوَانُ » ـ

---

(١) انظر : « صحيح البخاري : ١٣٢/٥ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٢٨) باب غزوة الرجيع »

(٢) « العين » : « الجاسوس » .

(٣) التكملة يقتضيها السياق .

(٤) « صحيح البخاري : ١٣٤/٥ ـ ١٣٧ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٢٨) باب غزوة الرجيع ورِعْلٍ وذكوانَ وبئرِ معونةَ » .

(٥) « الجوار » : العهد والأمان .

(٦) التكملة يقتضيها السياق .

وَأَخْفَرُوا جِوَارَ « عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ » . فَقَنَتَ [١] « النَّبِيُّ » - ﷺ - يَدْعُو عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ « بَنِي لِحْيَانَ » . وَكَانُوا أَطْلَقُوا « عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ » . فَلَمَّا رَجَعَ وَجَدَ اثْنَيْنِ مِنْ « بَنِي عَامِرٍ » فَقَتَلَهُمَا وَمَعَهُمَا [٢] جِوَارٌ [٣] مِنَ « النَّبِيِّ » - ﷺ - لَمْ يَعْلَمْ بِهِ فَوَدَاهُمَا [٤] « النَّبِيُّ » - ﷺ - .

ـ(قَصْدُ «الرسول» ـ ﷺ ـ «بني النضير» للاستعانة بهم في دية الرَّجُلَيْنِ)ـ

وَفِيهَا ، أَوْ فِي الرَّابِعَةِ : قَصَدَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - « بَنِي النَّضِيرِ » يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَهُمَا « عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ » . فَاسْتَنَدَ إِلَىٰ جِدَارِ حِصْنٍ لَهُمْ ، فَهَمُّوا بِطَرْحِ حَجَرٍ عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ « جِبْرِيلُ » - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرَهُ بِذَٰلِكَ ، فَقَامَ مُوهِماً لَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ ذَاهِبٍ ، ثُمَّ صَبَّحَهُمْ - ﷺ - بِالْجَيْشِ فَجَلَّاهُمْ [٥] إِلَىٰ « الشَّامِ » .

---

(١) « قَنَتَ » : لها معان مختلفة ، والمعنى المقصود هنا : دعاء النبي - ﷺ - عليهم .

(٢) الأصل : ومعها .

(٣) « الجوار » : العَهْدُ والأَمَانُ

(٤) وَدَاهُمَا : دَفَعَ دِيَتَهُمَا .

(٥) « جَلَاهُمْ » : أَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ .

(نُزُولُ سُورَةِ الْحَشْرِ فِي « بَنِي النَّضِير »)

وَفِيهِمْ : نَزَلَتْ « سُورَةُ الْحَشْرِ » : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِنْ دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ (١) - إِلَىٰ آخِرِهَا فَجَلَوْا إِلَىٰ « الشَّامِ » إِلَّا « حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبَ » فَلَحِقَ « بِخَيْبَرَ » .

(غَزْوَةُ « بَدْرٍ الآخِرَةُ »)

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ : خَرَجَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - بِأَصْحَابِهِ فِي رَمَضَانَ فِي مَوْعِدٍ [مَع] (٢) « أَبِي سُفْيَانَ » (٣) لَهُ « يَوْمَ أُحُدٍ » إِلَىٰ « بَدْرٍ » فَلَمْ يَأْتِهِ « أَبُو سُفْيَانَ » وَقَوْمُهُ ، فَرَجَعَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - .

---

(١) « سورة الحشر : ٥٩/٢ - م - » .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

(٣) كان أبو سفيان يوم أُحُد قد نادى رَسُولَ اللهِ - ﷺ - : مَوْعِدُنَا مَعَكُمْ « بَدْرٌ » فِي العَامِ المُقْبِلِ . فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - بَعْضَ أَصْحَابِهِ أَنْ يُجِيبَهُ بِنَعَمْ . وَأَقَامَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - مُنْصَرَفَهُ مِنْ ذَاتِ الرِّقَاعِ بالمدينة بَقِيَّةَ جُمَادَى الأُولى وَجُمَادَى الآخِرَةَ وَرَجَباً ، ثُمَّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلمِيعَادِ المَذْكُورِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى المَدِينَةِ عَبْدَ اللهِ بن عَبْدِ اللهِ بن أُبَيٍّ (ابن) سلول . ثُمَّ نَهَضَ حَتَّى أَتَى بَدْراً ، فَأَقَامَ هُنَاكَ ثَمَانِيَ لَيَالٍ . « الدرر في اختصار المغازي والسِّير : ١٧٧ » .

ويتبين ممَّا سبق أنَّ غزوةَ ذات الرِّقاع متقدمةٌ على غزوة بدرٍ الآخرة .

ـ(غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ وَفِيهَا صَلَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ بِالمُسْلِمِينَ صَلاَةَ الخَوْفِ)ـ

وَفِيهَا [(١)] : كَانَتْ « غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ » [(٢)] . فَخَرَجَ ـ ﷺ ـ إِلَىٰ « نَجْدٍ » يُرِيدُ « غَطَفَانَ » فَالْتَقَىٰ بِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ ، وَنَزَلَتْ : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ ﴾ [(٣)] ـ الآيَات ـ فَصَلَّوْا صَلاَةَ الْخَوْفِ [(٤)] .

---

(١) قِيلَ : كَانَتْ في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ، وَهو قولٌ ضَعِيفٌ ، وكان السبب فيها ما سمعه « رَسُولُ اللهِ » مِنْ تَجَمُّعِ « بَنِي مُحَارِبٍ » وَ « بَنِي ثَعْلَبَةَ » لِحَرْبِهِ . « الدرر في اختصار المغازي والسير : ١٧٦ ـ الحاشية (٢) ـ » . وقال ابن إسحاق : ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ بالمدينة بعد غزوةِ بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جُمَادَىٰ ثُمَّ غزا نجداً « سيرة ابن هشام : ٢/٢٠٣ » .

(٢) سُمِّيَتْ هَـٰذِهِ الغَزْوَةُ ذاتَ الرِّقَاعِ لأَنَّ أَقْدَامَ المسلمين نَقِبَتْ ـ رَقَّتْ جُلُودُهَا وقَرِحتْ من الحَفَاءِ ـ فَكَانُوا يلفُّونَ عليها الخِرَقَ . وَقِيلَ : « بَلْ قِيلَ لَهَا ذات الرِّقَاعِ لأَنَّهُمْ رَقَّعُوا رَايَاتِهِمْ فِيهَا » . وَيُقَالُ : « ذَاتُ الرِّقَاعِ شَجَرَةٌ بِذَلِكَ المَوْضِعِ تُدْعَىٰ ذاتَ الرِّقَاعِ » . وَقِيلَ : « بَلِ الجَبَلُ الَّذِي نَزَلُوا عَلَيْهِ كَانَتْ أَرْضُهُ ذَاتَ أَلوانٍ مِنْ حُمْرَةٍ وَصُفْرَةٍ وَسَوَادٍ ، فَسَمَّوْا غَزْوَتَهُمْ تِلْكَ ذَاتَ الرِّقَاعِ . وَاللهُ أَعْلَمُ . « الدرر في اختصار المغازي والسير : ١٧٦ » .

(٣) « سورة النساء : ٤/١٠٢ ـ م ـ » .

(٤) ذُكرت روايات مختلفة في هذه الصلاة أتى على ذكرها ابن هشام . انظر « سيرة ابن هشام : ٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥ » وانظر : « صحيح البخاري : ٥/١٤٥ ، ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٣١) باب غزوة ذات الرِّقاع » .

ـ(مُبَاغتَةُ «غَوْرَثِ بْنِ الحَارِثِ» لِرَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ بالسَّيْفِ عِنْدَ القَيْلُولَةِ)ـ

وَلَمَّا قَفَلَ ـ ﷺ ـ مِنْهَا ـ أَيْ : رَجَعَ ـ نَامَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَقْتَ الْقَيْلُولَةِ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ النَّاسُ ، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرَةِ فَهَمَّ « غَوْرَثُ [١] بْنُ الْحَارِثِ » بِقَتْلِهِ ، فَعَصَمَهُ اللهُ مِنْهُ وَنَزَلَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ [٢] في ذٰلِكَ أَوْ فِي قِصَّةِ « بَنِي النَّضِيرِ » .

ـ(غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ أَوْ غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ وَحَدِيثُ الإِفْكِ)ـ

وَفِيهَا [٣] أَيْضاً : بَلَغَهُ أَنَّ « بَنِي الْمُصْطَلِقِ » مِنْ « خُزَاعَةَ » أَجْمَعُوا لِحَرْبِهِ . فَخَرَجَ ـ ﷺ ـ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقِيَهُمْ « بِالْمُرَيْسِيعِ » [٤] ـ مُصَغَّراً بِمُهْمَلَاتٍ ـ وَهُوَ مَاءٌ مِنْ نَاحِيَةِ « قُدَيْدٍ » ـ مُصَغَّراً بِقَافٍ وَمُهْمَلَةٍ

---

(١) الأصل : عورث . ويحكى بالفتح على وزن جعفر كما يُحكى بضمّ أوّله « غُوْرَث » ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة : غورك . وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير (راجع شرح المواهب) . « سيرة ابن هشام : ٢/٢٠٥ ـ الحاشية (٢) ـ » .
وانظر خبر غورث بن الحارث في « صحيح البخاري : ٥/١٤٦ ـ ١٤٨ » ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٣١) باب غزوة ذات الرقاع ـ و(٣٢)باب غزوة بني المُصْطَلِقِ بن خُزَاعَة » .

(٢) « سورة المائدة : ٥/١١ ـ م ـ ٨ » .

(٣) قال ابن إسحاق : وذلك سنة ست . وقال موسى بن عقبة : سنة أربع . وفي « المغازي ـ للواقدي ـ ١/٤٠٤ » أنها كانت « في سنة خمس » .

(٤) الأصل : المريسيغ .

مُكَرَّرَةٍ ـ وَهُوَ مَكَانٌ بَيْنَ « مَكَّةَ » وَ « الْمَدِينَةِ » فَهَزَمَهُمْ ، وَسَبَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ (١) ، وَاصْطَفَىٰ مِنْهُمْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ « جُوَيْرِيَةَ (٢) بِنْتَ الْحَارِثِ الْمُصْطَلِقِيَّةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ . وَلَمَّا قَفَلَ / ـ ﷺ ـ مِنْهَا ازْدَحَمَ [٥٥و] الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عَلَىٰ مَاءٍ .

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ « عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ [ابْنِ] (٣) سَلُولَ » مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ : ﴿ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ (٤) ، فَنَجَمَ نِفَاقُهُ ـ أَيْ : ظَهَرَ ـ وَنَزَلَتْ فِيهِ « سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ » .

وَلَمَّا دَنَا ـ ﷺ ـ مِنَ « الْمَدِينَةِ » تَخَلَّفَتْ « عَائِشَةُ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ عَنِ الْجَيْشِ لَيْلًا فِي قَضَاءِ حَاجَةٍ لَهَا ، فَرَحَّلُوا هَوْدَجَهَا وَلَمْ

---

(١) « الذَّرَارِيُّ » : ج « ذُرِّيَّةٍ وتُجمَعُ عَلى ذُرِّيَّات أيضاً ، والذُّرِّيَّةُ اسمٌ يَجْمَعُ نَسْلَ الإنْسانِ مِن ذكَرٍ وأنثى ، وقيل أصلها من الذَّرِّ بمَعْنى التفريق ، لأنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ ذَرَّهُمْ في الأَرْضِ . انظر : « النهاية في غريب الحديث ٢/١٥٧ » .

(٢) كانت تُدعى « بَرَّةَ » وَغَيَّرَ « رَسُولُ الله » ـ ﷺ ـ اسمها « بِجُوَيْرِيَةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنها ـ ، وكرهَ أنْ يُقال : خرجَ مِنْ عِنْدِ « بَرَّةَ » . انْظُرْ : « السمط الثمين في مناقب أُمَّهات المؤمنين : ١٣٦ » .

(٣) الأصل : عبيد الله بن أبي سلول ، وما أثبتناه هو الصواب . فقد كان أبوه يُدعى أُبَيّاً ، ويقال إنَّ سلول هي أمه ويقال : بل إنها جدته . انظر : « إمتاع الأسماع : ١/٩٩ ـ الحاشية (٥) » .

(٤) « سورة المنافقون : ٦٣/٨ ـ م ـ » .

يَشْعُرُوا بِهَا ، فَقَالَ « أَهْلُ الإِفْكِ » [١] فِيهَا مَا قَالُوا ، وَنَزَلَتْ عَشْرُ [٢] الْآيَاتِ مِنْ « سُورَةِ النُّورِ » : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ ﴾ [٣] .

—(وَقْعَةُ الْخَنْدَقِ — أو — « الأَحْزَابِ »)—

وَفِيهَا [٤] : كَانَتْ « وَقْعَةُ الْخَنْدَقِ » وَهْيَ : « الْأَحْزَابُ » أَيْضاً فِي شَوَّالٍ سنَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ « غَزْوَةِ بَدْرِ الصُّغْرَىٰ » وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ فِيهَا أَحَدَ عَشَرَ [٥] أَلْفاً . وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَىٰ « أَهْلِ الْمَدِينَةِ » ، و ﴿ زَاغَتِ الْأَبْصَرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [٦] . كَمَا حَكَىٰ اللهُ عَنْهُمْ . وَكَانَتْ مُـدَّةُ الْحِصَارِ نَحْوَ شَهْرٍ . ثُمَّ كَشَفَ اللهُ عَنْهُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ ـ تَعالَىٰ ـ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [٧] . وَنَزَلَتْ « سُورَةُ الْأَحْزَابِ » .

---

(١) « صحيح البخاري : ٥/١٤٨ — (٦٤) كتاب المغازي — (٣٤) باب حديث الإفك » .
وانظر : « تاريخ الطبري : ٢/٦١٠ — ٦١٩ » .

(٢) الأصل : العشر الآيات .

(٣) « سورة النور : ٢٤/١١ — م — » .

(٤) في « الدرر : ١٧٩ » : « كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة ، وقال « ابن سعد » : في ذي القعدة من السنة الخامسة . وقيل : « بل كانت في السنة الرابعة » . وهو قولٌ ضعيف وبه قال « البخاري » و « ابن حزم » . « انظر الدرر : ١٧٩ — الحاشية (٢) » . وذكرها « الطبري » في وقائع السنة الخامسة فقال : « وفيها — أي الخامسة — كانت غزوة رسول الله — ﷺ — الخندق في شوّالٍ . « تاريخ الطبري ٢/٥٦٤ » .

(٥) الأصل : إحدى عشر ألفاً .

(٦) « سورة الأحزاب : ٣٣/١٠ — م — » .

(٧) « سورة الأحزاب : ٣٣/٩ — م — » .

—(مُعْجِزَاتُهُ — ﷺ — في غَزْوَةِ الخَنْدَقِ)—

وَوَقَعَ فِي أَيَّامِ « الْخَنْدَقِ » مَا وَقَعَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ — ﷺ — الْبَاهِرَةِ ، « كَحَدِيثِ الْكُدْيَةِ » (١) الَّتِي اعْتَرَضَتْ ، فَهَدَّهَا « النَّبِيُّ » — ﷺ — بِالْمِعْوَلِ .

و « حَدِيثِ جَابِرٍ » (٢) حَيْثُ دَعَا « النَّبِيَّ » — ﷺ — خَامِسَ خَمْسَةٍ إِلَىٰ عَنَاقٍ (٣) ، وَصَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ ، فَأَشْبَعَ مِنْ ذٰلِكَ جَيْشَ « الْخَنْدَقِ » كُلَّهُ ، وَهُمْ أَلْفٌ فَأَكْثَرُ .

و « حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ » (٤) حَيْثُ بَعَثَ « أَنَساً » بِأَقْرَاصٍ تَحْتَ إِبْطِهِ فَأَشْبَعَ مِنْهَا — ﷺ — ثَمَانِينَ رَجُلًا جِيَاعاً .

---

(١) « الكُدْيَةُ » : الحجر الضخم الصلد . وانظر « حديث الكدية في « صحيح البخاري : ١٣٨/٥ — (٦٤) ، كتاب المغازي — (٢٩) « باب غزوة الخندق » ، وانظر : « الخصائص الكبرى — للسيوطي : ٢٢٨/١ » .

(٢) انظر « حديث جابر » في « صحيح البخاري : ١٣٩/٥ — (٦٤) كتاب المغازي — (٢٩) باب غزوة الخندق » .

(٣) « العَنَاقُ » : هي الأُنثى مِنْ أولاد المعز ما لم يتم له سنة . « النهاية في غريب الحديث : ٣١١/٣ — مادة : عنق » .

(٤) انظر : « حديث أبي طلحة في : « صحيح البخاري : ٢٣٤/٤ — ٢٣٥ — (٦١) كتاب المناقب — ٢٥ باب علامات النبوة » .

ــ(بَنُو قُرَيْظَةَ)ــ

وَكَانَتْ « بَنُو قُرَيْظَةَ »[١] مُعَاهِدَةً لَهُ ــ ﷺ ــ، فَنَقَضَتِ الْعَهْدَ فِي مُدَّةِ الْحِصَارِ، وَأَعَانُوا الْمُشْرِكِينَ. فَلَمَّا هَزَمَ اللهُ « الْأَحْزَابَ » وَانْقَضَىٰ الْحِصَارُ جَاءَ « جِبْرِيلُ » ــ عَلَيْهِ السَّلَامُ ــ إِلَىٰ « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ وَقْتَ الْقَيْلُولَةِ[٢]، فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ. فَخَرَجَ ــ ﷺ ــ فَحَاصَرَهُمْ. فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ « أَبِي لُبَابَةَ »[٣] ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ يَسْتَشِيرُونَهُ. فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ مَا كَانَ. فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِمُ الْحِصَارُ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ « سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ[٤]. وَكَانَ قَدْ أُصِيبَ بِسَهْمٍ « يَوْمَ الْخَنْدَقِ » فَحَكَمَ فِيهِمْ بِقَتْلِ رِجَالِهِمْ وَسَبْيِ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَقِسْمَةِ أَمْوَالِهِمْ. فَقَالَ ــ ﷺ ــ: « لَقَدْ وَافَقْتَ حُكْمَ اللهِ ــ تَعَالَىٰ ــ ». ثُمَّ مَاتَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ فَاهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِهِ فَرَحاً بِقُدُومِ رُوحِهِ.

---

(١) الأصل : بنوا قريضه .

(٢) « القَيْلُولَةُ » : الاسْتِرَاحَةُ نِصْفَ النَّهَارِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا نَوْمٌ . يُقَالُ : قالَ يَقِيلُ قَيْلُولَةً فَهُوَ قائِلٌ » . « النهاية في غريب الحديث : ١٣٣/٤ ــ مادة : «قيل» .

(٣) « أَبُولُبَابَةَ » هُوَ « رِفَاعَةُ بنُ عَبْدِ المُنْذِرِ » وَقِيلَ : « اسْمُهُ : « بَشِيرٌ » ، أحدُ نقَبَاءِ الأَنْصَارِ » ، « تجريدُ أسْماءِ الصَّحَابَةِ : ١٩٨/٢ » .

(٤) الأصل : كانوا حلفاوه .

ـ(زَوَاجُهُ ـ ﷺ ـ بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ : زَوَّجَهُ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ « زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ » ـ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ كَمَا نَطَقَ بِهِ « الْقُرْآنُ » : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ (١) ـ الْآيَاتِ ـ .

ـ(خُرُوجُهُ ـ ﷺ ـ لِلْعُمْرَةِ وَصَدُّ « قُرَيْشٍ » لَهُ عَنِ « الْبَيْتِ »)ـ

وَفِيهَا : خَرَجَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ مُعْتَمِراً فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَصَدَّتْهُ « قُرَيْشٌ » عَنِ « الْبَيْتِ » ، فَوَقَعَتْ « بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ » .

ـ(صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ (٢))ـ

ثُمَّ صَالَحَ « بِالْحُدَيْبِيَةِ » عَشْرَ سِنِينَ .

وَفِيهِ (٣) :

* أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مُسْلِماً إِلَّا رَدَّهُ إِلَيْهِمْ .
* وَأَنَّ « بَنِي بَكْرٍ » فِي صُلْحِهِمْ ، و « خُزَاعَةَ » فِي صُلْحِهِ ـ ﷺ ـ .
* وَأَنْ لَا يَدْخُلَ « مَكَّةَ » إِلَّا مِنْ عَامٍ قَابِلٍ .

---

(١) « سورة الأحزاب : ٣٧/٣٣ ـ م ـ » .

(٢) أَهْلُ المَدِينَةِ يُثَقِّلُونَ اليَاءَ الأَخِيرَةَ ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ يُخَفِّفُونَهَا . وَهِيَ قَرْيَةٌ سُمِّيَتْ بِبِئْرٍ هناكَ عِنْدَ مَسْجِدِ الشَّجَرَةِ الَّتي بَايَعَ « رَسُولُ الله » ـ ﷺ ـ أَصْحَابَهُ . « مراصد الاطلاع ٣٨٦/١ » .

(٣) أي : في الصلح .

* وَنَحَرَ هَدْيَهُ ، وَحَلَقَ ، وَرَجَعَ - ﷺ - وَنَزَلَتْ « سُورَةُ الْفَتْحِ » :
﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ / الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [1] - [٥٥ ظ]
- الْآيَاتِ - [2] .

وَفِيـــهِ :

* انْفَلَتَ « أَبُو بَصِيرٍ » [3] - بِمُوَحَّدَةٍ وَمُهْمَلَةٍ كَعَظِيمٍ - إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » مُسْلِماً ، فَرَدَّهُ « النَّبِيُّ » - ﷺ - فَقَتَلَ وَاحِداً [4] مِنَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ رَجَعَا بِهِ . وَانْفَلَتَ ، فَلَحِقَ بِسِيْفِ [5] الْبَحْرِ ، فَانْفَلَتَ إِلَيْهِ « أَبُو جَنْدَلٍ » - بِجِيمٍ وَنُونٍ - ابْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو » وَرِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ « بِمَكَّةَ » فَاجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ ، فَقَطَعُوا سَبِيلَ « قُرَيْشٍ » إِلَىٰ « الشَّامِ » حَتَّىٰ سَأَلَتْ « قُرَيْشٌ » مِنَ « النَّبِيِّ » - ﷺ - أَنْ يَضُمَّهُمْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ جَاءَهُ فَهْوَ آمِنٌ . وَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ .

---

(١) « سورة الفتح : ١٨/٤٨ - م - » .
(٢) الأصل : اللايات .
(٣) « أبو بَصِير » : « عُتْبَةُ بنُ أسيد بن جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ » ، حليف « بني زهرة » المذكور في « الحديبية » له قصة معروفة ، وقيل : اسمه « عبيد » . « تجريد أسماء الصحابة : ١٥٢/٢» .
(٤) الأصل : واحد .
(٥) « سِيفُ البَحْرِ » : ساحله ، « النهاية في غريب الحديث : ٤٣٤/٢ » .

—(إسْلاَمُ « عَمْرو بْنِ الْعَاصِ » وَ « خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ »)—

وَفِيهَا : أَسْلَمَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ « قُرَيْشٍ » مِنْهُمْ : « عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ » وَ « خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ » — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ « عَمْرُو » « بِالْحَبَشَةِ » عَلَىٰ يَدِ « النَّجَاشِيِّ » [1] .

—(كُتُبُ الرَّسُولِ — ﷺ — إلى مُلُوكِ الأقَالِيمِ)—

وَفِيهَا : أَرْسَلَ — ﷺ — بِكُتُبِهِ إِلَىٰ « مُلُوكِ الْأَقَالِيمِ » .

وَمِنْهُمْ : « عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ » بَعَثَهُ بِكِتَابِهِ [2] إِلَىٰ « كِسْرَىٰ » [3] فَمَزَّقَهُ ، فَدَعَا [4] عَلَيْهِمْ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ .

---

(١) « النَّجَاشِيُّ » : لَقَبٌ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ الحَبَشَةَ »، والمَقْصُودُ باللَّقَبِ هنا : هُوَ « أَصْحَمَةُ » . انظر : « صحيح البُخَارِيِّ : ٥/٦٥ — (٦٣) كتاب مناقب الأنصار — (٣٨) باب مَوْتِ النَّجَاشِيِّ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٦/١٠ — (٦٤) كتاب المغازي — (٨٢) كتاب النبيِّ — ﷺ — إلى كسرى وَقَيْصَرَ » .

وانظر : « مجموعة الوثائق السِّيَاسِيَّةِ لِلْعَهْدِ النَّبَوِيِّ وَالخِلاَفَةِ الرَّاشِدَةِ : ١١١ » وهذا نَصُّ الكتاب: « مِنْ « مُحَمَّدٍ » رَسُولِ اللهِ إلى « كِسْرَى » عَظِيمِ « فَارِسَ » ؛ أَنْ أَسْلِمْ تَسْلَمْ . مَنْ شَهِدَ شَهَادَتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ، فَلَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ » .

(٣) « كِسْرَى » : لَقَبٌ كانَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ فَارِسَ قَبْلَ الإسْلاَمِ .

(٤) الأصل : فدعى .

وَمِنْهُمْ : « دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ بَعَثَهُ بِكِتَابِهِ (١) إِلَىٰ « قَيْصَرَ » (٢) فَوَجَدَ عِنْدَهُ « أَبَا سُفْيَانَ » فَاسْتَدْعَاهُ « قَيْصَرُ » فَسَأَلَهُ عَنْ صِفَاتِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ وَشَرَائِعِ دِينِهِ ، فَأَخْبَرَهُ « أَبُو سُفْيَانَ » بِهَا . فَاعْتَرَفَ « قَيْصَرُ » بِنُبُوَّتِهِ ـ ﷺ ـ ، وَلَمْ يُوَفَّقْ لِلْإِسْلَامِ ، لِعَدَمِ مُسَاعَدَةِ جُنُودِهِ لَهُ عَلَيْهِ مَعَ شَقَاوَتِهِ . فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ مِنْ يَوْمَئِذٍ فِي قَلْبِ « أَبِي سُفْيَانَ » .

ـ(افْتِتَاحُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ « خَيْبَرَ »)ـ

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ (٣) ، فِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا : افْتَتَحَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ « خَيْبَرَ » (٤) بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً . ثُمَّ قَسَمَ أَمْوَالَهُمْ نِصْفَيْنِ ، نِصْفاً لِنَوَائِبِهِ ، وَنِصْفاً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

---

(١) انظر : « كِتَابَ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ في : « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٦/١ ـ ٨ ـ (١) كتاب بدء الوحي ـ (٦) باب حديث « أَبِي سُفْيَانَ » و « هِرَقْلَ » .

(٢) « قَيْصَر » : لَقَب كانَ يُطلَقُ على ملوك الروم قبل الإسلام وبعده . و « القَيْصَرُ » المقصود هو «هِرَقْلُ» الذي كتب إليه «الرسول» ـ ﷺ ـ وفي عهده افتتحت «بلاد الشام» .

(٣) جاءَ في « سيرة ابن هشام : ٣٢٨/٢ » : ذكر المسير إلى « خَيْبَرَ في المُحَرَّمِ سنة سَبْعٍ » ، وَجاءَ في « تاريخ الطبري : ٩/٣ » : « ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبعٍ مِنَ الهجرة غزوةُ خَيْبَرَ » .

(٤) انظر : « صحيح البخاري : ١٦٦/٥ ـ ١٧٨ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٣٨) باب غزوة خَيْبَر » .

—(عَوْدَةُ « جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » مِنْ مُهَاجَرِهِ فِي « الْحَبَشَةِ »)—

وَقَدِمَ عَلَيْهِ « جَعْفَرٌ » فِيمَنْ بَقِيَ مِنْ مُهَاجِرَةِ « الْحَبَشَةِ » — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ — فَأَسْهَمَ لَهُمْ .

—(حَدِيثُ الذِّرَاعِ)—

وَأَهْدَتْ إِلَيْهِ « الْيَهُودِيَّةُ » (١) الشَّاةَ الْمَصْلِيَّةَ — أَيْ الْمَشْوِيَّةَ — الْمَسْمُومَةَ ، فَأَخْبَرَهُ الذِّرَاعُ بِذَلِكَ .

—(اصْطِفَاءُ « الرَّسُولِ » — ﷺ — « صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ » مِنْ « سَبَايَا خَيْبَرَ »)—

وَاصْطَفَى — ﷺ — مِنْ سَبَايَا « خَيْبَرَ » أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ « صَفِيَّةَ (٢) بِنْتَ حُيَيٍّ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ الْهَارُونِيَّةَ » — رَضِيَ اللهُ عَنْهَا —

—(عُمْرَةُ الْقَضَاءِ)—

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا : اعْتَمَرَ — ﷺ — « عُمْرَةَ الْقَضَاءِ » (٣) وَأَقَامَ « بِمَكَّةَ » ثَلَاثاً ثُمَّ رَجَعَ .

---

(١) هي : « زَيْنَبُ بِنْتُ الحَارِثِ امْرَأَةُ سَلَّامِ بْنِ مِشْكَم — وابنة أخي مَرْحَبٍ . « البداية والنهاية : ٤/٢١١ » .

وانظر : « صحيح البخاري : ٥/١٧٩ — (٦٤) كتاب المغازي — (٤١) باب الشاة التي سُمَّت للنبيِّ — ﷺ — » .

(٢) انظر : « صحيح البخاري : ٥/١٧١ — ١٧٢ — (٦٤) كتاب المغازي — (٣٨) باب غزوة خيبر » .

وانظر في « السِّمْط الثمين : ١٣٧ — ١٤٢ » — الباب الحادي عشر في ذكر أم المؤمنين صفية بنت حُيَيٍّ بن أخطبَ — رَضي الله عنها — ، وغير ذلك . . . » .

(٣) انظر : « صحيح البخاري : ٥/١٧٩ — (٦٤) كتاب المغازي — (٤٣) باب عمرة القضاء » .

—(دُخُولُهُ — ﷺ — بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ — مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ الهِلالِيَّةِ)—

فَدَخَلَ — ﷺ — « بِمَيْمُونَةَ [(١)] بِنْتِ الحَارِثِ الْهِلَالِيَّةِ » ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، — رَضِيَ اللهُ عَنْهَا — خَالَةِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » ، وَذٰلِكَ لَيْلَةَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ « مَكَّةَ » « بِسَرِفَ » — كَكَتِف — بِمُوَحَّدَةٍ وَسِينٍ مُهْمَلَةٍ — وَهُوَ بَيْنَ «التَّنْعِيمِ» وَ « مَرِّ الظَّهْرَانِ » . وَبِذٰلِكَ الْمَكَانِ مَوْتُهَا وَقَبْرُهَا — رَضِيَ اللهُ عَنْهَا — .

—(اتِّخَاذُ « رَسُولِ اللهِ » — ﷺ — المِنْبَرَ لِلْخِطَابَةِ)—

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ : اتَّخَذَ لَهُ الْمِنبَرَ — ﷺ — وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يَخْطُبُ إِلَىٰ جِذْعِ [(٢)] نَخْلَةٍ ، فَحَنَّ إِلَيْهِ الْجِذْعُ .

—(مَقْدَمُ وَفْدِ «عَبْدِ القَيْسِ» عَلَى النَّبِيِّ — ﷺ —)—

وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ : قَدِمَ عَلَيْهِ وَفْدُ « عَبْدِ الْقَيْسِ » [(٣)] يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَرَئِيسُهُمُ « الْأَشَجُّ » [(٤)] — بِمُعْجَمَةٍ وَجِيمٍ — فَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ « النَّبِيُّ » — ﷺ — وَعَلَيْهِمْ خَيْراً .

---

(١) انظر : « صحيح البخاري : ١٨١/٥ — (٦٤) كتاب المغازي — (٤٣) باب عمرة القضاء — عن ابن عباس — رَضي الله عَنْه — » .

وانظر : « السِّمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين : ١٣١ — ١٣٤ — الباب التاسع — في ذكر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية — رَضي اللهُ عنها — » .

(٢) انظر : « دلائل النبوة — لأبي نُعَيْمٍ الأصبهاني — : ١٤٢/٢» ما جاء في « ذكر حنين الجذع ».

(٣) انظر : «وفد عبد القيس» في : « صحيح البخاري : ٢١٣/٥ — (٦٤) كتاب المغازي —(٦٩) بَابُ « وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ » .

(٤) « أَشَجُّ عَبْدِ القَيْسِ » : اسْمُهُ « المُنْذِرُ بْنُ الحارِثِ العَبْدِيُّ — رَوَى عَنْهُ «عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ أَبي بَكْرَةَ » . « تجريد أسماء الصحابة : ٢٣/١ » .

ــ(غَزْوَةُ مُؤْتَـةَ)ــ

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ فِي جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ مِنْهَا : كَانَتْ غَزْوَةُ « مُؤْتَةَ » (١) ــ مَضْمُومَةُ الْمِيمِ ، مَهْمُوزَةُ (٢) [الْوَاوِ] ــ (٣) ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَىٰ (٤) « الْبَلْقَاءِ » مِنْ أَرْضِ « الشَّامِ » فَأَكْرَمَ اللهُ فِيهَا « جَعْفَراً » (٥) وَ « زَيْداً » (٦) وَ « ابْنَ رَوَاحَةَ » (٧) / وَجَمَاعَةً ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ بِالشَّهَادَةِ . ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَـةَ [٥٦ و] « خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ فَفَتَحَ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ، وَانْحَـازَ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ . وَكَانَ « هِرَقْلُ » ــ مَلِكُ الرُّومِ ــ فِي مِائَتَيْ أَلْفٍ (٨) .

---

(١) الأصل : مونه .

وانظر : « صحيح البخاري : ٥/١٨١ ــ (٦٤) كتاب المغازي ــ (٤٤) باب غزوةِ مُؤْتَةَ » .

(٢) الأصل : مهموزه .

(٣) التكملة يقتضيها السِّياق .

(٤) الأصل : قرا .

(٥) هو جعفر بن أبي طالب .

(٦) هو زيد بن حارثة .

(٧) هو عبد الله بن رَوَاحَة .

(٨) جاء في « كتاب المغازي للواقدي : ٢/٧٦٠ » : « فَبَلَغَ النَّاسَ أَنَّ « هِرَقْلَ » قد نَزَلَ « مَآبَ » مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي « بَهْرَاءَ » وَ « وَائِلٍ » وَ « بَكْرٍ » وَ « لَخْمٍ » وَ « جُذَامٍ » في مِائَةِ أَلْفٍ .

-(فَتْحُ مَكَّةَ)-

وَفِيهَا ، فِي رَمَضَانَ ، كَانَ فَتْحُ « مَكَّةَ » ، وَسَبَبُ انْتِقَاضِ الصُّلْحِ أَنَّ « قُرَيْشاً » أَعَانَتْ حُلَفَاءَهُمْ « بَنِي بَكْرٍ » عَلَىٰ « خُزَاعَةَ » حُلَفَاءِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ فَقَدِمَ « أَبُو سُفْيَانَ » « الْمَدِينَةَ » يَطْلُبُ مِنَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ صُلْحاً ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَيْهِ ، فَرَجَعَ وَقَدِمَ « عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ [1] الْكَعْبِيُّ » يَسْتَنْصِرُ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ عَلَىٰ « قُرَيْشٍ » فَأَجَابَهُ وَتَجَهَّزَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ إِلَىٰ « مَكَّةَ » [2] فِي عَشْرَةِ آلافٍ . فَلَمَّا بَلَغَ « الْجُحْفَةَ » ـ بِجِيمٍ مَضْمُومَةٍ ، ثُمَّ حَاءٍ مُهْمَلَةٍ سَاكِنَةٍ عَلَىٰ ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنَ «الْمَدِينَةِ» ـ لَقِيَهُ عَمُّهُ «الْعَبَّاسُ» ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مُهَاجِراً بِأَهْلِهِ فَرَدَّهُ مَعَهُ . وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ « بَدْرٍ » . وَاسْتَأْذَنَ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ فِي أَنْ يُقِيمَ « بِمَكَّةَ » عَلَىٰ سِقَايَةِ الْحَاجِّ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَلَقِيَهُ أَيْضاً ابْنُ عَمِّهِ « أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » قَدْ أَقْبَلَ مُسْلِماً ، مُعْتَذِراً مِمَّا كَانَ جَرَىٰ مِنْهُ ، فَرَدَّهُ

---

(١) الأصل : الخذاعي .

(٢) انظر « صحيح البخاري : ١٨٥/٥ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ الأبواب : (٤٧) و (٤٨) و (٤٩) و (٥٠) و (٥٢) » .

وانظر أيضاً : فتح مكة في « سيرة ابن هشام : ٣٨٩/٢ ـ ٤٢١ » ، و « عيون الأثر : ٢١٢/٢ ـ ٢٣٤ » .

مَعَهُ . وَأَخَذَ اللهُ الْعُيُونَ عَلَىٰ « قُرَيْشٍ » بِدَعْوَتِهِ [١] ــ ﷺ ــ فَلَمْ يُشْعِرْهَا أَحَدٌ بِخُرُوجِهِ ــ ﷺ ــ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا بَلَغَ « مَرَّ الظَّهْرَانِ » أَدْرَكَتِ « الْعَبَّاسَ » الرِّقَّةُ عَلَىٰ قَوْمِهِ . فَرَكِبَ بَغْلَةَ « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ بِإِذْنِهِ لِيُخْبِرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا أَمَاناً مِنْهُ ــ ﷺ ــ فَلَقِيَ « أَبَا سُفْيَانَ [صَخْرَ] [٢] ابنَ حَرْبٍ » فِي نَفَرٍ مِنْ « قُرَيْشٍ » خَرَجُوا يَتَطَلَّعُونَ ، وَذٰلِكَ فِي اللَّيْلِ ، فَرَدَّهُمْ إِلَىٰ « مَكَّةَ » وَأَتَىٰ « بِأَبِي سُفْيَانَ » إِلَىٰ « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ ثُمَّ أَصْبَحَ ــ ﷺ ــ فَدَخَلَ « مَكَّةَ » ضُحًى مِنْ أَعْلَاهَا ، وَذٰلِكَ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ . وَأَقَامَ بِهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً يَقْصُرُ الصَّلَاةَ .

ـ(غَزْوَةُ « حُنَيْنٍ »)ـ

ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ « هَوَازِنَ » اجْتَمَعَتْ لِحَرْبِهِ ، فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، عَلَيْهِمْ « مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ » [٣] فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ــ ﷺ ــ لِعِشْرِينَ فِي شَوَّالٍ ، فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، جَيْشِ الْفَتْحِ ، وَأَلْفَيْنِ مِمَّنْ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً ، فَأَعْجَبَتْهُمْ كَثْرَتُهُمْ فَقَالُوا لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ

---

(١) كان دعاء الرسول ــ ﷺ ــ : « اللهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ والأخبارَ عَن قُرَيْش » حتى يبغتها فَجْأَةً .

(٢) التكملة للتوضيح .

(٣) الأصل : عوف بن مالك النضري . وما أثبتناه في « سيرة ابن هشام : ٤٣٧/٢ » .

قِلَّةٍ فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ كَثْرَتُهُمْ شَيْئاً (١) ، وَوَجَدُوا الْمُشْرِكِينَ قَدْ كَمَنُوا لَهُمْ فِي شِعَابِ (٢) « حُنَيْنٍ » وَهُوَ وَادٍ (٣) بَيْنَ « مَكَّةَ » وَ « الطَّائِفِ » . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ شَدُّوا عَلَيْهِمْ وَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَكَانُوا رُمَاةً ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَثَبَتَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ فِي جَمَاعَةٍ ، فَنَزَلَ عَنْ (٤) بَغْلَتِهِ وَأَخَذَ كَفًّا مِنَ الْحَصَىٰ فَرَمَىٰ بِهِ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ فَانْهَزَمُوا ، وَنَصَرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ ، فَغَنِمُوا ذَرَارِيَّهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَكَانُوا قَدْ جَعَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِيُقَاتِلُوا دُونَهُمْ ، فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ عَلَيْهِمْ « دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ » وَسَاقُوا الْمَالَ وَالذَّرَارِيَّ (٥) فَأَدْرَكَهُمْ « أَبُو عَامِرٍ (٦) الْأَشْعَرِيُّ » فِي سَرِيَّةٍ

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ « سورة التوبة : ٢٥/٩ ـ م ـ » .

(٢) « الشِّعَابُ » : ج شِعْب ـ الطريق في الجبل ، وقالَ أبو منصور : مَا انفرَجَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَهُوَ شِعْب .

(٣) الأصل : وهو وادي .

(٤) الأصل : من .

(٥) كان سَوْقُ المَالِ وَالذَّرَارِيِّ بِتَدْبِيرٍ مِنْ « مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ » ، وقد استنْكَرَ « دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ » ، هذا الصَّنيعَ عِنْدَ نُزُولِهِمْ « بِأَوْطَاسٍ » ويَدلُّ الخبرُ التَّالي عما كان : « فَقَالَ لَهُمْ « دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ » : « مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ ، وَيُعَارَ الشَّاءِ ؟ » قَالُوا : « سَاقَ « مَالِكٌ » مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَعِيَالَهُمْ [قَالَ : « أَيْنَ « مَالِكٌ » ؟ » قِيلَ : « هَذَا « مَالِكٌ » وَدُعِيَ لَهُ ، فَسَأَلَهُ : « لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ » فَقَالَ « مَالِكٌ »] : « لِيُقَاتِلُوا عَنْ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ » فَقَالَ « دُرَيْدٌ » : « رَاعِي ضَأْنٍ ، وَاللهِ ! وَهَلْ يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَ شَيْءٌ ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعْكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسِلَاحِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فُضِحْتَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ » . « الدرر في اختصار المَغازي والسِّير : ٢٣٧ » .

(٦) واسمه : « عُبَيْدُ بْنُ سُلَيمِ بنِ حِضار ، عَمُّ « أبي مُوسَى » . اسْتُشْهِدَ بِأَوْطَاسٍ . « تجريد أسماء الصحابة : ١٨١/٢ » .

« بِأَوْطَاسٍ » [١] ، فَهَزَمَهُمْ . . . . [٢] بَعْدَ أَنْ قُتِلَ « أَبُوعَامِرٍ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ وَلَحِقَ أَكْثَرُهُمْ « بِالطَّائِفِ » ، فَتَوَجَّهَ ــ ﷺ ــ إِلَىٰ « الطَّائِفِ » [٣] وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيداً ، وَحَاصَرَهُمْ بِضْعاً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ / فَدَعَا لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ ، وَرَجَعَ ، فَأَتَوْهُ بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَىٰ [٥٦ ظ] « الْمَدِينَةِ » مُسْلِمِينَ عَلَىٰ يَدِ « مَالِكِ [٤] بْنِ عَوْفٍ [النَّصْرِيِّ] [٥] .

(قِسْمَةُ « الرَّسُولِ » ــ ﷺ ــ غَنَائِمَ « حُنَيْنٍ »)

وَلَمَّا قَفَلَ ــ ﷺ ــ مِنَ « الطَّائِفِ » قَسَمَ غَنَائِمَ « حُنَيْنٍ » [٦] « بِالْجِعْرَانَةِ » [٧] ــ عَلَىٰ مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ « مَكَّةَ » ــ .

---

(١) انظر : « غزوة أوطاس » في : « صحيح البخاري : ١٩٧/٥ ــ (٦٤) كتاب المغازي ــ (٥٥) باب غزاة أوطاس » .

(٢) أرجح أن الناسخ قد قفز به بصره فاختل الترابط بين الكلام .

(٣) انظر : « غزوة الطائف » في « صحيح البخاري : ١٩٨/٥ ــ (٦٤) كتاب المغازي ــ (٥٦) باب غزوة الطائف » .

(٤) الأصل : « عوف بن مالك » وما أثبت في « سيرة ابن هشام ٤٣٧/٢ » و « كتاب المغازي ــ للواقدي : ٩٥٤/٣ ــ ٩٥٥ » .

(٥) التكملة للتوضيح .

(٦) انظر : « سيرة ابن هشام : ٤٩٤/٢ » : « توزيع غَنَائِمِ « حُنَيْنٍ » عَلَى المُبَايِعِينَ » .

(٧) حَكَى « إِسْمَاعِيلُ بْنُ القَاضِي » عن « عَلِيِّ بْنِ المَدِينِيِّ » أَنَّهُ قَالَ : « أَهْلُ « المَدِينَةِ » يُثَقِّلُونَهُ وَيُثَقِّلُونَ « الحُدَيْبِيَّةَ » وَ « أَهْلُ العِرَاقِ » يُخَفِّفُونَهُمَا » وَمَذْهَبُ « الشَّافِعِيِّ » التَّخْفِيفُ . وَسُمِعَ مِنَ « العَرَبِ » مَنْ يُثَقِّلُ « الجِعِرَّانَةَ » وَبِالتَّخْفِيفِ قَيَّدَهَا « الخَطَّابِيُّ » .

—(إحْرَامُ الرَّسُولِ — ﷺ — بِعُمْرَةٍ مِنَ « الجِعْرَانَةِ »)—

ثُمَّ أَحْرَمَ مِنْهَا (١) بِعُمْرَةٍ وَذٰلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .

—(مَوْلِدُ إبْرَاهِيمَ بْنِ الرَّسُولِ وَمَوْتُهُ وَانْكِسَافُ الشَّمْسِ يَوْمَ وَفَاتِهِ)—

. . . . . (٢) فَوُلِدَ لَهُ — ﷺ — فِي ذِي الْحِجَّةِ « إِبْرَاهِيمُ » وَعَاشَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ (٣) ثُمَّ مَاتَ .

---

(١) انظر : « سيرة ابن هشام : ٥٠٠/٢ » : « عُمْرَةُ الرَّسُولِ مِنَ « الجِعْرَانَةِ » .

(٢) أرجح أن الناسخ قد سها فقفز بصره ، وذلك للانقطاع في النص .

(٣) جاء في « طبقات ابن سعد : ٨٦/١ ، ٨٧ ، ٩٠ » أنَّ ولادة إبراهيم كانت في ذي الحِجَّةِ سنةَ ثمانٍ للهجرة ، وذكر أنَّهُ تُوُفِّيَ وهو ابن ستَّةَ عَشَرَ شهراً .

وجاء في « طبقات ابن سعد : ٩١/١، ٩٢ » : «تُوُفِّيَ «إِبْرَاهِيمُ» وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً . وقال «الصلاح الصفدي» في « الوافي بالوفيات : ٨/١ » بأنَّ «إِبْرَاهِيمَ» وُلِدَ لِلنَّبِيِّ — ﷺ — بِالمَدِينَةِ مِنْ « مَارِيَةَ » وَعَاشَ عامين غير شَهرين ، ومات قَبْلَ أَبِيهِ — ﷺ — بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ » . وَتَرْجَمَهُ « الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ » مَرَّةً أُخرى في « الوَافِي بِالوَفَيَاتِ : ١٠١/٦ — ١٠٢ — الترجمة : (٢٥٣٣) وقَالَ : « تُوُفِّيَ «إبراهيمُ» في « بَنِي مَازِنٍ » عِنْدَ « أُمِّ بُرْدَةَ » ، وَهُوَ ابْنُ ثَمانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً في ذي الحِجَّةِ سنةَ ثَمانٍ ، وقيلَ : « تُوُفِّيَ سنةَ عَشْرٍ » وَغَسَّلَتْهُ « أُمُّ بُرْدَةَ » وحُمِلَ مِنْ بَيْتِهَا عَلَى سَرِيرٍ صَغِيرٍ . وَصَلَّى عَلَيْهِ « رَسُولُ اللهِ » — ﷺ — « بِالبَقِيعِ » .

ويقول المرحوم محمود باشا الفلكي في كتابه : « التقويم العربي قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته — ﷺ — : ١٨ و ١٩ » :

« كانت ولادةُ « إِبْرَاهِيمَ » فِي رَأْيِ الجَمِيعِ فِي شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ من السنة الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ .

وقد عاشَ إما سنةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَستةَ أيامٍ » .
وَإِمَّا ثمانية عَشَرَ شَهْراً فَقَطْ .

وَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ وَذٰلِكَ وَقْتَ الضُّحَىٰ في أَوَّلِ رَبِيعٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ، فَقَالَ النَّاسُ: « انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ « إِبْرَاهِيمَ » فَجَمَعَ النَّاسَ [ـ ﷺ ـ وَ] [1] صَلَّىٰ بِهِمْ صَلَاةَ الْكُسُوفِ . ثُمَّ خَطَبَ بِهِمْ، فَقَالَ : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ [2] لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ » [3] .

ـ(دُخُولُ النَّاسِ في دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً)ـ

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ : دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً كَمَا أَخْبَرَ اللهُ بِذٰلِكَ، وَجَعَلَهُ عَلَماً عَلَىٰ وَفَاتِهِ ـ ﷺ ـ .

= وهذا الرَّأيُ الأخيرُ يجبُ رَفْضُهُ لأنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أنَّ مَوْتَ إبْرَاهِيمَ كانَ في شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَة .

. . . . ثمَّ يقولُ : « وَقَدْ قُمْتُ بِحِسَابٍ دَقِيقٍ بَيَّنَ لي أنَّ الشَّمْسَ قَدْ كُسِفَتْ حَقِيقَةً كُسُوفاً كُلِّيّاً تَقْرِيباً بِالمَدِينَةِ عِنْدَ السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ والدَّقِيقَةِ الثَّلاثين بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ يوم السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ من شهر يناير (كانون الثاني) سنة ٦٣٢ ميلاديَّة .

وَإِذَنْ فإنَّ اليَوْمَ التَّاسِعَ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ لِلْهِجْرَةِ يُوَافِقُ اليَوْمَ السَّابِعَ وَالعِشْرِينَ مِنْ يَنَايِرَ (كانون الثاني سنة (٦٣٢ م) .

(١) التكملة يقتضيها السِّياق .

(٢) الأصل : لا يكسفان .

(٣) « صحيح مسلم ! ٦٢٦/٢ ـ (١٠) كتاب الكسوف ـ (٣) باب ما عُرِض على النَّبيِّ ـ ﷺ ـ الحديث : (١٧) ـ ٩٠٧ » وَ « صَحيح البُخاريِّ : ٤٢/٢ ـ (١٦) كتاب الكسوف ـ (١) باب الصَّلاة في كسوف الشمس » .

—(عَـامُ الوُفُـودِ)—

—(وَفْـدُ بَنِي حَنِيفَـةَ)—

وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ ، فَمِنْهُمْ : « وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ » (١) فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ عَلَيْهِمْ « مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ » ، وَأَبَىٰ أَنْ يُسْلِمَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ لَهُ « النَّبِيُّ » الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ وَرَجَعَ خَائِباً .

—(وَفْـدُ نَصَـارَى نَجْـرَانَ)—

وَمِنْهُمْ : « وَفْدُ نَجْرَانَ » (٢) وَكَانُوا « نَصَارَىٰ » ، فَحَاجُّوهُ فِي « عِيسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أَنَّهُ « ابْنُ اللهِ » لِكَوْنِهِ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ. فَنَزَلَتْ [الْآيَةُ] (٣) : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾(٤) ـ أَيْ : مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ ـ .

وَنَزَلَتْ « آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ » ـ أَي : الْمُلَاعَنَةِ ـ : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَٰذِبِينَ ﴾(٥) ـ الْآيَة ـ

(١) انظر : « صحيح البخاري : ٥/٢١٥ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٧٠) باب وفد بني حنيفة ـ عن ابن عباس » .

(٢) انظر : « صحيح البخاري : ٥/٢١٧ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٧٢) باب قصة أهل نجران».

(٣) التكملة يقتضيها السياق .

(٤) « سورة آل عمران : ٣/٥٩ ـ م ـ » .

(٥) « سورة آل عمران : ٣/٦١ ـ م ـ » .

فَقَالَ لَهُمْ رَئِيسَاهُمْ ، « السَّيِّدُ » [١] وَ « الْعَاقِبُ » [٢] : « لَا تَفْعَلُوا » ، ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَىٰ « الْجِزْيَةِ » وَقَالُوا : « ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِيناً مِنْ أَصْحَابِكَ » فَقَالَ : « لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ [رَجُلًا] [٣] أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ » [٤] فَبَعَثَ مَعَهُمْ « أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَقَالَ : « هٰذَا أَمِينُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ » .

ـ(وُفُودُ الْيَمَنِ)ـ

وَمِنْهُمْ : « وُفُودُ الْيَمَنِ » فَأَسْلَمُوا ، فَقَالَ : « أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، وَأَلْيَنُ قُلُوباً ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ » [٥] . وَبَعَثَ مَعَهُمْ « مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ » وَ « أَبَا مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيَّ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ .

---

(١) « السَّيِّدُ » : وَهوَ ثِمَالُهُمْ ـ غِيَاثُهُمُ الذِي يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ـ وَصَاحِبُ رحلهم ومجتمعهم ، وكان اسمُهُ « الأَيْهَم » . « الروض الأنف : ٥/٧ » .

(٢) « الْعَاقِبُ » : هُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ ، وَالَّذِي لاَ يَصْدُرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ، وكَانَ اسْمُهُ « عَبْدَ الْمَسِيحِ » . « الروض الأنف : ٥/٧ » .

(٣) التكملة عن « صحيح البخاري : ٥/٢١٧ » .

(٤) « صحيح البخاري : ٥/٣٢ ـ (٦٢) باب أصْحَابِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ (٢١) باب مناقبِ أبي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ » .

(٥) « صحيح البخاري : ٥/٢١٩ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٧٤) باب قدوم الأشعريين وأَهْلِ الْيَمَنِ ـ عن أبي هريرة ـ » . وتتمة الحديث : « وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ » .

(مَقْدَمُ «كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ» إلى «الرَّسُولِ» - ﷺ - مُسْلِماً وَمُعْتَذِراً)

وَقَدِمَ عَلَيْهِ « كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وَكَانَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ لِشِعْرٍ عَرَّضَ فِيهِ « بِالنَّبِيِّ » - ﷺ - فَأَسْلَمَ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ، وَأَنْشَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ :

بَانَتْ سُعَادُ [١] . . . . . .

فَقَبِلَ عُذْرَهُ وَكَسَاهُ بُرْدَتَهُ - ﷺ - .

(غَزْوَةُ تَبُوكَ)

وَفِيهَا [٢] : كَانَتْ « غَزْوَةُ تَبُوكَ » [٣] إِلَىٰ « الشَّامِ » لِقِتَالِ « الرُّومِ » فَخَرَجَ - ﷺ - فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنَ « الْمُسْلِمِينَ » وَخَلَّفَ عَلَىٰ « الْمَدِينَةِ » « عَلِيّاً » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَقَالَ : « أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟ »

---

(١) وَمَطْلَعُهَا :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولُ

انظر القصيدة في « دِيوانِ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ : ٦-٢٥ » . و « سيرة ابن هشام : ٥٠٢/٢ - ٥١٥ » و « الروض الأنف : ٢٥٨/٧ » و « عيون الأثر : ٢٦٧/٢ - ٢٧٢ » .

(٢) كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ لِلهِجْرَةِ - انظر : « سيرة ابن هشام : ٥١٥/٢ » و « طبقات ابن سعد : ١١٨/١/٢ » .

(٣) « صحيح البخاري : ٦/٢ - (٦٤) كتاب المغازي - (٧٨) باب غزوة تَبُوكَ ، وهي غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ » .

فَقَالَ ــ ﷺ ــ : « أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ « هَارُونَ » مِنْ « مُوسَىٰ » إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي(١) » .

فَلَمَّا بَلَغَ « تَبُوكَ » وَهِيَ أَدْنَىٰ « بِلَادِ الرُّومِ » أَقَامَ بِهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَلَمْ يَلْقَ عَدُوّاً ، وَصَالَحَ جُمْلَةً مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ عَلَىٰ « الْجِزْيَةِ »

ــ(كَذِبُ الْمُنَافِقِينَ فِي اعْتِذَارِهِمْ وَنُزُولُ الْوَحْيِ بِفَضْحِهِمْ)ــ

ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » وَجَاءَهُ « الْمُنَافِقُونَ » يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ لِتَخَلُّفِهِمْ عَنْهُ ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ « جَيْشَ الْعُسْرَةِ » وَحَلَفُوا لَهُ بِالْكَذِبِ ، فَقَبِلَ عُذْرَهُمْ ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ ــ تَعَالَىٰ ــ فَفَضَحَهُمُ اللهُ بِمَا أَنْزَلَ فِي « سُورَةِ بَرَاءَةٍ »(٢) كَقَوْلِهِ : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ * فَلَمَّا ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا بِهِۦ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٣) ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ فَسُمِّيَتْ : « الْفَاضِحَةَ » .

ــ(تَوْبَةُ الْمُخَلَّفِينَ الثَّلَاثَةِ)ــ

/ وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا وَصَدَقُوهُ ، وَاعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ لَا عُذْرَ لَهُمْ ، [٥٧ و]

(١) « صحيح البخاري : ٦/٣ ــ (٦٤) كتاب المغازي ــ (٧٨) باب غزوة تبوك » .
(٢) « سورة براءة » ، وتسمى أيضاً « سورة التوبة » وهي السورة التاسعة من القرآن الكريم .
(٣) « سورة التوبة : ٧٥/٩ ــ ٧٧ ــ م ــ » .

فَخَلَّفَ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ قَضَاءِ اللهِ - تَعَالَىٰ - فِيهِمْ ، وَهُمْ : «كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ»[1] ، وَ « هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ [الْوَاقِفِيُّ] » [2] ، وَ « مُرَارَةُ - بِالضَّمِّ - ابْنُ الرَّبِيعِ » فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، فَسُمِّيَتْ [3] : « سُورَةُ التَّوْبَةِ » .

ــ(نَعْيُ النَّجَاشِيِّ)ــ

وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ : نَعَىٰ [4] لَهُمْ « النَّبِيُّ » - ﷺ - « النَّجَاشِيَّ » [5] ، وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ فِي « الْمُصَلَّىٰ » جَمَاعَةً .

---

(١) « صحيح البخاري : ٦/٣ - (٦٤) كتاب المغازي - (٧٩) باب حَدِيث كعب بن مالك » و « صحيح البخاري : ٨٦/٦ - (٦٥) كتاب التفسير - تفسير سورة براءة - (١٤) باب سيحلفون بالله لكم » و « صحيح البخاري : ٨٨/٦ - (٦٥) كتاب التفسير - تفسير سورة براءة - (١٨) باب وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا » .

و « صحيح مسلم : ٢١٢٠/٤ - (٤٩) كتاب التوبة - (٩) باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، الحديث : ٥٣ - (٢٧٦٩) » - .

(٢) التكملة عن « تجريد أسماء الصحابة : ١٢١/٢ » .

(٣) الأصل : فسمت .

(٤) انظر : « صحيح البخاري : ٩١/٢ - ٩٢ - (٢٣) كتاب الجنائز - (٤) باب الرَّجُل يَنْعَى إلى أَهْلِ المَيِّتِ بِنَفْسِهِ » و ١٠٩/٢ - (٥٥) بَابُ الصُّفُوفِ عَلَى الجِنَازَةِ و ١١١/٢ - (٦٠) بابُ الصَّلاةِ على الجنائز بالمُصَلَّى وَالمَسْجِدِ و ١١٢/٢ - (٦٥) بابُ التَّكْبِيرِ عَلَى الجنازةِ أَرْبَعاً و ٦٤/٥ و ٦٥ - (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٣٨) باب موت النَّجَاشِيِّ» .

(٥) « النَّجَاشِيُّ » هو « أَصْحَمَةُ » وقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ باسْمِهِ وَلَقَبِهِ في « صحيح البخاري : ٦٥/٥ - (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٣٨) باب موت النَّجَاشِيِّ » . وقد ورد ذِكْرُهُ في : «تجريدِ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ : ٢٤/١ » وفيه : « النَّجَاشِيُّ» مَلِكُ الحَبَشَةِ أَسْلَمَ وَكَتَمَ إِسْلامَهُ مِنْ « حَبَشَةَ » وَأَحْسَنَ إلى المُهَاجِرِينَ وَهُوَ « أَصْحَمَةُ » .

ـ(حَجُّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ وَنَبْذُ عُهُودِ الْمُشْرِكِينَ)ـ

وَفِي خَاتِمَةِ هٰذِهِ السَّنَةِ : أَمَرَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ « أَبَا بَكْرٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنْ يَحُجَّ بِالنَّاسِ ، فَسَارَ لَهُمْ ، ثُمَّ بَعْدَهُ « عَلِيّاً » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لِيَبْرَأَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِصَدْرِ «سُورَةِ بَرَاءَةٍ»(١) يَوْمَ « الْحَجِّ الأَكْبَرِ » ، فَنَبَذَ إِلَىٰ كُلِّ مُشْرِكٍ عَهْدَهُ .

ـ(حِجَّةُ الْوَدَاعِ)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ : حَجَّ ـ ﷺ ـ « حِجَّةَ الْوَدَاعِ »(٢) ، وَحَجَّ بِأَزْوَاجِهِ كُلِّهِنَّ ، وَبِخَلْقٍ كَثِيرٍ ، فَحَضَرَهَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَرْبَعُونَ أَلْفاً ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ فَوَدَّعَ النَّاسَ ، وَحَذَّرَهُمْ ، وَأَنْذَرَهُمْ ، وَقَالَ : « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا ،

---

(١) ذكر البخاري في « صحيحه : ٨١/٦ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٩) باب سورة براءة » ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَعَثَنِي «أبوبكر» فِي تِلْكَ الحِجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنىً أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، ثُمَّ أَرْدَفَ «رَسُولُ اللهِ» ـ ﷺ ـ «بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ «بِبَرَاءَةٍ» ، فَقَالَ «أَبُو هُرَيْرَةَ» : فَأَذَّنَ مَعَنَا «عَلِيٌّ» يَوْمَ النَّحْرِ فِي «أَهْلِ مِنىً» «بِبَرَاءَةٍ» وَأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . » . « سورة براءة : ٣/٩ ـ م ـ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٢٢١/٥ ـ ٢٢٦ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٧٧) باب حجة الوداع ».

فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا ، ثُمَّ قالَ : « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » قَالُوا : « نَعَمْ ! » قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » ـ ثَلَاثاً ـ) (١) .

ثُمَّ قَفَلَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » فَدَخَلَهَا فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَلَبِثَ بِهَا « الْمُحَرَّمَ » وَ « صَفَرَ » .

(دَعْوَةُ الرَّسُولِ المُسْلِمِينَ إلى الجهادِ وتجهيزُ جَيْشِ أُسامَةَ)

ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ فِي أَوَّلِ رَبِيعٍ بِالْجِهَادِ إِلَىٰ « الشَّامِ » ، وَأَمَّرَ (٢) عَلَيْهِمْ « أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ فَأَخَذُوا فِي جَهَازِهِمْ .

(مَرَضُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ وَوَفَاتُهُ)

فَمَرِضَ (٣) « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ ، وَثَقُلَ مَرَضُهُ فَأَقَامُوا يَنْتَظِرُونَ أَمْرَهُ . فَتُوُفِّيَ ـ ﷺ ـ لِتَمَامِ عَشْرِ سِنِينَ مِنْ هِجْرَتِهِ ، فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ (٤) ، ضُحَىٰ الْإِثْنَيْنِ ، ثَانِيَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فِي الْوَقْتِ وَالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ (٥) « الْمَدِينَةَ » وَدُفِنَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ ـ ﷺ ـ وَزَادَهُ فَضْلًا وَشَرَفاً لَدَيْهِ .

---

(١) انظر : « صحيح البخاري : ٢٢٣/٥ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٧٧) بابُ حِجَّةِ الوَداعِ ـ » .

(٢) « صحيح البخاري : ١٩/٦ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٨٧) باب بعث النبي ـ ﷺ ـ أسامة بن زيد ـ رضي اللهُ عَنْهُمَا ـ في مرضه الذي تُوُفِّي فيه » .

(٣) « صحيح البخاري : ١٠/٦ ـ (٦٤) ـ كتاب المغازي ـ (٨٣) باب مرض « النبيِّ ـ ﷺ ـ »

(٤) الأصل : في السنة الحادية عشر .

(٥) الأصل : فيها .

(خَاتِمَــةٌ فِي مَضْمُونِ الْكِتَــابِ)

فَهٰذَا جُمْلَةُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُنَا هٰذَا مُلَخَّصاً مِنْ سِيرَتِهِ - ﷺ - مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَىٰ وَفَاتِهِ . وَسَيَأْتِي ذٰلِكَ مُفَصَّلًا فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ « اللهُ » - تَعَالَىٰ - مَعَ ذِكْرِ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ ، مِمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ أَيْضاً ، كَالْخُطْبَةِ الْبَلِيغَةِ السَّابِقَةِ ، وَخُطْبَةِ « الْجِهَادِ » اللَّاحِقَةِ ، وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِ « الْجِهَادِ » ، وَشَرَفِ « مَكَّةَ » و « الْمَدِينَةِ » بَلَدَيْ مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ - ﷺ - وَشَرَفِ نَسَبِهِ ، وَمَآثِرِ آبَائِهِ وَحَسَبِهِ ، وَمَنْ بَشَّرَ بِهِ قَبْلَ ظُهُورِهِ ، إِلَىٰ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ الْكُلِّيَّةِ ، كَنَسْخِ دِينِهِ - ﷺ - لِكُلِّ دِينٍ وَتَفْضِيلِهِ عَلَىٰ جَمِيــعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَجُمْلَةٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ ، وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - ثُمَّ ذِكْرِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ أَيْضاً مِنْ عِبَادَاتِهِ - ﷺ - لِرَبِّهِ ، وَشُكْرِهِ لَهُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ - ﷺ - وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَعَظَّمَ



—(مُنَاجَـاةُ الحَبِيبِ المُصْطَفَى ﷺ)—

وَلِي مِنْ قَصِيدَةٍ مُسَمَّطَةٍ (١) هٰذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَلَا يَا أَيُّهَا الْحَـادِي ! (٢) إِذَا مَـا   أَتَيْتَ قِبَابَ « طَيْبَةَ » (٣) وَالْخِيَامَا

فَخَيِّمْ وَاقْـرِ سَاكِنَهَـا السَّـلَامَا

وَقَبِّـلْ مِنْ مَنَـازِلِـهِ الْعِتَـابَـا

هُنَـاكَ فَهَنِّ نَفْسَكَ بِالْوُصُـولِ   وَقُـلْ يَا نَفْسُ ! مَأْمُولِي وَسُولِي

رَسُـولُ اللهِ يَالَكَ مِنْ رَسُـولِ !

[٥٧ ظ] / فَفِـي وِرْدِي مَنَـاهِلُهُ الْعِذَابَـا

وَمَرِّغْ (٤) حَوْلَ ذَاكَ الْقَبْرِ خَـدًّا   وَقُـدَّ مَرَائِرَ الْأَشْـوَاقِ قَـدًّا

وَنُحْ مِمَّـا اقْتَرَفْتَ (٥) أَسىً وَوَجْدَا

لِمَا اجْتَرَحَتْ (٦) جَوَارِحُكَ اكْتِسَابَا

---

(١) أشهر أنواع المُسَمَّطات تكون بأن يبتدىء الشَّاعرُ ببيتٍ مُصرّعٍ ثمَّ يأتي بأربعةِ أقسمة على غيرِ قافيته ، ثم يعيدُ قسماً واحداً مِنْ جنس ما ابتدأ به . وهكذا إلى آخر القصيدة . ومن أنواعه المخمسات والمربعات والمسبعات » . « أدب الدول المتتابعة : (٦٣٢) » .

(٢) « الحادي » : « الَّذي يَسُوقُ الإبِلَ بِالحُدَاء » .

(٣) « طَيْبَةُ » : اسم لمدينةِ رَسول الله — ﷺ — . يُقَالُ لَهَا « طَيْبَةُ » و « طَابَةُ » مِنَ الطِّيبِ ، وَهِيَ الرَّائِحَةُ الحَسَنَةُ لِحُسْنِ رَائِحَةِ تُرْبَتِهَا فِيمَا قِيلَ . وَالطَّابُ وَالطَّيِّبُ لُغَتَانِ ، وَقِيلَ : مِنَ الشَّيءِ الطَّيِّبِ وَهُوَ الطَّاهِرُ الخَالِصُ لِخُلُوصِهَا مِنَ الشِّرْكِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْهُ . . . وَقِيلَ لِطِيبِهَا لِسَاكِنِيهَا وَلِأَمْنِهِمْ وَدِعَتِهِمْ فِيهَا . وقِيلَ : مِنْ طِيبِ الْعَيْشِ بِهَا مِنْ طَابَ الشَّيْءُ : إِذَ وَافَقَ . « معجم البلدان : ٥٣/٤ » .

(٤) « مَرَّغَهُ فِي التُّرَابِ » : قَلَّبَهُ فِيهِ .

(٥) « اقترفت » : ارتكبت .

(٦) « اجترحت » : اكتسبت .

وَقُلْ : يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْبُرَاقَا ! وَأَكْرَمَ مَنْ عَلَىٰ السَّبْعِ الطِّبَاقَا

أَتَيْتُكَ كَيْ تَحُلَّ لِيَ الْوَثَاقَا (١)

ذُنُوباً (٢) قَدْ دَهَتْ قَلْبِي الْمُصَابَا

فَأَنْتَ الشَّافِعُ الْمَقْبُولُ حَقّاً وَكَمْ لَكَ مُعْجِزَاتٌ لَيْسَ تُرْقَىٰ

قَدِ اتَّضَحَتْ لَنَا غَرْباً وَشَرْقا

وَأَعْيَتْ كُلَّ ذِي فَهْمٍ حِسَابَا

أَتَتْنَا فِي وِلَادِكَ كُلُّ بُشْرَىٰ غَدَاةَ تَسَاقَطُ الْأَصْنَامُ قَسْرَا (٣)

وَزُلْزِلَ هَيْبَةً إِيوَانُ كِسْرَىٰ

وَأَضْحَىٰ عَرْشُ دَوْلَتِهِ خَرَابَا

وَفِي بِضْعِ السِّنِينَ شُرِحْتَ صَدْراً وَظَلَّلَتِ الْغَمَامَةُ مِنْكَ حَرّاً

وَجَاءَتْ مُعْجِزَاتٌ مِنْكَ تَتْرَىٰ

رَأَىٰ الرُّهْبَانُ مِنْهُنَّ الْعُجَابَا !

---

(١) هَذَا غُلُوٌّ لايُقِرُّهُ « رَسُولُ اللهِ » – ﷺ – حَيْثُ أَنَّ حَلَّ الوَثَاقِ لَيْسَ مِنْ عَمَلِ الرَّسُولِ – ﷺ ، بَلْ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الخَالِقِ – جَلَّ ذِكْرُهُ – .

(٢) قوله : « ذُنُوباً » هو مُلْحَقٌ لِلعِبَارَةِ السَّابِقَةِ ، ولاَ رَيْبَ أَنْ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ من إرادَةِ « اللهِ » – تَعَالَىٰ – لَيْسَ « لِلرَّسُولِ » – ﷺ – فيهِ أيُّ تَصَرُّفٍ . وَلَيْتَ النَّاظِمَ – سَامَحَهُ اللهُ وَغَفَرَ لَهُ – عَزَا مَاذَكَرَ مِنْ حَلِّ الوَثَاقِ ، وغُفْرانِ الذَّنْبِ إلى « اللهِ » العَلِيِّ العَظِيمِ لَكَانَ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ وَحَمَىٰ جانِبَهُ .

(٣) الأصل : قصرا ، و « قَسْراً » : قَهْراً .

إِلَىٰ أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْيَقِينِ تَمَامَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ السِّنِينِ

وَأَزْهَرَ كَوْكَبُ الْحَقِّ الْمُبِينِ

وَنَجْمُ الشِّرْكِ وَالْبُهْتَانِ (١) غَابَا

أَتَاكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ فَقُمْتَ مُشَمِّراً سَاقَ الْجِهَادِ

تُبَيِّنُ لِلْوَرَىٰ طُرُقَ الرَّشَادِ

وَتَتْلُو الْوَحْيَ فِيهِمْ وَالْكِتَابَا

بِحَقِّكَ سَلْ إِلٰهَكَ أَنْ يَكُونَا لَنَا عَوْناً عَلَىٰ الْأَعْدَا مُعِينَا

وَمِنْ كُلِّ الْأَذَىٰ حِصْناً حَصِينَا

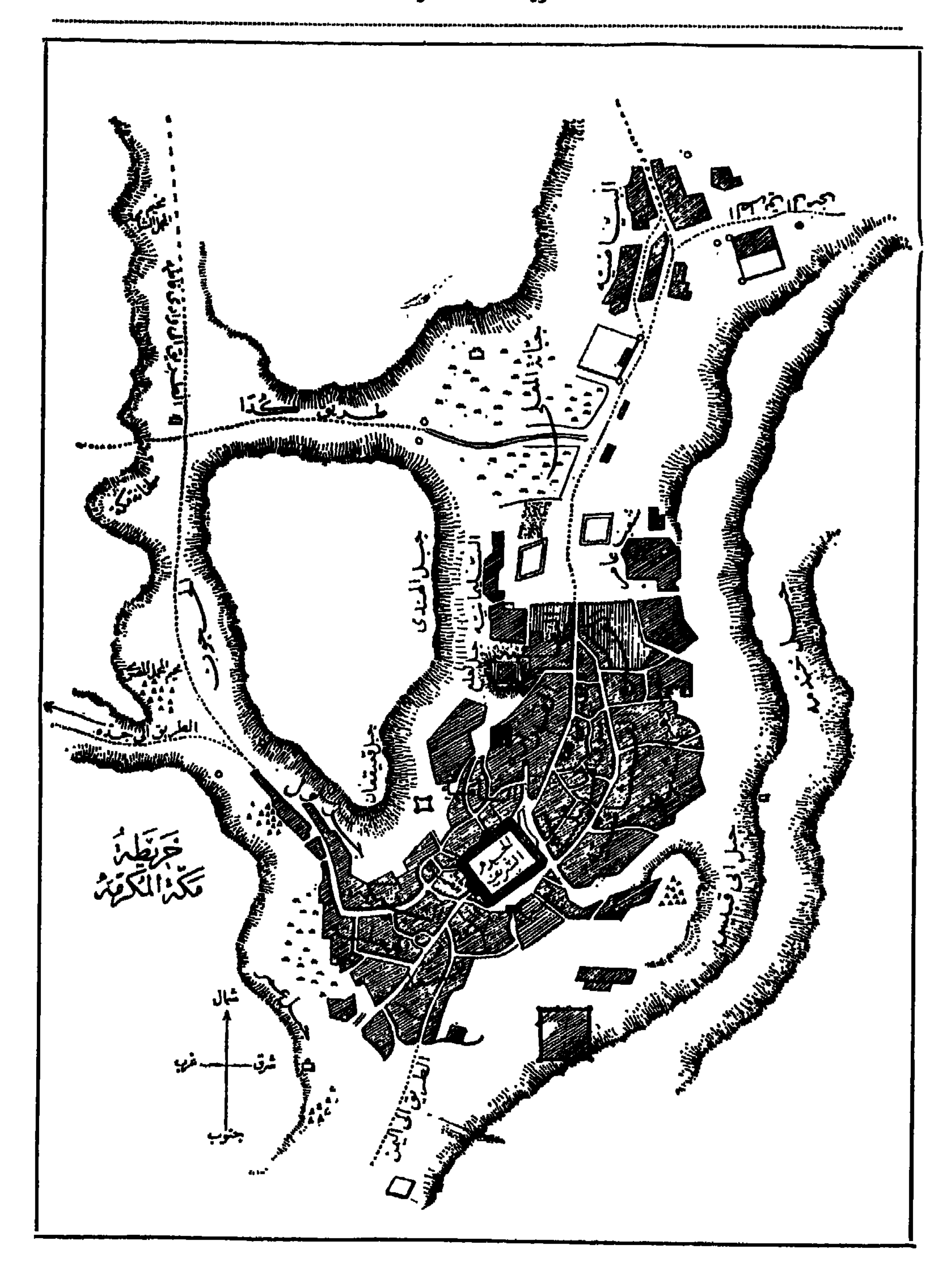
وَيَكْفِينَا بِرَحْمَتِهِ الْعَذَابَا



(١) « البهتان : كذبٌ يُبْهِتُ سامعه لفظاعته .

الْبَابُ الثَّانِي

فِي شَرَفِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بَلَدَيْ مَوْلِدِهِ وَنَشْأَتِهِ وَوَفَاتِهِ وَهِجْرَتِهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَشَرَفِ قَوْمِهِ وَنَسَبِهِ وَمَآثِرِ آبَائِهِ وَحَسَبِهِ .


خريطة مكة المكرمة
شمال
جنوب
شرق
غرب

ـ(شَرَفُ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ)ـ

أَمَّا شَرَفُ « مَكَّةَ » و « الْمَدِينَةِ » اللَّتَيْنِ [١] هُمَا مَهْبِطُ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ فَاعْلَمْ ـ طَهَّرَ اللهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ ، وَوَفَّى [٢] هٰذَا « النَّبِيَّ » الْكَرِيمَ حُبِّي وَحُبَّكَ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قَدْ أَكْرَمَ هٰذَا « النَّبِيَّ » الْكَرِيمَ بِأَصْنَافِ الْكَرَامَةِ ، وَوَفَّرَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَقْسَامَهُ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِمْ خِيَارَهُ ، وَأَعْلَىٰ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَنَارَهُ ، فَجَعَلَهُ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأُمَّتَهُ خَيْرَ الْأُمَمِ ، وَلُغَتَهُ خَيْرَ اللُّغَاتِ ، وَكِتَابَهُ خَيْرَ الْكُتُبِ ، وَقَبِيلَتَهُ خَيْرَ الْقَبَائِلِ ، وَبِلَادَهُ أَفْضَلَ بِلَادِ اللهِ وَأَكْرَمَهَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ عِبَادِهِ .

ـ(فَضْلُ البَلَدِ الحَرَامِ « مَكَّةَ »)ـ

أَمَّا « مَكَّةُ » الْبَلَدُ الْحَرَامُ فَقَالَ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ فِي فَضْلِهَا : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَـٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً ـ الْآيَةَ ﴾ [٣] .

---

(١) في الأصل : اللذين .

(٢) الأصل : ووفى في .

(٣) « سورة آل عمران : ٣/٩٦ ـ ٩٧ ـ م ـ » .

ـ(الآيَـاتُ البَيِّنَـاتُ في « الحَرَمِ المَكِّيِّ »)ـ

وَمِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِيهِ : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ » (١) ، وَ « الْحَطِيمُ » ، وَانْفِجَارُ مَاءِ « زَمْزَمَ » (٢) بِعَقِبِ « جِبْرِيلَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ، وَأَنَّ شُرْبَهُ شِفَاءٌ لِلْأَسْقَامِ ، وَغِذَاءٌ لِلْأَجْسَامِ ، بِحَيْثُ يُغْنِي عَنِ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ .

ـ(فَضْلُ الصَّلَاةِ في « الحَرَمِ المَكِّيِّ » الشَّرِيفِ)ـ

وَمِنْ فَضْلِهَا مَا ثَبَتَ فِي « الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ » أَنَّ الصَّلَاةَ الْوَاحِدَةَ / فِيهَا ، بَلْ فِي سَائِرِ الْحَرَمِ بِمَائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهَا ، سِوَىٰ « الْمَدِينَـةِ » . [٥٨ و]

---

(١) انظر : « فَضَائِلُ الْحَجَرِ الأَسْودِ والمقام » في « سُبُلِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ : ٢٠٤/١ » .

(٢) انظر : « فَضَائِلُ زَمْزَمَ » في « سُبُلِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ : ٢١٠/١ و ٢١١ » وَفِيهِ : قَالَ « أَبُوذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ « رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ » . وقال « ابنُ عَبَّاسٍ » قالَ « رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » .

فَائِـــدَة

—(فَضْلُ الصَّلَاةِ فِي « مَكَّةَ » عَلَى الصَّلَاةِ فِي غَيْرِهَا)—

حَسَبَتِ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ فَبَلَغَتْ صَلَوَاتُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ « بِمَكَّةَ » فِي هَٰذِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَهْيَ خَمْسَ عَشْرَةَ [١] صَلَاةً بِأَلْفِ أَلْفِ صَلَاةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهَا ، وَذَٰلِكَ كَصَلَوَاتِ أَلْفِ سَنَةٍ . فَمَنْ أَقَامَ «بِمَكَّةَ» ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَهْيَ أَقَلُّ مَا يُقِيمُهُ الْحَاجُّ يَعْبُدُ « اللهَ » ، فَكَأَنَّهُ عَبَدَ « اللهَ » فِي غَيْرِهَا أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَأَنَّهُ عُمِّرَ عُمْرَ « نُوحٍ » فِي طَاعَةِ « اللهِ » ـ تَعَالَىٰ ـ . وَهَٰذِهِ إِحْدَىٰ [٢] الْمَنَافِعِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَٰفِعَ لَهُمْ ـ الْآيَةُ ﴾ [٣] ـ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ ـ فَمَا ظَنُّكَ بِالْوُقُوفِ وَالطَّوَافِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ . ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [٤] .

---

(١) الأصل : خمسة عشر .

(٢) في الأصل : أحد المنافع .

(٣) « سورة الحج : ٢٨/٢٢ ـ م ـ » .

(٤) « سورة الحديد : ٢١/٥٧ ـ م ـ » .

ـ(« مَكَّةُ » خَيْرُ أَرْضِ اللهِ)ـ

وَقَالَ ـ ﷺ ـ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ « مَكَّةَ » بَعْدَ فَتْحِهَا : [وَاللهِ ! إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ « اللهِ » وَأَحَبُّ أَرْضِ « اللهِ » إِلَىٰ « اللهِ » (١) . وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ] (٢) ـ رَوَاهُ « التِّرْمِذِيُّ » ـ وَقَالَ : « حَدِيثٌ صَحِيحٌ » (٣) .

ـ(حُرْمَةُ « الحَرَمِ المَكِّيِّ » عِنْدَ « الْعَرَبِ » في الجاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ)ـ

وَكَانَتِ « الْعَرَبُ » فِي « الْجَاهِلِيَّةِ » تَحْتَرِمُ « الْحَرَمَ » بِحَيْثُ يَمْشِي الْقَاتِلُ فِيهِ مَعَ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ ، وَيَقِفُ السَّبُعُ عَنِ الظَّبْيِ وَنَحْوِهِ مِنَ الصَّيْدِ إِذَا دَخَلَ « الْحَرَمَ » وَذَلِكَ بِدُعَاءِ « إِبْرَاهِيمَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ إِذْ قَالَ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَداً ءَامِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرٰتِ ـ الْآيَة ﴾ (٤) .

ـ(« مَكَّةُ » مَدِينَةُ مَوْلِدِ الْمُصْطَفَى ـ ﷺ ـ وَمَنْشَئِهِ)ـ

وَمِنْ فَضْلِهَا أَنَّهَا مَوْلِدُ « الْمُصْطَفَىٰ » ـ ﷺ ـ وَمَسْقَطُ رَأْسِهِ وَمَنْشَؤُهُ ، وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثاً وَخَمْسِينَ سَنَةً قَبْلَ هِجْرَتِهِ .

---

(١) في الأصل : وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِليَّ .

(٢) « سنن الترمذي : ٥/٣٨٠ ـ أبواب المناقب ـ في فضل مكة ـ الحديث : (٤٠١٧) » .

(٣) في « سُنَنِ الترمذي : ٥/٣٨٠ : ـ حديث حسن غريب صحيح ـ » .

(٤) « سورة البقرة : ٢/١٢٦ ـ م ـ » .

(حُرْمَةُ الحَرَمِ في «القُرْآنِ الكَرِيمِ» وفي «الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ»)

وَمِنْ فَضَائِلِهَا تَحْرِيمُهَا المُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١) ، وَقَوْلِهِ ـ ﷺ ـ : « إِنَّ هَٰذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، [وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ « اللهِ » ـ تَعَالَىٰ ـ إِلَىٰ « يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ] (٢) ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ « اللهِ » إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ » (٣) ـ الحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

(المَدِينَةُ الشَّرِيفَةُ دَارُ الهِجْرَةِ)

وَأَمَّا « الْمَدِينَةُ الشَّرِيفَةُ » فَهِيَ « دَارُ الْهِجْرَةِ » ، و « ذَاتُ الرَّوْضَةِ وَالْحُجْرَةِ » .

* وَثَبَتَ أَنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ ـ أَيْ : يَنْضَمُّ ، بِتَقْدِيمِ الرَّاءِ عَلَىٰ الزَّايِ ـ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا » (٤) ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

---

(١) « سورة القصص : ٥٧/٢٨ ـ ك ـ » .

(٢) التكملة عن « « صحيح البخاري : ١٨/٣ ـ » .

(٣) « صحيح البخاري : ١٨/٣ ـ (٢٨) كتاب جزاء الصيد ـ (١٠) باب لا يَحِلُّ القِتَالُ بمكة» . و « صحيح مسلم : ٩٨٦/٢ ـ (١٥) كتاب الحج ـ (٨٢) باب تحريم مكة ـ الحديث : ٤٤٥ ـ (١٣٥٣) ـ » .

(٤) « صحيح البخاري : ٢٧/٣ ـ (٢٩) كتاب فضائل المدينة ـ (٦) باب الإيمان يَأْرِزُ إلى المدينة» . و «صحيح مسلم : ١٣١/١ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٦٥) باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ـ الحديث : ٢٣٣ ـ (١٤٧) ـ » .

ــ(حَرَمُ المَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ)ــ

* وَأَنَّهُ ــ ﷺ ــ قَالَ : « المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَىٰ كَذَا » ــ و « لِمُسْلِمٍ » : مِنْ « عَيْرٍ » إِلَىٰ « ثَوْرٍ » (١) ــ لَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا ، وَلَا يُحْدَثُ فِيهَا حَدَثٌ ، مَنْ أَحْدَثَ [فِيهَا] (٢) حَدَثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (٣) ــ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ــ .

وَ « ثَوْرٌ » (٤) : جَبَلٌ صَغِيرٌ خَلْفَ « أُحُدٍ » مِنْ جِهَةِ الشِّمَالِ .

---

(١) « صحيح مُسْلِمٍ : ٩٩١/٢ ــ ٩٩٥ ــ (١٥) كتاب الحج ــ (٨٥) باب فضل المدينة ــ الحديث رقم ٤٦٧ ــ (١٣٧٠) .

(٢) زيادة على نص البخاري .

(٣) « صحيح البخاري : ٢٥/٣ ــ (٢٩) كتاب فضائل المدينة ــ (١) باب فَضَائِلِ المدينةِ » .

(٤) إن تعريف «ابن الديبع الشيباني» جبل ثور على هذا النحو يتفق مع الحقيقة الواقعية ، وهو ما يتفق مع قول الرسول ــ ﷺ ــ في تحديد حرم المدينة في الحديث الذي أورده مسلم في «صحيحه» : « المدينة حرم ما بين عَيْرٍ وثَورٍ » ، ولقد توهم « أبوعبيد البكري » المتوفى سنة ٤٨٧ هـ في كتابه « معجم ما استعجم » ، و«ابن الأثير الجزري» المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في كتابه « النهاية في غريب الحديث » ، و«ياقوت الحموي» المتوفىٰ سنة ٦٢٦ هـ في كتابه « معجم البلدان » بنكرانِ وجود جبل بهذا الاسم في المدينة ، وتأكيد وجوده في مكة ، وهو الجبل الذي يحتوي على غار ثور الذي أوى إليه الرسول ــ ﷺ ــ في طريق هجرته إلى « المدينة » .

والحقيقة التي لا لبس فيها ، أنّ في حدود حرم مكة جبلاً بهذا الاسم ، وفي حدود حرم المدينة جبل بالتسمية ذاتها ، ولذلك لا لزوم لكل التأويلات التي أخذ بها بعضهم في شرح هذا الحديث ، ولقد أولى المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي هذا الموضوع كل العناية في البحث لدفع هذا الخطأ ، وجاء بشتى الأدلة والأقوال التي تزيل الارتياب وتثبت الحقيقة معتمداً على ما أورده القدامى في هذا الموضوع ، وما أخذ به المحدثون وأظهروه في دراساتهم الطوبوغرافية لحرمي مكة والمدينة مما يصح الرجوع إليه ، انظر : « صحيح مسلم : ٩٩٥/٢ ــ الحاشية (٤) ــ إلى ٩٩٨ » .

ـ وَ « لأَحْمَدَ » ـ : « مَا بَيْنَ « عَيْرٍ » إِلَىٰ « أُحُدٍ » [١] . وَ « عَيْرٌ » مُقَابِلٌ « لأُحُدٍ » .

ـ(فَضَائِلُ « المَدِينَـةِ » الشَّرِيفَةِ)ـ

* وأَنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « الْمَدِينَةُ » تَنْفِي [خَبَثَ أَوْ خُبْثَ] [٢] النَّاسِ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » [٣] ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

* وَأَنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « لَا يَكِيدُ « أَهْلَ الْمَدِينَةِ » أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ ـ أَي : انْذَابَ ـ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ » [٤] . ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

* وَأَنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « عَلَىٰ أَنْقَابِ [٥] « الْمَدِينَةِ » مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا « الدَّجَّالُ » [٦] ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

---

(١) لم أجده بلفظه في « مسند الإمام أحمد بن حنبل » .

(٢) نص الحديث في « صحيح البخاري : ٣/٢٦ » : « المَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ . . . . الخ » . و « الخَبَثُ » هُوَ مَا تُلْقِيهِ النَّارُ مِنْ وَسَخِ الْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَغَيْرِهِمَا إِذَا أُذِيبا . « النهاية : ٢/٥ مادة : « خبث » .

(٣) « صحيح البخاري : ٣/٢٦ ـ (٢٩) فضائل المدينة ـ (٢) بابُ فَضْلِ المدينَةِ وَأَنَّهَا تَنْفِي الناس » .

(٤) « صحيح البخاري : ٣/٢٧ ـ (٢٩) فضائل المدينة ـ (٧) باب إِثْمِ مَنْ كَادَ أَهْلَ المدينة» .

(٥) « أَنْقَابٌ » . جَمْعُ قِلَّةٍ لِلنَّقْبِ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ « النهاية في غريب الحديث : ٥/١٠٢ ـ مادة : « نَقَبَ » ـ » .

(٦) « صحيح البخاري : ٣/٢٨ ـ (٢٩) فضائل المدينة ـ (٩) باب لا يَدْخُلُ الدَّجَّالُ المَدِينَةَ » و « صحيح مسلم : ٢/١٠٠٥ ـ (١٥) كتاب الحج ـ (٨٧) باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدَّجَّال إليها ـ الحديث رقم : ٤٨٥ ـ (١٣٧٩) » .

ــ(شَرَفُ البَلَدَيْنِ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِي)ــ

* وَأَنَّهُ ــ ﷺ ــ قَالَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَٰذَا / خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ [٥٨ ظ] فِيمَا سِوَاهُ ، إِلَّا [١] الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » [٢] . ــ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ــ .

* وَأَنَّهُ ــ ﷺ ــ قَالَ : « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْبَرِي عَلَىٰ حَوْضِي » [٣] ــ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ــ .

ــ(المُفَاضَلَةُ بَيْنَ البَلَدَيْنِ)ــ

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ هَٰذَيْنِ الْبَلَدَيْنِ أَفْضَلُ بِلَادِ اللهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ ، وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي أَيِّهِمَا أَفْضَلُ ، فَالْجُمْهُورُ عَلَىٰ تَفْضِيلِ « مَكَّةَ » عَلَىٰ « الْمَدِينَةِ » إِلَّا مَوْضِعَ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ [٤] ، فَأَجْمَعُوا أَنَّهُ أَفْضَلُ تُرْبَةٍ فِي الْأَرْضِ ، لِمَا وَرَدَ أَنَّ كُلًّا يُدْفَنُ فِي تُرْبَتِهِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا ، وَهُوَ ــ ﷺ ــ أَفْضَلُ الْخَلْقِ ، فَتُرْبَتُهُ أَفْضَلُ تُرْبَةٍ فِي الْأَرْضِ ، وَأَفْضَلُ مَوْضِعٍ فِي « مَكَّةَ » : « الْكَعْبَةُ » ، ثُمَّ « الْمَسْجِدُ » ، ثُمَّ « دَارُ خَدِيجَةَ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ لِأَنَّهُ أَقَامَ فِيهَا نَحْوَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ عَامـاً .

---

(١) الأصل : إلى .

(٢) « صحيح البخاري : ٧٦/٢ ــ (٢١) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ــ (١) ــ باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة » .

(٣) « صحيح البخاري : ٧٧/٢ ــ (٢١) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ــ (٥) باب « فضل ما بين القبر والمنبر » .

(وَصْفُ القَاضِي عِيَاضٍ لِمَعَاهِدِ البَرَاهِينِ وَالمُعْجِزَاتِ فِي « مَكَّةَ » وَ« المَدِينَة »)

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ « الْقَاضِي عِيَاضٍ » - رَحِمَهُ اللهُ - فِي وَصْفِ تِلْكَ الرِّيَاضِ ، أَعْنِي « مَكَّةَ » وَ « الْمَدِينَةَ » :

[« وَجَدِيرٌ بِمَوَاطِنَ عُمِّرَتْ بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَتَرَدَّدَ فِي عَرَصَاتِهَا (١) « جِبْرِيلُ » ، وَعَرَجَتْ (٢) مِنْهَا « الْمَلَائِكَةُ » وَ « الرُّوحُ » ، وَضَجَّتْ (٣) فِيهَا بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ ، أَنْ تُعَظَّمَ عَرَصَاتُهَا ، وَتُتَنَسَّمَ (٤) نَفَحَاتُهَا ، وَتُقَبَّلَ رُبُوعُهَا وَجُدْرَانُهَا ، مَدَارِسُ الْآيَاتِ ، وَمَشَاهِدُ الْفَضْلِ وَالْخَيْرَاتِ ، وَمَعَاهِدُ الْبَرَاهِينِ وَالْمُعْجِزَاتِ ، وَمَنَاسِكُ (٥) الدِّينِ ، وَمَوَاقِفُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، حَيْثُ انْفَجَرَتِ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ وَفَاضَ عُبَابُهَا (٦) ، وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدُ « الْمُصْطَفَى » تُرَابَهَا » (٧) .] (٨) .

---

(١) « عَرَصَات » جمع « عَرْصَة » وهي كلُّ مَوْضِعٍ وَاسِعٍ لا بِنَاءَ فِيهِ .

(٢) « عَرَجَ » : صَعِدَ .

(٣) « ضج » : ارتفع الصوت ، وجاء في « النهاية في غريب الحديث : ٧٤/٣ - مادة : ضجج » « الضَّجِيج » : « الصِّيَاحُ عِنْدَ المَكْرُوهِ وَالمَشَقَّةِ وَالجَزَعِ » .

(٤) « تَنَسَّمَ » : « طَلَبَ النَّسِيمَ وَاسْتَنْشَقَهُ » .

(٥) « المَنَاسِكُ » ج « مَنْسِك » وَهُوَ « المُتَعَبَّدُ » وَيَقَعُ عَلَى المَصْدَرِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ ثُمَّ سُمِّيَتْ أُمُورُ الحَجِّ « مَنَاسِكَ » .

(٦) « العُبَابُ » - كَغُرَابٍ - : مُعْظَمُ السَّيْلِ وَارْتِفَاعُهُ وَكَثْرَتُهُ أَوْ مَوْجُهُ وَأَوَّلُ الشَّيْءِ » « القَامُوسُ المحيط : مادة : « العب » .

(٧) اقتباس من قول القائل :

« بِلادٌ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا »

(٨) « الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفَى : ٤٥/٢-٤٦ » وَقَدْ تَصَرَّفَ المُصَنِّفُ بِالنَّص .

شِعْرٌ :

ــ(لَوْعَــةُ الْمُشْتَاقِ)ــ

« يَا دَارَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِــهِ هُدِيَ الْأَنَــامُ وَخُصَّ بِالْآيَاتِ

عِنْدِي لِأَجْلِكَ لَوْعَــةٌ وَصَبَابَــةٌ وَتَشَــوُّقٌ مُتَوَقِّــدُ الْجَمَرَاتِ

وَعَلَيَّ عَهْــدٌ إِنْ مَلَأْتُ مَحَاجِــرِي مِنْ تِلْكُمُ الْجُدْرَانِ (١) وَالْعَرَصَاتِ

لَأُعَفِّــرَنَّ مَصُونَ شَيْبِي بِالثَّــرَىٰ مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيــلِ وَالرَّشَفَاتِ

[لَوْلَا الْعَوَادِي وَالْأَعَادِي زُرْتُهَــا أَبَدًا وَلَوْ سَحْباً عَلَىٰ الْوَجَنَاتِ(٢)]

لٰكِنْ سَأُهْدِي مِنْ حَفِيلِ تَحِيَّــتِي لِقَطِينِ تِلْكَ الدَّارِ وَالْحُجُرَاتِ

أَذْكَىٰ مِنَ الْمِسْكِ الْمُعَنْبَرِ (٣) نَفْحَةً تَغْشَــاهُ بِالْآصَــالِ وَالْبُكُرَاتِ

[وَتَخُصُّهُ بِزَوَاكِيَ الصَّلَوَاتِ ثُمَّ (م) نَوَامِيَ التَّسْلِيمِ وَالْبَرَكَاتِ(٤)](٥) »

---

(١) الأصل : الجدرات .

(٢) التكملة عن « الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٢/٤٦ » .

(٣) في « الشفا : ٢/٤٦ » : المفتق .

(٤) التكملة عن « الشفا : ٢/٤٦ » وقد صححنا البيت بزيادة « ثُمَّ » حتّىٰ يستقيمَ وزنه .

(٥) القصيدة من شعر القاضي عياض اليحصبي . انظر « الشفا : ٢/٤٦ » .

—(شَرَفُ قَوْمِهِ — ﷺ — وَمَآثِرُ آبَائِهِ)—

وَأَمَّا شَرَفُ قَوْمِهِ وَنَسَبُه ، وَمَآثِرُ آبَائِهِ وَحَسَبُه [١] — ﷺ — فَهِيَ دَوْحَةُ شَرَفٍ ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [٢] . وَعَمُودُ نُبُوَّتِهِ يَصْدَعُ بِنُورِهِ [٣] حِجَابَ الظَّلْمَاءِ . وَقَدْ قَالَ « اللهُ » — تَعَالَىٰ — : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [٤] . وَمَعْنَىٰ : « مِنْ أَنْفُسِكُمْ » — بِضَمِّ الْفَاءِ — أَيْ : « مِنْكُمْ » . وَ « مِنْ أَنْفَسِكُمْ » — بِفَتْحِهَا [٥] — أَيْ : « مِنْ خِيَارِكُمْ » .

—(قَوْلُهُ — ﷺ — : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ »)—

قَالَ الْعُلَمَاءُ : « لَمْ يَكُنْ قَبِيلَةٌ مِنَ « الْعَرَبِ » إِلَّا وَلَهَا وُصْلَةٌ [٦] « بِالنَّبِيِّ » — ﷺ — إِمَّا وِلَادَةً ، أَوْ قَرَابَةً . وَقَالَ — ﷺ — : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ « بَنِي آدَمَ » قَرْناً فَقَرْناً حَتَّىٰ كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ » [٧] — رَوَاهُ « الْبُخَارِيُّ » — .

---

(١) « الْحَسَبُ » : الشَّرَفُ الثابت المتعدد النواحي .
(٢) « سورة إبراهيم : ٢٤/١٤ — ك — » .
(٣) الأصل : بنور .
(٤) « سورة التوبة : ١٢٨/٩ — م — » .
(٥) عن « ابْن مُحَيْصِنٍ » — من غير المفردة — « مِنْ أَنْفَسِكُمْ » بفتح الفاء من النفاسة : أي من أشرافكم والجمهور بضمّها عن : « إتحاف فضلاء البشر : ٢٩٢ » .
(٦) « الْوُصْلَةُ » : الاتِّصالُ » .
(٧) « صحيح البخاري : ٢٢٩/٤ — (٦١) كتاب المناقب (٢٣) — باب « صفة النبي — ﷺ — » .

الأنساب العدنانية

ملاحظة : الأرقام تدل على الطبقة في المحور العمودي ، والحروف الأبجدية في المحور الأفقي تدل على العمود في شجرة الأنساب العدنانية « نقلاً عن كتاب : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» الملحقة في آخر الكتاب لجامعها « الدكتور محمد حميد الله » .

وَقَالَ - ﷺ - : (إِنَّ « اللَّهَ » اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ « إِبْرَاهِيمَ » « إِسْمَاعِيلَ » ، / وَاصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ « إِسْمَاعِيلَ » « بَنِي كِنَانَةَ » ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ « بَنِي كِنَانَةَ » « قُرَيْشاً » ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ « قُرَيْشٍ » « بَنِي هَاشِمٍ » ، وَاصْطَفَانِي مِنْ « بَنِي هَاشِمٍ »)[1] . - رَوَاهُ « التِّرْمِذِيُّ » - وَقَالَ : - حَدِيثٌ صَحِيحٌ - . [٥٩ و]

- (نَسَبُهُ - ﷺ - الشَّرِيفُ) -

قَالَ « الْبُخَارِيُّ » : (وَهُوَ - ﷺ - « أَبُو الْقَاسِمِ » مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ - أَيْ : - بِفَتْحِ الْمِيمِ - ابْنِ قُصَيٍّ - أَيْ : [بِضَمِّ] الْقَافِ ، مُصَغَّراً - ابْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ - أَيْ : مُصَغَّراً - ابْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ - بِكسرِ الْفَاءِ - ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ - أَيْ : بِضَادٍ مُعْجَمَةٍ - ابْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ - أَيْ : مُصَغَّراً بِالْمُعْجَمَتَيْنِ - ابْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ)[2] . قُلْتُ : وَهٰذَا النَّسَبُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، وَفِيمَا بَعْدَهُ مِنْ « عَدْنَانَ » إِلَىٰ « إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » ، ثُمَّ مِنْ « إِبْرَاهِيمَ » إِلَىٰ « نُوحٍ » ، ثُمَّ مِنْ « نُوحٍ » إِلَىٰ « آدَمَ » - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - اخْتِلَافٌ ، وَزِيَادَةٌ وَنُقْصَانٌ .

---

(١) « سنن الترمذي : ٢٤٣/٥ - أبواب المناقب - (٢٠) - باب ما جاء في فضل النبي - ﷺ - الحديث : ٣٦٨٤ » . و « طبقات ابن سعد : ١/١ : ٢ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٥٦/٥ - (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٢٨) باب مَبْعَثِ النَّبِيِّ - ﷺ - » .

ــ(ذِكْرُ مَا كَانَ يَرْوِيهِ ــ ﷺ ــ مِنْ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَلَمْ يُجَاوِزْهُ)ــ

وَرَوَىٰ « ابْنُ سَعْدٍ » فِي « طَبَقَاتِهِ » : [(١) أَنَّهُ ــ ﷺ ــ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ فِي نَسَبِهِ « مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ بْنِ أُدَدَ » ثُمَّ يُمْسِكُ وَيَقُولُ : « كَذَبَ النَّسَّابُونَ » وَيَقُولُ قَالَ « اللهُ » ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً ﴾ (٢) .] (١) .

ــ(قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾)ــ

قَالَ الْعُلَمَاءُ : « وَبُطُونُ « قُرَيْشٍ » هُمْ وَلَدُ « النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ » وَهُمْ قَوْمُهُ الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ « اللهُ » ــ تَعَالَىٰ ــ فِي قَوْلِهِ ــ تَعَالَىٰ ــ : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ (٣) ــ أَيْ : ثَنَاءٌ وَشَرَفٌ ــ وَهُمْ عَشِيرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ فِي قَوْلِهِ ــ تَعَالَىٰ ــ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٤) . كَمَا فِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » وَ « مُسْلِمٍ » أَنَّهُ ــ ﷺ ــ لَمَّا نَزَلَتْ (٥) صَعِدَ عَلَىٰ « الصَّفَا » فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا « بَنِي فِهْرٍ ! » ، يَا « بَنِي عَدِيٍّ ! » يَا لِبُطُونِ « قُرَيْشٍ » [حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً

[١ ــ ١] : « طبقات ابن سعد : ١/١ : ٢٨ » .

(٢) « سورة الفرقان : ٣٨/٢٥ ــ ك ــ » .

(٣) « سورة الزخرف : ٤٣ / ٤٤ ــ ك ــ » .

(٤) « سورة الشعراء : ٢٦ / ٢١٤ ــ ك ــ » .

(٥) انظر خبر نزول : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ في : « أنساب الأشراف : ١/١١٨ ــ الخبر ٢٣٥ » .

لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ؟ فَجَاءَ « أَبُولَهَبٍ » وَ « قُرَيْشٌ » فَقَالَ : أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ قَالُوا : « نَعَمْ ! مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقاً » ، قَالَ ، قَالَ : « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » ، فَقَالَ « أَبُولَهَبٍ » : « تَبّاً لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ! أَلِهٰذَا جَمَعْتَنَا ؟ فَنَزَلَتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [١] » .

وَقَامَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ حِينَ أَنْزَلَ « اللهُ » : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قَالَ : يَا مَعْشَرَ « قُرَيْشٍ ! » أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا] [٢] : اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ « اللهِ » شَيْئاً ، يَا « بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ » ! لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، يَا « عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! » لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً [٣] .

ـ(فَضْلُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى الْعَرَبِ قَاطِبَةً)ـ

[شَهِدَ] [٤] أَهْلُ « الْجَاهِلِيَّةِ » وَ « الْإِسْلَامِ » عَلَى أَنَّ « قُرَيْشاً » [٥] أَفْضَلُ « الْعَرَبِ » . وَأَنَّ « بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ » أَفْضَلُ « قُرَيْشٍ » . وَأَنَّ « بَنِي هَاشِمٍ » أَفْضَلُ « بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ » وَأَنَّهُ ـ ﷺ ـ أَفْضَلُ « بَنِي هَاشِمٍ » .

---

(١) « صحيح البخاري : ٦/١٤٠ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ سورة الشعراء (٢) باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ والآية من « سورة المَسَد : ١١١/١ ـ ك ـ » .

(٢) التكملة بين الحاصرتين عن : « صحيح البخاري : ٦/١٤٠ ـ (٦٥) كتاب التفسير « سورة الشعراء ـ (٢) باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

(٣) « المصدر السابق » وانظر أيضاً : « التاريخ الصغير ـ للبخاري ـ : ١/١٥ » .

(٤) التكملة يقتضيها السياق .

(٥) الأصل : أن قريش .

ـ(مِنْ شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ : في الافْتِخَارِ بِقَوْمِهِ)ـ

[و] [١] فِي ذَٰلِكَ يَقُولُ عَمُّهُ « أَبُو طَالِبٍ » :

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْماً « قُرَيْشٌ » لِمَفْخَرٍ ... « فَعَبْدُ مَنَافٍ » سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا

فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ « عَبْدِ مَنَافِهَا » ... فَفِي « هَاشِمٍ » أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا ، فَإِنَّ « مُحَمَّداً » [٢] ... هُوَ « الْمُصْطَفَىٰ » مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا [٣]

ـ(مَنَاقِبُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)ـ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : وَكَانَ « عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » (وَالِدُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ) أَنْهَدَ فَتىً فِي « بَنِي هَاشِمٍ » ـ أَيْ : أَرْفَعَهُمْ ـ ، وَأَصْبَحَهُمْ وَجْهاً ، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقاً وَخُلُقاً ، وَكَانَ نُورُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ يَلُوحُ فِي وَجْهِهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فُدِيَ بِمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، كَمَا سَيَأْتِي .

ـ(مَنَاقِبُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ)ـ

وَأَمَّا « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » فَاسْمُهُ : « شَيْبَةُ [٤] الْحَمْدِ » ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ « عَبْدَ الْمُطَّلِبِ » [٥] لِأَنَّ عَمَّهُ « الْمُطَّلِبَ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ » أَخَذَهُ مِنْ أُمِّهِ

---

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) الأصل : فان محمد .

(٣) « الرَّوْض الأنف : ٤٨/٣ » .

(٤) سُمِّيَ بذلك لأَنَّهُ كَانَ في رَأْسِهِ شَيْبَةٌ . « تاريخ الطبري ٢٤٦/٢ » .

(٥) أوضح « الطبري » السبب الذي من أجله أطلق عليه « عبد المطلب » . « تاريخ الطبري : ٢٤٧/٢ و ٢٤٨ » .

« سَلْمَى »[(١)] الْأَنْصَارِيَّةِ النَّجَّارِيَّةِ » فَقَدِمَ بِهِ « مَكَّةَ » يُرْدِفُهُ خَلْفَهُ . وَكَانَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ عَبْدٌ اشْتَرَاهُ « الْمُطَّلِبُ » فَقَالُوا قَدِمَ « الْمُطَّلِبُ » بِعَبْدٍ فَلَزِمَهُ / ذٰلِكَ الاسْمُ . وَكَانَ شَرِيفاً[(٢)] فِي قَوْمِهِ ، مُبَجَّلاً عِنْدَهُمْ مُعَظَّماً ، [٥٩ ظ] يُوضَعُ لَهُ بِسَاطٌ فِي ظِلِّ « الْكَعْبَةِ » لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ « الْفَيَّاضَ » لِسَمَاحَتِهِ وَكَرَمِهِ . وَلَهُ مَنْقَبَتَانِ عَظِيمَتَانِ وَهُمَا :

* ــ حَفْرُ بِئْرِ « زَمْزَمَ » .
* ــ وَإِهْلَاكُ « أَصْحَابِ الْفِيلِ » .

(مَا جَاءَ فِي حَفْرِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِئْرَ زَمْزَمَ)

أَمَّا بِئْرُ « زَمْزَمَ »[(٣)] فَإِنَّهَا كَانَتْ قَدْ دَفَنَتْهَا السُّيُولُ وَانْدَرَسَ أَثَرُهَا ، فَرَأَى « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » فِي نَوْمِهِ مَنْ نَبَّهَهُ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَرَادَ حَفْرَهَا حَسَدَتْهُ « بُطُونُ قُرَيْشٍ » ، وَهَمُّوا أَنْ يَمْنَعُوهُ ، فَكَفَاهُ « اللهُ » شَرَّهُمْ ، فَنَذَرَ[(٤)] لَئِنْ رَزَقَهُ اللهُ عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ يَمْنَعُونَهُ ، أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى « اللهِ »

---

(١) في « تاريخ الطبري : ٢٤٧/٢ » : « سلمى بنت عمرو » ، وفي رواية أخرى : « سلمى بنت زيد بن عمرو » .

(٢) انظر : « ذكر عبد المطلب بن هاشم » في « طبقات ابن سعد : ١/١ : ٤٨ » .

(٣) انظر في « طبقات ابن سعد : ١/١ : ٤٩ » ما كان عبد المطلب رآه في رؤياه بشأن حفر زمزم . وانظر أيضاً : « سبل الهدى والرشاد : ٢١٠/١ ــ ٢٢٠ » ما جاء في الباب السابع في فضائل زمزم ، ثم ما جاء في خواص ماء زمزم ، وما جاء في تجديد حفر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم .

(٤) انظر في « طبقات ابن سعد : ١/١ : ٥٣ » : « ذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه » وخبر ذلك في « تاريخ الطبري : ٢٤٠/٢ ــ ٢٤٣ » .

بِذَبْحِ أَحَدِهِمْ ، فَلَمَّا تَمَّ الْعَدَدُ عَشْرَةً أَعْلَمَهُمْ بِنَذْرِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : « اقْضِ فِينَا أَمْرَكَ [و] أَوْفِ (١) بِنَذْرِكَ ، فَأَسْهَمَ بَيْنَهُمْ ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَىٰ «عَبْدِاللهِ» . فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَهُ مَنَعَتْهُ « قُرَيْشٌ » (٢) ، لِئَلَّا يَكُونَ فِيهِمْ سُنَّةً ، فَأَفْتَاهُ كَاهِنٌ أَنْ يُسْهِمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَكَانَتِ الْعَشْرُ عِنْدَهُمْ دِيَةَ الرَّجُلِ ، فَفَعَلَ فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَىٰ « عَبْدِ اللهِ » ، فَقَالَ لَهُ الْكَاهِنُ : « زِدْ عَشْراً ، فَإِنَّ رَبَّكَ لَمْ يَرْضَ » . فَزَادَ عَشْراً ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَىٰ « عَبْدِ اللهِ » . فَقَالَ : « زِدْ عَشْراً » . فَزَادَ عَشْراً فَلَمْ يَزَلْ يَخْرُجُ السَّهْمُ عَلَىٰ « عَبْدِ اللهِ » حَتَّىٰ بَلَغَ الْعَدَدُ مِائَةً فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَىٰ «الإِبِلِ» . فَقَالَ لَهُ : « أَعِدِ الْقُرْعَةَ » فَأَعَادَهَا ، فَخَرَجَ عَلَىٰ الْإِبِلِ ، ثُمَّ أَعَادَهَا فَخَرَجَ عَلَىٰ الإِبِلِ ، فَقَالَ لَهُ : « قَدْ رَضِيَ رَبُّكَ فَانْحَرْهَا فِدَاءً عَنِ ابْنِكَ فَفَعَلَ ، فَاسْتَمَرَّتِ الدِّيَةُ فِي « قُرَيْشٍ » مِائَةً مِنَ الإِبِلِ . ثُمَّ جَاءَ الشَّرْعُ فَقَدَّرَهَا دِيَةَ الْحِلِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

ـ(قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ)ـ

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْفِيلِ (٣) : فَإِنَّ « الْحَبَشَةَ » لَمَّا مَلَكَتِ (٤) « الْيَمَنَ » ، وَعَلَيْهِمْ « أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ » كَانُوا بَنَوْا كَنِيسَةً « بِصَنْعَاءَ » « كَالْكَعْبَةِ » ، وَصَرَفُوا « حُجَّاجَ الْكَعْبَةِ » إِلَيْهَا ، فَدَخَلَهَا لَيْلًا رِجَالٌ مِنْ « قُرَيْشٍ »

---

(١) في الأصل : اوف نذرك .

(٢) في الأصل : منعته قريشاً .

(٣) انظر : « طبقات ابن سعد : ١/٥٥ ـ ٥٦ » . و « سبل الهدى والرشاد : ١/٢٤٨ ـ ٢٥٩ » .

(٤) في الأصل : ملكه .

وَلَطَّخُوهَا بِالْعُذرَةِ وَهَرَبُوا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذٰلِكَ « أَبْرَهَةُ » عَزَمَ عَلَىٰ هَـدْمِ « الْكَعْبَةِ » ، فَتَجَهَّزَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا شَارَفَ « مَكَّةَ » أَغَارَ عَلَىٰ سَرْحِهَـا ، فَاسْتَاقَ أَمْوَالَ « قُرَيْشٍ » وَنَزَلَ « بِعَرَفَةَ » ، فَخَرَجَ إِلَيْـهِ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » فَلَمَّا رَآهُ « أَبْرَهَةُ » نَزَلَ عَنْ سَرِيرِ مُلْكِهِ إِجْلَالًا لَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ لَهُ نحو مِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ . فَقِيلَ « لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ » : « هَلَّا كَلَّمْتَهُ فِي الانْصِرَافِ عَنِ « الْكَعْبَةِ ! » . فَقَالَ : « أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ ، وَ « الْكَعْبَةُ » لَهَا رَبٌّ يَحْمِيهَا ».وَامْتَازَ « بِقُرَيْشٍ » إِلَىٰ رُؤُوسِ الْجِبَالِ . وَجَعَلَ يَدْعُو « اللهَ » وَيَقُولُ :

لَا هُمَّ [1] إِنَّ الْمَـرْءَ يَمْنَـعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حلَالَكْ [2]

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ أَبَـداً [3] مِحَـالَكْ

« مِحَالُكَ » أَيْ : « مَكْرُكَ » . وَمِنْـهُ : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَـالِ ﴾ [4] .

ثُمَّ سَارَ « أَبْرَهَةُ » إِلَىٰ « مَكَّةَ » ، فَلَمَّا كَانَ « بِمُحَسِّرٍ » ـ بِمُهْمَلَاتٍ ـ وَهُوَ وَادٍ [5] بَيْنَ « عَرَفَةَ » و « مُزْدَلِفَةَ » نَكَصَ الْفِيلُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَرَدُّوهُ ،

---

(١) جاء في « تاريخ الطبري : ١٣٥/٢ » يا رب إن العبد .

(٢) في الأصل : رحالك ، وما أثبت في « طبقات ابن سعد : ٥٠/١ » وفي « تاريخ الطبري : ١٣٥/٢ » . .

(٣) في « طبقات ابن سعد : ٥٠/١ » غدوا ، وفي « سُبُل الهدى والرشاد ٢٥٤/١ » : عدوا .

(٤) « سورة الرعد : ١٣/١٣ ــ م ــ » .

(٥) في الأصل : وادي .

فَأَبَىٰ [١]، فَأَدْخَلُوا الْحَدِيدَ فِي أَنْفِهِ حَتَّىٰ خَرَمُوهُ، فَلَمْ يُسَاعِدْهُمْ عَلَىٰ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ « مَكَّةَ » . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ أَرْسَلَ « اللهُ » طَيْراً يَحْمِلُ كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا [٢] ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ صِغَارٍ، حَجَرَيْنِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَحَجَراً [٣] فِي مِنْقَارِهِ، إِذَا وَقَعَتِ الْحِجَارَةُ عَلَىٰ رَأْسِ أَحَدِهِمْ خَرَجَتْ مِنْ دُبُرِهِ، فَأَهْلَكَهُمُ « اللهُ » جَمِيعاً فِي ذٰلِكَ [و] أَنْزَلَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ عَلَىٰ « نَبِيِّهِ » ـ ﷺ ـ مُذَكِّراً لَهُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ قَوْمِهِ لِأَنَّهُ كَانَ / يَوْمَئِذٍ حَمْلًا، وَوُلِدَ بَعْدَ [٦٠ و] الْفِيلِ بِخَمْسِينَ لَيْلَةً : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحٰبِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ [٤] ـ « تَضْلِيل » : أَيْ « إِبْطَال » ـ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ﴾ [٥] ـ « أَبَابِيل » أَي : « عُصَباً عُصَباً » ـ ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ [٦] ـ « سِجِّيل » أَي : « مِنْ قَعْرِ جَهَنَّمَ » وَهوَ أَيضاً : « سِجِّين » ـ . ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [٧] ـ « كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ أَي : « كَزَرْعٍ أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ » ـ .

وَمِنْ يَوْمَئِذٍ احتَرَمَتِ النَّاسُ « قُرَيْشاً » . وَقَالُوا : هُمْ : « جِيرَانُ اللهِ » يُدَافِـعُ عَنْهُمْ .

---

(١) في الأصل : فأبا .

(٢) في الأصل : منهم .

(٣) في الأصل : وحجر في منقاره .

(٤) و (٥) و (٦) و (٧) « سورة الفيل : ١٠٥ / ١ ـ ٥ ـ ك ـ » .

ـ(مَنَاقِبُ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ)ـ

وَأَمَّا « هَاشِمٌ » فَاسْمُهُ « عَمْرٌو » وَإِنَّمَا سُمِّيَ « هَاشِماً » لِكَثْرَةِ إِطْعَامِهِ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالِ « مَكَّةَ » . وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجَالُ « مَكَّةَ » مُسْنِتُونَ عِجَافُ[1]

وَبَلَغَ فِي الْكَرَمِ مَبْلَغاً عَظِيماً حَتَّىٰ إِنَّهُ أَطْعَمَ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ ، فَيَنْحَرُ لَهَا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ . وَكَانَ إِذَا وَقَعَ الْقَحْطُ جَمَعَ « أَهْلَ مَكَّةَ » وَأَمَرَ الْمُوسِرِينَ مِنْهُمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ « اللهُ » بِالْغَيْثِ .

ثُمَّ إِنَّهُ وَفَدَ « الشَّامَ » عَلَىٰ « قَيْصَرَ » فَأَخَذَ مِنْهُ كِتَاباً بِالْأَمَانِ « لِقُرَيْشٍ » . وَأَرْسَلَ أَخَاهُ « الْمُطَّلِبَ » إِلَىٰ « الْيَمَنِ » ، فَأَخَذَ مِنْ مُلُوكِهِمْ كِتَاباً أَيْضاً ، ثُمَّ [سَنَّ] تِجَارَةَ[2] « قُرَيْشٍ » بِرِحْلَتَيِ « الشِّتَاءِ » وَ « الصَّيْفِ » . وَكَانُوا يَرْحَلُونَ فِي الصَّيْفِ إِلَىٰ « الشَّامِ » لِشِدَّةِ بَرْدِهَا . وَفِي « الشِّتَاءِ » إِلَىٰ « الْيَمَنِ » . فَاتَّسَعَتْ مِنْ يَوْمَئِذٍ مَعِيشَتُهُمْ بِالتِّجَارَةِ ، وَأَنْقَذَهُمُ اللهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

---

(١) « مروج الذهب : ٢٨/٢ » ، وذكره السهيلي في « الروض الأنف : ٨٤/٢ ، ٨٥ » كالتالي :

عمرو العُلا هَشَمَ الثريدَ لقومه ... قومٌ بمكَّةَ مسْنتينَ عِجَافِ

وجاء في الحاشية (٢) أن « اللسان » و « المرتضى في « أماليه : ١٧٨/٤ نسبا القصيدة التي منها البيت لمطرود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب ، ونسبها العيني : ١٤٠/٤ ، وابن أبي الحديد : ٤٥٣/٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزبعرى » ، وذكره البخاري في « التاريخ الصغير : ١٢/١ » وفيه جاء المصراع الثاني على النحو التالي :

« وَقُرَيْشُ في سَنَةٍ وَفِي إِعْجَافِ » .

(٢) أضيفت كلمة « سنَّ » من سيرة ابن هشام ١٣٦/١ وفي الأصل : تجار .

بِبَرَكَةِ « هَاشِمٍ » . وَفِي ذٰلِكَ أَيْضاً أَنْزَلَ « اللهُ » عَلَىٰ « نَبِيِّهِ » ـ ﷺ ـ : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (١) ـ « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » أَيْ : « لِإِنْعَامِ اللهِ عَلَىٰ « قُرَيْشٍ » « بِإِيلَافِهِمْ » أي : اعْتِيَادِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ـ ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ (٢) ـ أَيْ : « الْكَعْبَةِ » ـ ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْف ﴾ (٣) .

ـ(مَنَاقِبُ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ)ـ

وَأَمَّا « عَبْدُ مَنَافٍ » فَكَانَ يُسَمَّىٰ « قَمَرَ الْبَطْحَاءِ » لِصَبَاحَتِهِ. وَهُوَ الَّذِي قَامَ مَقَامَ أَبِيهِ « قُصَيٍّ » بِالسِّيَادَةِ وسِقَايَةِ الْحَاجِّ ، وَقَامَ أَخُوهُ « عَبْدُ الدَّارِ » بِسِدَانَةِ هَٰذَا الْبَيْتِ وَالرِّفَادَةِ ، أَيْ : « إِطْعَامِ الْحَجِيجِ » في « دَارِ النَّدْوَةِ » الَّتِي بَنَاهَا « قُصَيٌّ » وَأَخُوهُ « عَبْدُ الْعُزَّىٰ » بِآلَاتِ الْحَرْبِ مِنَ السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ (٤) بِوَصِيَّةٍ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبِيهِمْ « قُصَيٍّ » .

---

(١) و (٢) و (٣) « سورة قريش : ١٠٦ / ١ ــ ٤ ــ ك ــ » .

(٤) الكُرَاع : اسم يجمع الخيل والسلاح . عن اللسان : كرع .

—(مَنَاقِبُ قُصَيٍّ بْنِ كِلاَبٍ)—

وَأَمَّا « قُصَيٌّ » فَكَانَ يُسَمَّىٰ « مُجَمِّعًا » لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ « قُرَيْشاً » (١) مِنَ الْبَوَادِي إِلَىٰ سُكْنَىٰ « مَكَّةَ » . وَأَخْرَجَ « خُزَاعَةَ » مِنْهَا ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

أَبُوكُمْ « قُصَيٌّ » كَانَ يُدْعَىٰ « مُجَمِّعاً » بِهِ جَمَعَ « اللهُ » الْقَبَائِلَ مِنْ « فِهْرِ » (٢)

وَذٰلِكَ أَنَّ سَيِّدَ « خُزَاعَةَ » شَرِبَ لَيْلَةً مَعَ جَمَاعَةٍ فَنَفِدَ شَرَابُهُ فَقَالَ : « مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي سِدَانَةَ الْبَيْتِ بِزِقِّ خَمْرٍ ، فَاشْتَرَاهَا « قُصَيٌّ » (٣) وَأَشْهَدَ

---

(١) الأصل : قريش .

(٢) البيت في « تاريخ الطبري : ٢/٢٥٦ » وقال في نسبته : وله يقول « مطرود — وهو مطرود بن كعب الخزاعي — وقيل : إن قائله حُذافَةُ بن غانم . و « أنساب الأشراف ١/٥٠ » ، و « طبقات ابن سعد : ١/١/٤٠ » ونسبه إلى حُذَافَةَ بن غانم العدوي قاله « لأبي لهب بن عبد المطلب » والبيت في « سيرة ابن هشام : ١/١٢٦ » غير منسوب لقائله ، وقد قام محققو الكتاب فنسبوه في الحاشية (١) لحذافة بن جمح ، وورد في « سبل الهدى والرشاد : ١/٣٢٤ » مقروناً ببيت آخر . . دون نسبة . و « تاريخ اليعقوبي : ١/٢٤٠ » وورد ذكره في « الروض الأنف : ٢/٤٧ » وفي كتاب « الأوائل — للعسكري — : ١/١٣ » :

قُصَيٌّ أَبُوكُمْ كَانَ يُدعَى مُجَمِّعاً

(٣) انظر خبر انتقال « ولاية البيت » من « خُزَاعَةَ » إلى « قُصَيّ » في « الرَّوض الأُنُف : ٢/٣٢ » و « القاموس المحيط : ــمادة : « الغَبَش ــ » وفيه : « وَأَبُوغَبْشَانَ » ــ ويُضَمُّ ــ « خُزَاعِيٌّ » كانَ يلي سِدَانَةَ « الكَعْبَةِ » قبلَ « قُرَيْشٍ » فاجْتَمَعَ مَعَ « قُصَيّ » في شَرْبٍ « بالطَّائِف » فأَسْكَرَهُ « قُصَيٌّ » ثُمَّ اشْتَرَى المَفَاتِيحَ مِنْهُ بِزِقٍّ خَمْرٍ وأَشْهَدَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهَا لابْنِهِ عَبْدِ الدَّارِ ، وَطَيَّرَ بِهِ إلى « مَكَّةَ » فأَفَاقَ « أَبُوغَبْشَانَ » أَنْدَمَ مِنَ « الكُسَعِيّ » فَضُرِبَتْ بِهِ الأَمْثَالُ في الحُمْقِ والنَّدَمِ وَخَسَارَةِ الصَّفْقَةِ .

عَلَيْهِ ، وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

«بَاعَتْ «خُزَاعَةُ» بَيْتَ «اللهِ» إِذْ سَكِرَتْ بِزِقِّ خَمْرٍ فَبِئْسَتْ صَفْقَةُ الْبَادِي
بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالْبَيْتِ وَانْتَقَلَتْ [1] عَنِ الْمَقَامِ وَظِلِّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي»

ـ(مَا مُدِحَ بِهِ آبَاؤُهُ ـ ﷺ ـ)ـ

وَآبَاؤُهُ ـ ﷺ ـ كُلُّهُمْ سَادَاتٌ ، مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ سَيِّدُ قَوْمِهِ فِي عَصْرِهِ . مِنْ أَبِيهِ « عَبْدِ اللهِ » إِلَىٰ « آدَمَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ كَمَا قِيلَ :

« فَأُولٰئِكَ السَّادَاتُ لَمْ تَرَ مِثْلَهُمْ عَيْنٌ عَلَىٰ مُتَتَابِعِ الْأَحْقَابِ
زُهْرُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ يُعْطُونَ سَائِلَهُمْ [2] بِغَيْرِ حِسَابِ
/ كَانَتْ تَعِيشُ الطَّيْرُ فِي أَكْنَافِهِمْ [3] وَالْوَحْشُ حِينَ يَشِحُّ كُلُّ سَحَابِ [٦٠ ظ]
وَكَفَاهُمُ أَنَّ النَّبِيَّ « مُحَمَّداً » [4] مِنْهُمْ فَمَدْحُهُمُ بِكُلِّ كِتَابِ » [5]

---

(١) في « الأوائل : ١/١٢ » : « بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالْخَمْرِ وَانْقَرَضَتْ » .
وأيضاً في « جمهرة الأمثال : ١/٣٨٨ » . والبيتان لَمْ يُنْسَبَا فيهِمَا .
(٢) في « سُبُلِ الْهُدَى وَالرَّشَاد : ١/٢٨١ » : عَافِيهِمْ .
(٣) في « سبل الهدى وَالرَّشاد : ١/٢٨١ » : أجنابِهِم .
(٤) الأصل : أن النبي محمد .
(٥) انظر : في « سبل الْهُدَى وَالرَّشَاد : ١/٢٨١ » وفيه لم تنسب الأبيات .

الْبَابُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ مَنْ بَشَّرَ بِهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ ظُهُورِهِ وَمَا أَسْفَرَ قَبْلَ بُزُوغِ شَمْسِ نُبُوَّتِهِ مِنْ صُبْحِ نُورِهِ

–(تَبْشِيرُ الأَنْبِيَاء – عليهِمُ السَّلامُ – بِنُبُوَّتِهِ – ﷺ –)–

قَالَ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » : « وَقَدْ بَشَّرَ بِهِ – ﷺ – جَمِيعُ النَّبِيِّينَ –عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – عُمُوماً » . قَالَ « اللهُ » – تَعَالَىٰ – : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَٰقَ [1] النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّنْ كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ – الْآيَة –﴾[2]. رَوَىٰ « عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ » فِي مَعْنَاهَا : « عَنْ « عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ : « الرَّسُولُ » هُوَ « مُحَمَّدٌ » – ﷺ – ، مَا بَعَثَ « اللهُ » نَبِيّاً – مِنْ لَدُنْ « آدَمَ » – إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ [3] إِنْ بُعِثَ « مُحَمَّدٌ » ، وَهُوَ حَيٌّ ، لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ، وَلَيَنْصُرَنَّهُ ، إِعْلَاماً لَهُمْ بِعُلُوِّ قَدْرِهِ ، مَعَ عِلْمِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – أَنَّهُ آخِرُهُمْ بَعْثاً » .

---

(١) انظر ما جاء في أخذه –تعالى– الميثاق على النبيين «آدم» فمَا دونَه منَ الأنبياء في أن يؤمنوا به – ﷺ – وينصروه إذا بعث فيهم في « سُبُلِ الهُدَىٰ وَالرَّشَادِ : ١٠٨/١ – الباب السادس » .

(٢) « سورة آل عمران : ٨١/٣ – م – » .

(٣) انظر : « زاد المسير : ٤١٦/١ » .

(تَوَسُّلُ « آدمَ » ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى رَبِّهِ بِنَبِيِّهِ ـ ﷺ ـ في غُفْرَانِ ذَنْبِهِ)

وَذَكَرَ « جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ » فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) أَنَّ « آدَمَ » تَوَسَّلَ « بِمُحَمَّدٍ » ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي غُفْرَانِ ذَنْبِهِ، فَغَفَرَ لَهُ (٢) .

(بِشَارَةُ « عِيسَى » ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِرِسَالَةِ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ مِنْ بَعْدِهِ)

وَبَشَّرَ بِهِ « عِيسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ خُصُوصاً : قَالَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِي إِسْرَٰءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ـ ﴾ (٣) .

(تَبْشِيرُ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ بِبَعْثَتِهِ ـ ﷺ ـ)

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّينَ جَدُّهُ « كَعْبُ (٤) بْنُ لُؤَيٍّ » .

قَالَ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » : كَانَ « كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ » مُتَمَسِّكاً بِدِينِ « إِبْرَاهِيمَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مُصَدِّقاً بِبَعْثِ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ وَهُوَ الَّذِي سَمَّىٰ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

---

(١) « سورة البقرة : ٣٧/٢ ـ م ـ » .

(٢) هَذَا الحديثُ رَوَاهُ الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ . وَلا يَخْفَىٰ مَا فِي تَصْحِيحِهِ مِنَ التَّسَاهُلِ إذ انْفَرَدَ بِذَلِكَ ، بَلْ فِي سَنَدِ الحَدِيثِ « عبدالرحمن بن زيد بن أسلم » وَهُوَ ضَعِيفٌ . قالَ « شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تيميَّةَ » : « ورواية « الحَاكِمِ » لِهَذَا الحديثِ مِمَّا أُنْكِرَ عَلَيْهِ » .

(٣) « سورة الصف : ٦/٦١ ـ م ـ » .

(٤) انظر خبره في « أعلام النبوة : ١٥٢ » و « سبل الهُدَىٰ وَالرَّشَادِ : ٣٢٩/١ » و « البداية والنهاية : ٢٤٤/٢ » .

« جُمُعَةً » وَكَانَتْ تُسَمَّى : « الْعَرُوبَةَ » [١] — بِعَيْنٍ وَرَاءٍ مُهْمَلَتَيْنِ — لِأَنَّهُ كَانَ يُجَمِّعُ النَّاسَ فِي يَوْمِهَا بَعْدَ الزَّوَالِ فَيَخْطُبُهُمْ وَيَعِظُهُمْ وَيُبَشِّرُهُمْ بِبَعْثِ « مُحَمَّدٍ » — ﷺ — فِيهِمْ وَيَقُولُ [٢] : « أَيُّهَا النَّاسُ : الدَّارُ « وَاللهِ ! » أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنُّ خِلَافُ ظَنِّكُمْ ، فَزَيِّنُوا حَرَمَكُمْ وَعَظِّمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تُفَارِقُوهُ ، فَسَيَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ ، وَيُنْشِدُ :

« نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَاخْتِلَافُ حَوَادِثٍ ... سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلْوُهَا وَمَرِيرُهَا [٣]

عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ « مُحَمَّدٌ » ... فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَبِيرُهَا » [٤]

---

(١) انظر : « الأوائل : ١/٤٧ » وفيه : « أول من سمَّى الجمعة جمعةً ، وكانت تسمى عروبةً » . و « المزهر : ١/١٤٩ » .

(٢) انظر : الخطبة في « البداية والنهاية : ٢/٢٤٤ » و « أنساب الأشراف : ١/٤١ » و « سبل الهُدى والرَّشاد : ١/٣٢٩ — ٣٣٠ » . والنص المثبت قد تصرف فيه المؤلف واختصره . وانظر أيضاً « الأوائل : ١/٤٧ — ٤٨ » و « صبح الأعشى : ٢/٢١١ — ٢١٢ » .

(٣) وفي « وفاء الوفا : ١/٧٤ » : « سواء علينا ليلها ونهارها » .

(٤) وفي « وفاء الوفا : ١/٧٤ » : « صدوق خبيرها » .

وقد ذكر « القلقشندي » في « صبح الأعشى : ٢/٢١٢ » أربعة أبيات ، والبيتان المثبتان يناظران البيتين الأول والرابع في « صبح الأعشى » . وقد أورد « العسكري » في كتابه : « الأوائل ١/٤٨ » الأبيات الأربعة .

ــ(تَصْدِيقُ تُبَّعٍ أسْعدِ الكاملِ الملكِ الحِميْرِيِّ بمَبْعَثِهِ ـ ﷺ)ــ

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ـ ﷺ ـ « تُبَّعُ أَسْعَدُ [١] الْكَامِلُ » ، الْمَلِكُ الْحِمْيَرِيُّ .

قَالَ « أَهْلُ السِّيَرِ » : كَانَ « تُبَّعُ أَسْعَدُ الْكَامِلُ » [٢] أَرَادَ « الْمَدِينَةَ » النَّبَوِيَّةَ بِشَرٍّ ، مَكِيدَةً كَادَهُ بِهَا بَعْضُ أَعْدَائِهِ لِيُهْلِكَهُ ، فَأَخْبَرَهُ « الْأَحْبَارُ » أَنَّهَا دَارُ هِجْرَةِ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ قَرَأَ « التَّوْرَاةَ » وَتَعَرَّفَ فِيهَا صِفَةَ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ وَصَدَّقَ بِمَبْعَثِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ :

« شَهِدْتُ عَلَىٰ أَحْمَدٍ أَنَّهُ رَسُولٌ [مِنَ] « اللهِ » بَارِي النَّسَمْ
فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَىٰ عُمْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيراً لَهُ ، وَابْنَ عَمْ » [٣]

---

(١) قال «العُتبيّ»: كانت قصة «تُبَّع» قبل الإسلام بسبعمائة عام. « الروض الأنف: ١/١٧٩ » .

(٢) انظر تفاصيلَ خبَرِه في « سيرة ابن هشام: ١/٢٠ » و « الروض الأُنُف : ١/١٥٩ ــ ١٧٩».
« قال «ابن إسحاق»: وتُبَّان أسعد أبو كَرِب الذي قدم المدينة وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن ، وعمَّر «البيتَ الحرامَ» وكساه، وكان ملكه قبل ملك « ربيعة بن نصر » . وممَّا جاء في « الروض الأنف: ١/١٦٢ : « وذكر أنَّ تُبَّعاً أرادَ تخريب المدينة واستئصال «اليهود» فقال له رجل منهم : « المَلِكُ أَجَلُّ أَنْ يَطِيرَ بِهِ نَزَقٌ ، أَوْ يَسْتَخِفَّهُ غَضَبٌ ، وَأَمْرُهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَضِيقَ عَنَّا حِلْمُهُ ، أَوْ نُحْرَمَ صَفْحَهُ ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْبَلْدَةَ مُهَاجَرُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ . وانظُرْ : « البداية والنهاية : ٢/١٦٣ ــ ١٦٧ » . و « نهاية الأرَب ١٦/١٢٤ » .

(٣) وتتمةُ النص السابق :

وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَهُ وَفَرَّجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ هَمّْ

« الروض الأنف : ١/١٦٣ » ، وانظر : « البداية والنهاية لابن كثير : ٢/١٦٦ ــ ١٦٧ » .

ـ(رُؤْيا «عَبْدِ المُطَّلِبِ» جَدّ «الرَّسُولِ» ـ ﷺ ـ وتَأْوِيلُهَا)ـ

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ جَدُّهُ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » .

ذَكَرَ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » أَنَّ « عَبْدَ الْمُطَّلِبِ » كَانَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَىٰ عَجَائِبَ مِنْ أَمْرِ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ فَرَأَىٰ فِي الْمَنَامِ (١) أَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ / ظَهْرِهِ ، [٦١ و] لَهَا طَرَفٌ فِي السَّمَاءِ ، وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ ، وَطَرَفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَطَرَفٌ بِالْمَغْرِبِ. فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَعَجِّبٌ مِنَ الْأَمْرِ الْمُغْرِبِ إِذْ بِهَا قَدْ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ مُورِقَةٌ ، عَلَىٰ كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْهَا نُورٌ مُشْرِقٌ ، وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . فَأُوِّلَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمٰوَاتِ فِي كُلِّ صَنِيعٍ ، وَيَنْقَادُ لَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ انْقِيَادَ مُطِيعٍ .

وَذَكَرُوا أَنَّ « عَبْدَ الْمُطَّلِبِ » رَآهُ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ ، فَقَالَ لَهُ : « إِنَّ فِي أَحَدِ مِنْخَرَيْكَ مُلْكاً وَفِي الْآخَرِ نُبُوَّةً » .

ـ(الْمُبَشِّرَاتُ بِمَجِيئِهِ ـ ﷺ ـ)ـ

وَمِنَ الْمُبَشِّرَاتِ بِهِ ـ ﷺ ـ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ :

* أَنَّ الشَّيَاطِينَ مُنِعَتْ قَبْلَ مَوْلِدِهِ مِنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ (٢) .

---

(١) انظر : « رُؤْيَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » في « سُبُلِ الهُدَى وَالرَّشَادِ : ١/١٥١ » .

(٢) انظر : ما نَزَلَ بِهِ التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ في مَنْعِ « الجِنِّ » مِنَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ في « سُورَة الجِنِّ » ، وَمَا وَرَدَ في « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٦ / ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٧٢) تفسير سورة الجن » ، وما جاء في كِتَابِ : « زَادِ المَسِيرِ في عِلْمِ التَّفْسِيرِ : ٣٧٦/٨ ـ ٣٨٠ » .

* وَمَا ظَهَرَ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ [١] مِنِ ارْتِجَاسِ [٢] « إِيوانِ كِسْرَىٰ » وَسُقُوطِ

(١) جاء في « تاريخ الطَّبَريِّ : ١٥٤/٢ » : « وَكَانَ مَوْلِدُ « رَسُولِ اللهِ » — ﷺ — فِي عَهْدِ « كِسْرَى أَنُو شِرْوَانَ » . . . . وَذَلِكَ لِمُضِيِّ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِ « كِسْرَى أَنُو شِرْوَانَ » . وَجَاءَ في « تَارِيخِ الطبريِّ : ١٦٦/٢ » — في رَجْعِ الحَدِيثِ إلى تَمَامِ أَمْرِ « كِسْرَى بنِ قُبَاذَ أَنُوشِرْوَانَ » . . . قالَ : « لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ — ﷺ — ارْتَجَسَ « إِيوَانُ كِسْرَى » ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً ، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ ، وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ ، وَغَاصَتْ « بُحَيْرَةُ سَاوَةَ » . وَرَأَى المُوبَذَانُ إِبِلاً صِعَاباً تَقُودُ خَيْلاً عِرَاباً ، وَقَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ « كِسْرَى » أَفْزَعَهُ مَا رَأَى . . . الخ ..

وَعِنْدَمَا رَجَعْتُ إلى كِتَابِ « سُبُلِ الهُدَى وَالرَّشَادِ : ٤٢٨/١ » أَخَذَ انْتِبَاهِي قَوْلُ مُؤَلِّفِهِ عِنْدَ ذِكْرِ ارْتِجَاسِ الإِيوَانِ وَسُقُوطِ الشُّرُفَاتِ ، وَخُمُودِ النِّيرَانِ فِي عَهْدِ كِسْرَى أَبْرَوِيزَ أَنَّ ذلكَ كانَ عندَ مَوْلِدِهِ — ﷺ — ، والصَّحِيحُ أَنَّ كِسرَى أبرويز كانَ مُعَاصِراً لِمَبْعَثِهِ — ﷺ — وَهُوَ مَا يُؤَيِّدُهُ وَيُصَحِّحُهُ مَا جاءَ في « تاريخ الطبري ٢ : ١٨٨ : « فَلَمَّا أَنْ بَعَثَ اللهُ نبيَّهُ مُحَمَّداً — ﷺ — أَصْبَحَ كِسْرَى ذَاتَ غَدَاةٍ وَقَدِ انْقَصَمَتْ طَاقُ مُلْكِهِ مِنْ وَسَطِهَا مِنْ غَيْرِ ثِقْلٍ ، وَانْخَرَقَتْ عَلَيْهِ « دِجْلَةُ العَوْرَاءِ » فَلَمَّا رَأَى ذلكَ حَزَنَهُ . وانظر أيضاً : « أنساب الأشراف : ٩٢/١ » وفيه : « وَذَلِكَ لِمُضِيِّ أربعين سنةً من ملك « كسرى أنو شروان بن قباذ » .

والغريبُ أَنَّ محقِّقَ الكتاب لم يشر إلى هذه الاختلافات في النقول .

ومِن المعروف تاريخياً أنَّ رَسُولَ اللهِ — ﷺ — قَدْ حَمَّلَ عَبْدَ اللهِ بن حذافة السهمي كتابه إلى كسرى أبرويز معاصره — ﷺ — ، انظر ما جاء في : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة : ١٠٩ — ١١٢ » وهو الذي قال فيه رَسُولُ اللهِ — ﷺ — : « يُمَزِّقُ اللهُ مُلْكَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » .

(٢) الأصل : ارتجاج ، وهو تصحيف أو رواية بالمعنى ، ومعنى « ارْتَجَسَ » : « اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ حَرَكَةً سُمِعَ لَهَا صَوْتٌ » ، « النهاية في غريب الحديث : ٢٠١/٢ — مادة : « رَجس » — » .

أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً [١] مِنْ شُرُفَاتِهِ ، وَخُمُودِ « نَارِ فَارِسَ » الَّتِي يَعْبُدُونَهَا ، وَمَا خَمَدَتْ مُنْذُ أَلْفِ عَامٍ .

* وَرُؤْيَا « الْمُوبَذَانِ » – بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَبِذَالٍ مُعْجَمَةٍ – وَهُوَ « عَالِمُ الْفُرْسِ » : « رَأَىٰ إِبِلًا صِعَاباً [٢] ، تَقُودُ خَيْلًا عِرَاباً [٣] ، قَدْ قَطَعَتْ «دِجْلَةَ» وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَـــا » .

* فَخَافَ [« كِسْرَىٰ »] [٤] أَنْ يَكُونَ ذَٰلِكَ لِفَسَادِ دَوْلَتِهِ وَخَرَابِهَا .....[٥]

فَأَرْسَلَ « عَبْدَ الْمَسِيحِ » إِلَىٰ خَالِهِ « سَطِيحٍ » [٦] الْكَاهِنِ « بِالشَّامِ » فَوَجَدَهُ قَدْ أَشْفَىٰ عَلَىٰ الْمَوْتِ . فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ « سَطِيحٌ » قَالَ : « عَبْدُ الْمَسِيحِ » عَلَىٰ جَمَلٍ مُشِيحٍ [٧] – بِشِينٍ مُعْجَمَةٍ – أَرْسَلَكَ مَلِكُ « بَنِي سَاسَانَ » لِيَسْأَلَ

---

(١) « الشُّرْفَةُ » : أَعْلَى الشَّيْءِ ، وَمِنَ الْبِنَاءِ مَا يُوضَعُ فِي أَعْلَاهُ يُحَلَّى بِهِ .

(٢) « الإبل الصعاب » : هي الإبلُ غَيْرُ الْمُنْقَادَةِ وَغَيْرُ الْمُذَلَّلَةِ الَّتِي يصعبُ قِيَادُها .

(٣) « الخَيْلُ الْعِرَابُ » : هِيَ الخَيْلُ الْعَرَبِيَّةُ الْمَنْسُوبَةُ إلى الْعَرَبِ ، فَرَّقُوا بَيْنَ الخَيْلِ وَالنَّاسِ ، فَقَالُوا فِي النَّاسِ : « عَرَبٌ » و « أَعْرَابٌ » وَفِي الخَيْلِ : « عِرَابٌ » « النهاية في غريب الحديث » : ٢٠٣/٣ – مادة – عرب – » .

(٤) التكملة لرفع الالتباس والتوضيح .

(٥) اختصر مصنف الكتاب الخبر ، والخبر في « تاريخ الطبري : ١٦٦/٢ – ١٦٨ » وفي « الاكتفاء في مغازي « رسول الله » : ١٢٠/١ » و « الوفا بِأَحْوَالِ الْمُصْطَفَى : ٩٧/١ – ٩٨ » .

(٦) انظر خبر « سطيح » في « دلائل النبوة – لأبي نُعَيْمٍ الأصفهاني : ٤٢ – ٤٣ » و « الاكتفاء : ١٢١/١ – ١٢٢ » و « تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام – للذهبي : ١١/٢ – ١٥ » .

(٧) الأصل : يشيح وما أثبت في « الاكتفاء : ١٢٢/١ » و « المشيح » : هو « الجادُّ في الأمر »

عَنِ ارْتِجَاجِ « الْإِيوَانِ » ، وَخُمُودِ النِّيرَانِ ، وَرُؤْيَا « الْمُوبَذَانِ » [(١)] . . . . .

يَا « عَبْدَ الْمَسِيحِ ! » إِذَا كَثُرَتِ التِّلَاوَةُ ، وَظَهَرَ صَاحِبُ الْهِرَاوَةِ ، وَفَاضَ وَادِي سَمَاوَةَ [(٢)] . . . . . فَلَيْسَتِ « الشَّامُ » « لِسَطِيحٍ » شَاماً ، وَلَا مَقَامُ « الْعِرَاقِ » لِكِسْرَىٰ وَقَوْمِهِ مَقَاماً ، يَمْلِكُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَمَلِكَاتٌ عَدَدَ السَّاقِطِ مِنَ الشُّرُفَاتِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ .

ثُمَّ قَضَىٰ « سَطِيحٌ » مَكَانَهُ ، بَعْدَ مَا أَبَانَ مِنْ أَمْرِ « رَسُولِ اللهِ » - ﷺ - مَا أَبَانَـــهُ .

ـ(بِشارَةُ عِيصا الرَّاهِبِ بِظُهُورِهِ - ﷺ - وَشُهودُ عبدِ المُطَّلِبِ سقوط)ـ
ـ(إساف وَنَائِلَةَ في الكَعْبَةِ ليلة ولادَتِه)ـ

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ مَا ذَكَرَهُ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » أَنَّهُ حَوْلَ « مَكَّةَ » رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ « عِيصَا » [(٣)] - بِمُهْمَلَتَيْنِ بَيْنَهُمَا تَحْتِيَّةٌ - وَكَانَ قَدْ أَحْرَزَ عِلْمـاً كَثِيراً ، وَأَنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ « مَكَّةَ » كُلَّ مَوْسِمٍ ، فَيَقُومُ مُبَشِّراً بِظُهُورِ « رَسُولِ اللهِ » - ﷺ - فَيَقُولُ : « يَا مَعْشَرَ « قُرَيْشٍ ! » إِنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيكُمْ نَبِيٌّ تَدِينُ لَهُ « الْعَجَمُ » وَ « الْعَرَبُ » ، وَهٰذَا وَقْتُ ظُهُورِهِ قَدِ اقْتَرَبَ .

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - كَانَ

---

(١) للنص تتمة اختصرها المؤلف .

(٢) وتتمة النص : « وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس » .

(٣) انظر الخبر في « الخصائص الكبرى : ١/٥٠ » و « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : ١/٤١٠ » .

« عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » طَائِفاً « بِالْكَعْبَةِ » فَرَأَىٰ « إِسَافاً » وَ « نَائِلَةَ » ، وَهُمَا صَنَمَانِ عَظِيمَانِ قَدْ سَقَطَا ، فَأَذْهَلَهُ ذٰلِكَ الشَّأْنُ ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ : « أَنَائِمٌ أَنَا أَمْ يَقْظَانُ [١] ؟ ! » فَلَمَّا أُخْبِرَ بِالْمَوْلُودِ عَلِمَ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَجْلِهِ ، لِمَا كَانَ قَدْ رَأَىٰ مِنَ الدَّلَائِلِ مِنْ قِبَلِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْغَدِ ، فَوَقَفَ تَحْتَ صَوْمَعَةِ « عِيصَا » وَنَادَاهُ ، فَلَمَّا رَآهُ أَكْرَمَهُ وَفَدَّاهُ ! [٢] وَقَالَ : « كُنْ أَبَاهُ ، كُنْ أَبَاهُ ، قَدْ طَلَعَ نَجْمُهُ الْبَارِحَةَ ، وَظَهَرَ سَنَاهُ ، وَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ ، وَقَدْ كَانَ ، وَعَلَامَةُ ذٰلِكَ أَنَّهُ يَشْتَكِي مِنْ بَطْنِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ يُعَافَىٰ مِنْ كُلِّ الْأَسْقَامِ ، فَاحْفَظْهُ مِنْ « يَهُودَ » فَإِنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ [٣] . وَقَدْ تَحَقَّقَتْ عِنْدَهُمْ صِفَاتُهُ .

(سَيْفُ بنُ ذي يَزَنٍ يُوصي عبدَ المُطَّلِبِ بالنَّبيِّ ويحذِّرُه مِنْ مَكيدَةِ اليَهُودِ والنَّصارَى لَه)

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ – ﷺ – بَعْدَ مَوْلِدِهِ « سَيْفُ [٤] بْنُ ذِي / يَزَنٍ » الْمَلِكُ [٦١ ظ] الْحِمْيَرِيُّ ، وَذٰلِكَ أَنَّ « عَبْدَ الْمُطَّلِبِ » وَفَدَ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ [الثَّامِنَةِ] [٥]

---

(١) الأصل : يقضان .

(٢) « فَدَّاه » : فَدَّاه بنفسه وَفَدَّاه إذا قالَ لَهُ : « جُعِلْتُ فِدَاكَ » . « النهاية في غريب الحديث ، ٤٢١/٣ – مادة : « فدى » .

(٣) الأصل : اعدايه .

(٤) انظر خبر سيف بن ذي يزن في : « نهاية الأرب : ١٣٧/١٦ – ١٤١ » و « سبل الهدى والرشاد : ١٤٦/١ – ١٥٠ » و « دلائل النبوة–لأبي نُعَيْمٍ الأصفهاني : ٢٤ – ٢٦ » ، و « دلائل النبوة – للبيهقي : ٢٩٥/١ – ٣٠٠ » ، و « البداية والنهاية : ٣٢٨/٢ – ٣٣١ » و « تاريخ الخميس : ٢٣٩/١ – ٢٤١ » . و « وفاء الوفا : ١٢٢/١ – ١٢٨ » .

(٥) التكملة للتوضيح ، وقد أثبتنا ذلك نقلاً عن « طبقات ابن سعد : ١/١ : ٧٥ » .

مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ - ﷺ - إِلَىٰ « صَنْعَاءَ » يُهَنِّئُهُ بِظَفَرِهِ « بِالْحَبَشَةِ » لَمَّا أَزَالَهُمُ « اللهُ » - تَعَالَىٰ - مِنَ « الْيَمَنِ » ، فَأَكْرَمَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَىٰ سَرِيرِ مُلْكِهِ ، وَأَعْطَاهُ عَطَايَا جَزِيلَةً ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَجِدُ فِي « الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ » أَنَّ هٰذَا أَوَانُ وُجُودِ « النَّبِيِّ » الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، وَأَنَّ صِفَتَهُ كَذَا وَكَذَا . فَأَخْبَرَهُ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » أَنَّ عِنْدَهُ غُلَاماً بِتِلْكَ الصِّفَةِ فَأَوْصَاهُ بِهِ [و] (١) حَذَّرَهُ مِنْ كَيْدِ « الْيَهُودِ » وَ « النَّصَارَىٰ » . فَمَاتَ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

ـ(تَعَرُّفُ بحيراء الرَّاهِبِ عَلى صِفاتِ النُّبُوَّةِ بالنَّبِيِّ - ﷺ - عِنْدَ نُزُولِ)ـ ـ(أبي طَالِبٍ لَدَيْه)ـ

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ - ﷺ - « بَحِيرَاءُ الرَّاهِبُ » (٢) - بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ ، مَمْدُوداً - وَذٰلِكَ أَنَّ عَمَّهُ « أَبَا طَالِبٍ » خَرَجَ بِهِ إِلَىٰ

---

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) يقال : « بَحِيرى » و « بَحِيرَاءُ » - مَقْصُوراً ومَمْدُوداً - وَهُوَ « جِرْجِيسُ » - بكسر الجيم - ويُقَالُ : « سِرْجِسُ » ، وكانَ يُقَالُ : « جُرْجُسُ » « سيرة ابن هشام : ١٨٠/١ - الحاشية (٢) - » .

وانظر « قصة بحيرى » في « سيرة ابن هشام : ١٨٠/١ - ١٨٢ » و « طبقات ابن سعد : ٧٥/١/١ و ٧٦ » . و « تاريخ الطبري : ٢٧٧/٢ - ٢٧٩ » و « البداية والنهاية : ٢٢٩/٢ - ٢٣٠ » و« دلائل النبوة - لأبي نُعَيْم : ٥١ - ٥٤ » و « سبل الهدى والرشاد: ١٨٩/٢ - ١٩١ » و « دلائل النبوة - للبيهقي : ٣٠٧/١ - ٣١٢ » ، « الخصائص الكبرى - للسيوطي : ٨٣/١ - ٨٦ » ، و« أعلام النبوة - للماوردي - : ١٥٥ - ١٥٦ » . و « الروض الأنف : ٢١٦/٢ - ٢١٨ » و « سنن التِّرْمذي : ٢٥٠/٥ - ٢٥١ - أبواب المناقب - (٢٤) باب ما جاء في بدء نبوَّة النبي - ﷺ - الحديث رقم : (٣٦٩٩) » .

« الشَّام » فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ (١) مِنْ وِلَادَتِهِ ـ ﷺ ـ . فَلَمَّا بَلَغُوا « بُصْرَىٰ » مِنْ « أَرْضِ الشَّامِ » رَآهُ الرَّاهِبُ الْمَذْكُورُ مَعَهُمْ فَعَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ عِنْدَهُ فِي « الْإِنْجِيلِ » . فَأَمَرَ « أَبَا طَالِبٍ » أَنْ يَرُدَّهُ ، وَنَاشَدَهُ اللهُ فِي ذٰلِكَ ، خَوْفاً عَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ « الْيَهُودِ » وَ « النَّصَارَىٰ » . فَرَجَعَ بِهِ وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ شَيْئاً مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ (٢) .

ـ(خُرُوجُ نَفَرٍ مِنَ النَّصَارَىٰ فِي طَلَبِ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ لِقَتْلِهِ)ـ
ـ(وَثَنْيُ بَحِيرَاءَ لَهُمْ عَنْ مَقْصَدِهِمْ)ـ

وَرَوَىٰ « التِّرْمِذِيُّ » (٣) فِي « جَامِعِهِ » أَنَّ نَفَراً مِنَ « النَّصَارَىٰ » أَتَوْا « بَحِيرَاءَ » الرَّاهِبَ بَعْدَ رُجُوعِ « أَبِي طَالِبٍ » « بِالنَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ وَقَالُوا : « إِنَّا خَرَجْنَا فِي طَلَبِ « النَّبِيِّ » الْأُمِّيِّ ، وَإِنَّا وَجَدْنَا فِي كُتُبِنَا أَنَّهُ يَمُرُّ بِطَرِيقِكَ هٰذِهِ فِي هٰذَا الشَّهْرِ ، وَإِنَّا نُرِيدُ قَتْلَهُ » . فَذَكَّرَهُمُ « اللهَ » وَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ أَمْراً يُرِيدُ « اللهُ » أَنْ يَقْضِيَهُ ، أَيَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ » ، قَالُوا : « لَا » ، وَانْصَرَفُوا عَنْهُ » .

---

(١) وجاء في « تاريخ الطبري : ٢٧٨/٢ » خَرَجَ أبو طالب برسول الله ـ ﷺ ـ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ » .

(٢) الأصل : الزبيب . وما أثبت في « سنن الترمذي : ٢٥١/٥ » ، و « تاريخ الطبري : ٢٧٩/٢» .

(٣) طرف مختصر من حديث في « سنن التِّرْمِذِيّ : ٢٥٠/٥ ـ ٢٥١ ـ أبواب المناقب (٢٤) باب ما جاء في بدء نبوة النبي ـ ﷺ ـ الحديث رقم : ٣٦٩٩ » .

ـ(بِشَارَةُ «نَسْطُورَ» الرَّاهِبِ بِنُبُوَّتِهِ ـ ﷺ ـ وَإِكْرَامُهُ للنَّبِيِّ)ـ
ـ(عِنْدَ مَعْرِفَتِهِ إِيَّاهُ)ـ

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ « نَسْطُورُ » [١] الرَّاهِبُ ـ بِمُهْمَلَاتٍ مَعَ فَتْحِ النُّونِ ـ . وَذَلِكَ أَنَّهُ ـ ﷺ ـ خَرَجَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ مَعَ « مَيْسَرَةَ » ـ غُلَامِ « خَدِيجَةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ فِي تِجَارَةٍ لَهَا . فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بِقُرْبِ صَوْمَعَةِ [٢] الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا . وَكَانَ لَا يَنْزِلُ لِأَحَدٍ ، وَطَافَ فِيهِمْ حَتَّى رَأَى « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ فَعَرَفَ فِيهِ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَضَافَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّهُ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَقَالَ لَهُ : « احْذَرْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ » وَ « النَّصَارَى » . وَأَوْصَى « مَيْسَرَةَ » [٣] بِهِ . فَقِيلَ لَهُ : « كَيْفَ

---

(١) ورد رَسْمُهُ «نَسْطُورُ» و « نَسْطُورا » ووجدته على الرسم الأول في « طبقات ابن سعد : ٨٢/١/١ » و « إمتاع الأسْمَاع : ٩/١ » . وعلى الرَّسْمِ الثَّاني بالنص على قصره في « إنسان العُيُونِ : ٢١٦/١ » . وفي « نهاية الأرب : ٩٦/١٦ . الحاشية (٢) نقلاً عن الزرقاني: ١٩٨/١ » ، ـ بفتح النُّون وَسُكُونِ السِّينِ وضَمِّ الطَّاء وألِفٍ مقصورة .

وانظر خبره بالإضافة إلى المراجع السابقة في : « سيرة ابن هشام ١٨٨/١ » و « الروض الأنف : ٢٣٦/٢ » و « تاريخ الطبري : ٢٨٠/٢ » ، و « سُبُلِ الهُدَى والرَّشَاد : ٢١٤/٢ـ ٢١٥ » . و«الوفا بأحْوَالِ المُصْطَفَى١٤٣/١» . وَ «دَلَائل النبوَّةـلأبي نُعَيْمٍ الأصفهاني ـ: ٥٤/١ » وَ « دَلائل النبوة للبيهقي : ٢٣٧/١ » و « الخصائص الكبرى : ٩١/١ » .

(٢) الأصل : صومة . وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١٨٨/١ » . و « الصَّوْمَعَةُ » : بَيْتٌ للنَّصَارَى ، كالصَّوْمَعِ ، لِدِقَّةٍ في رَأْسِهَا « القاموس المحيط : مادة : « صومعة » .

(٣) الأصل : ميسر .

عَرَفْتَ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ [(١)] » قَالَ : « إِنَّكُمْ لَمَّا أَقْبَلْتُمْ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ ، وَلَا حَجَرٌ ، إِلَّا وَسَجَدَ إِلَىٰ جِهَتِكُمْ » . وَكَانَ « مَيْسَرَةُ » يَقُولُ : « كَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ ظَلَّلَتْهُ غَمَامَةٌ ، تَسِيرُ مَعَهُ أَيْنَمَا سَارَ . فَلَمَّا رَجَعَا مِنَ « الشَّامِ » أَخْبَرَ « خَدِيجَةَ » بِمَا رَآهُ مِنْ كَرَامَتِهِ ـ ﷺ ـ وَصِدْقِهِ ، وَأَمَانَتِهِ ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّاهِبُ ، وَمَا رَآهُ مِنْ تَظْلِيلِ [(٢)] الْغَمَامَةِ لَهُ ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ ، فَرَغِبَتْ فِي نِكَاحِهِ ، فَخَطَبَتْهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا . وَكَانَ كُلٌّ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهَا حَرِيصاً عَلَىٰ ذٰلِكَ ، فَتَزَوَّجَ [(٣)] بِهَا ـ ﷺ ـ .

ـ(بِشَارَةُ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ بِالنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ)ـ

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ ـ ﷺ ـ « قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ » [(٤)] .

وَقَدْ رَوَىٰ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ قِصَّتَهُ أَنَّهُ كَانَ « بِسُوقِ عُكَاظٍ » خَطِيباً ، فَقَامَ مَرَّةً ، وَ« النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ وَ « أَبُوبَكْرٍ » حَاضِرَانِ ، فَقَالَ /: [٦٢ و] « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! » إِنَّ لِلّٰهِ دِيناً هُوَ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ،

---

(١) الأصل : أنه نبياً .
(٢) في الأصل : تضليل .
(٣) في الأصل : فتزج .
(٤) انظر خبر قُسِّ بنِ ساعدةَ في : « اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : ١٨٣/١ ـ ١٩٢ » . و « سُبُلِ الهُدَى والرَّشَادِ : ٢٥٢/٢ ـ ٢٥٤ » . و « عيون الأثر : ٨٥/١ـ٩٠» . « والبداية والنهاية : ٢٣٠/٢ ـ ٢٣٧ » .

وَنَبِيّاً [١] قَدْ حَانَ [حِينُهُ ، وَأَظَلَّكُمْ] [٢] أَوَانُهُ ، [فَطُوبَىٰ لِمَنْ آمَنَ بِهِ فَهَدَاهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَعَصَاهُ] [٣] . فَبَادِرُوا إِلَيْهِ [٤] .

فَعَمَّا قَلِيلٍ [« [٥] قَدْ ظَهَرَ النُّورُ ، وَبَطَلَ الزُّورُ ، وَبَعَثَ اللهُ « مُحَمَّدًا » - ﷺ - بِالْحُبُورِ ، صَاحِبَ النَّجِيبِ [٦] الْأَحْمَرِ ، وَالتَّاجِ وَالْمِغْفَرِ ، وَالْوَجْهِ الْأَزْهَرِ . . . . [٧] وَصَاحِبَ قَوْلِ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ » . فَذَٰلِكُمْ « مُحَمَّدٌ » الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ « الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ [٨] . . .] » .

(بِشَارَةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِاقْتِرَابِ ظُهُورِ النَّبِيِّ - ﷺ -)

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ - ﷺ - قُبَيْلَ مَبْعَثِهِ « زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ » وَكَانَ خَرَجَ يَلْتَمِسُ دِينَ « إِبْرَاهِيمَ » كَمَا رَوَاهُ « الْبُخَارِيُّ » فِي « صَحِيحِهِ » [٩]

---

(١) الأصل : وَإن لله نبيا .

(٢) التكملة عن « عيون الأثر : ٨٨/١ » .

(٣) التكملة عن « عيون الأثر : ٨٨/١ » .

(٤) في الأصل ، وساقطة في « عيون الأثر : ٨٨/١ » .

(٥) في « عيون الأثر : ٨٩/١ » : قال : فإذا أنا بِنَحْنَحَةٍ وقائلٍ يقول : « ظهر النور . . الخ » .

(٦) انظرْ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَصِفَاتِهِ : « سُبُلَ الهدى والرَّشاد ٤٩١/١ - ٦٦٣ » و « نهاية الأرب : ٧٢/١٦ - ٨٠ » .

(٧) اختصر المؤلف : قوله : « والحاجبِ الأَنْوَرِ ، وَالطَّرْفِ الأَحْوَرِ » .

(٨) اختصر المؤلف : قوله : « أهل المَدَرِ وَالْوَبَرِ » .

(٩) انظر : « صحيح البخاري : ٥/٥٠ - ٥١ - (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٢٤) باب حديث زيد بن عمرو بن نُفَيْل » .

فَأَخْبَرَهُ آخِرُ الْأَحْبَارِ [١] أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ خُرُوجِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ « بِمَكَّةَ ». فَرَجَعَ وَاجْتَمَعَ بِهِ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ وَكَانَ يَقُولُ : « إِنِّي أَعْبُدُكَ وَحْدَكَ، وَأَدِينُ لَكَ بِدِينِ « إِبْرَاهِيمَ » وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَعْبُدُكَ ؟ ! ».

وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي التَّوْحِيدِ.

وَمَاتَ شَهِيداً ـ رَحِمَهُ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ فَكَانَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : « إِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ ».

(بِشَارَةُ « سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ » بِالنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ ثُمَّ إِيمَانُهُ بِهِ)

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ـ ﷺ ـ قَبْلَ مَبْعَثِهِ « سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ حَبْرٍ إِلَىٰ حَبْرٍ حَتَّىٰ قَالَ لَهُ آخِرُهُمْ [٢] عِنْدَ

---

(١) انظر : « عيون الأثر : ٨٣/١ » وفيه : « حَتَّى إِذَا انتهى إلى رَاهِب بميفعة من « الأرض البلقاء » كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون، فَسَأَلَهُ عن « الْحَنِيفِيَّة » دين « إبراهيم » ـ عليه السلام ـ فقالَ : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد مَنْ يحملكَ عليه اليوم، ولكنْ قد أظلَّكَ زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها، يُبعَثُ بدين « إبراهيم » الْحَنِيفِيَّة، فالحَقْ به، فإنَّهُ مبعوث الآن، هذا زمانُهُ » . وانظر أخبار « زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ » في « سبُل الهدى والرشاد : ١٣٦/١ ـ ١٣٧ » و « سيرة « ابن هشام » : ٢٢٤/١ ـ ٢٣٢ »، وانظر : « البداية والنهاية : ٢٣٧/٢ ـ ٢٤٣ ».

(٢) انظر : « عيون الأثر : ٧٨/١ ـ ٧٩ » وفيه : « قَالَ : « أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ نَبِيٍّ مَبْعُوثٍ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجَرُهُ إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ » . وانظر : « سيرة ابن هشام : ٢١٤/١ ـ ٢٢٢ » و « نهاية الأرب : ١٢٩/١٦ ـ ١٣٦ » و « سبُل الهُدى والرشاد : ١٢٢/١ ـ ١٣٠ ».

مَوْتِهِ : « إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ عَلَىٰ دِينِ الْحَقِّ ، وَلٰكِنْ قَدْ آنَ خُرُوجُ « النَّبِيِّ » الْأُمِّيِّ « بِمَكَّةَ » وَعَرَّفَهُ بِصِفَاتِهِ ، فَخَرَجَ مَعَ رَكْبٍ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَهُ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ فَبَاعُوهُ إِلَىٰ « يَهُودِ الْمَدِينَةِ » فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَىٰ أَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا « النَّبِيُّ » – ﷺ – فَعَرَفَ الصِّفَاتِ الَّتِي فِيهِ فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ إِلَىٰ أَنْ سَعَىٰ « النَّبِيُّ » – ﷺ – إِلَىٰ مُكَاتَبَتِهِ بِمَا سَيَأْتِي فِي مُعْجِزَاتِهِ – ﷺ – .

—(تعرُّفُ « ورَقَةَ بنِ نوفلٍ » على صِفاتِ نُبُوَّةِ الرَّسُولِ – ﷺ –)—

وَمِمَّنْ عَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ « وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ » ، ابْنُ عَمِّ « خَدِيجَةَ » – رَضِيَ « اللهُ » عَنْهَا – عَلَىٰ مَا فِي « صَحِيحِ أَوَّلِ الْبُخَارِيِّ » ، « وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ ، وَقَرَأَ « الْإِنْجِيلَ » ، فَلَمَّا نَزَلَ « جِبْرِيلُ » عَلَىٰ « مُحَمَّدٍ » – ﷺ – بِالْوَحْيِ ، ذَهَبَتْ « خَدِيجَةُ » إِلَىٰ « وَرَقَةَ » فَتَحَقَّقَ أَنَّهُ « النَّبِيُّ » – ﷺ – الْأُمِّيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ « عِيسَىٰ » فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ قَوْمَهُ سَيُخْرِجُونَهُ مِنْ « مَكَّةَ » وَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ حَاضِراً يَوْمَئِذٍ لِيَنْصُرَهُ نَصْراً مُؤَزَّراً » (١) .

(١) روى المؤلف الحديث بمعناه ولم يروه بمتنه ، انظر : « صحيح البخاري : ٣/١ – ٤ – (١) كتاب بدء الوحي إلى رسول الله – ﷺ – . (٣) باب حدثنا يحيى بن بكير » .

ـ(مَا قَالَهُ «وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ» (١) في انتِظارِ مَبْعَثِهِ ـ ﷺ ـ)ـ

«لَجِجْتُ (٢) وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجَا ... لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا

وَوَصْفٍ مِنْ « خَدِيجَةَ » بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ (٣) طَالَ انْتِظَارِي يَا « خَدِيجَا »

بِأَنَّ « مُحَمَّداً » (٤) سَيَسُودُ فِينَا ... وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا

فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا

فَيَا لَيْتِي (٥) إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ ... وَلَجْتُ (٦) ، فَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجَا

[وُلُوجاً] (٧) فِي الَّذِي كَرِهَتْ « قُرَيْشٌ » ... وَلَوْ عَجَّتْ «بِمَكَّتِهَا» (٨) عَجِيجَا (٩) »

ثُمَّ إِنَّهُ (١٠) لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ـ رَحِمَهُ « اللهُ » تَعَالَى ـ .



---

(١) انظر خبر «ورقة بن نوفل» في « سيرة ابن هشام : ١٩١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٨ ، و« الروض الأنف : ٢٤١/٢ ، ٢٤٨ ، ٣٤٧ » ، و « بهجة المحافل وبغية الأماثل : ٥٣/١ ـ ٥٥ » .

(٢) في الأصل : لجحت في الذكر .

(٣) في الأصل : لقد .

(٤) في الأصل : فإن محمد .

(٥) في الأصل : فياليتني .

(٦) في « سيرة ابن هشام : ١٩١/١ » ، و « الروض الأنف : ٢٤٢/٢ » : شهدت .

(٧) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « الروض الأنف : ٢٤٢/٢ » .

(٨) في الأصل : لمكتها ، والتصويب عن « الروض الأنف : ٢٤٢/٢ » .

(٩) في « سيرة ابن هشام ١٩١/١ » و « الروض الأنف : ٢٤٢/٢ » . والأبيات المثبتة مختارة من قصيدة عدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً من شعر « ورقة بنِ نَوْفَلٍ » .

(١٠) في الأصل : ثم ان .

الْبَابُ السَّابِعُ

فِي بَعْضِ سِيرَتِهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِمَّا لَاقَاهُ مِنْ حِينِ بَعَثَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ إِلَىٰ أَنْ هَاجَرَ إِلَى ٱللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ

—(تاريخُ وَمكانُ وِلادَتِهِ (*)— ﷺ —)—

قَالَ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » :

وُلِدَ « النَّبِيُّ » — ﷺ — فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ بِلَا خِلَافٍ .
ثُمَّ قَالَ الْأَكْثَرُونَ : لَيْلَةَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُ . وَقَالَ آخَرُونَ : « الثَّامِنِ »،

(*) انظر زمانَ ومكان مولده — ﷺ — في :
« سيرة ابن هشام : ١/١٥٨ — والحاشية (٤) — »
« طبقات ابن سعد : ١/١/٦٢ » .
« المحبر : ٨ — ٩ » .
« أنساب الأشراف : ١/٩٢ » .
« تاريخ الطبري : ٢/١٥٤ — ١٥٧ » .
« دلائل النبوة — للأصبهاني — : ١/٤٠ » .
« دلائل النبوة — للبيهقي — : ١/٨٩ — ٩٤ » .
« الاستيعاب : ١/٣٠ — ٣١ » .
« الروض الأنف : ٢/١٤٣ و ١٥٨ — ١٥٩ مع التعليقات الواردة عَلَىٰ المتن » .
« الوفا بأحوال المصطفى : ١/٩٠ — ٩١ » .
« الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء : ١/١٦٧ — ١٦٨ » .
« نهاية الأرب : ١٦/٦٧ — ٦٨ » .
« عيون الأثر : ١/٣٤ — ٣٦ » .
« تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : ٢/٥ — ٨ » .
« البداية والنهاية : ٢/٢٥٩ — ٢٦٢ » .
« سبل الهدى والرشاد : ١/٤٠١ — ٤٠٨ » .
« تاريخ الخميس : ١/١٩٥ — ١٩٨ » .
« السيرة الحلبية : ١/٩٢ — ٩٦ » .
« مختصر سيرة الرسول — ﷺ — : ١٢ » .
وانظر أيضاً « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار » : ٢٩ — والتعليقات (١) و(٢) و(٣) — » .

وَذٰلِكَ « بِمَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ » فِي « شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ » ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ « أَهْلُ مَكَّةَ » لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ، لِلذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسْقَطِ رَأْسِهِ – ﷺ – .

ـ(فَتْوَىٰ المُتَأَخِّرِينَ في عَمَلِ المَوْلِدِ)ـ

[٦٢ ظ] وَأَفْتَىٰ (١) جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّ عَمَلَ الْمَوْلِدِ / عَلَىٰ هٰذَا الْقَصْدِ حَسَنٌ مَحْمُودٌ .

ـ(وَصْفُ الحالِ الَّتي وَضَعَتْهُ عَلَيْهَا أُمُّهُ – ﷺ –)ـ

قَالَ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » : وَوَضَعَتْهُ أُمُّهُ ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ « الْقِبْلَةَ » ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ ، رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ ، مَخْتُوناً ، مَسْرُوراً – أَيْ : مَقْطُوعَ السُّرَّةِ – لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ قَذَرِ الْوِلَادَةِ .

ـ(حَدِيثُ «الشَّفَّاء» عَمَّا سَمِعَتْهُ وَرَأَتْهُ عِنْدَ سُقُوطِهِ ﷺ)ـ
ـ(عَلَى يَدَيْهَا)ـ

رَوَىٰ « ابْنُ إِسْحَاقَ » عَنِ « الشَّفَّاءِ » – بِالتَّشْدِيدِ – أُمِّ « عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ عَوْفٍ » – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وَهِيَ الَّتِي تَوَلَّتْ وِلَادَتَهُ أَنَّهَا قَالَتْ : « لَمَّا

(١) أورد الإمام«محمد بن يوسف الصالحي الشامي»المتوفّى سنة ٩٤٢ هـ ما أفتى به العلماء في عمل المولد الشريف واجتماع الناس له ، وَمَا يُحْمَدُ مِنْ ذَلكَ وَمَا يُذَمُّ في كتابه : «سُبُل الهُدى والرَّشاد : ١/٤٣٩ – ٤٥٤ » فمن أراد الاستزادة في الاطلاع فليرجع إلى ذلك الكتاب .
وَنَرىٰ أَنَّ الأَوْلَىٰ تَرْكُ مِثْلَ هَـذِهِ الاحْتِفَالاتِ الَّتِي لَمْ يَفْعَلْها السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنَ القُرُونِ الثَّلاثَةِ ، فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ من خَلَفَ .

سَقَطَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ عَلَىٰ يَدَيَّ ، سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : « يَرْحَمُكَ « اللهُ » [١] ، وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ « قُصُورِ الشَّامِ » .

ـ(الوَقَائِعُ الَّتِي صَادَفَتْ [٢] لَيْلَةَ وِلَادَتِهِ ـ ﷺ ـ)ـ

وَلَيْلَةَ وِلَادِهِ ـ ﷺ ـ خَمَدَتْ نَارُ « فَارِسَ » الَّتِي يَعْبُدُونَهَا ، وَكَانَ وَقُودُهَا مُسْتَمِرّاً مِنْ عَهْدِ « مُوسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ . وَارْتَجَسَ [٣] « إِيوَانُ كِسْرَىٰ » وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً ، وَغَاضَتْ [٤]

---

(١) انظر : « الخصائص الكبرى : ٤٦/١ ـ ٤٧ » وفيه : « لما ولدت « آمنة » « رسول الله » ـ ﷺ ـ وقع على يدي فاستهل ، فسمعتُ قائلاً يقول : « رحمك الله ورحمك ربك » ، قالت « الشِّفَاء » : « فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض « قصور الروم » . . الخ . » . وانظر : « طبقات ابن سعد : ٦٣/١/١ » .

(٢) انظر ما صادف ليلة ولادته ـ ﷺ ـ من وقائع في :
« تاريخ الطبري : ١٦٦/٢ » .
« عيون الأثر : ٣٧/١ » .
« البداية والنهاية : ٢٦٨/٢ ـ ٢٦٩ » .
« تاريخ الخميس : ٢٠٠/١ ـ ٢٠٢ » .
« إنسان العيون : ١١٤/١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ » .

(٣) الأصل : ارتج ، والتصحيح عن « الخصائص الكبرى : ٥١/١ » .
وارتجس : اضطرب وتَحَرَّكَ حَرَكَةً سُمِعَ لَهَا صَوْتٌ . « النهاية في غريب الحديث : ٢٠١/٢ ـ مادة : رجس »

(٤) الأصل : غاصت ، والتصحيح عن « الخصائص الكبرى : ٥١/١ » .
« غَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ » : أي غَارَ مَاؤُهَا وَذَهَبَ . « النهاية في غريب الحديث : ٤٠١/٣ ـ مادة : غيض » .

« بُحَيْرَةُ سَاوَةَ » (١) وَتَنَكَّسَتْ جَمِيعُ الْأَصْنَامِ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ، وَسَقَطَ « عَرْشُ إِبْلِيسَ »، وَرُمِيَتِ الشَّيَاطِينُ بِالشُّهُبِ، فَمُنِعَتْ مِنِ اسْتِرَاقِ (٢) السَّمْعِ.

فَائِدَةٌ لِلتَّحْقِيقِ :

(رَمْيُ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهُبِ)

إِنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تُرْمَىٰ بِالشُّهُبِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣) لٰكِنَّهُ رَمْيٌ لَا يُكْثِرُ إِصَابَتَهُمْ بِالرُّجُومِ (٤)، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِهِمْ لِلسَّمْعِ. فَلَمَّا وُلِدَ - ﷺ - كَانَ الرَّمْيُ بِالرُّجُومِ أَشَدَّ. فَلَمَّا بُعِثَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - اسْتَمَرَّ مَنْعُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِهِمْ، كَمَا صَرَّحَ بِذٰلِكَ فِيمَا حَكَاهُ « اللهُ » - تَعَالَىٰ - عَنْهُمْ :

---

(١) موقع هذه البحيرة في إيران « وهي بين همدان وقم. وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض، وكانت يعبر عنها بالسفينة وبقيت كذلك ناشفة يابسة ». « تاريخ الخميس : ٢٠٠/١ - ٢٠١ ».

(٢) انظر خبر حجب الشياطين عن السمع في : « الروض الأنف : ٢٩٥/٢ - ٢٩٩ ».

(٣) « سورة الحجر : ١٨/١٥ - ك - ».

(٤) « الرُّجُومُ » : جمع رَجْم. وَهُوَ مَصْدَرٌ سُمِّيَ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَراً لا جَمْعاً. وَمَعْنَى كَوْنِهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ : أَنَّ الشُّهُبَ الَّتِي تَنْقَضُّ فِي اللَّيْلِ مُنْفَصِلَةٌ مِنْ نَارِ الْكَوَاكِبِ وَنُورِهَا، لا أَنَّهُمْ يُرْجَمُونَ بِالْكَوَاكِبِ أَنْفُسِهَا؛ لِأَنَّهَا ثَابِتَةٌ لا تَزُولُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا كَقَبَسٍ يُؤْخَذُ مِنْ نَارٍ، وَالنَّارُ ثَابِتَةٌ فِي مَكَانِهَا. « النهاية في غريب الحديث : ٢٠٥/٢ - مادة : رَجَمَ - ».

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾ (١) وَذٰلِكَ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ الْوَحْيُ بِالْكِهَانَةِ (٢) .

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَيْضاً أَنَّهُمْ قَالُوا : « قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا (٣) وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ » (٤) . وَاللهُ أَعْلَمُ .

ــ(« ثُوَيْبَةُ » أَوَّلُ مُرْضِعٍ لِرَسُولِ اللهِ ــ ﷺ ــ)ــ

وَأَوَّلُ مَنْ أَرْضَعَتْهُ (٥) ــ ﷺ ــ « ثُوَيْبَةُ » (٦) ــ بِمُثَلَّثَةٍ ، مُصَغَّرَةً ــ مَوْلَاةُ عَمِّهِ « أَبِي لَهَبٍ » وَأَرْضَعَتْ مَعَهُ « حَمْزَةَ » وَ « أَبَا سَلَمَةَ عَبْدَ اللهِ

(١) « سورة الجن : ٩/٧٢ ــ ك ــ » .

(٢) « الْكِهَانَةُ » : هِيَ تَعَاطِي الإِخْبَارِ عَنِ الْكَائِنَاتِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ ، وَادِّعَاءِ مَعْرِفَةِ الأَسْرَارِ . « النهاية في غريب الحديث : ٢١٤/٤ ــ مادة : كهن ــ » .

(٣) « صحيح البخاري : ١٩٩/٦ ــ (٦٥) كتاب التَّفْسِيرِ ــ (٧٢) تفسير سورة الجن » .

(٤) في « المصدر السابق : قَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ » .

(٥) أنظُرْ : رَضَاعَهُ ــ ﷺ ــ في :

« سيرة ابن هشام : ١٦٠/١ » .

« طبقات ابن سعد : ٦٧/١/١ ــ ٦٨ » .

« تاريخ الطبري : ١٥٧/٢ ــ ١٦٠ » .

« عيون الأثر : ٤١/١ » .

« نهاية الأرب : ٨٠/١٦ ــ ٨٤ » .

« سُبُلُ الهُدى والرَّشاد : ٤٥٧/١ ــ ٤٦١ » .

(٦) أَوَّلُ مُرْضِعٍ لِلرَّسُولِ ــ ﷺ ــ هِيَ « آمِنَةُ » أُمُّهُ ، ثُمَّ « ثُوَيْبَةُ » ، وجملة مَنْ أَرْضَعْنَهُ ــ ﷺ ــ عَشْرُ نِسْوَةٍ ، ذَكَرَهُنَّ « الشَّمْسُ الشَّامِيُّ » وَكَانَتْ عَاشِرَتَهُنَّ « حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ . انظرْ : « سُبُلُ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ : ٤٥٧/١ ــ ٤٦١ » .

ابْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيَّ » بِلَبَنِ ابْنِهَا « مَسْرُوحٍ » (١) - بِمُهْمَلَاتٍ - .
وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » أَنَّهُ - ﷺ - قَالَ : [« أَرْضَعَتْنِي وَ « أَبَا سَلَمَةَ » « ثُوَيْبَةُ »] (٢) .

-(رُؤْيَا « العَبَّاسِ » فِي تَخْفِيفِ العَذَابِ عَنْ « أَبِي لَهَبٍ » بِفَتَاتِهِ « ثُوَيْبَة »)-

[قَالَ « عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ » : وَ « ثُوَيْبَةُ » مَوْلَاةٌ « لِأَبِي لَهَبٍ » كَانَ « أَبُولَهَبٍ » أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتِ « النَّبِيَّ » - ﷺ - . فَلَمَّا مَاتَ « أَبُولَهَبٍ » أُرِيَهُ « الْعَبَّاسُ » فِي أَسْوَإِ حَالَةٍ . فَقَالَ : « مَاذَا لَقِيتَ ؟ » قَالَ : « لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ خَيْرًا ، غَيْرَ [أَنَّهُ] (٣) خُفِّفَ عَنِّيَ الْعَذَابُ بِفَتَاتِي « ثُوَيْبَةَ »] (٤) .

قُلْتُ : « فَتَخْفِيفُ الْعَذَابِ عَنْهُ إِنَّمَا [هُوَ] (٥) كَرَامَةٌ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - كَمَا خُفِّفَ عَنْ « أَبِي طَالِبٍ » ، لَا لِأَجْلِ مُجَرَّدِ الْعِتْقِ ، لِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦) » .

---

(١) « طَبَقَات ابن سعد : ١/١ : ٦٧ » .
(٢) « صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٣/٢٢٢ - (٥٢) كتاب الشهادات - (٧) باب : الشَّهَادَةُ عَلَى الْأَنْسَابِ » .
(٣) التكملة يقتضيها السياق .
(٤) « صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٧/١٢ - (٦٧) كتاب النكاح - (٢٠) باب : ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾ ، ونصُّ البخاري مغايرٌ لما هو مثبت . وهذه تتمة الحديث في البخاري: « فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ - « الحِيبَة » : سوء الحال - ، قَالَ لَهُ : « مَاذَا لَقِيتَ ؟ » قَالَ أَبُو لَهَبٍ : « لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ [خَيْراً] غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي « ثُوَيْبَةَ » .
(٥) التكملة يقتضيها السياق .
(٦) « سورة هود : ١١/١٦ - ك - » .

—(حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ)—

قَالَ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » :

« ثُمَّ احْتَمَلَتْهُ « حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ – مُصَغَّرُ ذِئْبٍ – مِنْ [بَنِي] [1] سَعْدِ [2] بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ ، ثُمَّ قَيْسِ [بْنِ] [3] عَيْلَانَ – بِمُهْمَلَةٍ – ابْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ » [4] حِينَ قَدِمَتْ مَعَ قَوْمِهَا يَلْتَمِسُونَ الرُّضَعَاءَ لِمَا يَرْجُونَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ مِنْ أَهْلِيهِمْ . وَكَانَ « أَهْلُ مَكَّةَ » يَسْتَرْضِعُونَ أَوْلَادَهُمْ فِيهِمْ لِفَصَاحَتِهِمْ ، وَلِصِحَّةِ هَوَاءِ « الْبَادِيَةِ » ، فَأَقَامَ – ﷺ – فِيهِمْ نَحْوَ خَمْسِ سِنِينَ ، وَظَهَرَ لَهُمْ مِنْ يُمْنِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ .

---

(١) التكملة عن « تاريخ الطبري : ١٥٧/٢ » و « سيرة ابن هشام : ١٦٠/١ » .

(٢) الأصل : من ابن بكر .

(٣) التكملة عن « تاريخ الطبري : ١٥٧/٢ » . و « سيرة ابن هشام : ١٦٠/١ » .

(٤) أَوْرَدَ « ابنُ هِشَامٍ » و « الطَّبَرِيُّ » نَسَبَ « حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ » عَلَى النَّحْوِ التَّالي : « هِيَ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ ، وَ« أَبُوذُؤَيْبٍ » « عَبْدُ اللهِ بْنُ الحَارِثِ بْنِ شِجْنَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ رِزَامِ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ فُصَيَّةَ [بن نصر] بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ ابْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بنِ مُضَرَ » . « تاريخ الطبري : ١٥٧/٢ » . و « طبقات ابن سعد : ١/١ : ٦٩ » و « سيرة ابن هشام : ١٦٠/١ »
وأثبت الشمس الشامي نسبها على النحو التالي : هي « حليمة بنت أبي ذُؤَيْب (الحارث) بن عبد الله بن سِجْنَةَ بن رِزَام بن ناصرةَ بن فصية بن سعد بن بكر بن هَوَازِنَ » . « سُبُل الهدى والرَّشاد : ٤٦١/١ » .
وانظر أيضاً جدول الأنساب العدنانية في هذا الكتاب « حدائق الأنوار : (٩٣) » .
وَ « دلائل النبوة — لأبي نُعَيْم الأصبهاني — : ٤٧ — ٤٨ » .
و « دلائل النبوَّة — للبيهقي : ١٠٧/٢ » .

ـــ(حِكَايَةُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ)ـــ

[٦٣ و] رَوَىٰ « ابْنُ إسْحَاقَ » / عَنْ « عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ ، قَالَتْ « حَلِيمَةُ » [(١)] : « خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ « بَنِي سَعْدٍ » نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ عَلَىٰ أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ [(٢)] ، فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ [(٣)] ، وَمَعِي زَوْجِي « الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّىٰ » مِنْ « بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » ، وَمَعَنَا

(١) انظر حكاية حليمة السعدية في :

« سيرة ابن هشام : ١/١٦٢ ـــ ١٦٤ » .

« طبقات ابن سعد : ١/١ : ٦٩ » .

« أنساب الأشراف : ١/٩٣ » .

« تاريخ الطبري : ٢/١٥٨ ـــ ١٦٠ » .

« دلائل النبوة ـــ للأصبهاني ـــ : ٤٧ » .

« أعلام النبوّة ـــ للماوردي ـــ : ١٩١ » .

« دلائل النبوّة ـــ للبيهقي ـــ : ١٠٨ ـــ ١٠٩ » .

« الروض الأنف : ٢/١٤٥ ـــ ١٤٧ » .

« الوفا بأحوال المصطفى : ١/١٠٨ » .

« الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء : ١/١٦٩ ـــ ١٧٢ » .

« نهاية الأرب : ١٦ : ٨١ ـــ ٨٣ » .

« عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : ١/٤٢ » .

« تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : ٢/١٩ » .

« البداية والنهاية : ٢/٢٧٣ ـــ ٢٧٤ » .

« سُبُل الهُدَى والرشاد : ١/٤٧٠ » .

« تاريخ الخميس : ١/٢٢٣ ـــ ٢٢٤ » .

« السيرة الحلبية : ١/١٤٥ ـــ ١٤٨ » .

(٢) « الْقُمْرَةُ » ـــ بالضَّمِّ ـــ لونٌ إلى الْخُضْرَةِ ، أَوْ بَيَاضٌ فِيهِ كُدْرَة ، يُقَالُ : حِمَارٌ أَقْمَرُ ، وَأَتَانٌ قَمْرَاءُ . وَقِيلَ القمراء : بيضاء اللون .

(٣) « السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ » : السَّنَةُ ذَاتُ الْقَحْطِ وَالْجَدْبِ .

شَارِفٌ لَنَا – أَيْ : نَاقَةٌ مُسِنَّةٌ – مَا تَبِضُّ [١] بِقَطْرَةٍ ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ بُكَاءِ صَبِيِّنَا ، مَا فِي ثَدْيَيَّ [٢] مَا يُغْنِيهِ ، وَلَا [٣] فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ ، فَخَرَجْتُ عَلَىٰ أَتَانِي تِلْكَ ، وَلَقَدْ أَذَمَّتْ [٤] بِالرَّكْبِ – أَيْ : وَلَقَدْ أَزْرَتْ [٥] بِهِمْ ضَعْفًا وَعَجَفًا [٦] – حَتَّىٰ شَقَّ ذَٰلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجَفًا ، حَتَّىٰ قَدِمْنَا « مَكَّةَ » [نَلْتَمِسُ [٧]

(١) بَضَّ الماء : قَطَرَ وَسَالَ ، وَبَضَّتِ الْحَلَمَةُ : أي : دَرَّتْ حَلَمَةُ الضَّرْعِ بِاللَّبَنِ .

(٢) الأصل : فديي .

(٣) في « سيرة ابن هشام : ١٦٢/١ » وَمَا .

(٤) « أَذَمَّتْ » : « أَيْ : انْقَطَعَ سَيْرُهَا ، كَأَنَّهَا حَمَلَتِ النَّاسَ عَلَى ذَمِّهَا » . « النهاية في غريب الحديث : ١٦٩/٢ – مادة : ذمم – » . وَأَذَمَّتِ الرِّكَابُ : أَعْيَتْ وَتَخَلَّفَتْ عَنْ جَمَاعَةِ الإِبِلِ ، وَلَمْ تَلْحَقْ بِهَا . يُرِيدُ أَنَّهَا تَأَخَّرَتْ بِالرَّكْبِ – أي : تَأَخَّرَ الرَّكْبُ بِسَبَبِهَا – . » « سيرة ابن هشام : ١٦٢/١ – الحاشية (٧) – » .

(٥) الأصل : أزرات . وأَزْرَتْ بِهِ قَصَّرَتْ وَتَهَاوَنَتْ .

(٦) « الْعَجَفُ » : « الهُزَالُ » .

(٧) يذكرونَ فِي دَفْعِ « قريشٍ » وغيرهم مِنْ أَشْرَافِ « الْعَرَبِ » أَوْلَادَهُمْ إلى المَرَاضِعِ أَسْبَابًا :

أَحَدُهَا : تَفْرِيغُ النِّسَاءِ إلى الأَزْوَاجِ ، كما قَالَ « عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ » « لأُمِّ سَلَمَةَ » – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – وَكَانَ أَخَاهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ ، حين انتزَعَ مِنْ حِجْرِهَا « زينَبَ بنت أَبِي سَلَمَةَ » فَقَالَ : « دَعِي هَذِهِ المقبوحَةَ المشقوحَةَ التي آذَيْتِ بها « رسُولَ الله » – ﷺ – » .

ثانيها : قد يكون ذَلكَ مِنهُمْ لِيَنْشَأَ الطِّفْلُ فِي الأَعْرَابِ ، فَيَكون أَفْصَحَ لِسَانًا ، وَأَجْلَدَ لجِسْمِهِ ، وَأَلَّا يُفَارِقَ الهَيْئَةَ المَعَدِّيَّةَ – نسبةً إلى « مَعَدٍّ » – وكانوا أَهْلَ غِلَظٍ وقَشَفٍ – ، كماقال « عُمَرُ » – رضي اللهُ عَنْهُ – : « تَمَعْدَدُوا تَمَعْزَزُوا – تَعَزَّزَ لَحْمُهُ : اشتدَّ وَصَلُبَ – وَاخْشَوْشِنُوا » =

الرُّضَعَاءَ] [١] ، فَوَ اللهِ مَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ فَتَأْبَاهُ إِذَا قِيلَ [لَهَا] [٢] إِنَّهُ يَتِيمٌ . [وَذٰلِكَ أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا نَقُولُ : « يَتِيمٌ ! وَمَا عَسَىٰ أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ؟! ». فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذٰلِكَ] [٣] ، فَمَا بَقِيَتِ امْرَأَةٌ [٤] قَدِمَتْ مَعِي إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعاً غَيْرِي ، [فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الانْطِلَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي : « وَاللهِ ! إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي ، وَلَمْ آخُذْ رَضِيعاً » ، « وَاللهِ ! لَأَذْهَبَنَّ إِلَىٰ ذٰلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ » ، قَالَ : « لَا عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِي ، عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً »·

= وَلَقَدْ قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ « لِأَبِي بَكْرٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ حِينَ قَالَ لَهُ : « مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنْكَ يَا « رَسُولَ اللهِ ! » فَقَالَ : « وَمَا يَمْنَعُنِي وَأَنَا مِنْ « قُرَيْشٍ » وَأُرْضِعْتُ فِي « بَنِي سَعْدٍ؟ ! » .

فَهٰذَا وَنَحْوُهُ كَانَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى دَفْعِ الرُّضَعَاءِ إِلى الْمُرْضِعَاتِ الأَعْرَابِيَّاتِ .

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ « عَبْدَ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ » كَانَ يَقُولُ : « أَضَرَّ بِنَا حُبُّ « الْوَلِيدِ » ، لِأَنَّ « الْوَلِيدَ » كَانَ لَحَّاناً، وَكَانَ « سُلَيْمَانُ » فَصِيحاً ، لِأَنَّ « الْوَلِيدَ » أَقَامَ مَعَ أُمِّهِ ، وَ« سُلَيْمَانُ » وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ سَكَنُوا « الْبَادِيَةَ » ، فَتَعَرَّبُوا ، ثُمَّ أُدِّبُوا فَتَأَدَّبُوا . « الروض الأُنُفِ : ١٦٧/٢ ــ ١٦٨ » . و « سيرة ابن هشام : ١٦٢/١ ــ ١٦٣ ــ الحاشية : (٩) ــ » و « النهاية في غريب الحديث : ٣٤١/٤ ــ مادة : « معد » ــ » .

(١) التكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٢/١ » .

(٢) التكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٣) التكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٤) الأصل : فما بَقِيَتْ ممن قدمت معي .

قَالَتْ :][1] فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَىٰ[2] أَخْذِهِ إِلَّا [أَنِّي][3] لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ . قَالَتْ : فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ [بِهِ][4] إِلَىٰ رَحْلِي ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنَ اللَّبَنِ[5] ، فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَوِيَ ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّىٰ رَوِيَا ، ثُمَّ نَامَا ، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذٰلِكَ . وَقَامَ زَوْجِي إِلَىٰ شَارِفِنَا [تِلْكَ][6] ، فَإِذَا بِهَا حَافِلٌ ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا رِيّاً وَشِبَعاً[7] ، [فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ].[8] قَالَتْ ، يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: « تَعَلَّمِين[9] يَا « حَلِيمَةُ » ! وَاللهِ ! إِنِّي لَأَرَاكِ قَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً . أَلَمْ تَرَيْ إِلَىٰ مَا بِتْنَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ ؟ » ، فَلَمْ يَزَلِ « اللهُ » يُرِينَا خَيْراً . قَالَتْ : « ثُمَّ خَرَجْنَا ، وَرَكِبْتُ أَتَانِي تِلْكَ ، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا [مَعِي][10] فَوَاللهِ ! لَقَطَعَتْ بِالرَّكْبِ

---

(١) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٢) الأصل : عليه ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٣) ساقطة في الأصل . والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٤) ساقطة في الأصل . والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٥) في سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ : من لبن .

(٦) ساقطة في الأصل . والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٧) الأصل : شبعاً وريّاً ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام ١٦٣/١ » .

(٨) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

(٩) يريد : اعلمي ، وفي « تاريخ الطبري ١٥٩/٢ » أتعلمين .

(١٠) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن » سيرة ابن هشام : ١٦٣/١ » .

[مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ] [١] ، حَتَّىٰ إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقُلْنَ لِي : « يَا بِنْتَ أَبِي ذُؤَيْبٍ ! » [٢] وَيْحَكِ ! ارْبَعِي [٣] عَلَيْنَا ، ـ أَيْ : ارْفُقِي ـ أَلَيْسَتْ [٤] هٰذِهِ أَتَانُكِ الَّتِي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا ، فَأَقُولُ لَهُنَّ [٥] : « بَلَىٰ وَاللهِ ! إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ » ، فَيَقُلْنَ : « وَاللهِ ! إِنَّ لَهَا لَشَأْناً » .

قَالَتْ : ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا [مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ] [٦] ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضاً مِنْ أَرْضِ اللهِ أَجْدَبَ [٧] مِنْهَا ، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ ، [حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا] [٨] شِبَاعاً لَبَناً ، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ غَيْرُنَا مِنْهُمْ قَطْرَةَ لَبَنٍ [وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ] [٩] حَتَّىٰ كَانَ الْحَاضِرُونَ [١٠] مِنْ قومِنا

---

(١) ساقطة في الأصل والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١/١٦٣ ـ ١٦٤ » .
(٢) « بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ » : هِيَ حَلِيمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ شِجْنَةَ بْنِ جَابِرٍ « سيرة ابن هشام : ١/١٦٠ » .
(٣) « ارْبَعِي » : أَقِيمِي وَانْتَظِرِي ؛ رَبَعَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ ؛ إِذَا أَقَامَ عَلَيْهِ وَانْتَظَرَهُ .
(٤) الأصل : ألست ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١/١٦٤ » .
(٥) الأصل : لهم ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١/١٦٤ » .
(٦) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١/١٦٤ » .
(٧) الأصل : وما أعلم أرضاً لله احذب منها . وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١/١٦٤ » .
(٨) ساقط في الأصل ، والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١/١٦٤ » .
(٩) ساقط في الأصل ، والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ١/١٦٤ » .
(١٠) الأصل : الحاضر من قومنا ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١/١٦٤ » .

يَقُولُونَ لِرُعَاتِهِمْ (١) وَيْحَكُمْ (٢) ! اسْرَحُوا حَيْثُ تَسْرَحُ (٣) غَنَمُ « بِنْتِ أَبِي ذُوَيْبٍ » [فَيَسْرَحُونَ] (٤) . فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعاً [هُزْلَاً] (٥) ، مَا تَبِضُّ (٦) بِقَطْرَةِ لَبَنٍ ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعاً (٧) لَبَناً . فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ « اللهِ » الزِّيَادَةَ وَالْبَرَكَةَ (٨) ، حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ فَفَصَلْتُهُ (٩) عَنِ الرَّضَاعَةِ .

[وَقَالَتْ : « وَكُنْتُ لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ اللَّيْلَ إِلَّا وَوَجَدْتُ السَّقْفَ قَدِ انْفَرَجَ ، وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقَمَرُ يُنَاغِيهِ ــ أَيْ : يُحَدِّثُهُ ــ] (١٠) .

وَكَانَ ــ ﷺ ــ يَشِبُّ شَبَاباً لَا يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ ، فَمَا بَلَغَ سَنَتَيْنِ (١١)

---

(١) في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » : لرعيانهم .

(٢) في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » : ويلكم .

(٣) في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » : حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب .

(٤) زيادة عما في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » .

(٥) زيادة عما في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » .

(٦) ما تبضُّ بِقَطْرَةِ لبن : لا تَرْشحُ بقطرةِ لبن .

(٧) الأصل : شبعاً ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » .

(٨) في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ : « الزيادة والخير » .

(٩) في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » : وفصلته .

(١٠) ما بين الحاصرتين في الأصل ، وليس في « سيرة ابن هشام » ما يماثله .

وقد عقد الإمام الشمس الشامي في كتابه « سبل الهدى والرشاد : ٤٢٣/١ » في جماع أبواب مولده الشريف ــ ﷺ ــ الباب التاسع ــ في مناغاته ــ ﷺ ــ للقمر في مهده وكلامه فيه» .

(١١) في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » فلم يبلغ سنتيه .

حَتَّىٰ كَانَ غُلَاماً جَفْراً [(١)] ـ أَيْ : مُمْتَلِىءَ الْجَنْبَيْنِ ـ . قَالَتْ : « فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَىٰ أُمِّهِ ، وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَىٰ مُكْثِهِ فِينَا [(٢)] ، لما كُنَّا نَتَعَرَّفُ من بَرَكَتِهِ ، فَقُلْتُ لِأُمِّهِ [(٣)] : دَعِينَا نَرْجِعْ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَىٰ [(٤)] عَلَيْهِ وَبَاءَ[(٥)] « مَكَّةَ » ، وَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّىٰ رَدَّتْهُ مَعَنَا ـ انْتَهَىٰ كَلَامُ « ابْنِ إِسْحَاقَ » .

(حديثُ المَلَكَيْنِ اللذين شقَّا صدره ـ ﷺ ـ)

قَالَ غَيْرُهُ :

« وَبَعْدَ حَوْلَيْنِ مِنْ مَرْجِعِهِمَا بِهِ ، أَيْ : فِي الْعَامِ الْخَامِسِ مِنْ مَوْلِدِهِ ـ ﷺ ـ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَشَقَّا صَدْرَهُ [(٦)] ، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبَهُ فَشَقَّاهُ وَاسْتَخْرَجَا

---

(١) « الجَفْرُ » : « الغَلِيظ الشَّدِيدُ » .

(٢) الأصل : ونحن أحرص شَيءٍ عَلَيْهِ ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١٦٤/١ » .

(٣) الأصل : فقلت امه .

(٤) الأصل : نخشا .

(٥) يُهمز ويقصر ، فيقال : « الوَبَأُ » وَ « الوَبَاءُ » : « الطَّاعُون » .

(٦) انظر بسط الحديث في شق صدره ـ ﷺ ـ في :

« صحيح مسلم : ١٤٧/١ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧٤) باب الإسراء برسول الله ـ ﷺ ـ إلى السماوات وفرض الصلاة ـ الحديث ٢٦١ ـ (. . .)

« سيرة « ابن هشام » : ١٦٦/١ » .

« طبقات « ابن سعد » : ٧٠/١/١ » .

« تاريخ الطبري : ١٦١/٢ ـ ١٦٢ » .

« أعلام النبوة : ١٩٢ » .

« الوفا بأحوال المصطفى : ١١٠/١ ـ ١١٣ » ، و « نهاية الأرب : ٨٥/١٦ »

« عيون الأثر : ٤٥/١ » .

« تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : ٢١/٢ ـ ٢٢ » .

« سبل الهدى والرشاد : ٤٧٤/١ ـ ٤٧٥ » .

منْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ وَقَالَا : « هَٰذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ منْكَ ثُمَّ مَلَآهُ حِكْمَةً وَإِيمَاناً ، ثُمَّ لَأَمَاهُ فَالْتَأَمَ [١] [الشَّقُّ] [٢] بِإِذْنِ « اللهِ » ـ تَعَالَىٰ ـ / ثُمَّ خَتَمَاهُ [٦٣ ظ] بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كَالطَّابَعِ ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : « زِنْهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ » فَفَعَلَ فَوَزَنَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « زِنْهُ بِمَائَةٍ [مِنْ أُمَّتِهِ] » [٣] فَفَعَلَ فَوَزَنَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ [أُمَّتِهِ] » [٤] فَفَعَلَ فَوَزَنَهُمْ [٥] ، حَتَّىٰ قَالَ : « [دَعْوهُ] [٦] » وَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ [٧] بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَوَزَنَهُمْ [٨] ، ثُمَّ قَبَّلَ رَأْسَهُ وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَا : « يَا حَبِيبَ [اللهِ !] [٩] لَمْ تُرَعْ إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي [١٠] مَا يُرَادُ بِكَ [مِنَ الْخَيْرِ] [١١] لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ » .

وَرُوِيَ عَنِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ : « فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَّيَا عَنِّي ، وَكَأَنَّمَا أَرَىٰ الْأَمْرَ مُعَايَنَةً » . وفي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » : عَنِ « السَّائِبِ ابْنِ يَزِيدَ » : قَالَ : [« ثُمَّ] [١٢] قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ـ ﷺ ـ فَنَظَرْتُ إِلَىٰ

---

(١) الأصل : فلتام .
(٢) التكملة عن « سبل الهدى والرشاد : ١/ ٤٧٤ .
(٣) و (٤) التكملتان عن « سبل الهدى والرشاد : ٤٧٤/١ » .
(٥) الأصل : فوزهم .
(٦) التكملة يقتضيها السياق .
(٧) الأصل : زنته .
(٨) الأصل : لوزنها .
(٩) التكملة عن « سبل الهدى والرشاد : ٤٧٥/١ » .
(١٠) الأصل : تردى .
(١١) التكملة عن « سبل الهدى والرشاد : ٤٧٥/١ » .
(١٢) التكملة عن « صحيح البخاري : ٢٢٧/٤ » .

خَاتَمٍ [١] بَيْنَ كَتِفَيْهِ » [٢] . وَ « لِمُسْلِمٍ » : « إِنَّ الْخَاتَمَ كَانَ إِلَىٰ جِهَةِ كَتِفِهِ الْيُسْرَىٰ » [٣] .

—(رُجُوعُ حَلِيمَةَ بِالنَّبِيِّ – ﷺ – إلى أمِّهِ)—

قَالَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » : « فَتَخَوَّفَتْ عَلَيْهِ « حَلِيمَةُ » بَعْدَ ذٰلِكَ [قَالَتْ : « فَاحْتَمَلْنَاهُ ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَىٰ أُمِّهِ ، فَقَالَتْ : « مَا أَقْدَمَكِ بِهِ يَا ظِئْرُ ! [٤] وَقَدْ كُنْتِ حَرِيصَةً عَلَيْهِ ، وَعَلَىٰ مُكْثِهِ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ : قَدْ بَلَغَ « اللهُ » بِابْنِي وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ ، وَتَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ ، فَأَدَّيْتُهُ إِلَيْكِ كَمَا تُحِبِّينَ ، قَالَتْ : مَا هٰذَا شَأْنُكِ ، فَاصْدُقِينِي خَبَرَكِ . قَالَتْ : « فَلَمْ تَدَعْنِي حَتَّىٰ أَخْبَرْتُهَا . قَالَتْ : « أَفَتَخَوَّفْتِ عَلَيْهِ « الشَّيْطَانَ » ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : « نَعَمْ ! » قَالَتْ : « كَلَّا ، وَاللهِ ! مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ ، وَإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأْنًا ، أَفَلَا أُخْبِرُكِ خَبَرَهُ » ؟ قَالَتْ : [قُلْتُ] بَلَىٰ ؛ قَالَتْ :

---

(١) وفي الأصل : إلى خاتم النبوة ، وما أثبت عن : « صحيح البخاري : ٢٢٧/٤ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٢٢٧/٤ – (٦١) كتاب المناقب – (٢٢) باب خاتم النبوة » .

(٣) « صحيح مسلم : ١٨٢٤/٤ – ١٨٢٥ – (٤٣) كتاب الفضائل – (٣٠) باب إثبات خاتم النبوة وصفته – الحديث : (١١٢) – (٢٣٤٦) » . وفيه : « ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نَاغِضِ كَتِفِهِ اليُسْرى . جُمْعاً عليه خِيلانٌ كَأَمْثَالِ الثآليل .

(٤) « الظِّئْرُ » – بِالْكَسْرِ – : العَاطِفَةُ عَلَى وَلَدِ غَيْرِهَا المُرْضِعَةُ لَهُ ، فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ ، فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ المُرْضِعَةِ ، لأَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى .

الأنساب القحطانية

ملاحظة : الأرقام تدل على الطبقة في المحور العمودي ، والحروف الأبجدية في المحور الأفقي تدل على العمــود في شجرة الأنساب القحطانيـة نقلاً عن كتاب : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة الملحقة في آخر الكتاب لجامعها الدكتور محمد حميد الله » .

رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ « بُصْرَىٰ » مِنْ أَرْضِ « الشَّامِ »] [1] .

(خروجُ « آمنة » بالرسول ـ ﷺ ـ إلى « المدينة » لزيارة أخوال جدّه)

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مَوْلِدِهِ ـ ﷺ ـ خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » لِتُزِيرَهُ [2] أَخْوَالَ جَدِّهِ « عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » وَهُمْ « بَنُو [3] عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ » ، مِنَ « الْخَزْرَجِ » وَأَقَامَتْ بِهِ شَهْراً » [4] .

(تعلّمُهُ ﷺ العَوْمَ في بئرِ « بني عديّ بن النّجّار »)

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « أَحْسَنْتُ السِّبَاحَةَ فِي « بِئْرِ بَنِي عَدِيِّ ابْنِ النَّجَّارِ » مِنْ يَوْمِئِذٍ » [5] .

---

(١) أثبَتْنَا في المتن النص الوارد في « سيرة ابن هشام : ١٦٥/١ » وهذا نص الأصل :
قَالَ ابن إسحاق : فَتَخَوَّفَتْ عَلَيْهِ حَلِيمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَدَّتْهُ إلى أُمِّهِ ، فَقَالَتْ لَهَا : مَا أَقْدَمَكِ بِهِ يَا ظِئْر ! وَقَدْ كُنْتِ حَرِيصَةً عَلَيْهِ ؟ فَأَخْبَرَتْهَا ، قَالَتْ : أَتَخَوَّفْتِ عَلَيْهِ ؟ واللهِ ! مَا للشَّيْطَانِ عَلَى ابْنِي هَذَا مِنْ سَبِيلٍ ، وَإِنَّ لَهُ لَشَأْناً ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ « قُصُورَ بُصْرَى » مِنْ « أَرْضِ الشَّامِ » .

(٢) الأصل : لتزوره .

(٣) الأصل : وهم بني عدي .

(٤) انظر : « سيرة « ابن هشام » : ١٦٨/١ » و « نهاية الأرب : ٨٧/١٦ » .

(٥) انظر : « نهاية الأرب : ٨٧/١٦ » .

ـ(تعرّفُ « اليهُودِ » على عَلامَاتِ النُّبُوّةِ في « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ)ـ

وَكَانَ « يَهُودُ الْمَدِينَةِ » يَوْمَئِذٍ يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ وَيَتَعَرَّفُونَ فِيهِ « عَلَامَاتِ النُّبُـــوَّةِ »(١) .

ـ(موتُ أُمّهِ ــ ﷺ ــ آمِنَةَ في « الأَبْوَاء »)ـ

ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ فَمَاتَتْ « بِالْأَبْوَاءِ » ــ بِالْمُوَحَّدَةِ ــ وَهُوَ مَكَانٌ بَيْنَ « مَكَّةَ » وَ « الْمَدِينَةِ » ــ وَبَقِيَ « بِالْأَبْوَاءِ » حَتَّىٰ انْتَهَىٰ الْخَبَرُ إِلَىٰ « مَكَّةَ » فَجَاءَتْهُ حَاضِنَتُهُ « أُمُّ أَيْمَنَ »(٢) مَوْلَاةُ أَبِيهِ « عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » وَ « أُمُّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ » فَاحْتَمَلَتْهُ .

ـ(مَوْتُ عبدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ والِدِ « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ)ـ

وَالصَّحِيحُ أَنَّ أَبَاهُ « عَبْدَ اللهِ » مَاتَ وَهُوَ حَمْلٌ(٣) .

---

(١) انظر : « نهاية الأرب : ٨٧/١٦ » .

(٢) « أم أيمن » : هي « بركة الحبشية » قدمت مع « حبيبة » من « الحبشة » . « تجريد أسماء الصحابة : ٢٥١/٢ » ؛ وانظر : « السيرة الحلبية : ١٧٢/١ » .

(٣) جاء في « تاريخ الإسلام ــ للذهبي ــ : ٢٢/٢ » : « تُوُفِّيَ « عَبْدُ اللهِ » أَبُوهُ وَلِلنَّبِيِّ ــ ﷺ ــ ثَمانِيَةٌ وَعِشْرُونَ شَهْراً ، وقيلَ : أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ : وَهُوَ حَمْلٌ » .
وانظر أيضاً ما جَاءَ في : « طَبَقَات ابن سعد : ٣٠/١ ــ ٣١ » و « الرَّوْضُ الأُنُفُ : ١٦٠/٢ » وَقَدْ جَاءَ فيه : « وَذُكِرَ أَنَّهُ مَاتَ أَبُوهُ ، وَهُوَ حَمْلٌ ، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَهْدِ ، ذَكَرَهُ « الدُّولَابِيُّ » وَغَيْرُهُ ، قِيلَ : ابْنُ شَهْرَيْنِ » ــ ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ [زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ] ، وَقِيلَ : أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ

—(نَسَبُ « آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ »)—

وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ « آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ ابْنِ مُرَّةَ (١) » ، وَكَانَتْ سَيِّدَةَ قَوْمِهَا « بَنِي زُهْرَةَ » وَكَانَ أَبُوهَا سَيِّدَهُمْ ، وَلَمْ يَلِدْ ، أَعْنِي أَبَوَيْهِ ، غَيْرَهُ — ﷺ — .

فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ

—(في إِحْيَاءِ وَالِدَيْهِ لَهُ — ﷺ —)—

قَالَ « الْقُرْطُبِيُّ »(٢) فِي « تَذْكِرَتِهِ » : « جَزَمَ (٣) [أَبُو بَكْرٍ] (٤) الْخَطِيبُ فِي كِتَابِهِ : « السَّابِقُ وَاللَّاحِقُ » وَالْحَافِظُ « أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ شَاهِينٍ » فِي كِتَابِهِ : « النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ » أَنَّهُ — ﷺ — قَالَ فِي « حَجَّةِ الْوَدَاعِ » : « ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمِّي ، فَسَأَلْتُ « اللهَ » أَنْ يُحْيِيَهَا لِي ، فَأَحْيَاهَا ، فَآمَنَتْ بِي » (٥) .

---

(١) وذكرَ « ابْنُ هِشَامٍ » تَتِمَّةَ نَسَبِهَا : « ابْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ » « سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ : ١٥٦/١ » .

(٢) هو مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنُ أَبِي بَكْرِ بنِ فَرْحٍ الأَنْصَارِيُّ الأندلسيُّ المُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٧١هـ) « كشف الظنون : ٣٩٠/١ » و « الأعلام : ٣٢٢/٥ » .

(٣) الأصل : خرح .

(٤) التكملة عن « الروض الأنف : ١٨٧/٢ » .

(٥) علَّق المرحوم عبد الرحمن الوكيل محقق كتاب « الرَّوض الأنف » بالقول : « قَالَ ابن كثير في « البداية » عن حديث ابن أبي الزناد : « منكر جداً » . انظر : « الروض الأنف : ١٨٨/٢ — الحاشية (١) — » .

وَكَذَا ذَكَرَهُ « السُّهَيْلِيُّ » (١) فِي « الرَّوْضِ الْأُنُفِ » أَنَّ مِنْ خَصَائِصِهِ - ﷺ - أَنَّ اللهَ أَحْيَا لَهُ أَبَوَيْهِ فَآمَنَا بِهِ .

-(زِيَارَةُ « النَّبِيِّ » - ﷺ - قَبْرَ أُمِّهِ)-

قَالَ « الْقُرْطُبِيُّ » : « هَـٰذَا نَاسِخٌ لِمَا فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » (٢) أَنَّ « النَّبِيَّ » - ﷺ - زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ وَقَالَ : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا ، فَأَذِنَ لِي (٣) ، فَاسْتَأْذَنْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا ، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي » (٤) .

---

(١) ذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ في « الرَّوْضِ الأُنُف : ١٨٧/٢ » : « وَرُوِيَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَعَلَّهُ أَنْ يَصح . وَجَدْتُهُ بِخَطِّ جَدِّي أَبِي عِمْرَانَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الحَسَنِ القَاضِي - رَحِمَهُ اللهُ - بِسَنَدٍ فِيهِ مَجْهُولُونَ ، ذَكَرَ أَنَّهُ نَقَلَهُ مِنْ كِتَابِ انْتُسِخَ مِنْ كِتَابِ مُعَوِّذِ بنِ دَاوُدَ بْنِ مُعَوِّذِ الزَّاهِدِ يَرْفَعُهُ إلى [عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ] أَبِي الزِّنَادِ عَنْ [هِشَامِ بْنِ] عُرْوَةَ عَنْ [أَبِيهِ عَنْ] عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عنها - أُخْبِرْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُحيِيَ أَبَوَيْهِ ، فَأَحْيَاهُمَا لَهُ ، وآمَنَا بِهِ ، ثُمَّ أَمَاتَهُمَا ، وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ تَعْجَزُ رَحْمَتُهُ وَقُدْرَتُهُ عَنْ شَيْءٍ . وَنَبِيُّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَهْلٌ أَنْ يُخصَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُنْعِمَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ من كَرَامَتِهِ - صلوات الله عليه وسلم - » .

(٢) حديثُ مسلم المنوه عنه : عن أبي هُرَيرة ؛ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي . وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لي » . « صحيح مسلم : ٦٧١/٢ - (١١) كتاب الجنائز - (٣٦) باب استئذان النبي - ﷺ - ربه عزَّ وجَلَّ في زِيَارَةِ قبرِ أُمِّهِ - الحديث : ١٠٥ - (٩٧٦) » .

(٣) انظر : « نهاية الأرب : ٨٧/١٦ » .

(٤) « صحيح مسلم : ٦٧١/٢ - (١١) كتاب الجنائز (٣٦) باب استئذان النبي - ﷺ - في زيارة قبر أمه - الحديث رقم : ١٠٥ - (٩٧٦) » وهذا نص « مسلم » : « اسْتَأْذَنْتُ ربي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لي وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قبرَهَا فَأَذِنَ لي » . ويلاحظ أنَّ النصَّ الذي أوردَهُ المؤلِّفُ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ في مَتْنِ الحَدِيثِ .

قَالَ « الْقُرْطُبِيُّ » : فَإِيمَانُهُمَا بِهِ بَعْدَ الرَّجْعَةِ يَنْفَعُهُمَا كَرَامَةً لَهُ ـ ﷺ ـ كَمَا وَقَعَتْ صَلاَةُ « سُلَيْمَانَ » ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ إِذْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ بَعْدَ غُرُوبِهَا كَرَامَةً [لَهُ] [١] ، وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُكْرِمُ بِكَرَامَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .

(تَهْنِئَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَيْفَ بْنَ ذِي يَزَنِ الْحِمْيَرِيِّ)

[٦٤ و] / وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَفَدَ جَدُّهُ [٢] « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » عَلَىٰ « سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنِ الْحِمْيَرِيِّ » لِتَهْنِئَتِهِ بِأَخْذِهِ « صَنْعَاءَ » وَبِظَفَرِهِ « بِالْحَبَشَةِ » فَأَكْرَمَهُ وَأَخْبَرَهُ هُوَ وَالْكُهَّانُ الْوَافِدُونَ عَلَيْهِ بِنُبُوَّةِ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ وَأَنَّهُ أَبُوهُ وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ .

(وَفَاةُ جَدِّهِ عبد المطلب وكفالَةُ عَمِّهِ أبي طالب لَهُ)

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ تُوُفِّيَ جَدُّهُ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » وَكَفَلَهُ عَمُّهُ « أَبُوطَالِبٍ » وَاسْمُهُ « عَبْدُ مَنَافٍ » لِأَنَّهُ شَقِيقُ أَبِيهِ « عَبْدِ اللهِ » ، فَأَحْسَنَ كَفَالَتَهُ ، وَتَعَرَّفَ مِنْهُ الْيُمْنَ وَالْبَرَكَةَ وَدَافَعَ عَنْهُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ . وَكَانَ إِذَا أَكَلَ هُوَ وَأَوْلاَدُهُ فَأَكَلَ مَعَهُمُ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ شَبِعُوا ، وَإِذَا لَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمْ لَمْ يَشْبَعُوا [٣] .

---

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) انظر : ما أَوْرَدَهُ المُؤَلِّفُ آنفاً ص : (٣١) . وَانْظُرِ الخَبَرَ أَيْضاً في : « سُبُلِ الهُدَىٰ وَالرَّشَادِ : ١٤٦/١ » .

(٣) انظر : « وفاة عبد المطلب » في « سيرة ابن هشام : ١٦٩/١ » و « نهاية الأرب : ١٦/ ٨٩ ــ ٩٠ » .

–(خُرُوجُ «أَبي طالِبٍ» بالنَّبِيِّ – ﷺ – بتِجارَةٍ إلى «الشَّامِ»)–

وَفي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ (١) خَرَجَ « أَبُوطالِبٍ » في تِجارَةٍ إلَىٰ « الشَّامِ » فَلَمَّا بَلَغُوا « بُصْرَىٰ » رَآهُ الرَّاهِبُ « بَحِيرَاءُ » (٢) – بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ ، مَمْدُوداً – فَتَحَقَّقَ فِيهِ صِفَاتِ النُّبُوَّةِ ، فَأَمَرَ « أَبَا طَالِبٍ » أَنْ يَرُدَّهُ إلَىٰ « مَكَّةَ » خَوْفاً عَلَيْهِ مِنَ « الْيَهُودِ » وَ « النَّصَارَىٰ » فَرَجَعَ بِهِ . وَرَوَىٰ « التِّرْمِذِيُّ » في « جَامِعِهِ » أَنَّ نَفَراً مِنَ « الرُّومِ » أَرَادُوا بِهِ سُوءًا فَمَنَعَهُمْ « بَحِيرَاءُ » الرَّاهِبُ وَذَكَّرَهُمُ « اللهَ » وَقَالَ : « أَفَرَأَيْتُمْ أَمْراً أَرَادَ « اللهُ » أَنْ يَقْضِيَهُ أَيَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَرُدَّهُ ؟ » قَالُوا : « لَا » (٣) ، وَانْصَرَفُوا عَنْهُ » .

–(« حَرْبُ الْفِجَارِ » بَيْنَ « قُرَيْشٍ » وَ « هَوَازِنَ »)–

وَفي [السَّنَةِ] (٤) الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ (٥) كَانَتْ « حَرْبُ الْفِجَارِ » (٦) – بِكَسْرِ الْفَاءِ ، وَبِجِيمٍ – بَيْنَ « قُرَيْشٍ » وَ « هَوَازِنَ » . وَسُمِّيَتْ بِذٰلِكَ

---

(١) الأصل : الثانية عشر .

(٢) انظر : خبر الراهب بحيراء في : « نهاية الأرب : ١٦/٩٠ – ٩٢ » .

(٣) « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ : ٥/٢٥٠ – ٢٥١ – أبواب المناقب – (٢٤) باب ما جاء في بَدْءِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ – ﷺ – الحديث رقم : (٣٦٩٩) والحديث مَرْوِيٌّ بمعناه في نَصِّ المؤلِّف » .

(٤) التكملة : يقتضيها السياق .

(٥) الأصل : الرابعة عشر .

(٦) « حَرْبُ الْفِجَارِ » : انظر ما جاءَ في هَٰذِهِ الحرب في « طبقات ابن سعد : ١/١/٨٢ » ، و « الرَّوْضُ الأُنُفِ : ٢/٧١ » و « الأغاني : ١٧ : ٢٨٧ – ٣٠١ » .

لِوُقُوعِهَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . وَتَطَاوَلَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ « لِهَوَازِنَ » عَلَىٰ « قُرَيْشٍ » حَتَّىٰ شَهِدَهَا ـ ﷺ ـ يَوْماً مَعَ قَوْمِهِ فَانْقَلَبَتِ الدَّائِرَةُ لَهُمْ عَلَىٰ « هَوَازِنَ » .

ـ(«حِلْفُ الفُضُولِ» لِنُصْرَةِ المَظْلُومِ)ـ

ثُمَّ عَقَدَتْ « قُرَيْشٌ » « حِلْفَ الْفُضُولِ » [1] لِنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ فَشَهِدَهَا [2] ـ ﷺ ـ وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ رَجُلاً قَدِمَ « مَكَّةَ » بِمَتَاعٍ ، فَابْتَاعَهُ مِنْهُ « الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ » ، وَظَلَمَهُ الثَّمَنَ ، فَشَكَاهُ ، فَلَمْ يُنْصِفْهُ أَحَدٌ ، فَأَوْفَىٰ عَلَىٰ « جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ » ، وَأَنْشَدَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ
بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ [3]
يَا لَلرِّجَالِ ! وَ[4]بَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ [5]

---

(١) « قِيلَ : « إِنَّمَا سُمِّيَ حِلْفَ الْفُضُولِ لأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا فُضُولَ أَمْوَالِهِمْ لِلأَضْيَافِ » ، « سُبُلُ الهُدَىٰ وَالرَّشَاد : ٢/٢١٠ » . وانظر : « حِلْفَ الفُضُول » في « طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ : ١/٨٢ » و « سُبُلِ الهُدَىٰ وَالرَّشَاد : ٢/٢٠٨ » ، و « الرَّوْضِ الأُنُف : ٢/٦٣ و ٧٠٠ » و « الأغاني : ١٧/٢٧٨ » ، و « سيرة ابن هشام : ١/١٣٣ » .

(٢) الأصل : فَشَهِدَهُمْ .

(٣) ساقِطَةٌ في متن الأصل ومستدركة في الهامش .

(٤) الواو ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « الروض الأُنُف : ٢/٧٢ » .

(٥) وجاء في « الروض الأنف : ٢/٧٢ » نقلاً عن « تجريد الأغاني » :

إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الغُدُرِ
أَقَائِمٌ مِنْ «بَنِي سَهْمٍ» بِذِمَّتِهِمْ ... أَمْ ذَاهِبٌ فِي ضَلالٍ مَالُ مُعْتَمِرِ

فَقَالَ « الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ » . « وَاللهِ ! لَا صَبْرَ عَلَىٰ هٰذَا الْأَمْرِ ، فَجَمَعَ « بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ » وَ« بَنِي زُهْرَةَ » وَ« بَنِي أَسَدٍ » وَ « تَيْماً » (١) فِي « دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ التَّيْمِيِّ » ، وَقَدْ صَنَعَ لَهُمْ [« عَبْدُ اللهِ ابْنُ] (٢) جُدْعَانَ » طَعَامًا ، فَتَحَالَفُوا لَيَكُونُنَّ عَوْناً لِلْمَظْلُومِ عَلَىٰ الظَّالِمِ . ثُمَّ أَتَوْا « الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ » فَانْتَزَعُوا سِلْعَةَ الرَّجُلِ مِنْهُ قَهْراً .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ قَالَ : « شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي فِي « دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ » مِنْ « حِلْفِ الْفُضُولِ » أَمَا لَوْ دُعِيتُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ » (٣) .

ـ(خُرُوجُهُ ـ ﷺ ـ مَعَ «مَيْسَرَةَ» غُلامِ «خديجةَ» إلى الشَّامِ)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ خَرَجَ ـ ﷺ ـ مَعَ « مَيْسَرَةَ » ، « غُلَامِ خَدِيجَةَ » فِي تِجَارَةٍ لَهَا بِأُجْرَةٍ ، فَرَبِحَا أَضْعَافَ مَا رَبِحَ النَّاسُ ، فَلَمَّا

---

(١) الأصل : سما .

(٢) التكملة يقتضيها النص .

(٣) رَوَى الْحُمَيْدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ ،وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ « عَبْدِ اللهِ ابْنِ جُدْعَانَ » حِلْفاً لَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ ، تَحَالَفُوا أَنْ يَرُدُّوا الفُضُولَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَلَا يَعُزَّ ظَالِمٌ عَلَى مَظْلُومٍ » .

قُلْتُ : الظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ : « تَحَالَفُوا إِلَى آخِرِهِ ـ مُدْرَجٌ مِنْ بَعْضِ رُوَاتِهِ وَلَيْسَ بِمَرْفُوعٍ ، فَلَا دَلَالَةَ حِينَئِذٍ فِيهِ » .

« سُبُلُ الهُدَى وَالرَّشَادِ : ٢٠٩/٢ » و « سيرةُ ابنِ هِشَامٍ : ١٣٣/١ » .

رَجَعَا أَضْعَفَتْ لَهُ « خَدِيجَةُ » الْأُجْرَةَ [١] ، وَشَاهَدَ مِنْهُ « مَيْسَرَةُ » فِي تِلْكَ السَّفْرَةِ أَنْوَاعاً مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ ، مِنْهَا : أَنَّهُ كَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ ظَلَّلَتْهُ [٦٤ ظ] / غَمَامَةٌ تَسِيرُ بِسَيْرِهِ [٢] وَتَقِفُ بِوُقُوفِهِ [٣] .

فَائِدَة

(في تَظْلِيلِهِ ـ ﷺ ـ بِالْغَمَامِ)

الظَّاهِرُ أَنَّ تَظْلِيلَهُ [٤] بِالْغَمَامِ كَانَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ فِي « حَدِيثِ الْهِجْرَةِ » أَنَّ « أَبَا بَكْرٍ » ظَلَّلَهُ بِثَوْبٍ . وَفِي « قِصَّةِ غَوْرَثٍ » [٥] كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا شَجَرَةً ظَلِيلَةً تَرَكْنَاهَا « لِرَسُولِ « اللهِ » ـ ﷺ ـ .

(مُرُورُهُ ـ ﷺ ـ بِالرَّاهِبِ « نَسْطُورَ » فِي طَرِيقِهِ إِلَى « الشَّامِ »)

وَمِنْهَا : أَنَّهُمْ مَرُّوا بِرَاهِبٍ يُقَالُ لَهُ « نَسْطُورُ » ـ بِفَتْحِ النُّونِ ـ فَقَالَ « لِمَيْسَرَةَ » : « مَنْ هَٰذَا الْفَتَىٰ ؟ » فَقَالَ : « هُوَ مِنْ « مَكَّةَ » مِنْ أَهْلِ « الْحَرَمِ » . فَقَالَ : « أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ [٦] .

---

(١) انظر الخبر في « طبقات ابن سعد : ٨٢/١ ـ ٨٣ » و « عيون الأثر : ٦١/١ » ، و « سيرة ابن هشام ١٨٨/١ » .

(٢) غمامة تسير بسيره : هذا الجزء من النص أكلته الأرض في الأصل .

(٣) انظر الخبر في « سيرة ابن هشام : ١٨٨/١ » و « عيون الأثر : ٦١/١ ـ ٦٢ » ، و « نهاية الأرب : ٨٥/١٦ » .

(٤) الظاهر أن تظليله : هذا الجزء من النص أكلته الأرض في الأصل .

(٥) انظر قصة « غَوْرَث » في « الشفا : ٢٢٨/١ ـ ٢٢٩ » .

(٦) انظر هذا الخبر في « سيرة ابن هشام : ١٨٨/١ » .

–(خِطْبَةُ « خَدِيجَةَ » لرسُولِ اللهِ – ﷺ – وزَوَاجُهُ منْهَا)–

وَمِنْهَــا : مَا شَاهَدَ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ وَخُلُقِهِ الْعَظِيمِ ، فَأَخْبَرَ « مَيْسَرَةُ » « خَدِيجَةَ » بِمَا شَاهَدَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ – ﷺ – وَخُلُقِهِ وَبَرَكَتِهِ ، فَخَطَبَتْــهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا ، وَهْيَ « خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قُصَيٍّ » وَكَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ [1] نِسَاءِ « قُرَيْشٍ » حَسَباً وَنَسَباً وَجَمَالًا وَمَالًا . وَقَــدْ كَانَ كُلٌّ مِنْ قَوْمِهَا حَرِيصًا عَلَىٰ نِكَاحِهَا ، فَأَكْرَمَهَا « اللهُ » بِأَكْرَمِ الْخَلْقِ عَلَىٰ « اللهِ » لِمَا سَبَقَ لَهَا فِي الْأَزَلِ مِنَ الْكَرَامَةِ فَنَكَحَهَا ، [2] ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، عَشْراً بَعْدَ « الْمَبْعَثِ » وَخَمْسَ عَشْرَةَ قَبْلَــهُ ، وَكَانَتْ لَهُ عَوْنًا عَلَىٰ الْحَقِّ ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَهِيَ أُمُّ أَوْلَادِهِ كُلِّهِمْ : « الْقَاسِمُ » وَ « عَبْدُ اللهِ الطَّاهِرُ » و « رُقَيَّةُ » وَ « زَيْنَبُ » وَ « أُمُّ كُلْثُومٍ » و « فَاطِمَةُ » إِلَّا « إِبْرَاهِيمَ » فَإِنَّ أُمَّهُ « مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّــةُ » .

---

(١) في الأصل : فضل نساء .

(٢) انظر خبر تزويج رسول الله – ﷺ – في : « طبقات ابن سعد : ٨٤/١ » و « سيرة ابن هشام : ١٨٧/١ » و « عيون الأثر : ٦٢/١ – ٦٤ » .

—(مَا وَرَدَ في الحَديثِ النَّبَوِيِّ في مَدْحِ «خديجة» — رضيَ اللهُ عنها —)—

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ — ﷺ — قَالَ : « خَيْرُ نِسَائِهَا « مَرْيَمُ » ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا « خَدِيجَةُ » [1] . « مَرْيَمُ » خَيْرُ نِسَاءِ زَمَانِهَا ، و « خَدِيجَةُ » خَيْرُ نِسَاءِ زَمَانِهَا . وَأَنَّهُ — ﷺ — قَالَ : « أَتَانِي « جِبْرِيلُ » فَقَالَ : « هَٰذِهِ « خَدِيجَةُ » فَإِذَا أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ — أَيْ : لُؤْلُؤٍ مُجَوَّفٍ — لَا نَصَبَ فِيهِ — أَي : تَعَبٍ — وَلَا صَخَبَ » [2] — أَيْ : صُرَاخَ — زَادَ « الطَّبَرَانِيُّ » أَنَّهَا قَالَتْ : « هُوَ السَّلَامُ وَمِنْهُ السَّلَامُ ، وَعَلَىٰ « جِبْرِيلَ » السَّلَامُ » .

فَائِدَة

—(في المُفَاضَلَةِ بينَ « خَديجةَ » و « عائِشَةَ » — رضيَ اللهُ عنهما —)—

احْتَجَّ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ تَفْضِيلِ « خَدِيجَةَ » عَلَىٰ « عَائِشَةَ » — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — مِنْ حَيْثُ أَنَّ « جِبْرِيلَ » أَقْرَأَ « خَدِيجَةَ »

---

(١) « صحيح البخاري : ٥/٤٧ — (٦٣) مناقب الأنصار — (٢٠) باب تزويج النبي — ﷺ — «خديجة» و « صحيح مسلم : ٤/١٨٨٦ — (٤٤) كتاب فضائل الصحابة — (١٢) باب فضائل خديجة أم المؤمنين — الحديث رقم : ٦٩ — (٢٤٣٠) » . وفيه : « خَيْرُ نِسَائِهَا مريمُ بنتُ عمرانَ ، وخيرُ نسائها خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٣/٧ — ٨ — (٢٦) كتاب العمرة — (١١) باب متى يَحِلُّ المعتمر » ، و « صحيح البخاري : ٥/٤٨ — (٦٣) كتاب مناقب الأنصار — (٢٠) باب تزويج النبي — ﷺ — خديجة وفضلها — رضي الله عنها — » .

السَّلَامَ عَنِ « اللهِ » وَعَنْ نَفْسِهِ ، وَبِقَوْلِهِ ـ ﷺ ـ لَمَّا قَالَتْ « عَائِشَةُ » : « قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْراً مِنْهَا »(١) « مَا أَبْدَلَنِي خَيْراً مِنْهَا ، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ »(٢) . وَأُجِيبَ عَنِ الْأَوَّلِ : بِأَنَّ تَسْلِيمَ « اللهِ » عَلَىٰ « خَدِيجَةَ » لَا يَقْتَضِي تَفْضِيلَهَا كَمَا لَا يَقْتَضِي تَسْلِيمُهُ عَلَىٰ « إِبْرَاهِيمَ » وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَفْضِيلَهُمْ عَلَىٰ « مُحَمَّدٍ » الَّذِي أَمَرَ « اللهُ » أُمَّتَهُ بِالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ. وَعَنِ الثَّانِي : بِأَنَّ مُرَادَ « عَائِشَةَ » خَيْراً فِي السِّنِّ كَمَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَابَلَ ذٰلِكَ ـ ﷺ ـ بِخَيْرَتِهِ « خَدِيجَةَ » فِي الدِّينِ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ حَدَاثَةِ السِّنِّ . وَ « اللهُ » أَعْلَمُ .

ـ(بِنَاءُ « قُرَيْشٍ » « للكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ »)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ : بَنَتْ « قُرَيْشُ » « الْكَعْبَةَ »(٣) قَسَمَتْهَا أَرْبَاعاً ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَىٰ مَوْضِعِ « الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ » تَنَازَعَتِ الْقَبَائِلُ أَيُّهَا يَضَعُهُ مَوْضِعَهُ حَتَّىٰ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يُحَكِّمُوا

(١) « صحيح البخاري : ٤٩/٥ ـ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار ـ (٢٠) باب تزويج النبي ـ ﷺ ـ خديجة وفضلها ـ رضي الله عنها ـ » .

(٢) «مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١١٨/٦ » وَهذا نصُّهُ : « مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ خَيْراً مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ » .

(٣) انظر : « سيرة ابن هشام : ١٩٢/١ » حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ـ ﷺ ـ بين قريش في وضع الحجر . و « طبقات ابن سعد : ٩٣/١ ـ ٩٥ » .
وانظر : « سُبُل الهدى والرَّشاد : ١٧٠/١ ـ ١٨٥ » في عدد المرَّات التي بنيها البيت .
وانظر : « أخبار مكة ـ للأزرقي ـ : ٤/١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ » .

أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ مِنْ « بَنِي هَاشِمٍ » فَكَانَ - ﷺ - هُوَ أَوَّلَ دَاخِلٍ، فَقَالُوا : « هٰذَا مُحَمَّدٌ »، هٰذَا الصَّادِقُ الأَمِينُ، رَضِينَا بِهِ، فَحَكَّمُوهُ، فَبَسَطَ - ﷺ - رِدَاءَهُ، وَوَضَعَ « الْحَجَرَ » فِيهِ، وَأَمَرَ أَرْبَعَةً مِنْ رُؤَسَاءِ [٦٥ و] الْقَبَائِلِ / الْأَرْبَعِ أَنْ يَأْخُذُوا بِأَرْبَاعِ الثَّوْبِ، وَرَفَعُوهُ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ، فَتَنَاوَلَهُ - ﷺ - بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ .

ـ(ما جاءَ في الحَديثِ النَّبَوِيِّ في مُشاركتِه - ﷺ - هُوَ وعَمُّهُ «العَبَّاس» في)ـ
ـ(نقلِ الحِجارَةِ في بِناءِ « الكَعْبَةِ »)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ - ﷺ - حَضَرَ يَوْماً فِي بِنَاءِ « الْكَعْبَةِ »، « فَذَهَبَ هُوَ وَعَمُّهُ « الْعَبَّاسُ » يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ « الْعَبَّاسُ » لِلنَّبِيِّ - ﷺ - : « اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَىٰ رَقَبَتِكَ، فَفَعَلَ، فَخَرَّ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ : « أَرِنِي [١] إِزَارِي فَشَدَّهُ عَلَيْهِ » [٢] .

ـ(تَرادُفُ عَلاماتِ النُّبُوَّةِ عليْهِ - ﷺ -)ـ

وَفِي الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ : تَرَادَفَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ نُبُوَّتِهِ - ﷺ - وَتَحَدَّثَ بِهَا الرُّهْبَانُ وَالْكُهَّانُ .

---

(١) في « اللسان » : « أَرِنِي » أَرِنِي الشَّيْءَ : عاطِنيه . وفي هامش « البخاري » من تقريرات « القسطلاني » قوله : « أَرِنِي » بكسر الراء وسكونها - أي : أعطني لأنّ الإراءة من لازمها الإعطاء » . « البخاري - حاشية السندي : ١٨١/١ » .

(٢) « صحيح البخاري : ١٧٩/٢ - (٢٥) كتاب الحج - (٤٢) باب فضل مكة وبنيانها » . و « صحيح مسلم : ٢٦٧/١ - ٢٦٨ -(٣) كتاب الحيض(١٩) باب الاعتناء بحفظ العورة - الحديث رقم : ٧٦ - (٣٤٠) » .

-(خلوته - ﷺ - بغار « حراء »)-

وَفِي التَّاسِعَةِ وَالثَّلاثِينَ : حُبِّبَتْ إِلَيْهِ الْخَلْوَةُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ « حِرَاءٍ » أَيَّاماً بَعْدَ أَيَّامٍ ، يَتَزَوَّدُ لَهَا ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ يَرَىٰ أَنْوَاراً وَيَسْمَعُ أَصْــوَاتًا .

-(مبعثه - ﷺ -)-

وَفِي السَّنَةِ الْأَرْبَعِينَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، كَانَ وَحْيُهُ - ﷺ - مَنَاماً ، وَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ - أَيْ : مِثْلَ الصُّبْحِ الْمَفْلُوقِ أَيْ: الْمُنْشَقِّ ، وَمِنْهُ ﴿ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [1] وَكَانَتِ الْأَحْجَارُ وَالْأَشْجَارُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالرِّسَالَةِ .

وَفِي « الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ » أَنَّهُ - ﷺ - قَالَ : « رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ » [2] .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : لِأَنَّ مُدَّةَ النُّبُوَّةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَنِصْفُ السَّنَةِ مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا .

---

(١) « سورة الفلق : ١١٣/١ - ك - » .

(٢) « صحيح مُسْلِمٍ : ١٧٧٤/٤ - (٤٢) كتاب الرُّؤْيَا - الحديث رقم : ٧ - (٢٢٦٤) » ، وانظر ما جاء في شرح هذا الحديث في كتاب الأستاذ محمد عبد الله دراز « المختار : ١٠ » .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ « صَاحِبِ الْبُرْدَةِ » ـ رَحِمَهُ « اللهُ » تَعَالَىٰ ـ فِيهَا :

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ
يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُ ... قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ
وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَىٰ وَهْوَ مُنْصَدِعٌ ... كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَىٰ غَيْرَ مُلْتَئِمِ
وَالنَّارُ خَامِدَةُ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ ... عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ
وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي
كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ ... حُزْناً وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ
وَالْجِنُّ تَهْتِفُ، وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَىٰ وَمِنْ كَلِمِ
عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ ... تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْأَسْرَارِ لَمْ تُشَمِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ ... بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ
وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وِفْقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ
حَتَّىٰ غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ
لَا تُنْكِرُ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ ... قَلْباً إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ
وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ ... فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ
تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ ... وَلَا نَبِيٌّ عَلَىٰ غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ (١)



(١) « ديوان البوصيري : ٢٤٣ ـ ٢٤٤ » .

البابُ الخامسُ

في إثباتِ أنَّ دينهُ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - ناسخٌ لكلِّ دينٍ وأنَّهُ خاتمُ النَّبيّينَ، وعمومِ رسالتهِ إلى النَّاسِ أجمعينَ وتفضيله على جميعِ النَّبيّينَ والمرسلينَ

ـ(إثبَـاتُ النُّبُوَّةِ)ـ

اِعْلَمْ أَنَّ إِثْبَاتَ النُّبُوَّةِ هُوَ الشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ التَّوْحِيدِ . فَإِنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « مَبْنَىٰ الْإِيمَانِ عَلَىٰ قَوْلِ : « لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ » ، وَهُوَ شَطْرٌ ـ أَيْ : نِصْفٌ ـ وَالشَّطْرُ الثَّانِي : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » (١) . وَقَدْ ذَكَرْنَا نُبَذاً مِنْ مَبَادِيءِ نُبُوَّتِهِ ـ ﷺ ـ قَبْلَ الْبِعْثَةِ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ الَّتِي يَتَذَكَّرُ بِهَا مَنْ يَخْشَىٰ ، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَىٰ (٢) .

وَسَنَذْكُرُ أَيْضاً فِي « الْبَابِ السَّادِسِ » بَعْدَ هٰذَا مُعْجِزَاتِهِ ـ ﷺ ـ الْبَالِغَةَ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ (٣) الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمٰنًا ﴾ (٤) ، وَلٰكِنَّ التَّذْكِيرَ وَالتَّبْشِيرَ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ يُقَدَّرُ فِي قَلْبِهِ التَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِرِسَالَتِهِ ـ ﷺ ـ .

وَأَما الْمُنْكِرُ الْجَاحِدُ لَهَا فَلَا يَدْحَضُ حُجَّتَهُ وَ [لَا] (٥) يُبْطِلُ شُبْهَتَهُ إِلَّا الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ الْقَاطِعَةُ لِحُجَّتِهِ ، الْمُبْطِلَةُ لِشُبْهَتِهِ . فَنَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّمْهِيدِ وَالتَّحْقِيقِ :

---

(١) « صحيح البخاري : ٩/١ ـ (٢) كتابُ الإيمان ـ (٢) باب دُعاؤكُمْ إيمانكم » .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ « سورة الأعلى : ١٠/٨٧ و ١١ ـ ك ـ » .

(٣) الأصل : ما يستيقن .

(٤) « سورة المدثر : ٣١/٧٤ ـ ك ـ » .

(٥) التكملة يقتضيها السياق .

فِي إِدْرَاكِ النُّبُوَّةِ [عَنْ] (١) طَرِيقِ الذَّوْقِ ، ثُمَّ بَيَانِ أَصْلِهَا ، ثُمَّ أَمَاكِنِهَا ، ثُمَّ وُجُودِهَا ، ثُمَّ صِحَّتِهَـــا .

ـ(الذَّوْقُ طَرِيقُ إِدْرَاكِ النُّبُوَّةِ)ـ

أَمَّا طَرِيقُ الذَّوْقِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بِالذَّوْقِ شَيْئاً مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِحَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ مَنْ لَمْ يَذُقْ شَيْئاً مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ أَهْلِ اللهِ ، وَأَوْلِيَاءِ اللهِ ، بِرِيَاضَةِ الْأَنْفُسِ وَتَزْكِيَتِهَا ، وَتَصْفِيَةِ (٢) الْقُلُوبِ ، وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ ، لِأَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ التَّحْقِيقِ بِدَايَاتُ الْأَنْبِيَاءِ . وَقَدْ كَانَ ذٰلِكَ أَوَّلَ حَالِ نَبِيِّنَا ـ ﷺ ـ حَيْثُ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي « حِرَاءٍ » وَكَانَ يُؤْثِرُ الْعُزْلَةَ لِلْخَلْوَةِ بِرَبِّهِ ، وَالتَّجَرُّدِ وَالتَّبَتُّلِ ـ وَهْوَ الْانْقِطَاعُ عَنِ الْخَلَائِقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ ـ وَهْوَ ذَهَابٌ إِلَىٰ « اللهِ » ـ تَعَالَىٰ ـ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ « الْخَلِيلُ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٣) ـ فَمَنْ مَارَسَ تِلْكَ الطَّرِيقَ اتَّضَحَ لَهُ طَرَفٌ مِنْ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ مَا هِيَ ؟ وَخَاصِّيَّتُهَا بِالْكَشْفِ وَالْعِيَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ هٰذِهِ الرُّتْبَةَ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَىٰ أَصْلِهَا وَإِمْكَانِهَا ، ثُمَّ وُجُودِهَا عُمُوماً ، ثُمَّ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ بِإِقَامَةِ الْبُرْهَانِ لِشِدَّةِ مَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا .

---

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) الأصل : وتصفيت .

(٣) « سورة الصافات : ٣٧/٩٩ ـ ك ـ » .

—(دَليلُ أَصْلِ النُّبُوَّةِ وَمَرَاتِبُ إِدْرَاكِ العِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ)—

أَمَّا دَلِيلُ أَصْلِهَا فَكُلُّ عَاقِلٍ قَاطِعٌ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ أَوَّلُ مَا يُدْرِكُ مِنْ مَرَاتِبِ الْعِلْمِ فِي صِغَرِهِ وَطُفُولِيَّتِهِ الْعِلْمَ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الَّتِي هِيَ : السَّمْعُ ، وَالْبَصَرُ ، وَالشَّمُّ ، وَالذَّوْقُ ، وَاللَّمْسُ . فَيُدْرِكُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ عَالَماً لَا يُدْرِكُهُ بِالْأُخْرَىٰ . وَمَنْ تَعَطَّلَتْ عَلَيْهِ حَاسَّةٌ مِنْهَا كَالْبَصَرِ مَثَلًا ، لَمْ يَدْرِ مَا حَقِيقَةُ الْأَلْوَانِ إِلَّا بِسَمَاعِهَا بِالتَّوَاتُرِ ، فَإِنْكَارُهُ لَهَا مُكَابَرَةُ جَاهِلٍ بِمَا لَمْ يَعْلَمْ ، وَتَكْذِيبٌ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِعِلْمِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ غَيْرُهُ ، فَيَحْتَجُّ عَلَيْهِ الْمُبْصِرُ بِأَنَّ عِنْدَكَ حَاسَّةَ الشَّمِّ وَزَيْدٌ أَخْشَمُ [1] ، لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ رَائِحَةِ الْمِسْكِ وَالْجِيفَةِ ، فَمَاذَا نَقُولُ لَهُ لَوْ زَعَمَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْجِيفَةِ ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ مُكَذِّبٌ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ مِنَ الْمَشْمُومَاتِ فَهُوَ أَيْضاً يَزْعَمُ أَنَّكَ مُكَذِّبٌ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ مِنَ الْأَلْوَانِ الْمُبْصَرَاتِ ، وَلَا يَسَعُكَ إِلَّا أَنْ تُؤْمِنَ لَهُ بِوُجُودِ الْأَلْوَانِ ، وَيُؤْمِنَ لَكَ بِوُجُودِ الْمَشْمُومَاتِ / وَتَنَوُّعِهَا ، وَهٰكَذَا فِي الْمَطْعُومَاتِ ، وَالْمَلْمُوسَاتِ ، [٦٦ و] وَالْمَسْمُوعَاتِ ، وَهٰذَا الْإِدْرَاكُ حَاصِلٌ لِلطِّفْلِ لَا يُدْرِكُ غَيْرَهُ مِنَ الْعَوَالِمِ إِلَىٰ سِنِّ التَّمْيِيزِ [فَقَدْ] [2] خَلَقَ «اللهُ» فِيهِ أُمُوراً عَقْلِيَّةً زَائِدَةً عَلَىٰ تِلْكَ الْحِسِّيَّةِ ، كَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْجَائِزَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ وَالْوَاجِبَاتِ . فَإِذَا قُلْتَ مَثَلًا لِلطِّفْلِ : « رُشَّ هٰذَا الْحَجَرَ لِيَصِيرَ لَيِّناً كَالطِّينِ اعْتَقَدَ جَوَازَ ذٰلِكَ دُونَ

(١) « الأخشم » : من أصابه داء في أنفه فأفسده فصارَ لا يَشَمُّ .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

الْمُمَيِّزِ . وَلَوْ قُلْتَ لِلْمُمَيِّزِ الَّذِي سَقَطَ مِنْ يَدِهِ الْقَدَحُ الَّذِي فِيهِ الشَّرَابُ ، هَٰذَا الْقَدَحُ انْكَسَرَ وَالشَّرَابُ لَمْ يَتَبَدَّدْ ، لَعَلِمَ أَنَّكَ تَهْزَأُ بِهِ ، إِذْ مِنْ لَوَازِمِ انْكِسَارِ الْقَدَحِ تَبَدُّدُ الشَّرَابِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَهَٰكَذَا لَوْ قُلْتَ غَيْرَ ذَٰلِكَ . وَهُوَ فِي هَٰذَا الْعَالَمِ إِلَىٰ أَنْ بَلَغَ سِنَّ التَّكْلِيفِ الَّذِي يَتَحَمَّلُ بِهِ الْأَمَانَةَ الشَّرْعِيَّةَ فَيَكْمُلُ تَمْيِيزُهُ ، بِخَلْقِ « اللهِ » فِيهِ طَوْراً آخَرَ مِنَ الْعَقْلِ بِحَيْثُ يُوثَقُ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَتَطْمَئِنُّ النَّفْسُ لِمُعْظَمِ أَحْوَالِهِ ، وَلَا يَزَالُ يَزْدَادُ بِالتَّجْرِبَةِ عَقْلًا . فَكُلُّ عَقْلٍ يَقْطَعُ بِأَنَّ سِنَّ التَّمْيِيزِ طَوْرٌ [١] وَرَاءَ سِنِّ الطُّفُولِيَّةِ ، وَسِنَّ الْعَقْلِ طَوْرٌ وَرَاءَ سِنِّ التَّمْيِيزِ . وَإِذَا قَطَعَ الْعَاقِلُ بِذَٰلِكَ قُلْنَا لَهُ : لَيْسَ فِي الْعَقْلِ أَيْضاً مَا يُحِيلُ أَنَّ فَوْقَ طَوْرِهِ طَوْراً آخَرَ ، وَفَوْقَ ذَٰلِكَ الطَّوْرِ طَوْراً آخَرَ وَهَلُمَّ جَرّاً . وَكَمَا أَنَّ قُدْرَةَ « اللهِ » صَالِحَةٌ لِأَنْ يَخْلُقَ فِي الْمُمَيِّزِ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ الطِّفْلُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَفِي الْعَاقِلِ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْمُمَيِّزُ فَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ فِي الْعُقَلَاءِ طَوْراً لَا يُدْرِكُهُ الْعُقَلَاءُ مِنَ الاطِّلَاعِ عَلَىٰ الْغَيْبِ ، وَفَتْحِ عَيْنٍ فِي الْقَلْبِ تُسَمَّىٰ « الْبَصِيرَةَ الْبَاطِنَةَ » بِمَثَابَةِ الْبَصَرِ لِعَيْنِ الرَّأْسِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْعَقْلُ عَنْ هَٰذَا الطَّوْرِ مَعْزُولٌ كَعَزْلِ قُوَّةِ الْحَوَاسِّ عَنِ التَّمْيِيزِ وَعَزْلِ [التَّمْيِيزِ][٢] عَنِ الْمَعْقُولَاتِ . فَإِنْكَارُ بَعْضِ الْعُقَلَاءِ لِطَوْرِ النُّبُوَّةِ ، كَإِنْكَارِ الْمُمَيِّزِ لِطَوْرِ الْعَقْلِ ، وَإِنْكَارِ الْأَعْمَىٰ لِلْمُبْصَرَاتِ ، وَالْأَخْشَمِ لِلْمَشْمُومَاتِ ، وَذَٰلِكَ

---

(١) الأصل : اطورا .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

عَيْنُ الْجَهْلِ إذْ لَا مُسْتَنَدَ لَهُ إلَّا أَنَّ هٰذا طَوْرُهُ [ف] لَمْ[١] يَبْلُغْ عَقْلَهُ إدْرَاكاً ، فَنَقُولُ لَهُ : « إنْ لَمْ يُدْرِكْهُ عَقْلُكَ بِمُبَاشَرَةٍ فَلَا يُحِيلُ جَوَازَهُ ، كَمَا لَا يُحِيلُ الْأَعْمَىٰ وُجُودَ الْمُبْصِرَاتِ ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ إنَّ الْحَاسَّةَ الَّتِي تُدْرَكُ بِهَا الْمُبْصَرَاتُ وُجِدَتْ فِي غَيْرِي فَأَدْرَكَهَا ، وَلَمْ تُوجَدْ فِيَّ فَلَمْ أُدْرِكْهَا ، فَحِينَئِذٍ الشَّكُّ فِي النُّبُوَّةِ إمَّا أَنْ يَكُونَ [فِي][٢] إمْكَانِهَا أَوْ فِي وُجُودِهَا فِي الْعَالَمِ [أَوْفِي][٣] وُقُوعِهَا مُطْلَقاً ، أَوْ فِي إثْبَاتِهَا لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ أَمَّا دَلِيلُ إمْكَانِهَا فَظَاهِرٌ مِمَّا يُعْرَفُ مِن [أَنَّ] الْعَقْلَ لَا يُحِيلُ مِنْ أَنْ يَتَرَقَّىٰ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ إلَىٰ طَوْرٍ فَوْقَ طَوْرِ الْعَقْلِ [يَفْتَحُ « اللهُ » لِقَلْبِهِ عَيْناً يُدْرِكُ بِنُورِهَا مَا لَا يُدْرِكُهُ] [٤] طَوْرٌ ، كَمَا يَتَرَقَّىٰ الْمُمَيِّزُ إلَىٰ طَوْرِ الْعَقْلِ ، وَالطِّفْلُ إلَىٰ طَوْرِ التَّمْيِيزِ ، وَكَمَا أَنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمَعْرِفَةَ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ ، وَجَمِيعِ تَكْلِيفَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ ابْتِدَاءً بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ ، ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰئِكَةِ ﴾ [٥] ، وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنٰهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [٦] . و « آدَمُ » نَبِيٌّ ، وَالْعَبْدُ وَلِيٌّ ، وَكِلَاهُمَا اشْتَرَكَا فِي تَعْلِيمِ الْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ / [بِغَيْرِ] [٧] وَاسِطَةٍ . [٦٦ ظ]

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) و (٣) التكملتان يقتضيهما السياق .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في متن الأصل ومستدرك في هامشه .

(٥) « سورة البقرة : ٢/٣١ ـ م ـ » .

(٦) « سورة الكهف : ١٨/٦٥ ـ ك ـ » .

(٧) الأصل : أكلته الأرضة ، والتكملة يقتضيها السياق .

وَطَوْرُ النُّبُوَّةِ فَوْقَ طَوْرِ الْوِلَايَةِ ، يَعْلَمُهُ الْوَلِيُّ وَيُؤْمِنُ بِهِ كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ طَوْرَ الْوِلَايَةِ فَوْقَ طَوْرِ الْعَقْلِ ذَوْقاً وَمُبَاشَرَةً ، وَكَذٰلِكَ الْعَقْلُ لَا يَمْنَعُ أَنْ يُوصِلَ « اللهُ » مَنِ ارْتَضَاهُ مِنْ رُسُلِهِ الْعِلْمَ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ وَبِأَحْكَامِهِ بِوَاسِطَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَيُبَلِّغُهُمْ عَنْهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – سَوَاءٌ كَانَ ذٰلِكَ الْوَاسِطَةُ مِنْ جِنْسِهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ فِي حَقِّ سَائِرِ الْبَشَرِ ، أَمْ [مِنْ][1] غَيْرِ جِنْسِهِمْ كَالْمَلَائِكَةِ فِي حَقِّ الرُّسُلِ ، وَإِذَا جَوَّزَ الْعَقْلُ ذٰلِكَ وَجَاءَتِ الرُّسُلُ بِمَا ثَبَتَتْ بِأَمْثَالِهِ الرِّسَالَةُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ وَجَبَ تَصْدِيقُهُمْ ، وَالْإِيمَانُ بِهِمْ وَبِجَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ الشَّكُّ فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ ، هَلْ نُبِّيءَ أَمْ لَا ؟ فَسَبِيلُ تَحْصِيلِ الْيَقِينِ بِمَا يَدَّعِيهِ مِنَ النُّبُوَّةِ بِأَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : مُشَاهَدَةُ مَا أَقَامَهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ ، وَهٰذَا خَاصٌّ بِمَا عَاصَرَهُ ، وَثَانِيهِمَا : مَعْرِفَةُ خَاصَّةِ النُّبُوَّةِ أَوَّلًا ، مِنْ إِدْرَاكِ الْأَنْبِيَاءِ مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعُقَلَاءُ ، ثُمَّ التَّسَامُعُ بِالتَّوَاتُرِ . كَمَا أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَثَلًا أَنَّ الْإِمَامَ « أَبَا حَنِيفَةَ » – رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ – فَقِيهٌ أَمْ لَا ؟ فَسَبِيلُهُ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا حَقِيقَةَ « الْفِقْهِ » مَا هُوَ ؟ وَهُوَ اسْتِنْبَاطُ[2] الْأَحْكَامِ الْفَرْعِيَّةِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْأَصْلِيَّةِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ ثَانِياً فِيمَا نُقِلَ عَنْهُ مِمَّا اسْتَنْبَطَهُ مِنَ « الْفِقْهِ » مِنْ كِتَابِ « اللهِ » – تَعَالَىٰ – وَحَدِيثِ « رَسُولِ اللهِ » – ﷺ – فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ بِأَنَّـهُ

(١) ساقطة في الأصل ، والتكملة يقتضيها السياق .

(٢) في الأصل : الاستنباط .

فِي أَعْلَىٰ [١] مَرَاتِبِ « الْفِقْهِ » . وَكَذٰلِكَ مَنْ عَلِمَ خَاصِّيَّةَ « النُّبُوَّةِ » ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ مَا قَرَّرَهُ « نَبِيُّنَا » - ﷺ - مِنَ الشَّرْعِ حَصَلَ لَهُ لَا مَحَالَةَ الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ وَالْإِيمَانُ الْقَوِيُّ بِكَوْنِهِ - ﷺ - فِي أَعْلَىٰ [١] دَرَجَاتِ « النُّبُوَّةِ » ، هٰذَا كُلُّهُ لِمَنْ أَرَادَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقْوِيَةَ الْيَقِينِ . وَأَمَّا « الْجَاحِدُ الْمُلْحِدُ » فَيُقَرَّرُ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ عَدَمُ اسْتِحَالَةِ « النُّبُوَّةِ » كَمَا سَبَقَ . ثُمَّ يُقَرَّرُ حَقِيقَةُ « الْمُعْجِزَةِ » الَّتِي بِهَا تَثْبُتُ « النُّبُوَّةُ » لِمُدَّعِيهَا ، فَنَقُولُ : « الْمُعْجِزَةُ عِبَارَةٌ عَنْ إِيجَادِ « اللهِ » - تَعَالَىٰ - أَمْراً خَارِقاً لِلْعَادَةِ عَلَىٰ يَدِ مُدَّعِي « الرِّسَالَةِ » لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ تَصْدِيقِ « اللهِ » - تَعَالَىٰ - لَهُ . فَكُلُّ مَا أَظْهَرَ « اللهُ » - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَلَىٰ أَيْدِي « الْأَنْبِيَاءِ » - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مِمَّا يَعْجَزُ الْبَشَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِهِ [أَوْ] [٢] بِمِثْلِهِ فَهُوَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِمْ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُوجِدَ ذٰلِكَ الْفِعْلَ إِلَّا « اللهُ » - تَعَالَىٰ - كَانَ إِيجَادُهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ قَائِماً [٣] لِلِسَانِ الْحَالِ مَقَامَ التَّصْدِيقِ بِلِسَانِ الْمَقَالِ : « صَدَقَ عَبْدِي فِيمَا ادَّعَاهُ » ، كَمَا لَوْ قَالَ شَخْصٌ عَاقِلٌ بِحَضْرَةِ « الْمَلِكِ » : « مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ! إِنَّ السُّلْطَانَ قَدْ نَصَبَ فُلَاناً عَلَيْكُمْ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا » وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ « الْمَلِكُ » ، عَلِمَ الْحَاضِرُونَ بِتَقْرِيرِ « الْمَلِكِ » صِدْقَ ذٰلِكَ الْقَائِلِ . فَالْمُعْجِزَةُ مَعَ التَّحَدِّي قَائِمَةٌ مَقَامَ

(١) الأصل : أعلا .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

(٣) الأصل : قائم .

قَوْلِ « اللهِ » : « صَدَقَ عَبْدِي فَاتَّبِعُوهُ » وَذٰلِكَ عِنْدَ عَجْزِهِمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ تِلْكَ / « الْمُعْجِزَةَ » ، وَاعْتِرَافُ أَعْلَمَ أَهْلَ ذٰلِكَ الْعَصْرِ أَنَّ مِثْلَ هٰذَا غَيْرُ [٦٧ و] دَاخِلٍ فِي طَرِيقٍ .

ـ(مُعْجِزَاتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَتَحَدَّى أَعْمَالَ السَّحَرَةِ)ـ

وَلِهٰذَا فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ زَمَنُ « مُوسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ غَايَةُ أَهْلِهِ «الْيَقِينُ» فِي «السِّحْرِ» بَعَثَهُ «اللهُ» إِلَيْهِمْ بِمُعْجِزَةٍ تُشْبِهُ مَا يَدَّعُونَ [فِيهِ][1] كَمَالَ الْمَعْرِفَةِ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ بِمَا خَرَقَ بِهِ عَادَتَهُمْ وَأَبْطَلَ سِحْرَهُمْ .

ـ(مُعْجِزَاتُ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ تَتَحَدَّى يَقِينَ الطِّبِّ)ـ

وَلَمَّا كَانَ زَمَنُ « عِيسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ غَايَةُ أَهْلِهِ « الْيَقِينُ » فِي « الطِّبِّ » جَاءَهُمْ بِمَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْيَاءِ « الْمَوْتَىٰ » وَإِبْرَاءِ «الْأَكْمَهِ» و « الْأَبْرَصِ » دُونَ مُعَالَجَتِهِ ، وَهٰكَذَا سَائِرُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَمْرٍ شَائِعٍ بَيْنَ أَهْلِ ذٰلِكَ الْعَصْرِ [2] الْعِلْمُ بِهِ ، وَالْيَقِينُ فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ ، عَلَىٰ أَقْصَىٰ دَرَجَاتِ الْكَمَالِ عِنْدَهُمْ لِتَقْوَىٰ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَيَعْتَرِفُونَ بِعَجْزِهِمْ وَعَجْزِ مَنْ سِوَاهُمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ .

---

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) في الأصل : بين ذلك أهل ذلك العصر .

ـ(القرآنُ الكريمُ مُعْجِزَةُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ العُظْمىٰ والدَّائِمَةُ)ـ

وَلَمَّا بَعَثَ « اللهُ » نَبِيَّنَا « مُحَمَّداً »[1] ـ ﷺ ـ كَانَ مُنْتَهىٰ عِلْمِ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَغَايَةَ الْمَعْرِفَةِ وَالْكَمَالِ عِنْدَهُمْ أَمْرَانِ ، أَحَدُهُمَا : فَصَاحَةُ الْمَنْظُومِ ، وَبَلَاغَةُ الْكَلَامِ وَالتَّفَنُّنُ فِيهِ نَثْراً وَنَظْماً ، فِي خُطَبِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ. وَثَانِيهِمَا : عِلْمُ الْكِهَانَةِ وَالزَّجْرِ والإِخْبَارِ عَنِ الْحَوَادِثِ ، فَجَعَلَ « اللهُ » مُعْجِزَتَهُ الْعُظْمَىٰ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ « الْكِتَابِ الْحَكِيمِ » عَلَىٰ هٰذَا الأُسْلُوبِ الْغَرِيبِ الَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا إِلَىٰ طَرِيقَتِهِ ، وَلَا سَلَكُوا سَبِيلَهُ ، وَتَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ ، ثُمَّ بِسُورَةٍ ، فَعَجَزُوا ، وَجَعَلَهُ مُشْتَمِلاً عَلَىٰ الإِخْبَارِ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ ، وَكَشْفِ الْمُخَبَّآتِ الَّتِي اعْتَرَفَ بِصِحَّتِهَا وَأَذْعَنَ لِصِدْقِهَا الأَعْدَاءُ لَهُ ، وَأَبْطَلَ بِذٰلِكَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكِهَانَةِ الَّتِي تَصْدُقُ مَرَّةً وَتَكْذِبُ أَلْفاً .

ـ(ادِّعَاؤُهُ ـ ﷺ ـ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ)ـ

فَلَمَّا ادَّعَىٰ ـ ﷺ ـ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً وَأَظْهَرَ الْمُعْجِزَاتِ وَعَظِيمَ الآيَاتِ الَّتِي لَمْ تُعَارَضْ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ دَلَّ ذٰلِكَ قَطْعاً عَلَىٰ صِدْقِ مَا ادَّعَاهُ .

أَمَّا دَعْوَاهُ « النُّبُوَّةَ » وَ « الرِّسَالَةَ » فَمَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ .

(١) في الأصل : محمد .

ـ(مُعْجِزَاتُهُ ـ ﷺ ـ)ـ

وَأَمَّا إِقَامَتُهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ الدَّلَائِلَ الظَّاهِرَةَ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةَ ، فَلِمَا نَقَلَهُ الْخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ ، كَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ [١] ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ [٢] ، وَإِجَابَةِ الشَّجَرِ [٣] ، وَحَنِينِ الْجِذْعِ [٤] ، وَتَسْبِيحِ الْحَصَىٰ [٥] ، وَتَفْجِيرِ الْمَاءِ [٦] مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ [٧] بِبَرَكَتِهِ ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا سَتَأْتِي الْإِشَارَةُ إِلَىٰ بَعْضِهِ تَصْرِيحاً وَتَلْوِيحاً ، وَإِلَىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْآيَاتِ الْمَعْلُومَةِ بِالْقَطْعِ بَيْنَ « عُلَمَاءِ السِّيَرِ » وَ « نَقَلَةِ الْأَخْبَارِ » ، وَرَوَاهَا الْعَدَدُ الْكَثِيرُ فِي جَمِيعِ الْأَعْصَارِ مِنَ « الصَّحَابَةِ » وَ « التَّابِعِينَ » فَمَنْ بَعْدَهُمْ ، وَلَمْ يَزْدَدْ عَلَىٰ مَرِّ الْأَيَّامِ إِلَّا ظُهُوراً ، وَمَجْمُوعُ مَعْنَاهَا بَالِغٌ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، كَمَا يُعْلَمُ « جُودُ حَاتِمٍ » و « شَجَاعَةُ عَلِيٍّ » بِالضَّرُورَةِ .

---

(١) انظر معجزة انشقاق القمر في : « دلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ٩٥ ـ ٩٦ » .

(٢) انظر معجزة تسليم الحجر في : « دلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ١٤١ ـ ١٤٢ » .

(٣) انظر معجزة إجابة الشجر في : « دلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ١٣٨ ـ ١٤٠ » .

(٤) انظر معجزة حنين الجذع في : « دلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ١٤٢ ـ ١٤٣ » .

(٥) انظر معجزة تسبيح الحصى في كفه ـ ﷺ ـ في : « شمائل الرسول ـ لابن كثير ـ : ٢٥٢ » .

(٦) انظر معجزة تفجير الماء من بين أصابعه ـ ﷺ ـ في : « دلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ١٤٣ ـ ١٤٤ » .

(٧) انظر معجزة تكثير الطعام القليل ببركته ـ ﷺ ـ في : « دلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ١٤٧ ـ ١٥١ » .

وَأَنْ تَبْلُغَ كُلُّ وَاقِعَةٍ مِنْهَا بِعَيْنِهَا مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ، بَلْ وَأَكْثَرُهَا كَانَ فِي الْمَجَامِعِ الْحَفْلَةِ، وَالْعَسَاكِرِ الْجَمَّةِ، مِنَ « الصَّحَابَةِ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُمْ ـ / ثُمَّ رَوَاهَا عَنْهُمْ كَافَّةً، وَلَمْ يُرْوَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ مُخَالَفَةٌ لِلرَّاوِي [٦٧ ظ] فِيمَا رَوَاهُ، وَالْإِنْكَارُ لِمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُشَاهَدَةِ لَهَا وَحَكَاهُ، فَسُكُوتُ السَّاكِتِ مِنْهُمْ لِنُطْقِ النَّاطِقِ كَثِيراً مَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ بِشَيْءٍ لِإِنْسَانٍ دُونَ آخَرَ. فَمَنْ يَعْلَمُ جُمْلَةً مِنَ الْأَخْبَارِ لِلْمُلُوكِ الْمَاضِيَةِ، وَالْبُلْدَانِ النَّائِيَةِ، وَآخَرُ لَا يَعْرِفُ وُجُودَهَا فَضْلًا عَنْ تَحَقُّقِ أَخْبَارِهَا.

ـ(الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَعْظَمُ مُعْجِزَاتِهِ ـ ﷺ ـ)ـ

ثُمَّ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُعْجِزَاتِهِ ـ ﷺ ـ الْبَاهِرَةِ، وَآيَاتِ نُبُوَّتِهِ الظَّاهِرَةِ، وَدَلَائِلِ صِدْقِهِ « مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ » الْمُسْتَمِرَّةُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ، الْمُشَاهَدَةُ لِجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَقَدِ انْطَوَى عَلَى وُجُوهٍ مِنَ الْإِعْجَازِ سَتَأْتِي الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْبَابِ السَّادِسِ، لَا يَحْصُرُهَا عَدَدٌ وَلَا يُحِيطُ بِهَا حَدٌّ، فَلَمَّا أَظْهَرَ ـ ﷺ ـ هَذَا الْكَلَامَ الْبَلِيغَ الَّذِي أَعْجَزَ بِهِ الْبُلَغَاءَ، واللُّدَّ [(١)] الْفُصَحَاءَ، مَعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ [مِنْ نَبَإِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، [وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ]، وَالشَّرَائِعِ الدَّاثِرَةِ، مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ إِلَّا الْفَذُّ مِنَ « الْأَخْبَارِ »] [(٢)]

---

(١) إشارةً إلى الآية الكريمة : «(وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً)» « سورة مريم : ٩٧/١٩ ـ ك ـ » و « اللُّدُّ » : ج « ألد » : « الخصم الشديد التَّأَبِّي » . « مفردات الراغب الأصفهاني :ـ مادة : « لد » ـ .

(٢) « الشفا : ١٧٤/١ » .

و « الرُّهْبَانِ » وَلَا يَنالُهَا بِالتَّعَلُّمِ إِلَّا مَنْ قَطَعَ الْعُمُرَ ، وَأَفْنَىٰ فِي طَلَبِهَا الْأَزْمَانَ : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

هَٰذَا مَا انْطَوَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ ، وَالْإِخْبَارِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ آتٍ ، وَمَعَ مَا احْتَوَىٰ عَلَيْهِ مِنْ بَلِيغِ الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ ، وَكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَإِثْبَاتِ النُّبُوَّاتِ وَالتَّوْحِيدِ . وَتَحَدَّاهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، فَعَجَزُوا بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٣) . فَلَمَّا عَجَزُوا كُلُّهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ كَمَالِ بَلَاغَتِهِمْ ، وَشِدَّةِ حِرْصِهِمْ ، وَتَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ ، وَتَهَالُكِهِمْ عَلَىٰ إِقْحَامِهِ(٤) ، وَأَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ مُذْعِنِينَ (٥) ،

---

(١) « سورة آل عمران : ٣/٤٤ ــ م ــ » .

(٢) « سورة النمل : ٢٧/٧٦ و ٧٧ ــ ك ــ » .

(٣) « سورة الإسراء : ١٧/٨٨ ــ ك ــ » .

(٤) « أقحمه في الأمر » : « أدخله فيه بغير روية » .

(٥) « أذعن » : انقاد وسلس .

وَأَحْجَمُوا [١] عَنْ مُعَارَضَتِهِ [٢] صَاغِرِينَ [٣] ، دَلَّ ذٰلِكَ قَطْعاً عَلَىٰ صِدْقِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ أَوَّلَ كِتَابٍ [٤] مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ « اللهِ » . هٰذَا مَعَ مَا قَدْ تَوَاتَرَ عَنْهُ قَبْلَ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا مِنْ مُلَازَمَةِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ ، وَالسِّيرَةِ الْحَسَنَةِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ لِلْأُخْرَىٰ ، إِلَىٰ أَنْ تَوَفَّاهُ « اللهُ » .

إِذاً ، الْعَقْلُ يَقْطَعُ بِامْتِنَاعِ اجْتِمَاعِ هٰذِهِ الْأُمُورِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤَيَّدِينَ بِتَأْيِيدِ « اللهِ » وَأَمْرِهِ ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَجْمَعَ « اللهُ » هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ فِيمَنْ يَفْتَرِي عَلَىٰ « اللهِ » الْكَذِبَ وَالْبُهْتَانَ ، ثُمَّ يُظْهِرُ دِينَهُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَهَلْ لِلنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ /مَعْنًى غَيْرُ هٰذَا فِي « الاسْتِدْلَالِ » ؟ [٦٨ و] وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ! ثُمَّ إِذَا أَثْبَتَ نُبُوَّتَهُ - ﷺ - ... كَمَا دَلَّ [٥] كَلَامُ رَبِّهِ الْمُنْزَلُ عَلَىٰ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، ثَبَتَ عُمُومُ رِسَالَتِهِ ، وَنَسْخُ شَرِيعَتِهِ لِسَائِرِ الشَّرَائِعِ لِوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ عَلَىٰ الْكُلِّ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَـٰمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴾ [٦] .

(١) « أحجموا » : كفوا ونكصوا .
(٢) « الصَّغار » : الرضى بالذل والضعة فهو صاغر . (ج) صغرة .
(٣) « المعارضة » : المقابلة على سبيل الممانعة والمدافعة ، « الكليات : ٤/٢٦٥ » .
(٤) الأصل : كتابه .
(٥) في الأصل : قد دلّ .
(٦) « سورة آل عمران : ٣/٨٥ - م - » .

وَفِي « صَحِيحَي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » : [« مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَىٰ دَاراً فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فِيهَا ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ] (١) [هَلَّا وُضِعَتْ هٰذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ : « فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ »] (٢) .

فَإِنِ ادَّعَىٰ مُدَّعٍ خُصُوصَ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ « الْعَرَبِ » مَثَلًا فَقَطْ ، فَقَدِ اعْتَرَفَ بِنُبُوَّتِهِ ، وَالْكَذِبُ مُمْتَنِعٌ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ اتِّفَاقاً .

وَقَدْ حَصَلَ الْعِلْمُ الْقَطْعِي أَنَّهُ ـ ﷺ ـ جَاءَ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدَ « اللهِ » نَاطِقٍ بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، كَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (٣) . وَبِأَنَّهُ ادَّعَىٰ عُمُومَ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَالْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهٰدَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (٤) أَيْ : مَنْ بَلَغَهُ « الْقُرآنُ » وَتَوَاتَرَ النَّقْلُ أَنَّهُ ـ ﷺ ـ دَعَا « الْيَهُودَ » وَ « النَّصَارَىٰ » وَغَيْرَهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ ، وَأَرْسَلَ كُتُبَهُ إِلَىٰ مُلُوكِ « الْفُرْسِ »

(١) و (٢) « صحيح البخاري: ٢٢٦/٤ ـ (٦١) باب المناقب: (١٨) باب خاتم النبيين ـ عن جابر ابن عبد الله » وتتمة الحديث من حديث آخر لاحق للأول في البخاري عن أبي هريرة » .
و « صحيح مسلم : ١٧٩١/٤ ـ (٤٣) كتاب الفضائل ـ (٧) باب ذكر ـ ﷺ ـ خاتم النبيين ـ الحديث رقم : ٢٢ ـ (...) » .
و « سنن الترمذي ٢٤٦/٥ ـ أبواب المناقب (٢٢) باب ـ الحديث : (٣٦٩٢) » .

(٣) « سورة الأعراف : ١٥٨/٧ ـ ك ـ » .

(٤) « سورة الأنعام : ١٩/٦ ـ ك ـ » .

وَ « الرُّومِ » وَغَيْرِهِمْ وَأَلْزَمَهُمْ وُجُوبَ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ عَلَىٰ وَفْقِ مَا يَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ : ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾[1] – ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[2] – ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[3] ، فَكَيْفَ يَعْتَرِضُ هَذَا بِنُبُوَّتِهِ ، ثُمَّ يُنَاقِضُ وُجُوبَ عِصْمَتِهِ بِتَكْذِيبِهِ ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾[4] ، فَهَٰذَا الْقَدْرُ كَافٍ فِي تَحْقِيقِ نُبُوَّتِهِ وَعُمُومِ رِسَالَتِهِ – ﷺ – ، وَنَسْخِ دِينِهِ لِكُلِّ دِينٍ .

(تَفْضِيلُهُ – ﷺ – عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ)

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ – ﷺ – عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، فَلِمَا صَحَّ مِنْ قَوْلِهِ – ﷺ – : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ « آدَمَ » وَلَا فَخْرَ »[5] . فَتَحَدَّثَ

---

(١) « سورة الأعراف : ١٥٧/٧ – ك – » .

(٢) « سورة البقرة : ١٤٦/٢ – م – » .

(٣) « سورة البقرة : ٨٩/٢ – م – » .

(٤) « سورة النساء : ١٥٠/٤ – ١٥١ – م – » .

(٥) « سنن ابن ماجه : ١٤٤٠/٢ – (٣٧) كتاب الزهد – (٣٧) باب ذكر الشفاعة – الحديث رقم : (٤٣٠٨) » .
و « سنن الترمذي : ٢٤٧/٥ – أبواب المناقب – (٢٢) – باب – الحديث : (٣٦٩٣) » .
و «صحيح مسلم : ١٧٨٢/٤ – (٤٣) كتاب الفضائل – (٢) باب تفضيل نبينا – ﷺ – الحديث رقم : ٣ – (٢٧٧٨) وهذا نصه في « مسلم » : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ومشفع » .

امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، نَافِياً لِلْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ، وَبَلَّغَ ذٰلِكَ إِلَىٰ أُمَّتِهِ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْتَقِدُوهُ، وَلِقَوْلِهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (١) . وَلَا شَكَّ أَنَّ خَيْرِيَّةَ الْأُمَّةِ بِحَسَبِ كَمَالِهَا، وَذٰلِكَ تَابِعٌ لِكَمَالِ نَبِيِّهَا لِأَنَّ كَمَالَ التَّابِعِ مِنْ كَمَالِ الْمَتْبُوعِ، وَهٰذَا مَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ مِنِ اخْتِصَاصِهِ ـ ﷺ ـ « بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَىٰ » فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ يَوْمَ الدِّينِ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي يَحْمَدُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، بَعْدَ رُجُوعِ الْخَلَائِقِ إِلَيْهِ / فِي « الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَىٰ »، وَاعْتِرَافِهِمْ بِالْمَزِيَّةِ. [٦٨ ظ] وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » : « أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً .... (٢)، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً » (٣) . ـ ﷺ ـ وَعَلَيْهِمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ بِاللهِ : « لَمَّا أَخْرَجَ « اللهُ »: ـ ﴿ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (٤) ـ

(١) « سورة آل عمران : ١١٠/٣ ـ م ـ » .

(٢) اختصار في نص الحديث .

(٣) « صحيح البخاري : ٩٢/١ ـ (٧) كتاب التيمم ـ (١) باب حدثنا « عبد الله بن يوسف » و« صحيح مسلم : ٣٧٠/١ ـ (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ الحديث رقم (٣) ـ (٥٢١) » .

(٤) « سورة الأعراف : ١٧٢/٧ ـ ك ـ » وأول الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ .

تَفَاوَتُوا فِي الْإِجَابَةِ ، فَأَوَّلُهُمُ الرُّسُلُ ، وَأَوَّلُ الرُّسُلِ « مُحَمَّدٌ » ـ ﷺ ـ وَعَلَيْهِمْ ـ هَذَا مَعَ أَنَّهُ لَا تَفَاضُلَ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِأَمْرٍ [١] آخَرَ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ كَأَنْ تَكُونَ [٢] مُعْجِزَاتُ أَحَدِهِمْ أَشْهَرَ وَأَظْهَرَ أَوْ تَكُونَ أُمَّتُـهُ أَكْثَرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّـا يَخُصُّهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ ، فَمِنْهُمْ أُولُو الْعَزْمِ [٣] ، وَمِنْهُمْ : أُولُو الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ، [٤] وَمِنْهُمْ : الْمُصْطَفَوْنَ الْأَخْيَارُ [٥] ، وَمِنْهُمْ : مَنْ رَفَعَهُ اللهُ

(١) الأصل : « بأمور » .

(٢) الأصل : « كان يكون » .

(٣) ـ الآية ـ : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ « سورة الأحقاف : ٣٥/٤٦ ـ م ـ » ـ وَ « أُولُو العزم » أي : ذَوُو الْحَزْمِ والصبرِ وفيهم عَشَرَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا : أنهم « نُوحٌ » ، وَ « إِبْرَاهِيمُ » ، و « مُوسَى » وَ « عِيسَى » ، وَ « مُحَمَّدٌ » ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ ـ رَوَاهُ « الضَّحَّاكُ » عن « ابْنِ عَبَّاسٍ » ، وَبِهِ قَالَ « مُجَاهِدٌ » وَ « قَتَادَةُ » وَ « عَطَاءٌ الخُرَاسَانِيُّ » وَ « ابْنُ السَّائِبِ » ، « زاد المسير : ٣٩٢/٧ » .

(٤) ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ « سورة ص : ٤٥/٣٨ ـ ك ـ » و « أُولِي الأَيْدِي » يعني : القُوَّةُ فِي الطَّاعَةِ . « وَالأَبْصَارِ » : البصائر في الدين والعلم . قالَ « ابْنُ جَرِيرٍ » : وَذِكْرُ الأَيْدِي مَثَلٌ ، وَذَلِكَ لأَنَّ بِالْيَدِ الْبَطْشَ ، وبالبطش تُعْرَفُ قُوَّةُ الْقَوِيِّ ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْقَوِيِّ : ذُو يَدٍ ، وَعَنَى بِالْبَصَرِ : بَصَرُ الْقَلْبِ ، وَبِهِ تُنَالُ مَعْرِفَةُ الأَشْيَاءِ . « زادُ المسير : ١٤٦/٧ » .

(٥) ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾ « سورة ص : ٤٧/٣٨ ـ ك ـ » وَهُمْ : « إِبْرَاهِيمُ » وَ « إِسْحَاقُ » وَ « يَعْقُوبُ » .

مَكَاناً عَلِيّاً[١] ، وَمِنْهُمْ : مَنْ آتَاهُ اللهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً[٢] ، ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ، مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[٣] . ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾[٤] .

ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَىٰ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ مُمَارَسَةٍ بِالْعِلْمِ أَنَّ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَا « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ أَشْهَرُ وَأَكْثَرُ مِنْ مُعْجِزَاتِ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ أَجْمَعِينَ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ بَعْضِهَا ، وَإِنَّهَا أَبْلَغُ وَأَتَمُّ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ انْفِجَارَ الْأَصَابِعِ بِالْمَاءِ أَبْلَغُ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنَ انْفِجَارِهِ مِنَ الْحَجَرِ ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ مَا شُوهِدَ مِثْلُهُ قَطُّ ، وَلَا عُهِدَ ، بِخِلَافِ انْفِجَارِ الْحَجَرِ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ بِالْجُمْلَةِ مَعْهُودٌ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي شُوهِدَ فِي عَهْدِ « مُوسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ .

وَكَذَٰلِكَ إِشْبَاعُ الْجَيْشِ الْكَثِيرِ مِنْ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ أَتَمُّ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنْ إِنْزَالِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ ، وَالْمَائِدَةِ عَلَىٰ « عِيسَىٰ » مِنَ السَّمَاءِ .

---

(١) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً * وَرَفَعْنَٰهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ ، « سورة مريم : ١٩/٥٦ ـ ٥٧ ـ ك ـ » .

(٢) ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ « سورة مريم : ١٩/١٢ ـ ك ـ » .

(٣) « سورة البقرة : ٢/٢٥٣ ـ م ـ » .

(٤) « سورة النساء : ٤/١٦٤ ـ م ـ » .

وَكَذٰلِكَ رَدُّ الْعَيْنِ [(١)] السَّائِلَةِ وَإِعَادَتُهَا فِي الْحَالِ إِلَىٰ صِحَّتِهَا حَتَّىٰ كَانَتْ أَحْسَنَ مِنَ الْأُخْرَىٰ، مِنَ الصَّحِيحَةِ أَعْجَبُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ .

وَكَذٰلِكَ نُطْقُ مَا لَمْ يُعْهَدْ نُطْقُهُ أَصْلًا، كَالْجِذْعِ وَالْحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالضَّبِّ وَالذِّئْبِ وَالذِّرَاعِ أَغْرَبُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدْ كَانَ يَنْطِقُ، فَقَدْ عُهِدَ مِنْهُ الْحَيَاةُ وَالنُّطْقُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَمْ يُعْهَدْ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ نُطْقُ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَجْنَاسِ، عَلَىٰ أَنَّ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِ الْمُرْسَلِينَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ يَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ مُعْجِزَةً لِنَبِيِّنَا ـ ﷺ ـ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمُعْجِزَةِ مَا دَلَّ عَلَىٰ صِدْقِ « الرَّسُولِ » . فَكُلٌّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ قَدْ بَشَّرَ بِهِ فَمُعْجِزَاتُهُمُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ مُعْجِزَاتٌ دَالَّةٌ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَبَرَاهِينُ / [٦٩ و] مُشَاهَدَةٌ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ .

ثُمَّ إِنَّ سَائِرَ مُعْجِزَاتِ الْمُرْسَلِينَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِهِمْ، وَانْعَدَمَتْ بِمَوْتِهِمْ . وَأَمَّا نَبِيُّنَا « مُحَمَّدٌ » ـ ﷺ ـ فَأَعْظَمُ

(١) انظر : « رَدَّ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ « يَوْمَ أُحُدٍ » عَيْنَ « قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ » إلى مَوْضِعِهَا بَعْدَ ما سَالَتْ عَلَى خَدِّهِ ، فَأَخَذَهَا فِي كَفِّهِ الْكَرِيمِ وَأَعَادَهَا إلى مَقَرِّهَا ، فَاسْتَمَرَّتْ بِحَالِهَا وَبَصَرِهَا وَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ» « شَمَائِلُ الرسول ـ لابن كثير ـ : ٥٦٨ » .

مُعْجزَاتِهِ « الْقُرْآنُ » وَهُوَ مُعْجِزَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقَطِعُ ، وَلَا تَذْهَبُ وَلَا تَضْمَحِلُّ ، بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ إِلَىٰ الأَبَدِ ، وَاضِحَةُ الْحُجَّةِ لِكُلِّ قَرْنٍ ، وَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ وَلَا يَظْهَرُ قَرْنٌ إِلَّا وَهُمْ مُسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ الْخَصْمِ لِوُجُوهِ إِعْجَازِهِ ، مُحْتَجُّونَ عَلَيْهِ بِمَا احْتَجَّ بِهِ مَنْ قَبْلَهُمْ عَلَىٰ الْخَصْمِ مِنْ قَبْلِهِ ، قَائِلِينَ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (١) .

---

(١) « سورة البقرة : ٢٣/٢ ــ م ــ » .

فَائِدَة

فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالسِّحْر

أَجْمَعَ « أَهْلُ السُّنَّةِ » عَلَىٰ أَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ . قَالَ الشَّيْخُ الرَّبَّانِيُّ « مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ » - رَحِمَهُ « اللهُ » تَعَالَىٰ - فِي « شَرْحِ مُسْلِمٍ » (١) فِي « الْكَلَامِ عَلَىٰ حَدِيثِ « جُرَيْجٍ الرَّاهِبِ » (٢) فِيهِ « إِثْبَاتُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ » وَأَنَّهَا تَكُونُ بِجَمِيعِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، وَأَنَّ كُلَّ مَاجَازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَةً لِلْأَنْبِيَاءِ جَازَ أَنْ يَكُونَ كَرَامَةً لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَأَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ بِاخْتِيَارِهِمْ وَطَلَبِهِمْ وَبِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ ، لِأَنَّ « جُرَيْجاً » تَوَضَّأَ ،

---

(١) ذكر النووي في كتابه « صحيح مسلم بشرحه : ١٠٨/١٦ - قصة جريج في كتاب البر - بابُ تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها » فقال : في حديث جُرَيج هذا فوائد كثيرة . . . . ومنها استحباب الوضوء للصلاة عند الدعاء بالمهمات ، ومنها إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل السُّنَّة خلافاً للمعتزلة . وفيه أنَّ كراماتِ الأولياء قد تقع باختيارهم وَطَلَبِهِم . وهذا هو الصحيح عند أصحابنا المتكلمين ، ومنهم مَنْ قَالَ لا تَقَعُ باختيارهم وطَلَبِهِم . وفيه أنَّ الكرامات قد تكون بخوارق العادات على جميع أنواعها ، ومَنَعَهُ بَعْضُهُم وَادَّعَى أنَّهَا تختَصُّ بمثْلِ إجَابَةِ دُعَاءٍ ونحوه . وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ قَائِلِه وَإِنْكَارٌ لِلحِسِّ بَلِ الصَّوَابُ جَرَيَانُهَا بقلْبِ الأعيَانِ وَإِحْضَارِ الشيء مِنَ الْعَدَمِ ونحوه » .

(٢) « صحيح مسلم : ١٩٧٦/٤ - ١٩٧٧ - (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٢) باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها - الحديث ٧ - (٢٥٥٠) و ٨ - (. . .) » .
و « صحيح البخاري : ١٧٩/٣ - (٤٦) في المظالم والغصب - (٣٥) باب إذا هَدَّم حائطاً فَلْيَبْنِ مثلَهُ » .

وَصَلَّىٰ، وَدَعَا « اللهَ » ـ تَعَالَىٰ ـ وَقَالَ لِلْغُلَامِ : « مَنْ أَبُوكَ ؟ » فَقَالَ: « فُلَانٌ الرَّاعِي » [١] انْتَهَىٰ . قُلْتُ : وَجَمِيعُ مَا ذَكَرَهُ ـ رَحِمَهُ « اللهُ » تَعَالَىٰ ـ هُوَ « مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ » . لِأَنَّ خَرْقَ الْعَادَةِ لَا يَحِيلُهُ الْعَقْلُ ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ الَّتِي مَلَأَتِ الْآفَاقَ ، فَضَاقَتْ عَنْ حَصْرِهَا الْأَوْرَاقُ عَلَىٰ وُقُوعِ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ ، لِقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ فِي « مَرْيَمَ » : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّـا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً ﴾[٢] ، ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾[٣] ، ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾[٤] . وَقَوْلِهِ : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ ﴾[٥] [و][٦] كَحَدِيثِ « جُرَيْجٍ »[٧] وَ « أَصْحَابِ الْغَارِ[٨] الثَّلَاثَةِ » . وَكَذَا حَدِيثُ « بَرَكَةِ قَصْعَةِ الصِّدِّيقِ »[٩] ، وَحَدِيثُ « نِدَاءِ

---

(١) المصدر السابق .

(٢) « سورة آل عمران : ٣/٣٧ ــ م ــ » .

(٣) « سورة مريم : ١٩/٢٥ ــ ك ــ » .

(٤) « سورة مريم : ١٩/١٧ ــ ك ــ » .

(٥) « سورة النمل : ٢٧/٣٩ ــ ك ــ » .

(٦) التكملة يقتضيها السياق .

(٧) « صحيح البخاري : ٣/١٧٩ ــ (٤٦) كتاب المظالم ــ (٣٥) باب : إذا هَدَمَ حَائِطاً فَلْيَبْنِ مِثْلَهُ » .

(٨) « صحيح البخاري : ٤/٢٠٩ ــ (٦٠) كتاب الأنبياء ــ (٥٣) باب حديث الغار » و « صحيح البخاري : ٨/٣ ــ (٧٨) كتاب الأدب ــ (٥) بابُ إجابة دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ » .

(٩) « شمائل الرسول ــ لابن كثير ــ : ٢١٣ » .

الْفَارُوقِ » [1] : يَا سَارِيَةُ ! » ، وَ « مَشْيُ « الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ » [2] عَلَى الْمَاءِ » . وَنَسْخُ « قِصَّةِ « أَبِي الدَّرْدَاءِ » [3] وَ « سَلْمَانَ » [4] ، وَ تَسْلِيمُ « الْمَلَائِكَةِ » عَلَى « عِمْرَانَ » [5] . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قَوْلُهُ ـ ﷺ ـ : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ » [6] يَكْفِي .

ـــ(جَوَابُ الإِمَامِ «أَحْمَدَ» عن عَدَمِ نَقْلِ الكَرَامَاتِ عَنِ الصَّحَابَةِ)ـــ

وَسُئِلَ الْإِمَامُ « أَحْمَدُ » ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ : « مَا بَالُ الصَّحَابَةِ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ مَا نُقِلَ عَمَّا بَعْدَهُمْ ؟ » فَقَالَ : « لِقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ ».

---

(١) انظر نداء الفاروق يا سارية في « تاريخ الطبري : ١٧٨/٤ » وانظر « تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٣/٦ ـ ٤٦ » .

(٢) « شمائل الرسول ـ لابن كثير : ٢٩٦ » .

(٣) لعل المقصود قصة إسلام أبي الدرداء « الخصائص : ١٥٣/٢ » .

(٤) انظر « قصة سلمان » في « شمائل الرسول : ٢٢١ » .

(٥) هو « عمران بن حُصَيْن » . قال الحاكم في « المستدرك » : ٤٧٢/٣ ـ كتاب معرفة الصحابة عن عمرانَ بْنِ حُصَيْن أنَّهُ قَالَ : « اعْلَمْ يا «مُطَرِّفُ!» أنَّهُ كَانَ تُسَلِّمُ الملائِكَةُ عَلَيَّ عِنْدَ رَأسِي وَعِنْدَ البَيْتِ وَعِنْدَ بَابِ الحِجْرِ، فَلَمَّا اكْتَوَيْتُ ذَهَبَ ذَلكَ . فَلَمَّا بَرِيء كَلْمُهُ قَالَ يا «مُطَرِّفُ!» إنَّهُ عَادَ إلَيَّ الَّذي كُنْتُ أَفْقِدُ . اكْتُمْ عَلَيَّ يَا مُطَرِّفُ ! حَتَى أَمُوتَ .» .

(٦) « صحيح مسلم : ١٣٠٢/٣ ـ (٢٨) كتاب القسامة ـ (٥) باب إثبات القصاص في الأسنان ـ الحديث : ٢٤ ـ (١٦٧٥) » .

ـ(جَوَابُ الإِمَامِ «النَّوَوِيِّ» عَنْ عَدَمِ ظُهُورِ الكَرَامَاتِ عِنْدَ العُلَمَاءِ)ـ

وَسُئِلَ « النَّوَوِيُّ » ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ـ :

« مَا بَالُ الْعُلَمَاءِ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مَا يَظْهَرُ عَلَىٰ الْعُبَّادِ ؟ ! » فَقَالَ : « لِعِزَّةِ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِلْمِ دُونَ الْعُبَّادِ » .

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْمُعْجِزَةِ إِلَّا اقْتِرَانُ الْمُعْجِزَةِ بِدَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ ، نَعَمْ تَلَبُّسُ الْكَرَامَةِ بِالسِّحْرِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ أَيْضاً خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، وَإِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالسِّحْرِ بِاتِّبَاعِ الْوَلِيِّ الرَّسُولَ ، وَمُخَالَفَةِ السَّاحِرِ لَهُ ، فَالْكَرَامَةُ الَّتِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا تَلْبِيسٌ هِيَ الاسْتِقَامَةُ .

ـ(اسْتِحَالَةُ ظُهُورِ الأَمْرِ الخَارِقِ عَلَى يَدِ الكَاذِبِ مَعَ دَعْوَى النُّبُوَّةِ)ـ

قَالَ « الْعُلَمَاءُ » : « وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَظْهَرَ الْخَارِقُ مَعَ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ عَلَىٰ يَدِ الْكَاذِبِ ، وَكُلُّ كَرَامَةٍ لِوَلِيٍّ مُعْجِزَةٌ لِنَبِيِّهِ ، لِدَلَالَةِ صِدْقِ التَّابِعِ عَلَىٰ صِدْقِ الْمَتْبُوعِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

الْبَابُ السَّادِسُ

فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَا اشْتُهِرَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَظَهَرَ مِنْ دَلَالَاتِ نُبُوَّتِهِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ:

١ـ إِنْشِقَاقِ ٱلْقَمَرِ وَرَدِّ ٱلشَّمْسِ وَحَبْسِهَا لَهُ.

٢ـ وَنَبْعِ ٱلْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ.

٣ـ وَتَكْثِيرِ ٱلطَّعَامِ ٱلْيَسِيرِ بِبَرَكَتِهِ.

٤ـ وَكَلَامِ ٱلشَّجَرِ وَٱلْحَجَرِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِٱلنُّبُوَّةِ.

٥ـ وَشَهَادَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ.

٦ـ وَشِفَاءِ ٱلْعِلَلِ بِرِيقِهِ وَكَفِّهِ ٱلْمُبَارَكَةِ.

٧ـ وَإِجَابَةِ دُعَائِهِ لِمَنْ دَعَا لَهُ.

٨ـ وَصَلَاحِ مَا كَانَ فَاسِدًا بِلَمْسِهِ.

٩ـ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ ٱلْمُغَيَّبَاتِ مِمَّا كَانَ وَمَا هُوَ آتٍ.

١٠ـ وَأَعْظَمُهَا مُعْجِزَةُ ٱلْقُرْآنِ ٱلْعَظِيمِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ.

فَهٰذِهِ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ ، وَالْآيَاتِ الظَّاهِرَاتِ ، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا مُنْطَوٍ عَلَىٰ مَا لَا يَحْصُرُهُ عَدٌّ (١) ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ حَدٌّ ، وَلٰكِنَّا نُشِيرُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ ، ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَٰنـاً ﴾ (٢) فَنَقُولُ :

❋ ❋ ❋

---

(١) الأصل : عدد .

(٢) « سورة المدّثّر : ٣١/٧٤ — ك — » .

النَّوْعُ الْأَوَّلُ : وَهُوَ

انْشِقَاقُ الْقَمَرِ وَرَدُّ الشَّمْسِ (*) وَحَبْسُهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(*) انظر خبر انشقاق القمر في : « دلائل النبوّة — للأصبهاني : ٩٥ — ٩٦ » و « دلائل النبوّة — للبيهقي ٢/٤٠ — ٤٥ » .

آ ــ : ــ(انْشِقَاقُ الْقَمَرِ)ــ

فَقَدْ قَالَ « اللهُ » ــ تَعَالَىٰ ــ : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [(١)] .
وَرَوَىٰ « الْبُخَارِيُّ » فِي « صَحِيحِهِ » : ــ عَنْ « عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ » ــ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ــ قَالَ : « انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ « رَسُولِ اللهِ » ــ ﷺ ــ فِرْقَتَيْنِ ، فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَفِرْقَةٌ دُونَهُ ، فَقَالَ « رَسُولُ اللهِ » ــ ﷺ ــ [أَيْ : لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] [(٢)] : « اشْهَدُوا » [(٣)] . وَفِي رِوَايَةٍ [(٤)] : « حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْجَبَلَ بَيْنَ فِرْقَتَيْ [(٥)] الْقَمَرِ » [(٦)] . فَقَالَ « كُفَّارُ قُرَيْشٍ » : « سَحَرَكُمْ مُحَمَّدٌ » [(٧)] . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : « إِنَّ « مُحَمَّداً » إِنْ كَانَ سَحَرَكُمْ [(٨)] فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَسْحَرَ الْأَرْضَ [(٩)] كُلَّهَا . فَاسْأَلُوا

(١) « سورة القمر : ٥٤/١ ــ ك ــ » .
(٢) من شرح المؤلف .
(٣) « صحيح البخاري : ١٧٨/٦ ــ (٦٥) كتاب التفسير ــ سورة القمر /٥٤ باب (١) ــ » .
(٤) أي رواية الأسود عن ابن مسعود .
(٥) « شمائل الرسول ــ ﷺ ــ لابن كثير : ١٤٢ » الأصل : فرقتين القمر .
(٦) « شمائل الرسول ــ ﷺ ــ : ١٤٢ : رواه الإمام أحمد حدث به مؤمل عن إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله » .
(٧) في « الشفاء : ١٨٣/١ » : سحركم ابن أبي كبشة .
(٨) في الشفا : ١٨٣/١ « إن كان سحر القمر » .
(٩) « الشفا : ١٨٣/١ » الأصل : يسحر أهل الأرض كلها .

مَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ هَلْ رَأَوْا [مِثْلَ] [١] هٰذَا ؟ فَأَتَوْا [فَسَأَلُوهُمْ] [٢] فَأَخْبَرُوهُمْ [أَنَّهُمْ] [٣] رَأَوْا [٤] مِثْلَ ذٰلِكَ . [٥] فَقَالَ « أَبُو جَهْلٍ » : « هٰذَا ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [٦] ! ! » .

(١) و (٢) و (٣) التكملات عن « الشفا : ١٨٣/١ » .

(٤) الأصل : رواو .

(٥) في « بهجة المحافل وبغية الأماثل : ٢١٣/٢ » : مثل ذلك مرتين .

(٦) « سورة القمر : ٢/٥٤ — ك — » .

ب – : –(حَدِيثُ رَدِّ الشَّمْسِ وَحَبْسِهَا لَهُ – ﷺ –)–

وَخَرَّجَ « الطَّحَاوِيُّ » فِي « مُشْكِلِ الْحَدِيثِ »[١] بِإِسْنَادَيْنِ صَحِيحَيْنِ[٢]:

---

(١) عنوان هذا الكتاب : « مُشْكِلُ الآثَارِ » هكذا وجدتُهُ في المطبوعة الصادرة عن «مطبعة دائرة المعارف النظامية» الكائنة في «الهند» بمحروسة «حيدر آباد الدكن» سنة ١٣٣٣ هـ .

(٢) خرَّجَ « الطَّحَاوِيُّ » حديثَ رَدِّ الشَّمْسِ عَلَيْهِ بَعْدَ غَيْبُوبَتِهَا بإِسْنَادَيْنِ ، الأَوَّلُ : من طريق «أبي أمية» عن «عبيد الله بن موسى العبسيّ» عن «الفُضَيْلِ بن مرزوق» عن «إبراهيم بن الحسن» عن «فاطمة بنة الحسين» عن «أسماء بنة عميس» .
والثاني : من طريق «عَلِيِّ بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة» عن «أحمد بن صالح» عن «ابن أبي فديك» عن «محمد بن موسى» عن «عون بن محمد» عن أمه «أم جعفر» عن «أسماء ابنة عميس» « مُشكل الآثار : ٢/٨ – ١٢ » .

وذكر «ابن كثير» في « شمائل الرسول – ﷺ –: ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ » « رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي» في« الموضوعات » من طريق «أبي عبد الله بن مَنْدَه»، ومن طريق «أبي جعفر العقيلي» : حدثنا «أحمدبن داود»، حَدَّثَنا «عماربن مطر»، حدَّثَنَا «فُضَيْلُ ابن مرزوق» فذكر الحديث ثمَّ قالَ : «وهذا حديثٌ موضوعٌ ، وقد اضطرَبَ الرواة فيه فرواه «سعيد بن مسعود» عن «عبيد الله بن موسى» ، عن «فُضَيْل بن مرزوق» ، عن «عبدالرحمن ابن عبد الله بن دينار» ، عن «علي بن الحسن» ، عن «فاطمة بنت عليٍّ» ، عن «أسماء» .

وهذا تخليط في الرواية ، قال: و«أحمد بن داود» ليس بشيء ، قال «الدارقطني» : « مَتروكٌ كذَّاب» . وقال «ابن حبان» : «وكان يضع الحديث» . و«عمار بن مطر» قالَ فيه «العقيلي» : « كان يحدث عن الثقات بالمناكير . وقال «ابن عديّ» : « متروك الحديث » . قالَ : « وفُضَيْل بن مرزوق » قد ضعفه « يحيى » . وقال « ابنُ حبَّان » : « يروي الموضوعات ويخطىء عن الثقات . . . الخ . . .

ثم قال «ابن الجوزيّ» : ومن تغفيل واضع هذا الحديث أنه نظر إلى صورة فضيلةٍ ولم يتلمح عدم الفائدة ، فإنَّ صلاةَ العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاءً ، فرجوع الشمس لا يعيدها أداءً . =

« أَنَّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ كَانَ يُوحَىٰ إِلَيْهِ [١] وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ [٢] « عَلِيٍّ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فَلَمْ يُصَلِّ « عَلِيٌّ » الْعَصْرَ حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ لَهُ « رَسُولُ اللهِ » ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : « أَصَلَّيْتَ الْعَصْرَ يَا « عَلِيُّ » ؟ ! » قَالَ : « لَا » . فَقَالَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « اللَّهُمَّ ! إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ » ، فَطَلَعَتْ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ ، وَأَشْرَقَتْ عَلَىٰ الْجِبَالِ . وَكَانَ ذٰلِكَ بِـ« الصَّهْبَاءِ » فِي « غَزْوَةِ خَيْبَرٍ » [٣] .

❀ ❀ ❀

= وأورد «ابن كثير» أيضاً في كتابه « شمائل الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ: صفحة : (١٦٢)» ما يلي :

« قال شيخنا «أبو العباس [ابن تيمية]» ـ رحمه الله ـ : «فَضْلُ «عَلِيٍّ» وَوِلَايَتُهُ وعلو منزلته عند الله معلومٌ ولله الحمد بِطُرُقٍ ثَابِتَةٍ أفادَتْنَا العلمَ اليَقِينِيَّ لا يحتاجُ معها إلى ما لا يُعْلَمُ صِدْقُهُ أَوْ يُعْلَمُ أَنَّهُ كَذِبٌ ، وحديثُ ردِّ الشمس قد ذكره طائفةٌ «كأبي جعفر الطحاويِّ» و« القاضي عِيَاضٍ » وَغَيْرِهِما، وَعَدُّوا ذلكَ مِنْ مُعْجِزَاتِ «رسول الله » ـ ﷺ ـ ، لكنِ المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذبٌ موضوعٌ » .

(٣) الأصل : بوحى الله .

(٢) « الْحَجْرُ » ـ بالفتح والكسر ـ : « الحِضْنُ » . « النهاية في غريب الحديث : ١/٣٤٢ » .

(٣) « مشكل الآثار : ٢/٨ ـ ٩ » .

ج - : -(حَدِيثُ احْتِبَاسِ الشَّمْسِ حَتَّى وُصُولِ الْعِيرِ إلى مَكَّةَ)-

وَرَوَىٰ الْحَافِظُ « يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ » (١) أَنَّ « النَّبِيَّ » - ﷺ - : « لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ لَيْلَةَ الإِثْنَيْنِ ، وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ - فِي طَرِيقِ الشَّامِ - (٢) الَّتِي فِي الْعِيرِ (٣) ، - الآتِيَةِ إِلَيْهِمْ - (٤) فَقَالُوا لَهُ : « مَتَىٰ تَجِيءُ الْعِيرُ؟ » فَقَالَ : « آخِرَ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ » . فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْوَقْتُ - احْتَبَسَتِ الْعِيرُ - (٥) أَشْرَفَتْ (٦) « قُرَيْشٌ » يَنْتَظِرُونَ ، وَدَنَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ ، فَحَبَسَ (٧) اللهُ الشَّمْسَ سَاعَةً حَتَّىٰ قَدِمَتِ الْعِيرُ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا « النَّبِيُّ » - ﷺ - رَبَّهُ أَنْ يَحْبِسَهَا لَهُ » (٨) .

❋ ❋ ❋

---

(١) جاءَ في « الشِّفَا : ١/١٨٥ » : « رَوَى « يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ » فِي زِيَادَةِ « المَغَازِي » رِوَايَتَهُ عَنْ « ابْنِ إِسْحَاقَ » .

(٢) ما بينَ المعترضتين توضيح من المؤلف .

(٣) « الْعِيرُ » : « الإِبِلُ بِأَحْمَالِهَا » . « النهاية في غريب الحديث : ٣/٣٢٩ » .

(٤) ما بين المعترضتين توضيح من المؤلف .

(٥) « احْتَبَسَتِ الْعِيرُ » : « تَخَلَّفَتْ عَنْ بُلُوغِ قَصْدِهَا وتأخَّرَتْ عَنْهُ » .

(٦) ما بين المعترضتين تَوْضيح من المؤلف .

(٧) « حَبَسَ اللهُ الشَّمْسَ » : أَخَّرَ غُرُوبَهَا عَن موعدِها .

(٨) انظر هذا الخبر في « الشِّفَا : ١/١٨٥ - ١٨٦ » و « بهجة المحافل وبغية الأماثل : ٢/٢١٤ » و « دلائل النبوة للبيهقي : ٢/١٤٩ » و « الخصائص الكبرى - للسيوطي - : ١/١٨٠ » .

النَّوْعُ الثَّانِي، وَهُوَ

نَبْعُ المَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَالأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ :

آ ـ : ـ(حَدِيثُ أَنَسٍ)ـ

فَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » ـ عَنْ « أَنَسٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « رَأَيْتُ « رَسُولَ اللهِ » ـ صَلَّى اللهُ / عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ . فَالْتَمَسَ [٦٩/ظ] النَّاسُ الْوَضُوءَ [1] فَلَمْ يَجِدُوهُ . فَأُتِيَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ بِوَضُوءٍ [ـ وَفِي رِوَايَةٍ : بِإِنَاءٍ لَا يَكَادُ يَغْمُرُ أَصَابِعَهُ ـ] [2] فَوَضَعَ [« رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ] [3] يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ . فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ . قَالَ : فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ [4] ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى

---

(١) « الوَضُوءُ » : ـ بِفَتْحِ الوَاوِ ـ وَهُوَ المَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ .

(٢) انظر « صحيح مسلم : ٤/١٧٨٣ ـ (٤٣) كتاب الفضائل ـ (٣) باب في « معجزات النبي» ـ ﷺ ـ الحديث : ٧ ـ (. . .) .

(٣) التكملة عن « صحيح البخاري : ٤/٢٣٣ ـ (٦١) كتاب المناقب ـ (٢٥) باب علامات النبوة في الإسلام » .

(٤) اختلف العلماء في الماء الذي نبع من بين أصابعه ، هل كان من بين اللحم والدم ، أم بركة حصلت من الله ـ تعالى ـ في الماء ؟ قال الإمام المحقق « ابن القيِّم » في « زادِ المعاد في هَدْيِ خَيْرِ العِبَادِ » : « هِيَ بَرَكَةٌ مِنَ اللهِ حَلَّتْ بِوَضْعِهِ ـ ﷺ ـ أَصَابِعَهُ الشَّرِيفَةَ فِيهِ ، فَجَعَلَ يَفُورُ وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصابِعِهِ ، لا أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ نَفْسِ اللَّحْمِ والدَّمِ كما ظَنَّهُ بَعْضُ الجُهَّالِ » ـ انتهى ـ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : « بَلْ هُوَ إِيجَادُ مَعْدُومٍ ، وَإِنَّمَا نَبَعَ المَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصابِعِهِ حَقِيقَةً ، لا أَنَّهُ تَكْثِيرُ مَوْجُودٍ » .
=

تَوَضَّؤُوا مِنْ [١] عِنْدَ آخِرِهِمْ » [٢] .

= قَالَ « الْقُرْطُبِيُّ » : « قِصَّةُ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ قَدْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ - ﷺ - فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ فِي مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ . وَوَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ ، يُفِيدُ مَجْمُوعُهَا الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ التَّوَاتُرِ المعْنَوِيِّ - قَالَ - وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ مِنْ غَيْرِ نَبِيِّنَا - ﷺ - حَيْثُ نَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ عَظْمِهِ وَلَحْمِهِ وَعَصَبِهِ وَدَمِهِ . وَرُبَّمَا فُهِمَ مِثْلُ هَذَا مِنْ كَلَامِ « الصَّرْصَرِيِّ » وَغَيْرِهِ ، كَابْنِ الجُوزِيِّ ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ » . « نَفَثَاتُ صَدْرِ الْمُكْمَدِ ، وَقُرَّةُ عَيْنِ الْمُسْعَدِ لِشَرْحِ ثُلَاثِيَّاتِ مُسْنَدِ أَحْمَدَ : ٧٨٥/١ » .

(١) « مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ » ، هَكَذَا هُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ وَهُوَ صَحِيحٌ . و« مِنْ » ، هنا بِمَعْنَىٰ : « إلى » . وَهِيَ لُغَةٌ .

(٢) « صَحيح البخاري : ٢٣٣/٤ - (٦١) كتاب المناقب - (٢٥) باب علامات النبوة في الإسلام » ، و « صحيح مسلم : ١٧٨٣/٤ - (٤٣) كتاب الفضائل - (٣) باب في معجزات « النبي » - ﷺ - الحديث : ٥ - (. . .) و ٦ - (. . .) » .

ب ـ : ـ(حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحِ » (١) أَيْضاً : ـ « عَنْ « ابْنِ مَسْعُودٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ ، فَقَالَ [لَنَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ] (٢) : « اطْلُبُوا مَنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ ـ ، فَأُتِيَ بِقَلِيلِ مَاءٍ (٣) فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ـ ﷺ ـ » (٤) . « أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ » .

فَائِدَة

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَإِنَّمَا طَلَبَ فَضْلَةَ الْمَاءِ لِيَكُونَ مِنْ بَابِ تَكْثِيرِ الْقَلِيلِ لَا مِنْ بَابِ الْإِيجَادِ مِنَ الْعَدَمِ ، لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ أَحَدٌ أَنَّهُ الْمُوجِدُ لِلْمَاءِ .

---

(١) الأصل : وفي الصحيحين .

(٢) التكملة عن « الشفا : ١٨٦/١ ـ ١٨٧ » .

(٣) في « الشفا : ١٨٧/١ » : فاتيَ بمَاءٍ .

(٤) انظر : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١٨٦/١ ـ ١٨٧ » . و « الوفا بأحوال المصطفى : ٢٩١/١ » و « دلائل النبوة ـ لأبي نعيم الأصبهاني : ١٤٤ » .

والنَّصُّ المثبت هو طرف من حديث مروي بمعناه ، انظر : « صحيح البخاري ٢٣٥/٤ ـ (٦١) كتاب المناقب ـ (٢٥) باب علامات النبوة » . وجاء في نهاية الحديث :

« ثُمَّ قَالَ : « حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ ، فَمَلأْتُ بَطْنِي وَاسْتَقَى النَّاسُ » .

ج - : -(حَدِيثُ « جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ »)- « يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ »

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَيْضاً : - عَنْ « جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « عَطِشَ النَّاسُ « يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ » وَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ [١] ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ : « مَا لَكُمْ ؟ » قَالُوا : « لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ ، وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ » [٢] .

❋ ❋ ❋

(١) مثلثة الرَّاء .

(٢) « صَحِيحُ البخاري : ٥/١٥٦ - ١٥٧ - (٦٤) كتاب المغازي - (٣٥) باب غزوة الحديبية » وتتمة الحديث :

« قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا ، فَقُلْتُ لِـ « جَابِرٍ » : « كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ » قَالَ : « لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا ، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً » .

وانظر : « الشِّفَا : ١/١٨٧ » . و « دلائل النبوَّة - لأبي نعيم الأصبهاني : ١٤٤ » .

د - : -(حَدِيث «الْبَرَاء بْنِ عَازِبٍ» وَ «سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ »)-

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » : - عَنِ « الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ » وَ « سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُمْ نَزَحُوا « بِئْرَ الْحُدَيْبِيَةِ » فَلَمْ يَتْرُكُوا فِيهَا قَطْرَةً ، وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْمَاءِ لَا تُرْوِي خَمْسِينَ شَاةً [١] ، فَنَزَحَ - ﷺ - مِنْهَا دَلْواً وَبَصَقَ فِيهِ وَأَعَادَهُ إِلَيْهَا فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ الْغَزِيرِ حَتَّى أَرْوَى الْجَيْشَ أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ » [٢] .

● ● ●

(١) الأصل : لا تروي إلاَّ خمس شياه . وما أثبت في « الشفا : ١٨٨/١ » .

(٢) في « صحيح البخاري : ١٥٦/٥ - (٦٤) كتاب المغازي - (٣٥) باب غزوة الحديبية - » :
« أَنْبَأَنَا «الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفاً وَأَرْبَعَمائَةٍ أَوْ أَكْثَرَ فَنَزَلُوا عَلَى بِئْرٍ فَنَزَحُوهَا فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ - ﷺ - فَأَتَى الْبِئْرَ وَقَعَدَ عَلَى شَفِيرِهَا . ثُمَّ قَالَ ائْتُونِي بِدَلْوٍ مِنْ مَائِهَا فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فَدَعَا ثُمَّ قَالَ دَعُوهَا سَاعَةً فَأَرْوَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ حَتَّى ارْتَحَلُوا .
و « صحيح مسلم : ١٤٣٣/٣ - (٣٢) كتاب الجهاد والسير - (٤٥) باب غزوة ذي قرد - الحديث : ١٣٢ - (١٨٠٧) - » . عن « سلمة بن الأكوع » . والخصائص الكبرى - للسيوطي : ٢٤٤/١ » .

هـ - : -(حَدِيثُ « عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ »)-

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » : - عَنْ « عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « أَصَابَ النَّاسَ عَطَشٌ شَدِيدٌ ، وَهُمْ مَعَ « النَّبِيِّ » - ﷺ - فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمَا « عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ » وَ « عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانِ كَذَا مَعَهَا [بَعِيرٌ] [١] عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ [٢] ، فَوَجَدَاهَا وَأَتَيَا بِهَا إِلَى « النَّبِيِّ » - ﷺ - [فَجَعَلَ فِي إِنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا ، وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ ، ثُمَّ فُتِحَتْ عَزَالِيهِمَا [٣]] [٤] وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ مَزَادَتَيْهَا . فَمَلَؤُوا أَسْقِيَتَهُمْ حَتَّى لَمْ يَدَعُوا سِقَاءً إِلَّا مَلَؤُوهُ .

---

(١) ساقطة في متن الأصل ومستدركة بالهامش .

(٢) « مَزَادَتَانِ » : مثنى : « مَزَادَةٌ » : و « المَزَادَةُ » وِعَاءٌ يُحْمَلُ فِيهِ المَاءُ في السَّفَرِ كَالْقِرْبَةِ وَنَحْوِهَا . (ج) : « مَزَادٌ » . « المعجم الوسيط » .

(٣) « الْعَزَالَى » : مفردها : « عَزْلاءُ » . وَ « الْعَزْلاءُ » مَصَبُّ المَاءِ مِنَ الْقِرْبَةِ وَنَحْوِهَا» « المعجم الوسيط » .

(٤) التكملة عن « الشفا : ١/١٨٩ » .

قَالَ « عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ » : « ثُمَّ أَوْكَيْتُهُمَا [١] ، وَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَمْ تَزْدَادَا إِلَّا امْتِلَاءً . ثُمَّ أَمَرَ فَجَمَعَ لِلْمَرْأَةِ مِنَ الْأَزْوَادِ حَتَّى مَلَأَ ثَوْبَهَا وَقَالَ : « اذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكِ شَيْئاً ـ أَيْ : نُنْقِصْهُ ـ وَلَكِنَّ اللهَ سَقَانَا » [٢] .

❁ ❁ ❁

(١) « أَوْكَى » : مثل « وَكَى » فيقال : وَكَى الْقِرْبَةَ و « أَوْكَى الْقِرْبَةَ » : شَدَّهَا بِالْوِكَاءِ . وَفِي الْمَثَلِ : « يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ » : يُقَالُ لِمَنْ يُوَبَّخُ بِشَيْءٍ عَمِلَهُ . وَالْوِكَاءُ : « الْخَيْطُ الَّذِي تُسَدُّ بِهِ الْقِرْبَةُ » .

(٢) انظر : « صحيح البخاري : ٩٤/١ ـ ٩٥ ـ (٧) كتاب التيمم ـ (٦) باب الصعيد الطَّيِّبُ وَضُوءُ المسلم يكفيه مِنَ الماء » .

و « الشفا : ١٨٩/١ ـ ١٩٠ » . و « دلائل النبوة ـ لأبي نعيم الأصبهاني : ١٤٦ » .

و - : -(حَدِيثُ «عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ»)-

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ »[(١)] - عَنْ « عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « كُنَّا مَعَ « رَسُولِ اللهِ » - ﷺ - فِي « جَيْشِ الْعُسْرَةِ »[(٢)] فَعَطِشَ النَّاسُ عَطَشاً شَدِيداً ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ مِنَّا لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ[(٣)] فَيَشْرَبُهُ ، فَرَغِبَ « أَبُو بَكْرٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إِلَىٰ « النَّبِيِّ » - ﷺ - فِي الدُّعَاءِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّىٰ قَالَتِ[(٤)] السَّمَاءُ فَانْسَكَبَتْ فَمَلَؤُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَسْقِيَةِ[(٥)] وَلَمْ تُجَاوِزِ الْعَسْكَرَ »[(٦)] .

◆ ◆ ◆

---

(١) لم أجده في الصحيحين ، بل وجدت تخريجه في « كتاب الشفا : ٥٥٩/١ - طبعة دمشق - الصادرة عن دار الوفاء للطباعة والنشر » . رواه « ابن خزيمة » في «صحيحه » و « البيهقي » و « البزار » عنه بسندٍ صحيح » .

(٢) هو الجيش الذي وجَّههُ - ﷺ - إلى « تبوك » في السنة التاسعة للهجرة .

(٣) « الْفَرْث » : « مَا في الْكَرِشِ » ، « مفردات الراغب الأصفهاني : - مادة : « فرث » .

(٤) « قَالَتِ السَّمَاءُ » : ظَهَرَ فِيهَا الْغَيْمُ وَالسَّحَابُ .

(٥) « الأَسْقِيَةُ » مفردها سِقَاءٌ . و « السِّقَاءُ » : « وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يَكُونُ لِلْمَاءِ وَاللَّبَنِ » « المعجم الوسيط » .

(٦) « الشِّفَا : ١٩٠/١ » و « دلائل النبوة - لأبي نُعَيْمٍ : ١٩٠ » و « مجمع الزائد : ١٩٤/٤ » .

ز ـ : ـ(حَدِيثُ « جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ » فِي إِحْدَى غَزَوَاتِهِ ـ ﷺ ـ)ـ

وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » (*) عَنْ « جَابِرٍ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ قَالَ : « كُنَّا مَعَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ فِي غَزْوَةٍ فَقَالَ : « يَا جَابِرُ ! » نَادِ الْوَضُوءَ ـ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ ـ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي فَمِ مَزَادَةٍ ، فَأُتِيَ بِهِ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ فَغَمَزَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ ؟ وَقَالَ : إِيتِنِي بِجَفْنَةِ (١) الرَّكْبِ / فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَوَضَعَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ [٧٠/ظ] كَفَّهُ فِيهَا ، وَصَبَّ « جَابِرٌ » عَلَيْهَا ذٰلِكَ الْمَاءَ ، وَقَالَ : « بِاسْمِ اللهِ » فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، حَتَّىٰ امْتَلَأَتِ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ حَتَّىٰ امْتَلَأَتْ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهَا ، فَاسْتَقُوا حَتَّىٰ رَوَوْا وَأَسْقَوْا رِكَابَهُمْ ، فَرَفَعَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ ، وَإِنَّهَا لَمَلْأَىٰ » . (*)

(*) قَدَّمَ « الْقَاضِي عِيَاضٌ » عِنْدَ ذِكْرِ هٰذَا الْحَدِيثِ بِالْقَوْلِ :

وَفِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ فِي حَدِيثِ « مُسْلِمٍ » الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ « غَزْوَةِ بُوَاطٍ » قَالَ : قَالَ لِي « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « يَا جَابِرُ ! » نَادِ الْوَضُوءَ . وَقَدِ اخْتَصَرَ الْقَاضِي فِي الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ بِمَعْنَاهُ وَنَحَا نَحْوَهُ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » . انظر : « صحيح مسلم : ٢٣٠٧/٤ ، ٢٣٠٨ ـ (٥٣) كتاب الزهد والرقائق ـ (١٨) باب : حديث جابر الطويل » الحديث رقم : (٣٠١٣) . وانظر : « الشفا : ١٨٧/١ » .

(١) « الْجَفْنَةُ » : « الْقَصْعَةُ » . وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَدْعُو السَّيِّدَ الْمِطْعَامَ جَفْنَةً لِأَنَّهُ يَضعهُا وَيُطْعِمُ النَّاسَ فِيهَا ، فَسُمِّيَ بِاسْمِهَا . « المعجم الوسيط » و « النهاية في غريب الحديث : ٢٨٠/١ » .

ح - : -(حَدِيثُ «مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ» في «غَزْوَةِ تَبُوكَ»)-

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ « مَالِكٌ » فِي « الْمُوَطَّإِ » عَنْ « مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ » - رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ - قَالَ : « كُنَّا مَعَ « رَسُولِ اللهِ » - ﷺ - فِي « غَزْوَةِ تَبُوكَ » ، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ [1] تَبِضُّ [2] بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ . قَالَ : فَسَأَلَهُمَا « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - : « هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً ؟ » قَالَا : نَعَمْ . فَسَبَّهُمَا « النَّبِيُّ » - ﷺ - ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ . قَالَ : ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، حَتَّىٰ اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ . قَالَ : وَغَسَلَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ . أَوْ قَالَ : غَزِيرٍ - شَكَّ « أَبُو عَلِيٍّ » أَيُّهُمَا قَالَ - حَتَّىٰ اسْتَقَىٰ النَّاسُ ثُمَّ قَالَ : « يُوشِكُ يَا « مُعَاذُ ! » إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، أَنْ تَرَىٰ مَا هَٰهُنَا قَدْ مُلِيءَ جِنَاناً » [3] . - أَيْ : بَسَاتِينُ - فَكَانَ ذَٰلِكَ .

❀ ❀ ❀

---

(١) « الشِّرَاكُ » : « سَيْرُ النَّعْلِ » .

(٢) « تَبِضُّ » : « تَسِيل » . « وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ » : ومَعْنَاهُ مَاءٌ قَلِيلٌ جِداً .

(٣) « مُوَطَّأ مَالِك : ١٠٨ - (٩) كِتَابُ قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ - الحَدِيثُ : (٢) » .
و « صحيح مُسْلِم : ١٧٨٤/٤ - ١٧٨٥ - (٤٣) كتاب الفضائل - (٣) باب مُعجزاتِ النَّبِيِّ - ﷺ - الحديث : (١٠) - (٧٠٦) » ، وانظر : « الشِّفَا : ١٨٨/١ » .

النَّوعُ الثَّالِثُ، وَهُوَ

تَكْثِيرُ الطَّعَامِ اليَسِيرِ بِبَرَكَتِهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ كَثِيرٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

آ ــ : ــ(حديثُ أنسٍ)ــ

« حَدِيثُ « أَنَسٍ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ أَنَّ « أَبَا طَلْحَةَ » [1] بَعَثَهُ بِأَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ تَحْتَ إِبْطِهِ ، فَفَتَّهَا ــ ﷺ ــ وَأَشْبَعَ مِنْهَا ثَمَانِينَ رَجُلًا » [2] . ــ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ــ .

• • •

---

(١) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ، أبو طلحة الأنصاري ، بدري كبير مشهور ، توفي سنة أربع وثلاثين هـ . « تجريد أسماء الصحابة : ١٩٩/١ و ١٨٠/٢ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٢٣٤/٤ ــ ٢٣٥ ــ (٦١) كتاب المناقب ــ (٢٥) باب علامات النبوة » ، و « صحيح البخاري : ٨٩/٧ ــ (٧٠) كتاب الأطعمة ــ (٦) باب مَن أكلَ حتى شبع » ، و « صحيح مسلم : ١٦١٢/٣ ــ (٣٦) كتاب الأشربة ــ (٢٠) باب جواز استتباعه غيره إلى دار مَنْ يثق برضاه ــ حديث : ١٤٢ ــ (٢٠٤٠) » .
و « مُوَطَّأ مَالِكٍ ــ (٤٩) كتاب صفة « النبي » ــ ﷺ ــ (١٠) باب جامع ما جاء في الطَّعام والشَّراب ــ الحديث : (١٩) » .
و « سنَن التِّرمذي : ٢٥٥/٥ ــ أبواب المناقب عن « رَسُول الله ــ ﷺ ــ (٣٠) ــ باب ــ الحديث : (٣٧٠٩) » .
و « الشفا : ١٩٠/١ » .

ب - : -(حَدِيثُ جَابِرٍ)-

وَحَدِيثُ « جَابِرٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَنَعَ « لِلنَّبِيِّ » - ﷺ - صَاعاً [1] مِنْ شَعِيرٍ ، وَطَعَاماً وَطَلَبَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ ، فَنَادَىٰ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ ، وَكَانُوا أَلْفاً جِيَاعاً ، فَأَكَلُوا مِنْ ذَٰلِكَ كُلُّهُمْ حَتَّىٰ انْصَرَفُوا. قَالَ « جَابِرٌ » : « وَأُقْسِمُ بِاللهِ ! إِنَّ بُرْمَتَنَا [2] لَتَغِطُّ [3] كَمَا هِيَ ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا لَتُخْبَزُ ، وَكَانَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - بَصَقَ فِي الْبُرْمَةِ وَالْعَجِينِ » [4]. - مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ -

◎◎◎

---

(١) « الصَّاعُ » : وهُوَ مِكْيَالٌ يَسَعُ أَرْبَعَةَ أَمْدَادٍ ، و « المُدُّ » مُخْتَلَفٌ فِيهِ فقيلَ هُوَ رِطْلٌ وثلث بالعراقي . وقيل هو رِطْلان .

(٢) « البُرْمَةُ » : « القِدْرُ » مُطْلَقاً وَجَمْعُهَا : « بِرَامٌ » ، وَهْيَ فِي الأَصْلِ : المُتَّخَذَةُ مِنَ الْحَجَرِ المَعْرُوفِ بِالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ . « النهاية في غريب الحديث : ١٢١/١ - مادة : « برم » .

(٣) « تَغِطُّ » : « تَغْلِي ويُسْمَعُ غَطِيطُهَا » .

(٤) « صحيح البخاري : ١٣٩/٥ - (٦٤) كتاب المغازي - (٢٩) باب غزوة الْخَنْدَقِ » ، و « صحيح مسلم : ١٦١٠/٣ - ١٦١١ - (٣٦) كتاب الأشربة - (٢٠) بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غيرَهُ إلى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بذلك - الحديث : ١٤١ - (٢٠٣٩) - » . و « الشفا : ١٩٠/١ - ١٩١ » .

ج - : -(قِصَّةُ غُرَمَاءِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -)-

وَحَدِيثُ « جَابِرٍ » أَيْضاً - الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ - أَنَّهُ حِينَ مَاتَ أَبُوهُ أَبَىٰ غُرَمَاؤُهُ (١) أَنْ يَقْبَلُوا ثَمَرَةَ نَخِيلِهِ بِدَيْنِهِ ، فَجَاءَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - وَجَلَسَ عَلَىٰ بَيْدَرٍ وَاحِدٍ مِنْهَا ، فَكَالَ لَهُمْ حَتَّىٰ أَوْفَاهُمْ مِنْهُ ، وَسَلِمَتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ مَعَ سَائِرِ الْبَيَادِرِ » (٢).

❋❋❋❋

(١) « الغُرَمَاءُ » مُفْرَدُهَا « غَرِيمٌ » وَهُوَ « صَاحِبُ الدَّيْنِ » .

(٢) « الْبَيْدَرُ » : « الجُرْنُ » .

« صحيح البخاري : ٤/٢٣٥ - (٦١) كتاب المناقب - (٢٥) باب علامات النبوَّة » ، و « الشفا : ١/١٩٣ » ، و « دلائل النبوة : - لأبي نعيم الأصبهاني : ١٥٥ » .

د -: -(حَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ فِي دَعْوَتِهِ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- لِلطَّعَامِ فِي دَارِ الهِجْرَةِ)-

وَحَدِيثُ « أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَنَعَ « لِرَسُولِ اللهِ » -ﷺ- وَ« لِأَبِي بَكْرٍ » عِنْدَ قُدُومِهِمَا فِي الْهِجْرَةِ مَا يَكْفِيهِمَا. فَقَالَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - : « ادْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ » فَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ، فَقَالَ : « ادْعُ سِتِّينَ » فَدَعَاهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ،] فَقَالَ : « ادْعُ سَبْعِينَ »، فَدَعَاهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ، قَالَ « أَبُو أَيُّوبَ » : فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي ثَمَانُونَ وَمِائَةُ رَجُلٍ، وَمَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى أَسْلَمَ وَبَايَعَ [1].

•••••

(١) « دَلَائِل النبوَّة - للأصفهاني : ١٥٢ - ١٥٣ ».
« الشفا : ١/١٩١ ».

ه ـ : ـ(حَدِيثُ أَنَسٍ فِي وَلِيمَةِ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ عِنْدَ بِنَائِهِ بِزَيْنَبَ)ـ

وَحَدِيثُ « أَنَسٍ » « أَنَّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ حِينَ ابْتَنَى « بِزَيْنَبَ » أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ قَوْماً سَمَّاهُمْ ، وَكُلَّ مَنْ لَقِيتَ حَتَّى امْتَلأَ الْبَيْتُ وَالْحُجْرَةُ وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ تَوْراً (١) فِيهِ قَدْرُ مُدٍّ مِنْ تَمْرٍ جُعِلَ حَيْساً (٢) فَوَضَعَهُ قُدَّامَهُ وَغَمَسَ ثَلَاثَ أَصَابِعِهِ ، وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَغَدَّوْنَ وَيَخْرُجُونَ ، وَبَقِيَ التَّوْرُ كَمَا هُوَ » (٣) ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

❀ ❀ ❀

(١) « التَّوْرُ » : « هُوَ إِنَاءٌ مِنْ صُفْرٍ أَوْ حِجَارَةٍ كَالإِجَّانَةِ ، وَقَدْ يُتَوَضَّأُ مِنْهُ »، « النهاية في غريب الحديث : ١٩٩/١ ـ مادة : « تَوْر » .

(٢) « الْحَيْسُ » : هُوَ الطَّعَامُ الْمُتَّخَذُ مِنَ التَّمْرِ وَالأَقِطِ وَالسَّمْنِ . وَقَدْ يُجْعَلُ عِوَضَ الأَقِطِ الدَّقِيقُ ، أَوِ الْفَتِيتُ » . النهاية في غريبِ الحديث : ٤٦٧/١ ـ مادة : « حيس » ـ » .

(٣) « صحيح البخاري : ٢٨/٧ ـ ٢٩ ـ (٦٧) كتاب النكاح ـ (٦٤) باب الهدية للعروس » . و « صحيح مسلم : ١٠٥/٢ ـ (١٦) كتاب النكاح ـ (١٥) باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس ـ الحديث رقم : ٩٤ ـ ((١٤٢٨)) » . و « الشفا : ١٩٢/١ » . و « دلائل النبوة ـ لأبي نعيم الأصبهاني : ١٥١ » .

و ـ : ـ(حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ أَبِي بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا)ـ

وَحَدِيثُ « عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : « كُنَّا مَعَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً فَعُجِنَ صَاعٌ [مِنْ طَعَامٍ] (١) ، وَذُبِحَتْ شَاةٌ ، فَشُوِيَ سَوَادُ بَطْنِهَا [ـ أَيْ : كَبِدُهَا ـ] (٢) وَأَمَرَهُ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ أَنْ يَحُزَّ لَهُمْ مِنْهَا ، قَالَ : « وَايْمُ اللهِ ! » مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ [النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ] لَهُ حُزَّةً (٣) مِنْ كَبِدِهَا ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا [الطَّعَامَ وَاللَّحْمَ] قَصْعَتَيْنِ (٤) ، فَأَكَلْنَا مِنْهَـا أَجْمَعُونَ ، وَفَضَلَ مِنْهُمَا / فَضْلَةٌ [٧١ و] فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ » (٥) .

ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

❋❋❋

(١) و (٢) ما بين الحاصرتين من شرح المؤلف .

(٣) « الحُزَّةُ » : « وَهِيَ القِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ قُطِعَتْ طُولاً » ، « النهاية في غريب الحديث : ١/٣٧٨ » .

(٤) « الْقَصْعَةُ » : وِعَاءٌ يُؤْكَلُ فِيهِ وَيُثْرَدُ ، وَكَانَ يُتَّخَذُ مِنَ الْخَشَبِ غَالِباً . (ج) قِصَاعٌ ، وَقِصَعٌ ، وَقَصَعَاتٌ » .

(٥) « صحيح البخاري : ٣/٢١٤ ـ (٥١) كتاب الهبة ـ (٢٨) باب قبول الهدية من المُشْرِكين » . و « صحيح مسلم : ٣/١٦٢٦ ـ ١٦٢٧ ـ (٣٦) كتاب الأشربة ـ (٣٢) باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ـ الحديث : ١٧٥ـ(٢٠٥٦) ـ » ـ اختصر المؤلف نص الحديث ـ . « الشفا : ١/١٩١ » و « دلائل النبوة ـ لأبي نعيم الأصبهاني ـ : ١٤٨ » .

ز ــ : ــ(حَدِيثُ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ)ــ

وَحَدِيثُ « سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ : « أَصَابَتِ النَّاسَ مَخْمَصَةٌ (١) شَدِيدَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الأَزْوَادِ (٢) ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَثْيَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ وَأَعْلَاهُمُ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ فَجَمَعُوهُ عَلَى نِطَعٍ (٣) زَادَ « مُسْلِمٌ » فَحَزَرْتُهُ (٤) كَرَبْضَةِ الْعَنْزِ (٥) ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وِعَاءٌ إِلَّا مَلَؤُوهُ ، وَبَقِيَ مِنْهُ » (٦) ــ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ــ .

ⓐⓐⓐ

(١) « المَخْمَصَةُ » : « المَجَاعَةُ » .
(٢) « الأَزْوَادُ » ج « زَاد » وَهُوَ الطَّعَامُ .
(٣) « النِّطَعُ » : أَيْ سُفْرَةٌ مِنْ أَدِيمٍ ، أَوْ بِسَاطٌ .
(٤) « حَزَرْتُهُ » : « قَدَّرْتُهُ » و « خَمَّنْتُهُ » .
(٥) « كَرَبْضَةِ الْعَنْزِ » : أَيْ كَمَبْرَكِ الْعَنْزَةِ ، أَوْ كَقَدْرِهَا وَهِيَ رَابِضَةٌ .
(٦) « صحيح مسلم : ٣/١٣٥٤ ــ ١٣٥٥ ــ (٣١) كتاب اللقطة ــ (٥) بابُ اسْتِحْبَابِ خَلْطِ الأَزْوَادِ إِذَا قَلَّتِ ، وَالمُوَاسَاةِ فِيهَا ــ الحديث : ١٩ ــ (١٧٢٩) » .
و « الشفا : ١/١٩٢ » .

ح - : -(حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي دَعْوَةِ الرَّسُولِ - ﷺ - أَهْلَ الصُّفَّةِ)-

وَحَدِيثُ « أَبِي هُرَيْرَةَ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : أَصَابَنِي جُوعٌ شَدِيدٌ ، فَلَمَّا خَرَجَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - مِنَ الْمَسْجِدِ تَبِعْتُهُ فَوَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ قَدَحَ لَبَنٍ ، قَدْ أُهْدِيَ لَهُ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَدْعُوَ لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ ، وَكَانُوا سَبْعِينَ فَدَعَوْتُهُمْ ، فَأَمَرَنِي « النَّبِيُّ » - ﷺ - أَنْ أَسْقِيَهُمْ مِنْهُ ، فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ حَتَّىٰ رَوُوا جَمِيعُهُمْ . فَقَالَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - : « بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ ، فَاشْرَبْ » فَشَرِبْتُ حَتَّىٰ رَوِيتُ ، فَقَالَ : « اشْرَبْ » فَشَرِبْتُ حَتَّىٰ رَوِيتُ ، فَقَالَ : « اشْرَبْ » فَشَرِبْتُ حَتَّىٰ رَوِيتُ ، فَمَا زَالَ يَقُولُ : « اشْرَبْ » حَتَّىٰ قُلْتُ : « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ وَحَمِدَ « اللهَ » - تَعَالَىٰ - ، وَسَمَّىٰ وَشَرِبَ »(١) . - مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ - .



(١) « صحيح البُخَارِيِّ : ٨/١١٩ - ١٢١ (٨١) كتاب الرقاق - (١٧) باب كيف كانَ عيش « النَّبِيِّ » - ﷺ - وأصحابِهِ وتخلِّيهِم عَنِ الدُّنيا - » . « المستدرك : ٣/١٦ - كتاب الهجرة - » .

و « الشفا ١/١٩٤ » و « دَلائل النبوة - للأصبهاني : ١٥٠ » .

النَّوْعُ الرَّابِعُ : وَهُوَ

كَلَامُ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ وَشَهَادَتُهَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَمِنْ ذٰلِكَ :

آ ـ : ـ(حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ فِي شَهَادَةِ الشَّجَرَةِ برسالته ـ ﷺ ـ)ـ

حَدِيثُ « ابْنِ عُمَرَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ :

« كُنَّا مَعَ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ فِي سَفَرٍ ، فَدَنَا مِنْهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ : « يَا أَعْرَابِيُّ ! » أَيْنَ تُرِيدُ ؟ » قَالَ : « إِلَىٰ أَهْلِي » . قَالَ : « هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَهْلٍ خَيْرٍ مِنْ أَهْلِكَ ؟ » . قَالَ : « وَمَا هُوَ ؟ » قَالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ « مُحَمَّداً » عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » . قَالَ : « مَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَىٰ مَا تَقُولُ ؟ » قَالَ : « هٰذِهِ الشَّجَرَةُ السَّمُرَةُ » [١] ، وَهِيَ بِشَاطِىءِ الْوَادِي ، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ [٢] الْأَرْضَ حَتَّىٰ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثاً ، فَشَهِدَتِ الشَّهَادَتَيْنِ ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَىٰ مَكَانِهَا »[٣].

---

(١) في « سنن الدارمي : ١/١٠ » : هَـٰذِهِ السَّلَمَةُ .

(٢) « تَخُدُّ الأَرْضَ » : « تَحْفِرُهَا وَتَشُقُّهَا » .

(٣) « سنن الدارمي : ١/٩ ـ ١٠ ـ المُقَدِّمَةُ ـ بَابُ مَا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ مِنْ إِيمَانِ الشَّجَرِ بِهِ وَالبَهَائِمِ وَالجِنِّ » . وانظر : « الشفا : ١/١٩٥ ـ ١٩٦ » . و « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : ٤/١٦ ـ كتاب المناقب ـ (باب) شهادة الشجرة بنبوته ، وَطَاعَتُهَا ـ الحديث رقم : (٣٨٣٦) . وعلق محقق الكتاب في الحاشية (٤) : « قالَ البوصيري : رواه أبو يعلى بسندٍ صحيح ، والبزار والطبراني وابن حبان في صحيحه ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، عزاه لأبي يعلى والبزار أيضاً » .

ب - : -(حَدِيثُ جَابِرٍ فِي انْقِيَادِ الشَّجَرِ لِرَسُولِ اللهِ - ﷺ -)-

وَفِي « الصَّحِيحِ » عَنْ « جَابِرٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « ذَهَبَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ بِهِ ، فَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي مُتَبَاعِدَتَيْنِ ، [فَانْطَلَقَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - إِلَىٰ إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ : « انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ][1] ، فَانْقَادَتْ مَعَه كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ - أَيْ : الْمَجْعُولِ فِي أَنْفِهِ حَلَقَةٌ فِيهَا الْخِطَامُ - [2] [الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ فَعَلَ بِالأُخْرَىٰ مِثْلَ ذَٰلِكَ] [3] حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ [4] مِمَّا بَيْنَهُمَا ، قَالَ : الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ ، فَالْتَأَمَتَا ، فَلَمَّا قَضَىٰ حَاجَتَهُ افْتَرَقَتَا ، وَعَادَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَىٰ مَنْبَتِهَا » .

---

(١) التكملة عن « الشفا : ١٩٦/١ » .

(٢) « الخِطَام » : « الزِّمَامُ » .

(٣) التكملة عن « الشفا : ١٩٦/١ » .

(٤) الأصل : النصف . وما أثبت في « صحيح مسلم : ٢٣٠٧/٤ » . و « المَنْصَفُ » : « هُوَ نصف المسافة » .

« صحيح مسلم : ٢٣٠٦/٤ - ٢٣٠٧ - (٥٣) كتاب الزهد والرقائق - (١٨) باب حديث جابر الطويل - الحديث : (٣٠١٢) » .

و « الشفا : ١٩٦/١ » . و « دلائل النبوة للإصبهاني : ١٣٩ » .

ج ـ : ـ(حَدِيثُ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْبِ فِي دَعْوَتِهِ ـ ﷺ ـ الشَّجَرَةَ إِلَيْهِ)ـ

عَنْ « بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ » ـ مُصَغَّرَيْنِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ آيَةً ـ أَيْ : عَلَامَةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ ـ فَقَالَ لَهُ : « قُلْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ : « رَسُولُ اللهِ » يَدْعُوكِ » فَفَعَلَ ، فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا [وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلْفِهَا] [1] ، فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقُهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ [تَخُدُّ الْأَرْضَ] [2] ، تَجُرُّ عُرُوقَهَا [مُغْبَرَّةً] [3] حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَتْ « : السَّلَامُ عَلَيْكَ « يَا رَسُولَ اللهِ ! » [قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : « مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَىٰ مَنْبَتِهَا » فَرَجَعَتْ ، فَدَلَّتْ [4] عُرُوقَهَا فَاسْتَوَتْ] [5] ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : « ائْذَنْ لِي أَسْجُدْ لَكَ » . قَالَ : « لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إِلَّا لِلَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ » ، قَالَ : « ائْذَنْ لِي أُقَبِّلْ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ » فَأَذِنَ لَهُ » [6] .

❊❊❊❊

---

(١) و (٢) و (٣) التكملات عن « الشفا : ١/١٩٦ » .

(٤) « دَلَّتْ » : « حَسُنَ سَمْتُهَا وَمَنْظَرُهَا » .

(٥) التكملة عن « الشفا : ١/١٩٦ » .

(٦) انظر : « دلائل النُّبُوَّة ـ للإصبهاني : ١٣٨ » و « الشِّفَا : ١/١٩٦ » . « واختصر المؤلف بعض نص الحديث » .

د - : -(حَدِيثُ يَعْلَى بنِ مُرَّةَ)-

وَعَنْ « يَعْلَىٰ بْنِ مُرَّةَ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - قَاعِداً فَأَتَتْ شَجَرَةٌ - طَلْحَةٌ أَوْ سَمُرَةٌ - عَظِيمَةٌ فَأَطَافَتْ بِهِ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَىٰ مَنْبَتِهَا ، فَقَالَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - إِنَّهَا اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ » (١) .

❊❊❊

هـ - : -(انْفِرَاجُ السِّدْرَةِ لِمُرُورِهِ - ﷺ)-

وَذَكَرَ « الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ » - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - أَنَّ « النَّبِيَّ » - ﷺ - كَانَ يَسِيرُ لَيْلًا فِي غَزْوَةِ « الطَّائِفِ » وَهُوَ وَسِنٌ - أَيْ بِهِ سِنَةُ نَوْمٍ - فَاعْتَرَضَتْهُ شَجَرَةُ سِدْرٍ ، فَانْفَرَجَتْ لَهُ نِصْفَيْنِ حَتَّىٰ مَرَّ بَيْنَهُمَا ، قَالَ : « وَبَقِيَتْ عَلَىٰ سَاقَيْنِ إِلَىٰ وَقْتِنَا هَٰذَا » . قَالَ : « وَهِيَ هُنَاكَ مَعْرُوفَةٌ مُعَظَّمَةٌ (٢) » (٣) .

❊❊❊

(١) انظر : « دلائل النبوة - للإصبهاني - : ١٣٨ - ١٣٩ » . و « الشفا : ١٩٧/١ » .
(٢) « إنَّ التعظيمَ لايكُون إلاَّ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - » .
(٣) انظر : « الشفا : ١٩٨/١ » .

و - : -(حَدِيثُ الجِذْعِ المَشْهُورِ)-

وَمِنْ ذَٰلِكَ :

« حَدِيثُ الْجِذْعِ الْمَشْهُورِ » فِي « الصَّحِيحَيْنِ » :عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ / - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالُوا : « كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفاً عَلَىٰ [٧١ ظ] جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ ، وَكَانَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَىٰ جِذْعٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَٰلِكَ الْجِذْعِ صَوْتاً كَصَوْتِ الْعِشَارِ - مِنَ الْإِبِلِ - حَتَّىٰ جَاءَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ » . وَفِي رِوَايَةِ « أَنَسٍ » : « حَتَّىٰ ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ لِشِدَّةِ خُوَارِهِ » . وَفِي رِوَايَةِ « سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ » : « وَكَثُرَ بُكَاءُ النَّاسِ » . وَفِي رِوَايَةِ « الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَّاعَةَ » : « حَتَّىٰ انْشَقَّ الْجِذْعُ » وَجَاءَهُ « النَّبِيُّ » - ﷺ - فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ ». زَادَ غَيْرُهُ ، فَقَالَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - : « إِنَّ هَٰذَا بَكَىٰ لِمَا فَقَدَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ - تَعَالَىٰ - وَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! » وَلَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هَٰكَذَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ». ثُمَّ أَمَرَ بِهِ « النَّبِيُّ » - ﷺ - فَدُفِنَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ ، وَفِي رِوَايَةِ « بُرَيْدَةَ » : أَنَّ « النَّبِيَّ » - ﷺ - قَالَ : « إِنْ شِئْتَ أَنْ أَرُدَّكَ إِلَىٰ الْبُسْتَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبُتُ

لَكَ عُرُوقُكَ ، وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ ، وَيُجَدِّدُ لَكَ خُوصٌ [(١)] وَثَمَرٌ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْرَبَ مِنْ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا ، فَيَحْسُنَ نَبْتُكَ وَتُثْمِرَ ، فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ « اللهِ » مِنْ ثَمَرِكَ » ، فَقَالَ : « بَلْ تَغْرِسُنِي فِي الْجَنَّةِ لِأَكُونَ فِي مَكَانٍ لَا أَبْلَىٰ فِيهِ » ، فَسَمِعَهُ الْحَاضِرُونَ فَقَالَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - : « قَدْ فَعَلْتُ » ، ثُمَّ قَالَ : « اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَىٰ دَارِ الْفَنَاءِ » [(٢)] .

(تَعْلِيقُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ عَلَى حَدِيثِ الجِذْعِ)

وَكَانَ « الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ » - رَحِمَهُ اللهُ - إِذَا حَدَّثَ بِهٰذَا الْحَدِيثِ بَكَىٰ وَقَالَ : « يَا عِبَادَ اللهِ ! » الْخَشَبَةُ تَحِنُّ شَوْقاً إِلَىٰ « رَسُولِ اللهِ » - ﷺ - لَمَّا فَارَقَهَا ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَىٰ لِقَائِهِ » .

◎◎◎

---

(١) « الخُوصُ » : « وَرَقُ النَّخْلِ » .

(٢) انظر الخبر في : « صحيح البخاري : ٤/٢٣٧ - (٦١) كتاب المناقب - (٢٥) علامات النبوّة » . و « سنن الترْمذي : ٥/٢٥٤ » - أبواب المناقب - (٢٨) باب - الحديث : (٣٧٠٦) - » . و « دلايل النبوة - للإصبهاني : ١٤٢ - ١٤٣ » و « الخصائص للسيوطي - : ٢/٧٥ - ٧٦ » .

ز ــ : ــ(تَسْبِيحُ الطَّعَامِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ــ ﷺ)ــ

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » ــ عَنِ « ابْنِ مَسْعُودٍ » ــ قَالَ : « كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ مَعَ « رَسُولِ اللهِ » ــ ﷺ ــ وَهُوَ يُؤْكَلُ »[1] .

◎◎◎

ح ــ : ــ(حَدِيثُ اثْبُتْ أُحُدُ)ــ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ »[2] ــ عَنْ « أَنَسٍ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ : « صَعِدَ « النَّبِيُّ » ــ ﷺ ــ جَبَلَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ « أَبُو بَكْرٍ » و « عُمَرُ » و « عُثْمَانُ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ ، فَقَالَ لَهُ : « اثْبُتْ

---

(١) الأصل : « وهو يا كل » .
والحديث في « صحيح البخاري : ٢٣٥/٤ ــ (٦١) كتاب المناقب ــ (٢٥) باب علامات النبوة » . وما أثبت طرف في ختام حديث .
و « سنن الترمذي : ٢٥٧/٥ ــ أبواب المناقب ــ (٣٣) باب ــ الحديث : (٣٧١٢) » وفيه : « لَقَدْ كُنَّا نَأْكُلُ الطَّعَامَ مَعَ « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ » .
(٢) لا ذِكْرَ للحَدِيثِ في « صَحِيحِ مُسلم » ، وقد رواه البخاري وأحمد بن حنبل وأبو داود والنسائي . « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » و « هداية الباري ١٣/١ » .

« أُحُدُ ! » فَإِنَّمَا عَلَيْكَ « نَبِيٌّ » وَ « صِدِّيقٌ » وَ « شَهِيدَانِ » (١) .

ط - : -(تَطْهِيرُ الْكَعْبَةِ مِنَ الأَصْنَامِ)-

وَفِيهِمَا : « عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « كَانَ حَوْلَ « الْكَعْبَةِ » ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَماً ، مُثْبَتَةً إِلَىٰ الرُّخَامِ بِالرَّصَاصِ ، فَلَمَّا دَخَلَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - عَامَ الْفَتْحِ ، جَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهَا بِقَضِيبٍ كَانَ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢) ، فَمَا أَشَارَ لِوَجْهِ صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ لِقَفَاهُ ، وَلَا لِقَفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لِوَجْهِهِ ، حَتَّىٰ مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا » (٣) .

(١) « صحيح البخاري : ١١/٥ - (٦٢) كتاب أصحاب « النَّبيّ » - ﷺ - (٥) باب قول « النَّبيّ » - ﷺ - لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً » .

ومما جاء في التعليق على هذا الحديث في « كتاب هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري ١٣/١ - الحاشية (٤) - » : « ولا رَيْبَ أنَّ هذه الرَّجْفَةَ لَيْسَتْ مِنْ جنسِ الرَّجْفَةِ بِقَوْمِ « مُوسَى » - عليه السَّلام - لَمَّا حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه ، بَلْ تِلْكَ رَجْفَةُ الْغَضَبِ ، وَهَذِهِ رَجْفَةُ الطَّرَبِ . وَلِذَا نَصَّ عَلَى رُتْبَةِ النُّبُوَّةِ وَالصِّدِّيقِيَّةِ وَالشَّهَادَةِ الَّتِي تُوجِبُ سُرُورَهُ لَا رَجَفَانَهُ » .

وانظر أيضاً : « دلائل النبوَّة للإصبهاني : ١٥٤ » .

(٢) « سورة الإسراء : ٨١/١٧ - ك - » (٦٥) .

(٣) انظر « صحيح البخاري : ١٠٨/٦ - كتاب التفسير - ١٧ سورة الإسراء باب (١٢) » .
و « صحيح مسلم » : ١٤٠٨/٣ - (٣٢) كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب إزالة الأصنام » .
- الحديث : ٨٧ - (١٧٨١) - » وانظر « دلائل النبوَّة - للاصفهاني : ١٨٨ » .

النَّوْعُ الْخَامِسُ، وَهُوَ

شَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَمِنْ ذٰلِكَ :

٦ - : حَدِيثُ الضَّبِّ

- عَنْ « عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - جَالِساً فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِي ، مَعَهُ ضَبٌّ قَدْ صَادَهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ « النَّبِيُّ » - ﷺ - الْإِسْلَامَ ، فَقَالَ : « وَ « اللَّاتِ » وَ « الْعُزَّىٰ » ! لَا آمَنْتُ بِكَ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِكَ هٰذَا الضَّبُّ » [فَأَخْرَجَ الضَّبَّ مِنْ كُمِّهِ ، وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ « النَّبِيِّ » - ﷺ - وَقَالَ : « إِنْ آمَنَ بِكَ هٰذَا الضَّبُّ آمَنْتُ] (١) . فَقَالَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - يَا ضَبُّ ! فَأَجَابَهُ [الضَّبُّ] (٢) بِلِسَانٍ فَصِيحٍ ، سَمِعَهُ الْقَوْمُ جَمِيعاً : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَىٰ الْقِيَامَةَ ! » قَالَ : « مَنْ تَعْبُدُ ؟ » قَالَ : « اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ ، وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ ، [وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ] (٣) ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ ، وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ » قَالَ : « فَمَنْ أَنَا ؟ » قَالَ : « أَنْتَ

(١) التكملة عن « دلائل النبوّة - للإصبهاني - : ١٣٤ » .

(٢) التكملة للتوضيح .

(٣) التكملة عن « الخصائص الكبرى : ٦٥/٢ » .

رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ ، وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ ، [فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ] (١) » (٢) .

◎◎◎

(١) التكملة عن : « الخصائص الكبرى : ٢/٦٥ » .

(٢) أوجز المؤلف الحديث ، وقد ورد ذكر هذا الحديث في :

« دلائل النبوّة ـ للإصبهاني : ١٣٤ » و « شمائل الرسول ـ لابن كثير ـ : ٢٨٥ » ، و « الشفا : ١/٢٠٤ » ، وأَوْرَدَ السُّيُوطِيُّ في كتابه « الخصائص الكبرى : ٢/٦٥ » : « . . . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ دِحْيَةَ أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ مَوْضُوعٌ ، وكذا الذَّهَبِيُّ » .

وَمِنْ ذَٰلِكَ :

ب - : حَدِيثُ الذِّئْبِ

- عَنْ « أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ » وَ « أَبِي هُرَيْرَةَ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَا : « بَيْنَمَا رَاعٍ يَرْعَىٰ غَنَماً لَهُ ، إِذْ عَرَضَ الذِّئْبُ لِشَاةٍ (١) مِنْهَا فَأَخَذَهَا ، / فَأَدْرَكَهُ الرَّاعِي فَاسْتَرَدَّهَا مِنْهُ . فَأَقْعَىٰ الذِّئْبُ وَقَالَ لِلرَّاعِي : [٧٢ و] « أَلَا تَتَّقِي اللهَ - تَعَالَىٰ - حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي ! » قَالَ الرَّاعِي : « عَجَبٌ لِذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ [بِكَلَامِ الْإِنْسَانِ ! »] (٢) فَقَالَ الذِّئْبُ : أَنْتَ أَعْجَبُ مِنِّي وَاقِفاً (٣) عَلَىٰ غَنَمِكَ ، وَتَرَكْتَ نَبِيّاً لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيّاً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ قَدْراً عِنْدَهُ ، قَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَأَشْرَفَتِ الْحُورُ (٤) الْعِينُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ يَنْظُرُونَ قِتَالَهُمْ ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ إِلَّا هَٰذَا الشِّعْبُ

---

(١) الأصل : « بشاةٍ » .

(٢) التكملة للتوضيح .

(٣) الأصل : « واقف » .

(٤) « الحُورُ العِينُ » : هُنَّ نِساءُ أَهْلِ الجَنَّةِ ، واحدتهنَّ « حَوْرَاءُ » : وَهِيَ « الشَّدِيدَةُ بَيَاضِ العَيْنِ ، الشَّدِيدَةُ سَوَادِهَا » ، « النهاية في غريب الحديث » : ٤٥٨/١ - مادة : « حَوَرَ » .

فَتَصِيرُ فِي جُنُودِ اللهِ ـ تعَالَىٰ ـ ، [وَكَانَ ذَٰلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ] [١] ـ ، قَالَ الرَّاعِي : « فَمَنْ لِي بِغَنَمِي ؟ » قَالَ الذِّئْبُ : « أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّىٰ تَرْجِعَ » . فَمَضَىٰ الرَّجُلُ وَوَجَدَ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ يُقَاتِلُ ، فَأَسْلَمَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ لَهُ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ : « قُمْ فَحَدِّثْهُمْ » ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : « عُدْ إِلَىٰ غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا ، فَرَجَعَ فَوَجَدَهَا كَذَٰلِكَ ، فَذَبَحَ لِلذِّئْبِ شَاةً مِنْهَا »[٢].

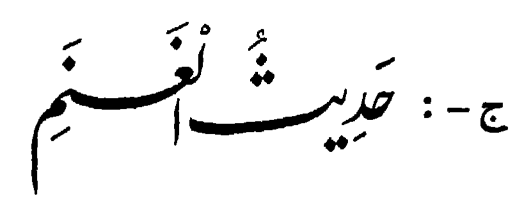
***

(١) ما بين الحاصرتين من شرح المؤلف .

(٢) جمع المؤلف في هذا الحديث بين روايتي « أبي سعيد الخدري » و « أبي هريرة » .

انظر : « دلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ١٣٢/١ ـ ١٣٣ » و « الشفا : ٢٠٤/١ ـ ٢٠٥ » و « شمائل الرسول ـ لابن كثير : ٢٧٣ » وانظر في « الخصائص الكبرى : ٦١/٢ ـ ٦٣ » الروايات المعروفة لهذا الحديث .

وَمِنْ ذَٰلِكَ :



ج - : حَدِيثُ الْغَنَمِ

- عَنْ « أَنَسٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « دَخَلَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - حَائِطاً [1] لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، وَمَعَهُ « أَبُوبَكْرٍ » وَ « عُمَرُ » ، وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ ، فَسَجَدَتْ لَهُ - ﷺ - فَقَالَ « أَبُوبَكْرٍ » : « [يَا رَسُولَ اللهِ ! » كُنَّا] [2] نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ [3] مِنْهَا » . فَقَالَ : « [إِنَّهُ] [4] لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إِلَّا لِلهِ [5] .

(١) « الحائط » : « البستانُ مِنَ النَّخْلِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَائِطٌ ، وَهُوَ الْجِدَارُ ، وجمعه « الْحَوَائِطُ » . « النهايةُ في غريب الحديث : ٤٦٢/١ - مادة : « حَوَط » - » .

(٢) و (٤) التكملتان عن : « دلائل النبوّة : ١٣٥ » .

(٣) الأصل : بالسجود ذلك .

(٥) انظر الحديث في :

« دلائل النبوة - للإصبهاني - : ١٣٥ » وجاء فيه في اختتام الحديث : فقالَ : « إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي مِنْ أُمَّتِي أَنْ يَسْجُدَ أَحَدٌ لأَحَدٍ ، وَلَوْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ أَحَدٌ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » .

و « الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٢٠٥/١ » و « شمائل الرسول - لابن كثير : ٢٧٣ » و « الخصائص الكبرى : ٦٠/٢ » .

وَمِنْ ذَٰلِكَ :

د - : حَدِيثُ الْبَعِيرِ

عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - قَالُوا : « دَخَلَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - حَائِطاً ، وَكَانَ فِيهِ جَمَلٌ لَا يَدَعُ أَحَداً يَدْخُلُ الْحَائِطَ إِلَّا صَالَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا دَخَلَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - دَعَاهُ فَجَاءَهُ ، وَوَضَعَ مِشْفَرَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَخَطَمَهُ [1] وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ : « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِيَدِهِ ! مَا مِنْ شَيْءٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا وَيَعْلَمُ أَنِّي « رَسُولُ اللهِ » مَا خَلَا عُصَاةَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِ الْجَمَلِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَبْحَهُ .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ : « إِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ ، وَقِلَّةَ الْعَلَفِ ، وَأَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنِ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ فِي الْعَمَلِ الشَّاقِّ مِنْ صِغَرِهِ » . فَقَالُوا : « نَعَمْ » يَا « رَسُولَ اللهِ ! » [2] .

۞۞۞

(١) « خَطَمَ الْبَعِيرَ » : وَضَعَ الْخِطَامَ فِي رَأْسِهِ ، وَأَلْقَاهُ إِلَيْهِ لِيَقُودَهُ بِهِ «النهاية في غريب الحديث : ٥٠/٢ - مادة : خَطَمَ - » .

(٢) انظر : « دلائل النبوة - للإصبهاني - : ١٣٥ و ١٣٦ » .

و « الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٢٠٦/١ » .

و « الخصائص الكبرى : ٥٧/٢ » وفيه : « أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي ، وأبونعيم ، عن جابر بن عبد الله ، وأخرجه بروايات أخرى .

وَمِنْ ذَٰلِكَ :

هـ - : حَدِيثُ الظَّبْيَةِ

« عَنْ « أُمِّ سَلَمَةَ » - أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - فِي الصَّحْرَاءِ ، فَنَادَتْهُ ظَبْيَةٌ يَا « رَسُولَ اللهِ ! » قَالَ : « مَا حَاجَتُكِ ؟ » قَالَتْ : « صَادَنِي هَٰذَا الْأَعْرَابِيُّ ، وَلِي خِشْفَانِ (١) فِي ذَٰلِكَ الْجَبَلِ ، [فَأَطْلِقْنِي حَتَّىٰ أَذْهَبَ فَأُرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ . قَال : « أَوَ تَفْعَلِينَ ؟» قَالَتْ : نَعَمْ] (٢) ، وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ نَائِماً ، فَأَطْلَقَهَا ، فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ ، [فَأَوْثَقَهَا] (٣) فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَقَالَ « لِلنَّبِيِّ » - ﷺ - « أَلَكَ حَاجَةٌ ؟» قَالَ : « نَعَمْ » تُطْلِقُ هَٰذِهِ الظَّبْيَةَ » (٤) ، فَأَطْلَقَهَا ، فَذَهَبَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ وَتَقُولُ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ « اللهِ » (٥) .

---

(١) « خشفان » : مفردُها « خُشْفُ » - مثلثة الخاء - و « الخشف : وَلَدُ الظَّبْيَةِ أوَّلَ ما يُولَدُ (يطلق على الذكر والأنثى . ج « خُشُوفٌ » وَ « خِشَفَةٌ » . « المعجم الوسيط : مادة : « خشف » .

(٢) و (٣) التكملتان عن « الشفا : ٢٠٧/١ » .

(٤) الأصل : « الضبيه » .

(٥) انظر : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٢٠٧/١ » و « دلائل النبوة للإصبهاني : ١٣٣ » .
وقد ذكره السيوطي في كتابه : « الخصائص الكبرى : ٦٠/٢ » وقال : أخرجه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم عن أم سلمة » .
وقال السيوطي في إسناده : أغلب بن تميم ضعيف ، لكن للحديث طرق كثيرة تشهد بأنَّ للقصة أصلاً .

وَمِنْ ذَٰلِكَ :

و - : حَدِيثُ الذِّرَاعِ الْمَشْهُورُ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » - عَنْ جَمَاعَةٍ [1] مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - : أَنَّ يَهُودِيَّةً [2] ، أَيَّامَ فَتْحِ « خَيْبَرَ » أَهْدَتْ « لِلنَّبِيِّ » - ﷺ - شَاةً مَصْلِيَّةً - أَيْ : مَشْوِيَّةً - سَمَّتْهَا ، فَأَكَلَ مِنْهَا « النَّبِيُّ » - ﷺ - [وَأَكَلَ الْقَوْمُ] [3] ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ : « ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ » . وَفِي رِوَايَةِ « جَابِرٍ » أَخْبَرَتْنِي [بِهِ] [4] هَٰذِهِ الذِّرَاعُ . [- قَالَ : وَلَمْ يُعَاقِبْهَا -] [5] .

وَقَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ : « مَا حَمَلَكِ عَلَىٰ مَا صَنَعْتِ ؟ » فَقَالَتْ : « إِنْ كُنْتَ نَبِيّاً لَمْ يَضُرَّكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكاً أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ » . فَعَفَا [6] عَنْهَا . فَمَاتَ « بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ » مِنَ السُّمِّ ، فَقَتَلَهَا بِهِ قِصَاصاً » .

---

(١) رُوي هذا الحديث عن « أبي هُرَيْرَةَ » و « أَنَسٍ » و « جَابِرٍ » و « ابْنِ عَبَّاس » .

(٢) هذه اليهودية هي « زينب بنت (الحارث امرأة) سلام بنِ مِشْكم » ، « الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر : ٢١٧ » .

(٣) التكملة عن « الشفا : ٢٠٩/١ » .

(٤) التكملة عن المصدر السابق .

(٥) التكملة عن المصدر السابق .

(٦) الأصل : « فعفى » .

وَفِي رِوَايَةِ « أَنَسٍ » : « فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا [١] فِي لَهَوَاتِ [٢] « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ » [٣] .

[وَفِي حَدِيثِ « أَبِي هُرَيْرَةَ » أَنَّ « رَسُولَ اللهِ » ـ ﷺ ـ] [٤] / قَالَ : [٧٢ ظ] فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : « مَا زَالَتْ أَكْلَةُ « خَيْبَرَ » تُعَادُنِي ـ أَيْ : تُعَاوِدُنِي ـ فَالْآنَ قَطَعَتْ أَبْهَرِي ـ أَيْ : عِرْقَ الظَّهْرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْقَلْبِ ـ .

وَفِي حَدِيثِ « أَبِي سَعِيدٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « كُلُوا بِاسْمِ اللهِ فَأَكَلْنَا » .

وَعِنْدَ « ابْنِ إِسْحَاقَ » أَنْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَرَوْنَ [٥] أَنَّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ مَاتَ شَهِيداً ، مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ » [٦] .

❊❊❊

(١) « فما زلت أعرفها » أي : العلامة . كأنَّهُ بَقِيَ لِلسُّمِّ عَلامَةٌ وَأَثَرٌ مِنْ سَوَادٍ أَوْ غَيْرِهِ . « صحيح مسلم : ١٧٢١/٤ ـ الحاشية : (١) ـ » .

(٢) « لَهَوَات » جمع « لَهَاة » : « وَهِيَ « اللحمات في سقف أقصى الفم » « النهاية في غريب الحديث : ٢٨٤/٤ ـ مادة : « لَهَا » ـ » .

(٣) « صحيح البخاري : ٢١٤/٣ ـ (٥١) كتاب الهبة ـ (٢٨) باب قبول الهدية من المشركين » . و « صحيح مسلم : ١٧٢١/٤ ـ (٣٩) كتاب السلام ـ (١٨) باب السم ـ الحديث : ٤٥ ـ (٢١٩٠) ـ » .

(٤) التكملة عن « الشفا : ٢٠٩/١ » .

(٥) الأصل : « ليروا » .

(٦) « الشفا : ٢٠٩/١ » .

وَمِنْ ذَٰلِكَ :

ز ـ : حَدِيثُ الأَسَدِ مَعَ سَفِينَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَكَانَ أَرْسَلَهُ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ بِرِسَالَةٍ إِلَىٰ « مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ » إِلَىٰ « الْيَمَنِ » . فَضَلَّ الطَّرِيقَ ، فَاعْتَرَضَهُ الْأَسَدُ ، فَقَالَ لَهُ « سَفِينَةُ » : « يَا « أَبَا الْحَارِثِ ! » إِنِّي مَوْلَىٰ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ وَمَعِي كِتَابُهُ » . فَهَمْهَمَ وَتَنَحَّىٰ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَجَعَلَ يَغْمِزُهُ بِمَنْكِبِهِ حَتَّىٰ أَدَلَّهُ الطَّرِيقَ [1] .

❊❊❊

(١) انظر : « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : ١٢٥/٤ ـ ١٢٦ ـ باب « سفينة » ـ الحديث رقم : (٤١٢٧) ـ » . وذكر محققه في الحاشية (٢) ص ١٢٦ » : « ضعّف سنده البوصيري لضعف أسامة بن زيد ، قال : ومن طريقه رواه البزار ، قلت : ولم يعزه الهيثمي إلاّ للبزّار والطبراني ، وقال : رجالهما وثقوا (٣٦٧/٩) » . لعله يريد: «أسامة بن زيد بن أسلم». أورده « الحاكم » في كتابه « المستدرك : ٦١٩/٢ ـ كتاب التاريخ ـ » ، وهذا نَصُّهُ : عن « محمد بن المنكدر » عن « سفينة » قال :

« رَكِبْتُ الْبَحْرَ فِي سَفِينَةٍ فَانْكَسَرَتْ فَرَكِبْتُ لَوْحاً مِنْهَا فَطَرَحَنِي فِي أَجَمَةٍ فِيهَا أَسَدٌ ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلاَّ بِهِ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ! أَنَا مَوْلَى « رَسُولِ اللهِ » ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَغَمَزَ بِمَنْكِبِهِ شِقِّي ، فَمَا زَالَ يَغْمِزُنِي وَيَهْدِينِي إِلَى الطَّرِيقِ حَتَّى وَضَعَنِي عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا وَضَعَنِي هَمْهَمَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنِي » . ـ هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ـ ولَمْ يُخرجاهُ ـ .

وانظر « قصة الأسد » في « الخصائص الكبرى : ٦٥/٢ » و « دلائل النبوّة للإصبهاني : ٢١٢ » و « الشفا : ٢٠٧/١ » .

النَّوْعُ السَّادِسُ وَهُوَ

شِفَاءُ الْعِلَلِ بِرِيقِهِ وَكَفِّهِ الْمُبَارَكَةِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

آ ـ : ـ(رَدُّ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ عَيْنَ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ)ـ

فَمِنْ ذَٰلِكَ مَا رَوَاهُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » أَنَّ « قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ » أُصِيبَتْ عَيْنُهُ « يَوْمَ أُحُدٍ » حَتَّىٰ وَقَعَتْ عَلَىٰ وَجْنَتِهِ فَرَدَّهَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ وَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ ، وَفِي ذَٰلِكَ يَقُولُ ابْنُهُ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَالَتْ عَلَىٰ الْخَدِّ عَيْنُهُ
فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَىٰ أَحْسَنَ الرَّدِّ
[فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا
فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا حُسْنَ مَا رَدِّ] (١)

---

(١) التكملة عن « عيون الأثر : ٢٢/٢ » .

انظر الخبر في :

« دلائل النبوّة للإصبهاني : ١٧٤ » ، و « الشفا : ٢١٦/١ » . و « إنسان العيون : ٥٤٢/٢ ـ ٥٤٣ » . و « تاريخ الخميس : ٤٣٤/١ » . و « الخصائص الكبرى : ٢١٧/١ » .

ب ـ : ـ(إبْرَاءُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ عَيْنَيْ عَلِيٍّ ـ مِنَ الرَّمَدِ يَوْمَ خَيْبَرٍ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ ـ ﷺ ـ « تَفَلَ فِي عَيْنَيْ « عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ « يَوْمَ خَيْبَرٍ » ، وَكَانَ رَمِداً ، فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ [١] .

ج ـ : ـ(لَصْقُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ يَدَ مُعَوِّذِ بنِ عَفْرَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ)ـ

وَرَوَىٰ « ابْنُ وَهْبٍ » [٢] أَنَّ « أَبَا جَهْلٍ » [٣] قَطَعَ يَدَ « مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ » يَوْمَ « بَدْرٍ » فَجَاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ ، فَبَصَقَ عَلَيْهَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ وَأَلْصَقَهَا فَلَصِقَتْ [٤] .

---

(١) « صحيح البخاري : ٢٢/٥ ـ (٦٢) كتاب أصحاب « النبي » ـ ﷺ ـ (٩) باب مناقب « علي بن أبي طالب » .
و « صحيح مسلم : ١٨٧٢/٤ ـ (٤٤) كتاب فضائل الصحابة (٤) باب من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الحديث (٣٤) ـ (٢٤٠٦) ـ » .

(٢) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفِهري بالولاء ، المصري ، أبو محمد المتوفى سنة (١٩٧ هـ ـ ٨١٣ م) . « الأعلام : ٢٨٩/٤ » .

(٣) « أبو جهل » : هو عمرو بن هشام المخزومي القرشي المقتول على الشِّرْكِ في « بدْرٍ » سنة (٢ هـ/٦٢٤) م) ، « الأعلام : ٢٦١/٥ » .

(٤) « الشفا : ٢١٣/١ » .

د — : —(نُطْقُ الصَّبِيِّ الخَثْعَمِيِّ بِبَرَكَتِهِ — ﷺ)—

وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ « خَثْعَمٍ » بِصَبِيٍّ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَتَمَضْمَضَ — ﷺ — بِمَاءٍ وَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ ، فَنَطَقَ وَعَقَلَ عَقْلًا يَفْضُلُ عُقُولَ الرِّجَالِ[1].

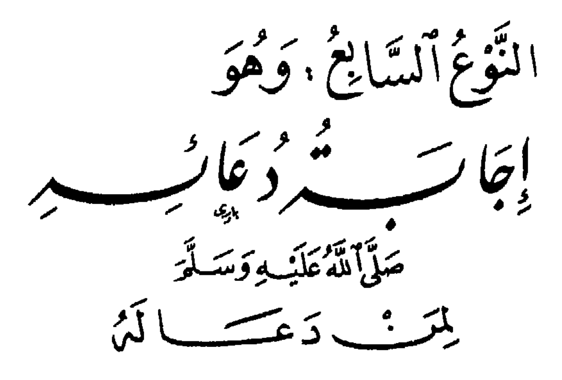
هـ — : —(إِلْقَاءُ الحَيَاءِ عَلَى الجَارِيَةِ الجَرِيئَةِ بِبَرَكَتِهِ — ﷺ)—

وسَأَلَتْهُ جَارِيَةٌ ، وَهُوَ يَأْكُلُ طَعَاماً ، وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ أَنْ يُطْعِمَهَا مِنَ الَّذِي فِي فِيهِ ، فَنَاوَلَهَا الَّذِي فِي فِيهِ ، وَلَمْ يَمْنَعْ شَيْئاً يُسْأَلُهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا ، أُلْقِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَمْ تَكُنْ « بِالْمَدِينَةِ » أَشَدَّ حَيَاءً مِنْهَا[2] .

---

(١) « الشفا : ١/٢١٣ — ٢١٤ » .

(٢) « الشفا : ١/٢١٤ » . و « الخصائص الكبرى : ٢/٧٣ » .


النَّوْعُ ٱلسَّابِعُ، وَهُوَ
إِجَابَةُ دُعَائِهِ
صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِمَنْ دَعَا لَهُ

آ ـ : ـ(حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ في دُعَائِهِ ـ ﷺ ـ المَيْمُونِ)ـ

فَمِنْهُ : مَا رَوَاهُ « حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : « كَانَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَدْرَكَتِ الدَّعْوَةُ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ[1].

***

ب ـ : ـ(حَدِيثُهُ ـ ﷺ ـ بالتَّحْبِيبِ بِسُكْنَى مَدِينَتِهِ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » : عَنْ « عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ قَدِمَ « الْمَدِينَةَ » وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! حَبِّبْ إِلَيْنَا « الْمَدِينَةَ » كَحُبِّنَا « مَكَّةَ » أَوْ أَشَدَّ ، وَصَحِّحْهَا لَنَا ، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَىٰ « الْجُحْفَةِ » [2] .

•••••

---

(١) « الشفا : ٢١٤/١ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٩٩/٨ ـ (٨٠) كتاب الدعوات ـ(٤٣) باب الدعاء برفع الوباء والوجع» . و « صحيح مسلم : ١٠٠٣/٢ ـ (١٥) كتاب الحج ـ (٨٦) باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها . الحديث : ٤٨٠ ـ (١٣٧٦) ـ » .

ج - : -(دُعَاؤُهُ - ﷺ - لأَنَسِ بنِ مَالِكٍ)-

وَرَوَىٰ « الْبُخَارِيُّ » فِي « صَحِيحِهِ » : - عَنْ « أَنَسٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَتْ أُمِّي : « يَا رَسُولَ اللهِ ! » خَادِمُكَ « أَنَسٌ » (١) ادْعُ « اللهَ » لَهُ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ»(٢).

وَمِنْ رِوَايَةِ « عِكْرِمَةَ » (٣) قَالَ « أَنَسُ » : « فَوَاللهِ ! إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ (٤) عَلَىٰ نَحْوِ الْمِائَةِ ، الْيَوْمَ » (٥) .

وَفِي رِوَايَةٍ : « فَمَا أَعْلَمُ أَحَداً أَصَابَ مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ مَا أَصَبْتُ ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ مِائَةً مِنْ وَلَدِي لَا أَقُولُ سِقْطاً (٦) وَلَا وَلَدَ وَلَدٍ»(٧).

---

(١) هو « أنس بن مالك » - خادم رسول الله - المتوفى سنة (٩٣ هـ / ٧١٢ م) « الأعلام : ٣٦٥/١ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٨/١٠٠ - ١٠١ - (٨٠) كتاب الدعوات (٤٧) باب الدعاء بكثرة المال مع البركة » .

و « صحيح مسلم : ١٩٢٨/٤ - (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (٣٢) باب من فضائل « أنس » - الحديث : ١٤١ - (٢٤٨٠) .

(٣) هُوَ « عِكْرِمَةُ بْنُ عبدِ اللهِ البربري المدني » أبو عبد الله - مولى عبد الله بن عباس - المتوفى سنة (١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) ، « الأعلام : ٤٣/٥ » .

(٤) الأصل : « ليعادون » .

(٥) « صحيح مسلم : ١٩٢٩/٤ - (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (٣٢) باب فضائل « أنس » الحديث : ١٤٣ - » .

(٦) « السِّقط » - مثلثة السين - : الوَلَدُ الذي يسقط مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ قَبْلَ تَمَامِهِ . « النهاية في غريب الحديث : ٣٧٨/٢ » .

(٧) « الشفا : ٢١٤/١ - ٢١٥ » .

وانظر أيضاً : « الخصائص الكبرى : ١٦٨/٢ - باب دُعَائِهِ - ﷺ - » -

د ـ : ـ(دُعَاؤُهُ ـ ﷺ ـ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ)ـ

وَدَعَا ـ ﷺ ـ « لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ » بِالْبَرَكَةِ .

قَالَ « عَبْدُ الرَّحْمٰنِ » : « فَلَوْ رَفَعْتُ حَجَراً لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَباً » (١) .

وَلَا يَخْفَىٰ كَثْرَةُ أَمْوَالِهِ وَصَدَقَاتُهُ الْجَزِيلَةُ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ أَعْتَقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلَاثِينَ عَبْداً ، وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بِعِيرٍ قَدِمَتْ مِنَ « الشَّامِ » تَحْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكَانَ النَّاسُ / فِي مَجَاعَةٍ فَارْتَجَّتِ « الْمَدِينَةُ » لِقُدُومِهَا وَتَصَدَّقَ [٧٣و] بِهَا ، وَبِمَا عَلَيْهَا ، حَتَّىٰ بِأَقْتَابِهَا (٢) وَأَحْلَاسِهَا (٣) ، وَكَانَتْ سَبْعَمِائَةِ جَمَلٍ عَلَيْهَا سَبْعُمِائَةِ حِمْلٍ . وَلَمَّا مَاتَ أَخَذَتْ كُلُّ زَوْجَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفاً ، وَكُنَّ أَرْبَعاً بَعْدَ أَنْ وَصَّىٰ بِخَمْسِينَ أَلْفاً (٤) .

◎◎◎

---

(١) « الخصائص الكبرى : ١٦٩/٢ ـ باب دُعَائِهِ ـ ﷺ ـ لعبد الرحمن بن عوف ـ » .

(٢) « الأَقْتَابُ » ج قَتَبٍ . وَالْقَتَبُ لِلْجَمَلِ كَالإِكَافِ لِغَيْرِهِ . « النهاية في غريب الحديث : ١١/٤ » .

(٣) « الأحلاسُ » ج حِلْسٍ . وَهُوَ الكِسَاءُ الَّذِي يَلِي ظَهْرَ الْبَعِيرِ تَحْتَ الْقَتَبِ . « النهاية في غريب الحديث : ٤٢٣/١ » .

(٤) « الشفا : ٢١٥/١ » .

هـ ـ : ـ(دَعْوَةُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ المُسْتَجَابَةُ في الاسْتِسْقَاءِ وكَشْفِ السَّحابِ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » « عَنْ « أَنَسٍ » أَنَّ أَعْرابِيّاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالنَّبِيُّ ـ ﷺ ـ يَخْطُبُ ، فَشَكَا الْقَحْطَ ، فَدَعَا « اللهَ » فَسُقُوا ، وَلَمْ يَرَوْا الشَّمْسَ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَىٰ ، حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَشَكَا كَثْرَةَ الْمَطَرِ ، فَدَعَا « اللهَ » ، فَانْكَشَفَ السَّحَابُ (١) .

و ـ : ـ(دَعْوَةُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ بِتَفَقُّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ في الدِّينِ)ـ

وَفِيهِمَا : أَنَّهُ دَعَا « لِابْنِ عَبَّاسٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ حِينَ حَنَّكَهُ وَهُوَ مَوْلُودٌ أَنْ يُفَقِّهَهُ « اللهُ » فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمَهُ « التَّأْوِيلَ » ، وَكَانَ يُسَمَّىٰ « الْحَبْرَ » و « الْبَحْرَ » لِسَعَةِ عِلْمِهِ (٢) .

---

(١) « صحيح البخاري : ٩٢/٨ ـ (٨٠) كتاب الدعوات ـ (٢٤) باب الدعاء غيرَ مُسْتَقْبِلِ القِبْلَةِ » .
و « صحيح البخاري : ٢٣٦/٤ ـ ٢٣٧ ـ (٦١) كتاب المناقب ـ (٢٥) باب علامات النبوَّة في الإسلام » .
و « الخصائص الكبرى : ١٦٢/٢ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٤٨/١ ـ (٤) كتاب الوضوء ـ (١٠) باب وضع الماء عند الخلاء » .
و « صحيح مسلم : ١٩٢٧/٤ ـ (٤٤) كتاب فضائل الصحابة ـ (٣٠) باب فضائل عبد الله ابن عباس ـ الحديث : ١٣٨ ـ (٢٤٧٧) » .
وانظر أيضاً : « المستدرك : ٥٣٤/٣ ـ ٥٣٥ ـ كتاب معرفة الأصحاب » .
و « الشفا : ٢١٦/١ » .
و « الخصائص الكبرى : ٦٨/٢ ـ باب دعائه ـ ﷺ ـ لابن عباس » .

ز ـ : ـ(دُعَاؤُهُ ـ ﷺ ـ لِعَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنْ يَكْفِيَهُ اللهُ الحَرَّ وَالقَرَّ)ـ

وَدَعَا « لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ أَنْ يَكْفِيَهُ « اللهُ » الْحَرَّ وَالْقَرَّ . فَكَانَ فِي الشِّتَاءِ يَلْبِسُ ثِيَابَ الصَّيْفِ، وَفِي الصَّيْفِ ثِيَابَ الشِّتَاءِ، وَلَا يُصِيبُهُ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ [1] .

ح ـ : ـ(دُعَاؤُهُ ـ ﷺ ـ لابْنَتِهِ فاطِمَةَ بأَلَّا يُجِيعَهَا اللهُ)ـ

وَدَعَا « لِفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ » ابْنَتِهِ ـ رَضِيَ « اللهُ عَنْهَا ـ أَلَّا يُجِيعَهَا « اللهُ » فَمَا وَجَدَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ لِلْجُوعِ أَلَماً [2] .

◎◎◎

(١) انظر : « الشفا : ٢١٦/١ » .

(٢) « الشفا : ٢١٦/١ » . انظر الخبر في « الخصائص الكبرى : ٧١/٢ » .

ط - : -(دُعَاؤُهُ - ﷺ - للنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ)-

وَأَنْشَدَهُ « النَّابِغَةُ »(١) أَبْيَاتاً(٢) ، فَقَالَ : « لَا يَفْضُضِ « اللهُ » فَاكَ » ، فَمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْراً ، وَعَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَقِيلَ : « كَانَ إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ نَبَتَ فِي مَكَانِهَا سِنٌّ أُخْرَىٰ » .

❁❁❁

---

(١) المقصُود : « النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ » : قيل اسمه : « قيس بن عبد الله » وقيل : « عبد الله بن قيس » ، وقيل : « حيان بن قيس » ، كذا اختلفوا في نسبه ، وقيل له « النابغة » ، لأنه قال الشعر ، ثم بقي ثلاثين سنة لا يقوله ، ثم نبغ فيه فسُمي « النابغة » — . « تجريد أسماء الصحابة ١٠٠/٢ » . وقال السيوطي : « صحابي اسمه « حسان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس ، كذا صححه صاحب « الأغاني » وقيل اسمه : « قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بنِ جَعْدَةَ بنِ كعب بنِ ربيعةَ » ، قاله« ابنُ الأعرابيِّ » . انظر : « شرح شواهد المغني ٦١٤/٢ » .

(٢) أخرج الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » وأبو الفرج في « الأغاني » والبيهقي ، وأبو نعيم كلاهما في « الدلائل » ، وابن عساكر من طرق عن النابغة الجعدي قالَ : « أتيتُ « النَّبيَّ » — ﷺ — وأنشدته قولي :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا تَعَوَّدَ خَيْلُنَا ... إِذَا مَا الْتَقَيْنَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا
وَنُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ لَوْ أَنَّ خَيْلَنَا ... مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسَبَ الجونَ أَشْقَرَا
وَلَيْسَ بمعرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا ... صِحاحاً وَلاَ مُسْتَنْكَراً أَنْ تُعَقَّرَا
بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال « النَّبيُّ » — ﷺ — : إلى أينَ ؟ قلتُ : إلى الجنَّة ، فقَالَ : نعم ، إنْ شاءَ الله .
قال : فلما أنْشَدْتُهُ :

وَلاَ خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلاَ خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... أَرِيبٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا =

ي — : —(دُعَاؤُهُ — ﷺ — عَلى كِسْرَى مُمَزِّقِ كِتَابِهِ)—

وَأَمَّا دُعَاؤُهُ — ﷺ — عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ فَمِنْهُ : مَا فِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ دَعَا عَلَىٰ « كِسْرَىٰ » حِينَ مَزَّقَ كِتَابَهُ أَنْ يُمَزِّقَ « اللهُ » مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ فَتَفَرَّقُوا حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ ، وَلَا بَقِيَتْ لِلْفُرْسِ رِئَاسَةٌ ، فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الدُّنْيَا (١) .

◎◎◎

= فقال « النَّبِيُّ » — ﷺ — : لاَ يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ . فكانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثغراً ، وكان إذا سقطَتْ لَهُ سِنٌّ نبتَتْ لَهُ سِنٌّ أُخْرَىٰ » .

« شرح شواهد المغني : ٦١٥/٢ » .

انظر أيضاً : « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : ١٠٠/٤ — (باب) « النابغة الجعدي » — الحديث (٤٠٦٥) » .

و « دلائل النبوّة : ١٦٤ » و « الشفا : ٢١٥/١ — ٢١٦ » .

و « الخصائص الكبرى : ١٦٦/٢ — بابُ دُعَائِهِ — ﷺ — للنابغة » .

(١) « صحيح البخاري : ١٠/٦ — (٦٤) كتاب المغازي — (٨٢) باب كتاب « النبي » — ﷺ — » .

وانظر : « الشفا ٢١٦/١ » ، و « الخصائص الكبرى : ٩/٢ — ١١ » .

ك ـ : ـ(دُعَاؤُهُ ـ ﷺ ـ عَلى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ)ـ

وَدَعَا عَلَىٰ « عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ » أَنْ يُسَلِّطَ اللهُ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلَابِهِ . فَجَاءَهُ الْأَسَدُ وَأَخَذَهُ مِنْ وَسَطِ أَصْحَابِهِ (١) .

❁❁❁

ل ـ : ـ(دُعَاؤُهُ ـ ﷺ ـ عَلى رَجُلٍ فَمَاتَ فَلَفَظَتْهُ الأَرْضُ)ـ

وَعَلَىٰ رَجُلٍ آخَرَ (٢) ، فَأَصْبَحَ مَيْتاً ، فَدَفَنُوهُ فَلَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَدَفَنُوهُ مِرَاراً فَلَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَتَرَكُوهُ (٣) .

❁❁❁

م ـ : ـ(دُعَاؤُهُ ـ ﷺ ـ عَلى رَجُلٍ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ)ـ

وَقَالَ لِرَجُلٍ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ : « كُلْ بِيَمِينِكَ » . قَالَ : « لَا أَسْتَطِيعُ » قَالَ : « لَا اسْتَطَعْتَ » . مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ » (٤) .

ـ رَوَاهُ « مُسْلِمٌ » ـ .

---

(١) انظر : « أنساب الأشراف : ١٣١/١ ـ الفقرة : (٢٦٦) ـ » .

انظر : « ذكر قصة « عتبة بن أبي لهب » في « دلائل النبوّة : ١٦٢ ـ ١٦٤ » . وانظر أيضاً : مَا أَوْرَدَهُ الحاكم في كتابه « المستدرك : ٥٣٩/٢ ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة أبي لهب » ـ عَنْ أَبِي نَوْفَلِ بنِ أَبِي عَقْرَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ « لهَبُ بن أَبِي لَهَبٍ » يسبُّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ « النَّبِيُّ » ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ـ : « اللَّهُمَّ ! سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ ، فَخَرَجَ فِي قَافِلَةٍ يُرِيدُ « الشَّامَ » فنزَلَ منزلاً فَقَالَ : « إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ » (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ) ، قَالُوا لَهُ : « كَلَّا » فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ ، فَجَاءَ الأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ ، فَذَهَبَ بِهِ » . ـ صحيح الإسناد ولم يخرجاه ـ » . وانظر : « الشفا : ٢١٦/١ » .

(٢) هُوَ « مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ » . « الشفا : ٢١٧/١ » .

(٣) انظر : « الشفا ٢١٧/١ » .

(٤) انظر : « الشفا : ٢١٦/١ » ، والحديث في « صحيح مسلم : ١٥٩٩/٣ ـ (٣٦) كتاب « الأشربة » ـ (١٣) باب آداب الطعام والشراب ـ الحديث : ١٠٧ ـ (٢٠٢١) ـ » .

النَّوْعُ الثَّامِنُ: وَهُوَ

صَلاحُ مَا كَانَ فَاسِدًا بِلَمْسِهِ ﷺ

فَمِنْـهُ :

آ ـ : ـ(مَا جَاءَ فِي فَرَسِ أَبِي طَلْحَةَ)ـ

فَمِنْهُ مَا رَوَىٰ « الْبُخَارِيُّ » فِي « صَحِيحِهِ » « أَنَّ « أَهْلَ الْمَدِينَةِ » فَزِعُوا مَرَّةً فَرَكِبَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ فَرَساً « لِأَبِي طَلْحَةَ » بَطِيءَ السَّيْرِ[1] ، فَلَمَّا رَجَعَ ، قَالَ : « وَجَدْنَا فَرَسَكَ بَحْراً »[2] ، وَكَانَ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَا يُجَارِيهِ[3] فَرَسٌ[4] .



ب ـ : ـ(مَا جَاءَ فِي جَمَلِ « جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ »)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ ـ ﷺ ـ نَخَسَ جَمَلًا « لِجَابِرٍ » ، وَقَدْ أَعْيَا ، فَنَشَطَ حَتَّىٰ كَانَ مَا يُمْلَكُ زِمَامُهُ[5] .

***

---

(١) في « صحيح البخاري : ٣٧/٤ » : « كَانَ يَقْطِفُ أَوْ كَانَ فِيهِ قِطَافٌ » .

(٢) في « صحيح البخاري : ٣٧/٤ » : « وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هَذَا بَحْراً » .

(٣) في « صحيح البخاري : ٣٧/٤ » : « لَا يُجَارَىٰ » .

(٤) « صحيح البخاري : ٣٧/٤ ـ (٥٦) كتاب الجهاد والسير ـ (٥٥) باب الفرس القطوف » . وانظر « الشفا : ٢١٧/١ ـ ٢١٨ » و « دلائل النبوّة للإصبهاني ـ : ١٥٧ » .

(٥) « صحيح البخاري : ٦٢/٤ ـ ٦٣ ـ (٥٦) كتاب الجهاد والسير ـ (١١٣) باب استئذان الرَّجُلِ الإِمَامَ » . و « صحيح مسلم : ١٢٢١/٣ ـ (٢٢) كتاب المساقاة ـ (٢١) باب بيع البعير واستثناء ركوبه ـ الحديث ١١٠ ـ (. . .) ـ » . وانظر أيْضاً « الشفا : ٢١٨/١ » . و « دلائل النبوّة ـ للإصبهاني ـ : ١٥٦ ـ ١٥٧ » .

ج - : -(حَدِيثُ « أَنَسٍ » عَنْ بِئْرِ دَارِهِ)-

وَكَانَتْ فِي دَارِ « أَنَسٍ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بِئْرٌ مِلْحَةٌ ، فَبَزَقَ - ﷺ - فِيهَا ، فَلَمْ يَكُنْ فِي « الْمَدِينَةِ » أَعْذَبَ مِنْهَا [1] .

د - : -(مَا جَاءَ عَنْ بِئْرٍ مَجَّ - ﷺ - فِي مَائِهَا)-

وَمَجَّ فِي دَلْوٍ مِنْ بِئْرٍ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ أَبَداً يَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ .

◎◎◎

---

(١) « الشفا : ٢١٨/١ » .

هـ - : -(عَلَقُ الْغِرَاسِ الَّتِي غَرَسَهَا - ﷺ - بِيَدِهِ فِي مُكَاتَبَةِ سَلْمَانَ عَلَيْهَا)-

وَكَاتَبَ « سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ » مَوَالِيهِ [١] عَلَىٰ ثَلَاثِمِائَةِ وَدِيَّةٍ [٢] - أَيْ : « مِنْ أَوْلَادِ النَّخْلِ » - يَغْرِسُهَا لَهُمْ كُلَّهَا حَتَّىٰ تَعْلَقَ وَتُثْمِرَ ، وَعَلَىٰ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ ، كُلُّ أُوقِيَّةٍ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، فَقَامَ - ﷺ - وَغَرَسَهَا لَهُ

---

(١) « مَوَالِيهِ » ج : « مَوْلَى » ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الأَضْدَادِ . جَاءَ فِي كِتَابِ « النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ : ٥/٢٢٨ - مادة : « وَلَا » : « تكرَّر ذكر « الْمَوْلَى » في الحديث ، وَهُوَ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ ، فَهُوَ : « الرَّبُّ » و « السَّيِّدُ » ، وَ « الْمُنْعِمُ » ، وَ « الْمُعْتِقُ » ، و « النَّاصِرُ » ، و « الْمُحِبُّ » ، وَ « التَّابِعُ » ، وَ « الْجَارُ » ، وَ « ابْنُ الْعَمِّ » ، وَ « الْحَلِيفُ » ، وَ « الْعَقِيدُ » ، وَ « الصِّهْرُ » ، وَ « الْعَبْدُ » ، وَ « الْمُعْتَقُ » ، و « الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ » ، وَأَكْثَرُهَا قَدْ جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ ، فَيُضَافُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِيهِ . وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا أَوْ قَامَ بِهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ وَوَلِيُّهُ . وَقَدْ تَخْتَلِفُ مَصَادِرُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ . « فَالْوَلَايَةُ » - بِالْفَتْحِ - فِي النَّسَبِ وَالنُّصْرَةِ ، وَ « الْمُعْتِقِ » . وَ « الْوِلَايَةُ » - بِالْكَسْرِ - فِي الإِمَارَةِ . وَ « الْوَلَاءُ » ، « الْمُعْتَقُ » . و « الْمُوَالَاةُ » مِنْ « وَالَى الْقَوْمَ » .

وَجَاءَ فِي « الاستيعاب : ٢/٦٣٤ - ٦٣٥ » : « ذَكَرَ « سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ » عَنْ « أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ » عَنْ « سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ » أَنَّهُ تَدَاوَلَهُ فِي ذَلِكَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَبًّا مِنْ رَبٍّ إِلَى رَبٍّ ، حَتَّى أَفْضَى إلى « النَّبِيِّ » - ﷺ - وَمَنَّ « اللهُ » عَلَيْهِ بِالإِسْلَامِ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ « رَسُولَ اللهِ » - ﷺ - اشْتَرَاهُ عَلَى الْعِتْقِ . . . . اشْتَرَاهُ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - مِنْ قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ ، بِكَذَا وَكَذَا دِرْهَمًا ، وَعَلَى أَنْ يَغْرِسَ لَهُمْ كَذَا وَكَذَا مِنَ النَّخْلِ يَعْمَلُ فِيهَا « سَلْمَانُ » حَتَّى تُدْرِكَ » .

(٢) « الْوَدِيُّ » - بتشديد الْيَاءِ - : « صِغَارُ النَّخْلِ » الْوَاحِدَةُ : « وَدِيَّةٌ » « النهاية فِي غَرِيبِ الْحَدِيث » : ٥/١٧٠ - مادة : « ودي » .

بِيَدِهِ ، إِلَّا وَاحِدَةً ، غَرَسَهَا غَيْرُهُ (١) ، فَأَخَذَتْ كُلُّهَا إِلَّا تِلْكَ الْوَاحِدَةَ فَقَلَعَهَا « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ وَرَدَّهَا فَأَخَذَتْ .

وَفِي « كِتَابِ الْبَزَّارِ » : « فَأَطْعَمَ النَّخْلُ مِنْ عَامِهِ إِلَّا الْوَاحِدَةَ ، فَقَلَعَهَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ وَغَرَسَهَا فَأَطْعَمَتْ مِنْ عَامِهَا . وَأَعْطَاهُ مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أَنْ أَدَارَهَا عَلَى لِسَانِهِ . فَوَزَنَ مِنْهَا لِمَوَالِيهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً وَبَقِيَ عِنْدَهُ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ » .

◎◎◎

(١) كانت تلك الغرسةُ مِنْ غَرْسِ « عُمَرَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ . « الاستيعاب : ٢/٦٣٥» .
جاءَ فِي كِتَابِ : « ذِكْرِ أَخْبَارِ إِصْبَهَانَ : ١/٥٢ » : « أَنَّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ أَمْلَى هَذَا الْكِتَابَ عَلَى « عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : « هَذَا مَا فَادَى « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ » ـ رَسُولُ اللهِ ـ فَدَى « سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ » من « عُثْمَانَ بْنِ الأَشْهَلِ الْيَهُودِيِّ ثُمَّ الْقُرَظِيِّ » بِغَرْسِ ثَلاثِمِائَةِ نَخْلَةٍ ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةَ ذَهَبٍ ، فَقَدْ بَرِىءَ « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ » ـ رَسُولُ اللهِ ـ لِثَمَنِ « سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ » ، وَوَلاؤُهُ « لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ » ـ رَسُولِ اللهِ ـ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَلَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى « سَلْمَانَ » سَبِيلٌ » .
شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ « أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ » ، وَ « عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » ، وَ « عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » ، وَ « حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ » ، « وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ » ، وَ « الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ » وَ « بِلالٌ » ـ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ ـ ، وَ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ ، وَكَتَبَ « عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » يَوْمَ الإِثْنَيْنِ فِي جُمَادَى الأُولَى مُهَاجَرُ « مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ » ـ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ .
انظر أخبار « سلمان الفارسي » في :
« دَلائِلُ النبوّةِ ـ للإصبهاني ـ : ٨٧ ـ ٨٩ » ، و« ذكر أخبار إصبهان : ١/٤٨ ـ ٥٧ » . و « الاستيعاب : ٢/٦٣٤ ـ ٦٣٨ » . و « المستدرك ـ للحاكم النيسابوري ـ : ٣/٦٠٤ ـ كتاب معرفة الصحابة ـ ذكر عتق « سلمان الفارسي » و « الشفا : ١/١٩١ » .

فائــدة

—(فِي تَقْدِيرِ وَزْنِ الْقِطْعَةِ الْمَعْدَنِيَّةِ الَّتِي مَنَحَهَا «النَّبِيُّ» — ﷺ — «لِسَلْمَانَ»)—

أَرْبَعُونَ دِرْهَمـاً . وَالدِّرْهَمُ قَفْلَةٌ [1] (هٰكَذَا ؟)

« وَقَدْرُ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ لَا تَكَادُ تَبْلُغُ ثَمَانِينَ دِرْهَماً ، وَقَدْ وَزَنَ مِنْهَـا أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً وَبَقِيَ مِثْلُهَـا » .

عَنْ ثَمَانِينَ أُوقِيَّةً أَرْبَعُونَ قَفْلَةً فَذٰلِكَ عَنْ : مِائَتَيْنِ وَثَلَاثَةِ آلَافِ قَفْلَةٍ .



و — : —(سَيْفُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ « الْعَوْنُ »)—

وَانْكَسَرَ سَيْفُ / « عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ » يَوْمَ « بَدْرٍ » فَأَعْطَاهُ « النَّبِيُّ » [٧٣ ظ] — ﷺ — ،فَأَعْطَاهُ « النَّبِيُّ » — ﷺ — عُوداً [2] مِنْ حَطَبٍ ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفاً صَارِماً يَشْهَدُ بِهِ الْمَوَاقِفَ ، وَكَانَ هٰذَا السَّيْفُ يُسَمَّى « الْعَوْنَ » [3] .

❁❁❁

---

(١) جاء في « القاموس المحيط » في مادة : « قفل » : « الْقَفْلَةُ » : « الْوَازِنُ مِنَ الدَّرَاهِمِ » .

(٢) في « الشِّفَا : ٢١٩/١ » : « جِذْلَ حَطَبٍ » : وهو العودُ من الحطب .

(٣) « الشِّفَا : ٢١٩/١ » .

ز ـ : ـ(إِحَالَةُ المَاءِ لَبَناً وَزُبْدَةً بِبَرَكَتِهِ ـ ﷺ ـ)ـ

« وَبَعَثَ سَرِيَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ زَاداً فَأَعْطَاهُمْ سِقَاءً [١] مِنْ مَاءٍ أَوْكَاهُ [٢] بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَتَحُوهُ وَجَدُوهُ لَبَناً خَالِصاً ، وَزُبْدَةً فِي فَمِ السِّقَاءِ » [٣] .

◎◎◎

ح ـ : ـ(الأَغَرُّ)ـ

« وَسَلَتَ [٤] الدَّمَ عَنْ وَجْهِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ [٥] ، وَكَانَ جُرِحَ « يَوْمَ حُنَيْنٍ » وَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ [٦] فِي وَجْهِهِ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ ، فَكَانَ يُدْعَى « الأَغَرَّ » [٧] .

◆◆◆

(١) « السِّقَاءُ » : وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يَكُونُ لِلْمَاءِ وَاللَّبَنِ .

(٢) « أَوْكَاهُ » : « شَدَّهُ بِالْوِكَاءِ » ، و « الْوِكَاءُ : هُوَ الْخَيْطُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الْقِرْبَةُ وَالزِّقَاقُ » .

(٣) « الشفا : ١/٢٢٠ » .

(٤) « سَلَتَ الدَّمَ عَنِ الْوَجْهِ » : « أَمَاطَهُ » .

(٥) المقصود هو « عائذُ بنُ عَمْرٍو » . انظر « الشفا : ١/٢٢٠ » .

(٦) « الْغُرَّةُ » ـ أصلُ الْغُرَّةِ : الْبَيَاضُ الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ . وَ « الغُرَّةُ » : « بَيَاضُ الْوَجْهِ » .

(٧) « الشفا : ١/٢٢٠ » .

ط ـ : ـ(وَضَاءَةُ وَجْهِ « قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ »)ـ

« وَمَسَحَ وَجْهَ آخَرَ [1] فَمَا زَالَ عَلَىٰ وَجْهِهِ نُورٌ حَتَّىٰ كَانَ يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي « الْمِرْآةِ الصَّقِيلَةِ » [2] .

ي ـ : ـ(شِفَاءُ السَّاقِ الْمَكْسُورَةِ بِمَسْحِهِ ـ ﷺ ـ عَلَيْهَا)ـ

وَمَسَحَ ـ ﷺ ـ عَلَىٰ سَاقِ « عَبْدِ اللهِ بْنِ عَتِيكٍ » لَمَّا انْكَسَرَتْ عِنْدَ قَتْلِ « أَبِي رَافِعٍ » فَقَامَ وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ [3] .

ك ـ : ـ(انْهِيَالُ كُدْيَةِ الْخَنْدَقِ بِضَرْبَةٍ مِنْ مِعْوَلِهِ ـ ﷺ ـ)ـ

وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ بِهِ الْكُدْيَةَ [4] الَّتِي اعْتَرَضَتْ لَهُمْ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ وَقَالَ : « بِاسْمِ اللهِ » فَانْهَالَتْ [5] .

---

(١) المقصودُ : هُو « قَتَادَةُ بْنُ مِلْحَانَ » . انظر : « الشفا : ١/٢٢٠ » .

(٢) « الشفا : ١/٢٢٠ » .

(٣) انظر الخبر في « صحيح البخاري : ٥/١١٧ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (١٦) باب قتل « أبي رافع » . وانظر أيضاً : « الخصائص الكبرى : ١/٢٣٥ ـ باب ما وقع في قتل «أبي رافع » من الآيات » .

(٤) « الكُدْيَةُ » : « الحجَرُ الضَّخمُ الصَّلد » .

(٥) انظر خبر « الكُدْيَةِ » في « كتاب « المغازي ـ للواقدي : ٢/٤٤٩ ـ ٤٥٠ » . وانظر أيضاً : « دَلائل النبوة ـ للإصبهاني ـ : ١٨٠ » ، حديث « الكدية » ـ عن عبد الله ابن عمرو ، وعن البراء بن عازب » .

ل — : —(إِبْرَاءُ الْمَرْضَى وَالْمَجَانِينِ بِبَرَكَةِ مَسْحِهِ — ﷺ — عَلَيْهِمْ)—

وَمَسَحَ — ﷺ — عَلَىٰ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْمَرْضَىٰ وَالْمَجَانِينِ فَشَفَاهُمُ اللهُ[1].

—(انْهِزَامُ الْكُفَّارِ فِي « بَدْرٍ » وَ « حُنَيْنٍ » بِرَمْيِهِ — ﷺ — التُّرَابَ عَلَيْهِمْ)—

وَأَخَذَ « يَوْمَ بَدْرٍ » وَ « يَوْمَ حُنَيْنٍ » قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ وَرَمَىٰ بِهَا فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ[2]، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَدَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ مِنْهَا الْقَذَىٰ وَانْهَزَمُوا »[3].

❊❊❊

ن — : —(بَرَكَةُ شَعَرَاتِهِ — ﷺ — فِي قَلَنْسُوَةِ « خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ » فِي إِحْرَازِ النَّصْرِ)—

وَكَانَتْ شَعَرَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ — ﷺ — فِي قَلَنْسُوَةِ[4] « خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ »

---

(١) انظر : « الشفا : ١/٢٢٠ — ٢٢١ » .

(٢) في « الشفا : ١/٢٢١ » : « وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ ، وَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » فَانْصَرَفُوا يَمسحونَ الْقَذَى عَنْ أَعْيُنِهِمْ » .

(٣) « الشفا : ١/٢٢١ » .

(٤) « الْقَلَنْسُوَةُ » : لِبَاسٌ لِلرَّأْسِ مُخْتَلِفُ الأَنْوَاعِ وَالأَشْكَالِ . ج : « قَلَانِسُ » و « قَلَانِيسُ » وَ « قَلَاسٍ » وَ « قَلَاسِيٌّ » — « المعجم الوَسِيط — مادة : قَلَسَ » .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا قِتَالًا إِلَّا وَرُزِقَ النَّصْرَ »[١]. فَسَقَطَتْ[٢] مِنْهُ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ فَشَدَّ عَلَيْهَا شَدَّةً، وَوَقَعَ بِسَبَبِهَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَعُوتِبَ فِي ذَٰلِكَ، فَقَالَ: خِفْتُ أَنْ يَفُوتَنِي النَّصْرُ، وَأَنْ تَقَعَ فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ، وَفِيهَا جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ مِنْ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ.

وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ هَٰذَا النَّوْعَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ.

***

(١) « الشفا : ٢١٨/١ ».

(٢) في « الشفا : ٤٤/٢ » : « فَسَقَطَتْ قَلَنْسُوَتُهُ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا شَدَّةً أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ كَثْرَةَ مَنْ قُتِلَ فِيهَا، فَقَالَ: لَمْ أَفْعَلْهَا بِسَبَبِ الْقَلَنْسُوَةِ بَلْ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ شَعْرِهِ ـ ﷺ ـ ».

وانظر أيضاً : « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : ٩٠/٤ ـ كتاب المناقب ـ ذكر خالد بن الوليد ـ الحديث : (٤٠٤٤) ـ ».

النَّوْعُ ٱلتَّاسِعُ، وَهُوَ

مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْمُغَيَّبَاتِ

مِمَّا كَانَ وَمَا هُوَ آتٍ فَمِنْهُ ذَلِكَ مَا هُوَ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ تَعَالَى أَوْ سُنَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَمِنْ ذَٰلِكَ :

[أولاً] : [الْمُغَيَّبَاتُ فِي كِتَابِ اللهِ ــ تَعَالَى ــ] (١) :

آ ــ : ــ (اخْبَارُه ــ تعالى ــ عَنْ عَجْزِ الإِنْسِ وَالجِنِّ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ « الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ») ــ

أَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ كِتَابُ « اللهِ » ــ تَعَالَىٰ ــ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ ، فَذَٰلِكَ إِخْبَارُهُ بِعَجْزِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (٢) عَنْ ﴿ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ ﴾ (٣) ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٤) . ثُمَّ إِخْبَارُهُ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا بِقَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ (٥) . وَإِخْبَارُهُ أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ بِقَوْلِهِ ــ تَعَالَىٰ ــ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٦) مَعَ كَثْرَةِ الْمَلَاحِدَةِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَىٰ تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ ، بِحَمْدِ اللهِ ــ تَعَالَىٰ ــ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ حُرُوفِهِ ، بِخِلَافِ « التَّوْرَاةِ » وَ « الْإِنْجِيلِ » وَغَيْرِهِمَا ، لِأَنَّ « اللهَ » ــ تَعَالَىٰ ــ تَوَلَّىٰ حِفْظَ « الْقُرْآنِ » بِنَفْسِهِ ، وَوَكَلَ حِفْظَ غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِهِ إِلَىٰ أَهْلِهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَٰبِ اللهِ ﴾ (٧) ؛ بَلْ

---

(١) التكملة يقتضيها السياق .

(٢) استشهد بالآية الكريمة التالية : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ .

(٣) و (٤) « سورة الإسراء : ٨٨/١٧ ــ ك ــ » .

(٥) « سورة البقرة : ٢٤/٢ ــ م ــ » .

(٦) « سورة الحجر : ٩/١٥ ــ ك ــ » .

(٧) « سورة المائدة : ٤٤/٥ ــ م ــ » .

﴿ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

◎◎◎

ب ـ : ـ(عِصْمَتُهُ ـ تَعَالَى ـ لِرَسُولِهِ ـ ﷺ ـ مِنَ النَّاسِ وَوَعْدُهُ لَهُ بِالنَّصْرِ)ـ

وَمِنْ ذَٰلِكَ وُقُوعُ مَا وَعَدَهُ « اللهُ » فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) . وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ (٣) . وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (٤) . وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم من بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ (٥) وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ / الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ (٦) . وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (٧) ، وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * [٧٤و]

(١) « سورة البقرة : ٧٥/٢ ـ م ـ » .
(٢) « سورة المائدة : ٦٧/٥ ـ م ـ » .
(٣) « سورة الأنفال : ٧/٨ ـ م ـ » .
(٤) « سورة التوبة : ٣٣/٩ ـ م ـ » .
(٥) « سورة النور : ٥٥/٢٤ ـ م ـ » .
(٦) « سورة الفتح : ٢٧/٤٨ ـ م ـ » .
(٧) « سورة القمر : ٤٥/٥٤ ـ ك ـ » .

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ﴾ [(١)] فَوَقَعَ جَمِيعُ ذَٰلِكَ، وَنَصَرَ اللهُ عَبْدَهُ، وَصَدَقَ وَعْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ[(٢)].

هَٰذَا مَعَ مَا كَشَفَ فِيهِ مِنْ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ، وَإِظْهَارِ الْمُعَانِدِينَ، كَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ [(٣)]، وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [(٤)]، وَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُم قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ [(٥)].

◎◎◎

---

(١) « سورة النصر : ١١٠/١ و ٢ ـ م ـ ».

(٢) في « صحيح البخاري : ١٤٢/٥ ـ (٦٤) كتاب المغازي ـ (٢٩) باب غزوة الخندق ـ وَهِيَ الأَحْزَابُ ـ » : ـ « عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ كانَ يَقولُ : « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ ، أَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ ».

(٣) « سورة آل عمران : ١٥٤/٣ ـ م ـ ».

(٤) « سورة المجادلة : ٨/٥٨ ـ م ـ ».

(٥) « سورة التوبة : ٩٤/٩ ـ م ـ ».

[ثانياً] -: - المُغَيَّبَاتُ في سُنَّتِهِ - ﷺ - :

وَأَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ فِي سُنَّتِهِ، فَمِنْ ذَٰلِكَ مِمَّا فِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَوْ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ فِي غَيْرِهِمَا صَحِيحاً

أ - : -(حَدِيثُ زُوِيَتْ إِلَيَّ الأَرْضُ)-

وَحَسَناً قَوْلُهُ - ﷺ - : « زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ - أَي : جُمِعَتْ فِي زَاوِيَةٍ - فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا »[١].

◎◎◎

ب - : -(إِخْبَارُهُ - ﷺ - بِأَنَّ الطَّاعُونَ لا يَدْخُلُ « المَدِينَةَ »)-

وَإِخْبَارُهُ - ﷺ - « أَنَّ الطَّاعُونَ لَا يَدْخُلُ « الْمَدِينَةَ » [٢]. وَلَا يَدْخُلُهَا رُعْبُ «الدَّجَّالِ»[٣]، وَأَنَّهَا لَا يُرِيدُهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ « اللهُ » ذَوْبَ الْمِلْحِ »[٤].



(١) « سنن الترمذي : ٣١٩/٣ - أبواب الفتن - (١٣) باب سؤال « النبي » - ﷺ - لأمته ثلاثاً في أمته - الحديث رقم : (٢٢٦٧) - » ، - بفارق يسير في النص - .

(٢) و (٣) « صحيح البخاري : ٢٨/٢ - (٢٩) كتاب فضائل المدينة - (٩) باب لا يدخل الدجال المدينة » .

(٤) « صحيح البخاري : ٢٧/٢ - (٢٩) كتاب فضائل المدينة - (٧) باب إثم من كاد أهل المدينة».
و « صحيح مسلم : ١٠٠٧/٢ - (١٥) كتاب الحج - (٨٩) باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله - الحديث : ٤٩٢ - (١٣٨٦) - » .

ج – : –(إخْبَارُهُ – ﷺ – بِفَتْحِ « بَيْتِ المَقْدِسِ »)–

وَإِخْبَارُهُ – ﷺ – بِفَتْحِ « بَيْتِ الْمَقْدِسِ » وَ « الشَّامِ » و « الْعِرَاقِ ». وَظُهُورِ الْأَمْنِ حَتَّىٰ تَظْعَنَ الْمَرْأَةُ مِنَ « الْحِيرَةِ » إِلَىٰ « مَكَّةَ » لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ »(١).

◆◆◆

د – : –(إخْبَارُهُ – ﷺ – بِذَهَابِ « فَارِسَ » وَذَهَابِ « قَيْصَرَ »)–

وَإِخْبَارُهُ – ﷺ – بِذَهَابِ « فَارِسَ » حَتَّىٰ لَا فَارِسَ بَعْدَهُ، وَذَهَابُ « قَيْصَرَ » حَتَّىٰ لَا « قَيْصَرَ » بَعْدَهُ. وَإِنَّ « الرُّومَ » ذَاتُ قُرُونٍ إِلَىٰ آخِرِ الدَّهْرِ(٢).

◎◎◎

(١) انظر «صحيح البخاري : ٢٣٩/٤ – ٢٤٠ – (٦١) كتاب المناقب – (٢٥) باب علامات النبوة».

(٢) جاء في « المَطَالِبِ الْعَالِيَةِ بِزَوَائِدِ المَسَانِيدِ الثَّمَانِيَةِ : ٢٦/٤ – كِتَابُ المَنَاقِبِ – بابُ إِخْبَارِهِ – ﷺ – بِأَنَّ «فَارِسَ » تَنْقَرِضُ وَأَنَّ « الرُّومَ » تَبْقَى فكَانَ كَذَلِكَ – الحديث رقم : (٣٨٦٥) – » : «أَبُو مُحَيْرِيزٍ قَالَ، قَالَ « رَسُولُ اللهِ » – ﷺ –: « فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ، ثُمَّ لاَ فَارِسَ بَعْدَ هَذَا أَبَداً ، وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ كُلَّمَا هَلَكَ قَرْنٌ خَلَفَهُ قَرْنٌ، أَهْلُ صَخْرٍ ، وَأَهْلُ بَحْرٍ ، هَيْهَاتَ لآخِرِ الدَّهْرِ ، هُمْ أَصْحَابُكُمْ ،مَا دَامَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ »–للْحَارِثِ مرسَلاً– . قَالَ « ابْنُ الأَثِيرِ » فِي تَفْسِيرِ « نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ » : « مَعْنَاهُ أَنَّ فَارِسَ تُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَبْطُلُ مُلْكُهَا وَيَزُولُ ».

وَجَاءَ فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٢٢٣٧/٤ – (٥٢) كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ – (١٨) بَابُ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرجلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلاَءِ – الحديث : ٧٥ – (٢٩١٨) – عَنْ أَبِي هريرة – : قَدْ مَاتَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ ».

وانظر أيضاً « صحيح البخاري : ٢٤٦/٤ – (٦١) كِتَابُ الْمَنَاقِبِ – (٢٥) بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ – » – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – » – .

هـ - : -(إخْبَارُهُ - ﷺ - بمَا يَفْتَحهُ « اللهُ » عَلى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا)-

وَإِخْبَارُهُ - ﷺ - بِمَا يَفْتَحُهُ اللهُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَقِسْمَتِهِمْ كُنُوزَ « كِسْرَىٰ » وَ « قَيْصَرَ » حَتَّىٰ يَرُوحَ أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ (١) وَيَغْدُوَ فِي حُلَّةٍ أُخْرَىٰ ، وَتُوضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَصْعَةٌ وَتُرْفَعَ أُخْرَىٰ .

⁂

و - : -(إخْبَارُهُ - ﷺ - بمَا يحْدُثُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ مِنَ الاخْتِلافِ وَالفِتَنِ)-

وَإِخْبَارُهُ - ﷺ - بِمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الاخْتِلَافِ وَالْفِتَنِ ، وَافْتِرَاقِهِمْ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً (٢) ، وَسُلُوكِ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ « أَهْلِ الْكِتَابِ » .

⁂

(١) « الْحُلَّةُ » : وَاحِدَةُ الْحُلَلِ ، وَهِيَ بُرُودُ الْيَمَنِ ، وَلاَ تُسَمَّى حُلَّةً إِلاَّ أَنْ تَكُونَ ثَوْبَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ . « النهاية في غريب الحديث : ٤٣٢/١ - مادة : « حلل » . وجاء في الحاشية رقم (١) تعليقاً على مَا سَبَقَ : « فِي « الدُّرِّ النَّثِيرِ » : قَالَ الْخَطَّابِيُّ : « الْحُلَّةُ » ثَوْبَانِ : إِزَارٌ وَرِدَاءٌ ، وَلاَ تَكُونُ حُلَّةً إِلاَّ وَهِيَ جَدِيدَةٌ تُحَلُّ مِنْ طَيِّهَا فَتُلْبَسُ » .

(٢) في « سنن أبي داود : ٥٠٣/٢ - أول كتاب السنة - باب شرح السنة » :

حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ ، عَنْ خَالِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : « افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » .

ز –:–(إخبارُهُ –ﷺ– بردِّ اللهِ بأسَ المُسلمينَ بينَهُمْ إذا فشا فيهم الزِّنا والرِّبا)–

وَإِخْبَارُهُ – ﷺ – أَنَّ أُمَّتَهُ إِذَا فَشَا فِيهِمُ « الزِّنَا » و « الرِّبَا » و « شُرْبُ الْخَمْرِ » (١) رَدَّ « اللهُ » بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ .

❁❁❁

ح– :–(ظُهُورُ الْفِتَنِ و « الدَّجَّالِ » في آخِرِ الزَّمَانِ)–

وَإِخْبَارُهُ – ﷺ – بِظُهُورِ الْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَكَثْرَةِ الْهَرَجِ – وَهُوَ : الْقَتْلُ – ، وَقَبْضِ الْعِلْمِ ، وَظُهُورِ الْجَهْلِ ، وَمَوْتِ الْأَمْثَلِ فَالْأَمْثَلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ أُمَّتِهِ « دَجَّالُونَ » كُلُّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ « اللهِ » و « رَسُولِهِ » آخِرُهُمْ « الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ » (٢) .

◆◆◆

---

(١) « صحيح البخاري : ٣٠/١ – (٣) كتاب العلم – (٢١) باب رفع العلم وظهور الجهل » . وانظر : « صحيح مسلم : ٢٠٥٦/٤ – (٤٧) كتاب العلم – (٥) باب رفع العلم وقبضه ، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان – الحديث : ٩ – (. . .) – » .

(٢) « صحيح مسلم : ٢٢٣٩/٤ – ٢٢٤٠ – (٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة – (١٨) باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت ، من البلاء – الحديث : ٨٤ – (١٥٧) – » .

ط ـ : ـ (خُرُوجُ « المَهْدِيِّ » وَنُزُولُ « عِيسَى » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ) ـ

وَإِخْبَارُهُ ـ ﷺ ـ بِأَنَّهُ لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ـ تَعَالَى ـ وَيَخْرُجَ « الْمَهْدِيُّ » فَيَنْزِل « عِيسَى » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ [1] إِلَى مَا لَا يُحْصَى وَلَا يُسْتَقْصَى ، حَتَّى قَالَ « حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ قَامَ فِينَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ مَقَاماً مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هٰؤُلَاءِ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ » [2] ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ .

◆◆◆

---

(١) انظر : « صحيح مسلم : ١٣٧/١ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧١) باب نزول عيسى بن مريم ، حاكماً بشريعة نبينا « محمد » ـ ﷺ ـ الحديث : ٢٤٧ ـ (١٥٦) ـ » .

(٢) « صحيح البخاري : ١٥٤/٨ ـ (٨٢) كتاب القدر ـ (٤) باب وكان أمر الله مقدوراً » .
و « صحيح مسلم : ٢٢١٧/٤ ـ (٥٢) ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ (٦) باب إخبار « النبي » ـ ﷺ ـ فيما يكون إلى قيام الساعة ـ الحديث : ٢٣ ـ (. . .) ـ » .

ي ـ : ـ(إخْبَارُهُ ـ ﷺ ـ بِقَادَةِ الْفِتَنِ وَأُمُورٍ أُخْرَى)ـ

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهُ قَالَ : « وَاللهِ ! مَا تَرَكَ « رَسُولُ اللهِ » ـ صَلَّىٰ « اللهُ » / عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَىٰ أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ [٧٤ ظ] وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ »[١] .

وَقَالَ « أَبُو ذَرٍّ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ : « لَقَدْ تَرَكَنَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْماً »[٢] . قَالَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[٣] .

ك ـ : ـ(اقتراب نُزُولِ « ابْنِ مَرْيَمَ » حَكَماً عَدْلاً)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » ـ عَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ قَالَ ، قَالَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! » لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ « ابْنُ مَرْيَمَ » حَكَماً عَدْلًا مُقْسِطاً ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ـ أَيْ: فَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ـ وَيَفِيضُ الْمَالُ ، حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ[٤] . وَحَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ

---

(١) « سنن أبي داود : ٤١١/٢ ـ أول كتاب الفتن ـ باب ذكر الفتن ودلائلها » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٥ ، ١٥٣ .

(٣) « سورة فصلت : ٥٣/٤١ ـ ك ـ » .

(٤) « صحيح البخاري : ١٠٧/٣ ـ (٣٤) كتاب البيوع ـ (١٠٢) باب قتل الخنزير .

الدُّنْيَا ،وَمَا فِيهَا ».ثُمَّ يَقُولُ «أَبُوهُرَيْرَةَ» : اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً[1]﴾[2] .

ل — : —(خُرُوجُ « الدَّجَّالِ » وَنُزُولُ « عِيسَى » وَقَتْلُهُ « الدَّجَّالَ »)—

وَفِي « مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل » — عَنْ « عَائِشَةَ » — رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا — عَنِ «النَّبِيِّ» — ﷺ — قَالَ : «يَخْرُجُ « الدَّجَّالُ » فَيَنْزِلُ « عِيسَىٰ» فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَمْكُثُ « عِيسَىٰ — عليه السلام— » أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَاماً عَدْلًا ، وَحَكَماً مُقْسِطاً»[3] .

وَوَرَدَ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ أَنَّ « الْمَهْدِيَّ » يَخْرُجُ قَبْلَ « الدَّجَّالِ » عَلَىٰ رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ — أَيْ : رَأْسِ قَرْنٍ — لَكِنَّ التَّحْقِيقَ أَنَّ قُرُونَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ ابْتِدَاؤُهَا مِنْ مَوْلِدِ نَبِيِّهَا كَأَلْفِ « نُوحٍ » ، وَبَيْنَ مَوْلِدِهِ وَهِجْرَتِهِ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً فَيَكُونُ تَمَامُ الْأَلْفِ لِسَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بَعْدَ تِسْعِمِائَةٍ مِنْ هِجْرَتِهِ ـ ﷺ ـ وَعِنْدَ ذٰلِكَ يُتَوَقَّعُ خُرُوجُ « الدَّجَّالِ » إِنْ كَانَ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ .

◆◆◆

(١) « سورة النساء : ١٥٩/٤ — م — » .

(٢) « صحيح مسلم : ١٣٥/١ — ١٣٦ — (١) كتاب الإيمان — (٧١) باب نزول عيسى بن مريم — الحديث : ٢٤٢ — (١٥٥) » .

(٣) « مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٦: ٧٥ »

النَّوْعُ الْعَاشِرُ، وَهُوَ

الْمُعْجِزَةُ الْعُظْمَى وَالْآيَةُ الْكُبْرَى

مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

الْمُسْتَمِرَّةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى وُجُوهٍ مِنَ الْإِعْجَازِ

—(وُجُوهٌ مِنْ إعْجَازِ « الْقُرْآنِ » الْعَظِيمِ)—

فَمِنْهَا : الْبَلَاغَةُ الَّتِي أَعْجَزَ بِهَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ . قَالَ « اللهُ » — تَعَالَىٰ — :
﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) .

قَالَ « الْقَاضِي عِيَاضٌ (٢) » — رَحِمَهُ اللهُ — تَعَالَىٰ — :

[« وَوَجْهُ إِعْجَازِهِ بِحُسْنِ نَظْمِهِ وَفَصَاحَةِ كَلِمِهِ الْخَارِقَةِ ، عَادَةَ الْعَرَبِ الْعَرْبَاءِ ، وَهُمُ الْقَوْمُ اللُّدُّ (٣) الْفُصَحَاءُ ، [وَ] (٤) أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَابَ هَٰذَا الشَّانِ ، وَفُرْسَانَ هَٰذَا الْمَيْدَانِ ، جَعَلَ اللهُ الْبَلَاغَةَ لَهُمْ طَبْعاً وَخِلْقَةً ، وَرَكَّبَهَا فِيهِمْ جِبِلَّةً وَقُوَّةً ، يَأْتُونَ مِنْ ذَٰلِكَ عَلَىٰ الْبَدِيهَةِ بِالْعَجَبِ ، وَيَرْتَجِلُونَ فِي الْمَحَافِلِ الْقَصَائِدَ وَالْخُطَبَ ، وَيَرْتَجِزُونَ بِهِ فِي الْحَرْبِ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، فَيَرْفَعُونَ مَنْ مَدَحُوهُ ،

---

(١) « سورة الإسراء : ٨٨/١٧ — ك — » .

(٢) انظر : « شرح الشفاء ٥٤٣/١ » .

(٣) « اللُّدُّ » ج « الأَلَدُّ » وهو الخصيم الشَّديد التَّأَبِّي ، وأصلُ الأَلَدِّ : الشَّديدُ اللَّدَدِ أي صَفْحَةِ العُنُقِ ، وذلكَ إذَا لَمْ يُمْكِنْ صَرْفُهُ عَمَّا يُرِيدُهُ . « مفردات الراغب الأصبهاني — مادة — « لُدّ » .

(٤) التكملة يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ .

وَيَضَعُونَ مَنْ قَدَحُوهُ [١]، وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلًا، وَالنَّبِيهَ خَامِلاً، وَيَتَغَزَّلُونَ فَيَأْتُونَ بِالسِّحْرِ الْحَلَالِ، وَيَتَمَثَّلُونَ بِمَا يُزْرِي عَلَىٰ عِقْدِ اللَّآلِ [٢]، فَيَخْدَعُونَ الْأَلْبَابَ إِنْ سَأَلُوا، وَيُذَلِّلُونَ الصِّعَابَ إِنْ شَفَعُوا، لَهُمْ فِي فُنُونِ الْبَلَاغَةِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالْقُوَّةُ الدَّامِغَةُ، لَا يَشُكُّونَ / أَنَّ الْكَلَامَ [٧٥و] طَوْعُ مُرَادِهِمْ، وَأَنَّ الْبَلَاغَةَ مِلْكُ قِيَادِهِمْ، قَدْ حَوَوْا فُنُونَهَا، وَاسْتَنْبَطُوا [عُيُونَهَا، وَدَخَلُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَعَلَوْا صَرْحاً لِبُلُوغِ أَسْبَابِهَا]، فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا رَسُولٌ كَرِيمٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِكِتَابٍ حَكِيمٍ ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٣]، قَدْ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ، وَفُصِّلَتْ كَلِمَاتُهُ، وَبَهَرَتْ بَلَاغَتُهُ الْعُقُولَ، وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ عَلَىٰ كُلِّ مَقُولٍ . . . . صَارِخاً بِهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمُقَرِّعاً لَهُمْ عَلَىٰ مَرِّ السِّنِين، قَائِلًا لَهُمْ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [٤]، وَلَمْ يَزَلْ يُقَرِّعُهُمْ بِهِ أَشَدَّ التَّقْرِيعِ وَيُوَبِّخُهُمْ بِهِ غَايَةَ التَّوْبِيخِ، وَيُسَفِّهُ

---

(١) « قَدَحُوهُ »: « عَابُوهُ ».

(٢) الأصل: الأول.

(٣) « سورة فُصِّلَت: ٤٢/٤١ ــ ك ــ ».

(٤) « سورة البقرة: ٢٣/٢ ــ م ــ ».

أَحْلَامَهُمْ ، وَيَحُطُّ أَعْلَامَهُمْ ، وَهُمْ فِي كُلِّ ذَٰلِكَ نَاكِصُونَ عَنِ الْمُعَارَضَةِ(١) بِالْحُرُوفِ إِلَىٰ الْمُقَارَعَةِ (٢) بِالسُّيُوفِ ، وَقَالُوا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُبَاهَتَةِ(٣) ، وَالرِّضَىٰ بِالدَّنِيئَةِ ، كَقَوْلِهِمْ : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ (٤) ، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ (٥) مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ (٦) وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ (٧) ، وَ ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا (٨) فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (٩) .

---

(١) أورد « أبو الحسن علي بن محمد الماوردي » المتوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م نخبَةً من أخبار المعارضة في كتابه : « أعلام النبوَّة ». معارضة « مسيلمة » للقرآن، و « الأسود العنسي » و « النضر بن الحارث » وغيرهم .
انظر : « أعلام النبوَّة » : ٧١ و ٧٢ » .

(٢) « المقارعة بالسيوف » : « مضاربة بعضهم بعضاً بالسيوف في الحرب » .

(٣) الأصل : « المباهلة » ، وصواب ذلك ما أثبت ، انظر « الشفا : ١٦٨/١ » و «المباهتة»: «هي القذف بالباطل » .

(٤) « سورة البقرة : ٨٨/٢ ــ م ــ » . و « غُلُفٌ » هو جمع أَغْلَف ، أَيْ هُوَ فِي غِلَافٍ ، والأصل : « غُلُفٌ » ــ بضم اللام ــ ، وقد قُرِىءَ بِهِ نحو : « كُتُبٌ » ، أيْ هي أَوْعِيَةٌ للعلم ، تنبيهاً أَنَّا لا نحتاجُ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْكَ ، فَلَنَا غُنْيَةٌ بمَا عِنْدَنَا . » « مفردات الراغب : ــ مادة : غلف » .

(٥) ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ : قيل معناه في غطاء عَنْ تَفَهُّمِ مَا تُورِدُهُ عَلَيْنَا .

(٦) « الْوَقْرُ » : « الثِّقَلُ فِي الأُذُنِ » ، الصمم .

(٧) « سورة فصلت : ٥/٤١ ــ ك ــ » .

(٨) « وَالْغَوْا فِيهِ » : أي : الْهَجُوا بِهِ لَهْجَ الْعُصْفُورِ بِلَغَاهُ ، أي بِصَوْتِهِ .

(٩) « سورة فصلت : ٢٦/٤١ ــ ك ــ » .

« وَلَمَّا سَمِعَ « الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ » قَوْلَهُ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَاي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) قَالَ : « وَاللَّهِ ! إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ (٢) ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ ، وَمَا يَقُولُ هَٰذَا بَشَرٌ» (٣) ، فَاعْتَرَفَ بِعَجْزِ الْبَشَرِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، وَقُصُورِهِمْ عَنْ مُمَاثَلَتِهِ ، وَأَصَرَّ مَعَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ الْعِنَادِ ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَعَنْ مُعَارَضَتِهِ . وَكَانَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ إِذَا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : « إِنَّهُ كَاهِنٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ « وَاللَّهِ ! مَا أَنْتُمْ بِعَاقِلِينَ مِنْ هَٰذَا شَيْئاً ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا « واللهِ ! » مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَقُولُهُ بَشَرٌ » .

وَمِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ ، وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ إِلَّا الْفَذُّ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ ـ ﷺ ـ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ حَتَّىٰ كَانَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَيُؤَدِّيهِ لَهُمْ

(١) « سورة النحل : ١٦/٩٠ ـ ك ـ » .

(٢) الأصل : « مغرق » . وفي « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني : ١١٤ » : « معرق » .

(٣) هذا ما جاء في حديث حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة في كتاب « دلائل النبوة ـ للبيهقي : ١/٤٤٦ » ، وانظر أيضاً « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني : ١١٤ » .

عَلَىٰ وَجْهِهِ ، وَيَأْتِي بِهِ عَلَىٰ نَصِّهِ ، فَيَعْتَرِفُ الْعَالِمُ مِنْهُمْ بِذَٰلِكَ لَهُ بِصِدْقِهِ . قَالَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) . وَيَقْطَعُ الْمُوَافِقُ الْمُخَالِفَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْ ذَٰلِكَ بِتَعْلِيمٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِإِعْلَامِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، حَتَّىٰ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مَعَ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَهُ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ « قِصَّةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ» ، وَ « ذِي الْقَرْنَيْنِ » ، و « مُوسَىٰ » وَ «الْخَضِرِ» ، وَ « لُقْمَانَ وَابْنِهِ » ، وَ «أَصْحَابِ الْكَهْفِ». مَعَ أَنَّ أَقْرَبَ قِصَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ « عِيسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ « قِصَّةُ أَهْلِ الْكَهْفِ». وَكَانَ «أَهْلُ الْكِتَابِ» / فِيهَا كَمَا قَالَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (٢) فَقَالَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣) وَقَالَ : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ﴾ (٤) فَاعْتَرَفُوا لَهُ بِالصِّدْقِ ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْحَقِّ ، فَإِذَا كَانَ هَٰذَا شَأْنُهُمْ فِي أَقْرَبِ الْقَصَصِ [٧٥ ظ]

(١) « سورة النمل : ٧٦/٢٧ ـ ك ـ » .

(٢) و (٣) و (٤) « سورة الكهف : ١٨ ـ ٢٢ ـ ك ـ » . وهذا نصُّ الآية الكاملُ : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَٰهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ﴾ .

إِلَىٰ عَصْرِهِمْ ، فَمَا ظَنُّكَ «بِقِصَّةِ آدَمَ وَإِبْلِيسَ» وَ «ابْنَيْ آدَمَ» ، وَ«إِدْرِيسَ» ، وَ « نُوحٍ » وَ « أَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، » وَ « عَادٍ » و « ثَمُودَ » وَ « إِبْرَاهِيمَ » و « إِسْمَاعِيلَ » و « إِسْحَاقَ » و « يَعْقُوبَ » وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا « اللهُ » .

وَكَانُوا إِذَا نَازَعُوهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ « كَحُكْمِ الرَّجْمِ » وَمَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي « التَّوْرَاةِ » وَ « الْإِنْجِيلِ » وَقَالَ : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴾ (١) . ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) .] (٣) .

(وَصْفُ الْبُوصِيرِيِّ مُعْجِزَاتِه ـ ﷺ ـ)

[وَمِن] (٤) قَوْلِ «صَاحِبِ الْبُرْدَةِ» ـ رَحِمَهُ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ :

« دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
ظُهُورَ نَارِ الْقِرَىٰ لَيْلًا عَلَىٰ عَلَمِ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ
وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ

---

(١) « سورة آل عمران : ٣/٩٣ و ٩٤ ـ م ـ » .

(٢) « سورة البقرة : ٢/٨٩ ـ م ـ » .

(٣) لخص المؤلف هذا الفصل عن « الشفا : ١/١٦٦ ـ ١٧٦ » تلخيصاً مجملاً .

(٤) التكملة يقتضيها السياق .

فَمَا تَطَاوَلُ آمَالُ الْمَدِيحِ إِلَىٰ
مَافِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ
آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا
عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ
مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ
مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدَىٰ الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ
رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَىٰ مُعَارِضِهَا
رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرَمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ عَجَائِبُهَا
وَلَا تُسَامُ عَلَىٰ الْإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ :
لقدْ ظفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظًى
أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَىٰ مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ
مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالْحُمَمِ

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ » (١)

◆◆◆

---

(١) « ديوان البوصيري : ٢٤٤ — ٢٤٥ » .

الْبَابُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ مَوْلِدِهِ ٱلشَّرِيفِ وَرَضَاعِهِ وَنَشْأَتِهِ إِلَىٰ أَوَانِ بَعْثِهِ ـ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

ـ(الْفَتْرَةُ بَيْنَ « عِيسَىٰ » و « مُحَمَّدٍ » ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ـ)ـ

رَوَىٰ «الْبُخَارِيُّ» فِي « صَحِيحِهِ » [عَنْ « سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ :

« فَتْرَةٌ (١) بَيْنَ « عِيسَىٰ » وَ « مُحَمَّدٍ » ـ صَلَّىٰ (٢) اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ـ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ » (٣) .]

ـ(الرِّسَالَةُ)ـ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : / وَكَانَتْ رِسَالَتُهُ ـ ﷺ ـ عَلَىٰ رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ [٧٦و] مِنْ مَوْلِدِهِ (٤) ـ ﷺ ـ .

ـ(حَدِيثُ بَدْءِ الْوَحْيِ)ـ

فَفِي « صَحِيحِ « الْبُخَارِيِّ » وَ « مُسْلِمٍ » :

[ـ عَنْ « مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ » عَنْ « عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ » عَنْ « عَائِشَةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ [أَنَّهَا] (٥) قَالَتْ : « أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِـهِ

(١) في الأصل : « فترة ما بين عيسى » .

(٢) في الأصل : « عليهما السلام » .

(٣) « صحيح البخاري : ٥/٩٠ ـ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار ـ (٥٣) باب إسلام سلمان » .

(٤) « الرَّوْضُ الأُنُف : ٢/٣٨٤ » وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » ، وَ « جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ » و « قَبَاثِ بْنِ أَشْيَمَ » ، وَ « عَطَاءٍ » وَ « سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ » ، وَ « أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ » ، وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالأَثَرِ » .

(٥) التكملة عن « صحيح البخاري : ١/٣ » .

«رَسُولُ اللهِ» - ﷺ - مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ. وَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ [١]. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ [٥]، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ «حِرَاءٍ» فَيَتَحَنَّثُ [٢] فِيهِ [٣] [- قَالَ الزُّهْرِيُّ -] : وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَن [يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذٰلِكَ ثُمَّ] [٤] يَرْجِعُ إِلَىٰ « خَدِيجَةَ »، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهْوَ فِي « غَارِ حِرَاءٍ » فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: « اقْرَأْ » قَالَ: « مَا أَنَا بِقَارِئٍ ». قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي - أَيْ حَبَسَ نَفَسِي - حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ - أَي: الْمَشَقَّةَ - ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: « اقْرَأْ » فَقُلْتُ: « مَا أَنَا بِقَارِئٍ »، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: « اقْرَأْ » فَقُلْتُ:

---

(١) « فَلَقُ الصُّبْحِ » : قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : « فَلَقُ الصُّبْحِ » وَ« فَرَقُ الصُّبْحِ » : ضِيَاؤُهُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ هٰذَا فِي الشَّيْءِ الْوَاضِحِ الْبَيِّنِ. « صحيح مسلم ١/١٤٠ - الحاشية (١) - ».

(٢) « الخَلاءُ » : « الخلوة ».

(٣) الأصل : « فيحنث فيه - أيْ : بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ ثُمَّ . . . ثُمَّ مُثَلَّثَةٍ. وَمَا أُثْبِتَ فِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ١/٣ ». وَأَصْلُ « الْحِنْثِ » : الإِثْمُ، فَمَعْنَى « يَتَحَنَّثُ » : يَتَجَنَّبُ الْحِنْثَ، فَكَأَنَّهُ بِعِبَادَتِهِ يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْحِنْثِ. « صحيح مسلم : ١/١٤٠ - الحاشية : (٤) - ».

(٤) التكملة عن « صحيح البخاري : ١/٣ ».

(٥) « اللياليَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ » فَمُتَعَلَّقُ يَتَحَنَّثُ، لاَ بِالتَّعَبُّدِ، وَمَعْنَاهُ يتحنَّثُ اللَّيَالِيَ، وَلَوْ جُعِلَ متعلقاً بالتَّعَبُّدِ فَسَدَ المعنى. فإنَّ التَّحَنُّثَ لاَ يُشْتَرَطُ فِيهِ الليالي، بل يُطلق على القليل والكثير. وهذا التفسير اعترضَ بين كلام عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنها - وأما كلامها فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد.

« مَا أَنَا بِقَارِئٍ . [فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي] (١) فَقَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * [الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * (٢)] (٣) ، فَرَجَعَ بِهَا « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَىٰ «خَدِيجَةَ [بِنْتِ خُوَيْلِدٍ]» (٤) ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ فَقَالَ : « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي !» ـ أَيْ : غَطُّونِي ـ فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ـ أَي : الْفَزَعُ ـ فَقَالَ « لِخَدِيجَةَ » وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ « أَي : «خَدِيجَةَ !» « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي » فَقَالَتْ «خَدِيجَةُ »: « كَلَّا (٥) وَاللهِ ! مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً ـ أَيْ : لَا يُهِينُكَ ـ بَلْ يُكْرِمُكَ ـ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ (٦) ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٧) ، ـ أَيْ : تُعْطِي الشَّيْءَ مَعَ قِلَّتِـهِ

(١) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « صحيح البخاري : ٣/١ » .

(٢) « سورة العلق : ١/٩٦ ـ ٥ ـ ك ـ » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة في « صحيح مُسْلم : ١٤١/١ » عما في « صحيح البخاري » :

(٤) التكملة عن « صحيح البخاري : ٣/١ » .

(٥) « كَلاَّ » هي هنا كلمة نفيٍ وَإِبْعَادٍ ، وهَـٰذَا أَحَدُ معانيها . وَقَدْ تَأْتِي « كَلاَّ » بِمَعْنَى « حَقّاً » ، وَبِمَعْنَى : « أَلاَ » الَّتِي لِلتَّنْبِيهِ يُسْتَفْتَحُ بِهَا الْكَلاَمُ . وَقَدْ جَاءَتْ فِي « الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ » عَلَى أَقْسَامٍ . « صَحِيح مسلم : ١٤١/١ ـ الحاشية (٤) ـ » .

(٦) «وَتَحْمِلُ الْكَلَّ»: الْكَلُّ أَصْلُهُ الثِّقَلُ . وَيَدْخُلُ فِي حَمْلِ الْكَلِّ الإِنْفَاقُ عَلَى الضَّعِيفِ وَالْيَتِيمِ وَالْعِيَالِ ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ ، وَهُوَ مِنَ الْكَلاَلِ ، وَهُوَ الإِعْيَاءُ». « صحيح مسلم : ١٤١/١ ـ الحاشية (٧) ـ » .

(٧) « وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ » : قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ وَأَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ ، وجَمَاعَاتٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ : يُقَالُ كَسَبْتُ الرَّجُلَ مَالاً وَأَكْسَبْتُهُ مَالاً ، لُغَتَانِ . أَفْصَحُهُمَا بِاتِّفَاقِهِمْ ، كَسَبْتُهُ بِحَذْفِ الأَلِفِ . وَأَمَّا مَعْنَى «تكسب =

وَفَقْدِهِ ـ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ـ أَيْ : تُطْعِمُهُ الطَّعَامَ ـ وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ »ـ أي: الْحَوادِثِ الْمَحْمُودَةِ ـ فَانْطَلَقَتْ [1] بِهِ « خَدِيجَةُ » حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ « وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ » ـ ابْنِ عَمِّ « خَدِيجَةَ » ـ وَكَانَ امْرَأً ـ أَيْ : رَجُلًا ـ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ [2] ، فَيَكْتُبُ مِنَ « الْإِنْجِيلِ » بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ

= المَعْدُومَ » ، فَمَنْ رَوَاهُ بالضَّمِّ فَمَعْنَاهُ تُكْسِبُ غَيْرَكَ المَالَ المَعْدُومَ ، أيْ : تُعْطِيهِ إِيَّاهُ تَبَرُّعاً ، فَحَذَفَ أَحَدَ المفعولين . وقيل مَعْنَاهُ : تُعْطِي النَّاسَ مَا لاَ يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ نَفَائِسِ الْفَوَائِدِ وَمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ . وَأَمَّا رِوَايَةُ الْفَتْحِ ، فَقِيلَ مَعْنَاهَا كَمَعْنَى الضَّمِّ » .

(١) الأصل : « وَانْطَلَقَتْ » . والمثبت في « صحيح البخاري : ٣/١ » و « صحيح مسلم : ١٤١/١ » .

(٢) رواية الأصل ، ورواية « صحيح مسلم : ١٤٢/١ » . أمّا رواية « صحيح البخاري : ٣/١ » : « وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ « الإنجيلِ » بالعبرانيَّة مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ » .

وَ « كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ صَحِيحٌ » ، فَقَدْ كَانَ عَالِماً بِهِمَا .

ثُمَّ المَعْرُوفُ أَنَّ « الإِنْجِيلَ » أُنْزِلَ بالسُّرْيَانِيَّةِ ، وَأَنَّ « التَّوْرَاةَ » بِالْعِبْرَانية فَإِنْ كَانَتْ نُسْخَةُ « الإنجيلِ » فِي عَصْرِهِمْ سُرْيَانِيَّةً كَانَ عَالِماً بِالسُّرْيَانِيَّةِ أيضاً ، وَأَيًّا مَا كَانَ فَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ نُسْخَةٌ عَرَبِيَّةٌ لاَ لِلتَّوْرَاةِ وَلاَ لِلإنجيلِ إذْ ذَاكَ .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَقَدْ أَرَادَتْ « خَدِيجَةُ » مِنْ هَذَا الْوَصْفِ أَنَّهُ جَمَعَ إلى التَّدَيُّنِ مَنْقَبَةَ الْعِلْمِ وَالاطِّلاَعِ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَالْقُدْرَةَ عَلى فَهْمِهَا وَنَقْلِهَا إلى غَيْرِ لُغَتِهَا بِتَوسُّعٍ » . « المختار ـ شرح أربعين حديثاً في أصول الدِّين ـ : ٣٢ » .

يَكْتُبَ . وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ (١) . فَقَالَتْ لَهُ « خَدِيجَةُ » : « يَابْنَ عَمِّ ! » (٢) اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ . فَقَالَ لَهُ « وَرَقَةُ » : « يَا بْنَ أَخِي ! مَاذَا تَرَىٰ ؟ » فَأَخْبَرَهُ (٣) « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ خَبَرَ مَا رَأَىٰ . فَقَالَ لَهُ « وَرَقَةُ » : « هَٰذَا النَّامُوسُ (٤) الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ « مُوسَىٰ » يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً (٥) ! لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ . فَقَالَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ » قَالَ : « نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً » ـ أَيْ : مُعَاناً ـ (٦) .

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ « وَرَقَةُ » ـ أَي : لَمْ يَلْبَثْ ـ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً ، حَتَّىٰ حَزِنَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ حُزْناً شَدِيداً غَدَا مِنْهُ يَتَرَدَّىٰ مِنْ

---

(١) الأصل : « قد عمر » . والمثبت في « صحيح البخاري : ٣/١ » و « صحيح مسلم : ١٤٢/١ » .

(٢) الأصل : « يا ابن العم » .

(٣) الأصل : « وأخبره » ، وما أثبت في « صحيح البخاري ٤/١ » .

(٤) الأصل : « هذا هو النَّامُوسُ الأكبرُ الَّذِي نَزَّلَهُ الله تعالى على موسى » . وما أثبت في « صحيح البخاري : ٤/١ » .

(وهذا النَّامُوس) هو « جبريل » ـ عليه السلام ـ والناموس في اللغة صاحب سر الخير .

(٥) « يَا لَيْتَنِي فِيها جَذَعاً » : الضمير يعود إلى أيام النبوَّة ومدَّتها ، و « جَذَعاً » يعني شَابّاً قَوِيّاً حتى أبالغ في نصركَ . وَالأصلُ في « الْجَذَعِ » للدَّوَابِّ .

(٦) « صحيح البخاري : ٤/٣/١ ـ (١) كتاب بدء الوحي ـ (٣) باب حدثنا يحيى بن بكير » . و « صحيح مسلم : ١٣٩/١ ـ ١٤٢ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧٣) باب بدء الوحي إلى « رسول الله » ـ ﷺ ـ الحديث : ٢٥٢ ـ (١٦٠) ـ » .

رُؤُوسِ الْجِبَالِ . فَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ تَبَدَّىٰ لَهُ « جِبْرِيلُ » وَقَالَ : « يَا « مُحَمَّدُ ! » إِنَّكَ « رَسُولُ اللهِ » حَقًّا (١) » .

ــ(حَدِيثُ فَتْرَةِ الْوَحْيِ وَنُزُولِ « سُورَةِ الضُّحَى »)ــ

« قَالَ « ابْنُ شِهَابٍ » وَأَخْبَرَنِي « أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ » أَنَّ (٢) « جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَمِعَ « النَّبِيَّ » ــ ﷺ ــ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ : « ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي [فَتْرَةً] (٣) ، « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ ــ أَيْ : جِهَتَهَا ــ فَإِذَا الْمَلَكُ / الَّذِي جَاءَنِي « بِحِرَاءٍ » [٧٦ ظ] قَاعِدٌ (٤) عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَفَرِقْتُ (٥) مِنْهُ ــ أَيْ : فَزِعْتُ ــ حَتَّىٰ هَوَيْتُ إِلَىٰ الْأَرْضِ ــ أَيْ : سَقَطْتُ ــ فَجِئْتُ أَهْلِي ،

---

(١) في « صحيح البخاري : ٣٨/٩ ــ (٩١) كتاب التعبير ــ (١) باب التعبير » : « وفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حتىٰ حزنَ النبيُّ ــ ﷺ ــ فيما بلغنا حُزْناً غدا منه مِراراً كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ ، تَبَدَّى لَهُ « جِبْرِيلُ » فقَالَ : « يا مُحَمَّدُ ! » إنَّكَ « رَسُولُ اللهِ » حَقّاً ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ » .

(٢) الأصل : « ابن جابر » ، وما أثبت عن « صحيح البخاري : ٤/١ ــ (١) كتاب بدء الوحي (٣) باب حدثنا يحيى بن بكير ــ » .

(٣) التكملة عن « صحيح مسلم : ١٤٣/١ ــ الحديث (٢٥٦) ــ » .

(٤) في « صحيح البخاري ٤/١ » : « جَالِسٌ » .

(٥) في « صحيح البخاري : ٤/١ » : « فَرُعِبْتُ » ، والمعنى واحد .

فَقُلْتُ : « دَثِّرُونِي » [١] ـ أَيْ : غَطُّونِي ـ فَدَثَّرُونِي . فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ ﴾ [٢] ـ أَيِ : النَّجَسَ ﴿ فَاهْجُرْ * ﴾ [٣] ـ أَيْ : فَاتْرُكْ ـ ، [ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ »] [٤] ـ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ـ [٥] .

وَفِي رِوَايَةٍ : « إِنَّهُ لَمَّا فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْهُ ، قَالَتْ « قُرَيْشٌ » : « قَلاهُ رَبُّهُ » [٦] فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ :

﴿ وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * ﴾ [٧] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ .

---

(١) في « صحيح البخاري : ٤/١ » : « زَمِّلُونِي » ، وفي رواية أخرى : « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » .

(٢) الأصل : « وَالرُّجْسَ » . ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، قالَ أبُو سَلَمَةَ : وَهِيَ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ » . « صحيح البخاري : ٢١٥/٦ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٩٦) تفسير سورة العلق » .

(٣) « سورة المدثر : ١/٧٤ ـ ٥ ـ ك ـ » .

(٤) التكملة عن « صحيح البخاري : ٤/١ » و « الروض الأنف : ٤١٢/٢ » .

(٥) « صحيح البخاري ٢١٤/٦ ـ ٢١٥ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٩٦) تفسير سورة العلق » .
و « صحيح البخاري : ٤/١ـ(١) كتاب بدء الوَحْي ـ(٣) باب حدثنا يحيى بن بكير » ،
و « صحيح مسلم : ١٤٣/١ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧٣) باب بدء الوحي إلى « رسول الله » ـ ﷺ ـ الحديث : ٢٥٥ ـ (١٦١) » .

(٦) انظر : « أسباب نزول القرآن ـ للواحدي : ٤٨٩ ـ ٤٩٠ » .
و « الروض الأنف : ٤١٧/٢ و ٤٢٥ » و « زاد المسير في علم التفسير : ١٦٠/٩ ـ ١٦١ ، وما جاء في الحاشية (١) ص ١٦١ » .

(٧) « سورة الضحى : ١/٩٣ ـ ٣ ـ ك ـ » .

ـ(آيَاتُ مَبْعَثِهِ ـ ﷺ ـ : قَذْفُ « الجِنِّ » بِالشُّهُبِ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » : « عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: « انْطَلَقَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَىٰ « سُوقِ عُكَاظَ » . وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ . وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتِ [1] الشَّيَاطِينُ ، فَقَالُوا : « مَا لَكُمْ ؟ » قَالُوا : « حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ . وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ » . قَالَ [2] : « مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا مَا حَدَثَ [3] ؟ ! فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا [فَانْظُرُوا مَا هَٰذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ » . فَانْطَلَقُوا فَضَرَبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يَنْظُرُونَ مَا هَٰذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ . قَالَ] [4] : فَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا [5] نَحْوَ « تِهَامَةَ » إِلَىٰ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ « بِنَخْلَةَ » [وَهُوَ عَامِدٌ إِلَىٰ « سُوقِ عُكَاظَ » وَهُوَ] [6] يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ « صَلَاةَ الْفَجْرِ » فَلَمَّا سَمِعُوا « الْقُرْآنَ » تَسَمَّعُوا [7] لَهُ ،

---

(١) الأصل : « ورجعت » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ١٩٩/٦ » .

(٢) الأصل : « فقالوا » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٢٠٠/٦ » .

(٣) الأصل : « إلا أمر حدث » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٢٠٠/٦ » .

(٤) ما بين الحاصرتين قفزة بصرية أثبتنا مضمونها عن : « صحيح البخاري : ٢٠٠/٦ » .

(٥) الأصل : « توجهوا منهم نحو تهامة فإذا رَسُولُ الله » .

(٦) ما بين الحاصرتين قفزة بصرية ، والتكملةُ عن « صحيح البخاري : ٢٠٠/٦ » .

(٧) الأصل : « عجبوا له وقالوا » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٢٠٠/٦ » .

فَقَالُوا : « هَٰذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ » . [فَهُنَالِكَ] (١) رَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ، فَقَالُوا : « يَا قَوْمَنَا ! ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءاناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَـآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً * ﴾ (٢) وَأَنْزَلَ (٣) « اللهُ »(٤) ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَىٰ نَبِيِّهِ [ـ ﷺ ـ] (٥) : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (٦) . [وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ] (٧) » . (٨) .

ـ(نَشْرُ الدَّعْوَةِ سِرّاً فِي « مَكَّةَ »)ـ

وَلَمَّا بُعِثَ ـ ﷺ ـ أَخْفَىٰ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ يَدْعُو « أَهْلَ مَكَّةَ » وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْهَا سِرّاً ، فَـآمَنَ بِهِ نَاسٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْمَوَالِي ،

---

(١) التكملة عن « صحيح البخاري : ٦/٢٠٠ » .
(٣) « سورة الجن : ٧٢/ ١ ـ ٢ ـ ك ـ » .
(٣) الأصل : « فأنز ل » . وما أثبت في « صحيح البخاري : ٦/٢٠٠ » .
(٤) الأصل : « الله تعالى » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٦/٢٠٠ » .
(٥) التكملة عن « صحيح البخاري : ٦/٢٠٠ » .
(٦) « سورة الجن : ٧٢/١ ـ ك ـ » .
(٧) التكملة عن « صحيح البخاري : ٦/٢٠٠ » .
(٨) انظر الحديث في « صحيح البخاري : ٦/١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٧٢) باب ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ . و « صحيح مسلم : ١/٣٣١ ـ (٤) كتاب الصلاة ـ (٣٣) باب الجهر بالقراءة في الصبح ، والقراءة على الجن ـ الحديث : ١٤٩ ـ (٤٤٩) ـ » .
وانظر أيضاً : « سُنَنَ التِّرْمِذِيِّ : ٥/٩٨ ـ أبواب فضائل القرآن ـ سورة الجن ـ الحديث : ٣٣٧٩ »

وَهُمْ « أَتْبَاعُ الرُّسُلِ » كَمَا فِي « حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ »[١] عَنْ « هِرَقْلَ » فَلَقَوْا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي ذَاتِ اللهِ أَنْوَاعَ الْأَذَىٰ ، فَمَا ارتَدَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ وَلَا الْتَوَىٰ . وَإِلَىٰ ذَٰلِكَ أَشَارَ ـ ﷺ ـ بِقَوْلِهِ :

« إِنَّ هَٰذَا الدِّينَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ »[٢].

نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .

---

(١) « انظر : « حديث « أبي سُفْيَانَ » عَنْ « هِرَقْلَ » في « صحيح البخاري : ١/٥ ـ ٨ ـ (١) كتاب بدء الوحي ـ (٦) باب حدثنا أبو اليمان » .

(٢) « صحيح مسلم : ١/١٣٠ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٦٥) باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ـ الحديث : ٢٣٢ ـ (١٤٥) ـ » .و « سنن ابن ماجة : ٢/١٣١٩ ـ ١٣٢٠ ـ (٣٦) كتاب الفتن ـ (١٥) باب بدأ الإسلام غريباً ـ الحديث : (٣٩٨٦) . والحديث : (٣٩٨٧) ، و « سنن الدارمي : ٢/٣١١ ـ ٣١٢ ـ الرقاق ـ باب إن الإسلام بدأ غريباً » . و « سنن الترمذي : ٤/١٢٩ ـ أبواب الإيمان (١٣) باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ـ الحديث : ٢٧٦٤ » . ولم أجده باللفظ المثبت أعلاه ، وإنما وجدتُه بهذا النص : « إن الإسلام بدأ غريباً الخ . » . وانظر أيضاً « النهاية في غريب الحديث : ٣/١٤١ » ، و « تاج العروس : ٣/٢٨٣ » ـ مادة : « طوبى » . وَقيل إنَّ « طوبى : اسم الجنة ، وقيل : شجرة فيها . وروي عن « ابن عباس » أن معنى « طوبى » : « فَرَحٌ وقُرَّةُ عينٍ » . وقال عكرمة : « نِعْمَ مَا لَهُمْ » وقالَ الضَّحَّاكُ : غبطة لهم » . « صحيح مسلم : ١/١٣٠ ـ الحاشية (٤) . و« طُوبَى » كلمة سامية قديمة وجدت في كثير من اللغات السامية كالعبرانية والآرامية ، ومعناها فيهما يقرب من معناها بالعربية .

–(الجَهْرُ بِالدَّعْوَةِ وَنَشْرُهَا)–

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ مَبْعَثِهِ – ﷺ – نَزَلَ قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۞ ﴾[1] فَامْتَثَلَ – ﷺ – أَمْرَ رَبِّهِ وَأَظْهَرَ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ ، فَدَخَلَ النَّاسُ فِي «الْإِسْلَامِ» أَرْسَالًا حَتَّىٰ فَشَا ذِكْرُ «الْإِسْلَامِ» «بِمَكَّةَ» ، وَلَٰكِنْ كَانَ «الْمُسْلِمُونَ» إِذَا أَرَادُوا الصَّلَاةَ ذَهَبُوا فِي الشِّعَابِ[2] ، وَاسْتَخْفَوْا مِنْ قَوْمِهِمْ بِصَلَاتِهِمْ[3] .

---

(١) « سورة الحجر : ١٥/٩٤ – ٩٥ – ك – » .

(٢) « الشِّعَابُ » ج « شِعْبٍ » . و « الشِّعْبُ » مِنَ الْوَادِي : مَا اجْتَمَعَ مِنْهُ طَرَفٌ وَتَفَرَّقَ طَرَفٌ ، فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي تَفَرَّقَ أَخَذْتَ فِي وَهْمِكَ وَاحِداً يَتَفَرَّقُ ، وَإِذَا نَظَرْتَ مِنْ جَانِبِ الاجْتِمَاعِ أَخَذْتَ فِي وَهْمِكَ اثْنَيْنِ اجْتَمَعَا فَلِذَلِكَ قِيلَ : شَعَبْتُ إِذَا جَمَعْتُ ، وَشَعَبْتُ إِذَا تَفَرَّقْتُ . « مفردات الراغب : مادة « شعب » .

(٣) جاء في « الرَّوْض الأنف : ٤٣/٣ » : « قال ابْنُ إِسْحَاقَ : وكَانَ أَصْحَابُ « رَسُولِ اللهِ » – ﷺ – إذا صَلَّوا ، ذَهَبُوا فِي الشِّعَابِ ، فَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ . فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ « رَسُولِ اللهِ » – ﷺ – فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ – ، فَنَاكَرُوهُمْ ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ ، وَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يومَئِذٍ رَجُلاً مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِلِحْيِ بَعِيرٍ فَشَجَّهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ هُرِيقَ فِي الإِسْلَامِ .

ـ(مَوْقِفُ « أَبِي طَالِبٍ » مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ جَهْرِهِ ـ ﷺ ـ بِالدَّعْوَةِ)ـ

وَلَمَّا أَظْهَرَ ـ ﷺ ـ دَعْوَةَ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْحَقِّ لَمْ يَتَفَاحَشْ[1] إِنْكَارُ قَوْمِهِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَسَبَّهَا ، وَضَلَّلَ آبَاءَهُمْ ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ ، فَحِينَئِذٍ اشْتَدَّ ذَٰلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَأَجْمَعُوا لَهُ الشَّرَّ ، فَحَدِبَ[2] عَمُّهُ « أَبُو طَالِبٍ » [عَلَيْهِ][3] وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلشَّرِّ دُونَهُ ، مَعَ بَقَائِهِ عَلَىٰ دِينِهِ . فَلَمَّا رَأَتْ ذَٰلِكَ « قُرَيْشٌ » اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ وَمَشَوْا إِلَى « أَبِي طَالِبٍ » وَقَالُوا : « إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا وَعَابَ دِينَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا ، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا ، وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّكَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ [مِنْ خِلَافِهِ ، فَنَكْفِيكَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ « أَبُوطَالِبٍ » قَوْلًا رَقِيقاً ، وَرَدَّهُمْ رَدّاً جَمِيلًا ، وَمَضَىٰ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ يُظْهِرُ دِينَ اللهِ ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ شَرِيَ الْأَمْرُ بَيْنَهُ ، وَبَيْنَهُمْ حَتَّىٰ تَبَاعَدَ الرِّجَالُ ، وَتَضَاغَنُوا[4] ، وَأَكْثَرَتْ « قُرَيْشٌ » ذِكْرَ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ

---

(١) « التَّفَاحُشُ » : « تَفَاعُلٌ » ـ مشاركة ـ مِنَ الْفُحْشِ ، وَهُوَ التَّعَدِّي فِي الْقَوْلِ وَالجَوَابِ ، « النهاية في غريب الحديث : ٤١٥/٣ ـ مادة « فحش » .

(٢) الأصل : « حذب » .

(٣) التكملة يقتضيها السياق .

(٤) « تَضَاغَنُوا » : أَضْمَرُوا الْحِقْدَ الشَّدِيدَ فِيمَا بَيْنَهُمْ .

بَيْنَهَا ، فَتَذَامَرُوا (١) فيهِ ، وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَىٰ « أَبِي طَالِبٍ » مَرَّةً أُخْرَىٰ ، فَقَالُوا لَهُ : « يَا « أَبَا طَالِبٍ ! » إِنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفاً وَمَنْزِلَةً فِينَا . وَإِنَّا قَدِ اسْتَنْهَيْنَاكَ (٢) مِنِ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا ، وَإِنَّا «وَاللهِ !» لَا نَصْبِرُ عَلَىٰ هٰذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا ، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا ، حَتَّىٰ تَكُفَّهُ عَنَّا ، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذٰلِكَ ، حَتَّىٰ يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ] (٣) . » .

ـــ(تَأَرْجُحُ « أَبِي طَالِبٍ » بَيْنَ نُصْرَتِهِ « لِلرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ وَتَخَلِّيهِ عَنْهُ)ـــ

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ . فَعَظُمَ عَلَىٰ «أَبِي طَالِبٍ» فِرَاقُ / قَوْمِهِ [وَعَدَاوَتُهُمْ](٤) . [٧٧ و] وَلَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ بِخُذْلَانِ ابْنِ أَخِيهِ . فَكَلَّمَ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ [وَ] (٥) قَدْ بَدَا (٦) لَهُ تَرْكُهُ ، وَالْعَجْزُ عَنْ نُصْرَتِهِ ، فَقَالَ : «يَا عَمٌّ !» «وَاللهِ !» لَوْ

---

(١) « تَذَامَرُوا » : تَلَاوَمُوا بِشَأْنِهِ وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَى الْقِتَالِ .

(٢) « اسْتَنْهَيْنَاكَ » : « طَلَبْنَا نَهْيَهُ عَنْ مَقْصَدِهِ » .

(٣) ما بين الحاصرتين يقتضيه السِّيَاقُ ، والتَّكملةُ عن « الرَّوض الأنف ٣/٤٥ » .

(٤) التكملة عن « الروض الأنف : ٣/٤٥ » .

(٥) التكملة يقتضيها السياق .

(٦) « بَدَا له تَرْكَه » : « أرادَ تَرْكَه » .

وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَىٰ أَنْ أَتْرُكَ هَٰذَا الْأَمْرَ ، حَتَّىٰ يُظْهِرَهُ اللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ »[١] .

ـ(ثَبَاتُ « أَبِي طَالِبٍ » عَلَى مُنَاصَرَةِ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ فِي دَعْوَتِه) ـ

ثُمَّ اسْتَعْبَرَ[٢] ـ ﷺ ـ بَاكِياً ، فَقَالَ لَهُ : « يَابْنَ أَخِي! » قُلْ مَا أَحْبَبْتَ ، « فَوَ اللَّهِ ! » مَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَداً » .

وَفِي ذَٰلِكَ يَقُولُ « أَبُوطَالِبٍ » :[٣]

« وَاللَّهِ ! لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
حَتَّىٰ أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

فَاصْدَعْ[٤] بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ[٥]
وابْشِرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْهُ عُيُونَا[٦]

وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي
وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا

---

(١) « الرَّوض الأنف : ٤٦/٣ » .

(٢) « اسْتَعْبَرَ » : « جَرَتْ دَمْعَتُهُ » .

(٣) « غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب : ١٧٦ ـ ١٧٧ » .

(٤) « فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ » : « شُقَّ بِالتَّوْحِيدِ صُفُوفَ الْكَفَرَةِ وَاجْهَرْ بِدَعْوَتِكَ » .

(٥) « الْغَضَاضَةُ » : « الْمَنْقَصَةُ » .

(٦) في الأصل : وابشر وقر بذاك عيونا ، وما أثبت في « غاية المطالب » .

وَعَرَضْتَ دِيناً قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ
مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ
لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذَاكَ مُبِينَا » [1]

ـ(اشْتِدادُ « قُرَيْشٍ » عَلَى « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ وأَصْحَابِهِ وتَدَاعِيهَا للحَرْبِ)ـ

فَعِنْدَ ذَٰلِكَ نَابَذَتْهُ [2] « قُرَيْشٌ » وَتَذَامَرُوا [3] لِلْحَرْبِ ، فَوَثَبَتْ [4] كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يُعَذِّبُونَهُمْ .

ـ(حَشْدُ « أَبِي طَالِبٍ » مُؤَيِّدِيهِ مِنْ « بَنِي هَاشِمٍ »)ـ

وَأَخَذَ « أَبُوطَالِبٍ » يَحْشُدُ بُطُونَ « بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ » وَهُمْ أَرْبَعَةٌ : « بَنُو هَاشِمٍ » و « بَنُو الْمُطَّلِبِ » [5] و « بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ » وَ « بَنُو نَوْفَلٍ » ،

---

(١) الأبياتُ في : « تاريخ الإسْلامِ ـ للذَّهَبِي ـ ٢/٨٥ ـ ٨٦ » ، و « الرَّوْض الأنف : ٣/٥٥ ـ الحاشية (١) ـ » ، و « سبل الهدى والرشاد : ٢/٤٣٧ » ، و « بهجة المحافل : ١/١١٧ ـ ١١٨ » .

(٢) « نَابَذَتْهُ قُرَيْشٌ » : « فَارَقَتْهُ عَنْ خِلَافٍ وَبُغْضٍ » .

(٣) « تَذَامَرُوا لِلْحَرْبِ » : « حَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَى الْقِتَالِ » .

(٤) التكملة بالفاء عن « الروض الأنف : ٣/٤٨ » .

(٥) الأصل : « بنو عبد المطلب » .

فَأَجَابَهُ : « بَنُوهَاشِمٍ » و « بَنُو الْمُطَّلِبِ » وَخَذَلَهُ «بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ» و « بَنُو نَوْفَلٍ » . وَانْسَلَخَ أَيْضاً مِنْ « بَنِي هَاشِمٍ » « أَبُو لَهَبٍ » [1] .

ـ(تَعْرِيضُ « أَبِي طَالِبٍ » فِي قَصِيدَتِهِ « اللاَّمِيَّةِ » بِخَاذِلِيهِ مِنْ بَنِي « عَبْدِ شَمْسٍ » وَ « بَنِي نَوْفَلٍ » وَحَدْبُهُ عَلَى « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ وَنُصْرَتُهُ)ـ

وَفِي « بَنِي [2] عَبْدِ شَمْسٍ » و « بَنِي نَوْفَلٍ » وَحَدْبِهِ [3] عَلَى « النَّبِيِّ » ﷺ ـ [و] [4] مَدْحِهِ لَهُ يَقُولُ « أَبُو طَالِبٍ » فِي قَصِيدَتِهِ الطَّوِيلَةِ :

[« جَزَى اللهُ عَنَّا «عَبْدَ شَمْسٍ» وَ«نَوْفَــلاً »
عُقُــوبَةَ شَرٍّ ، عَاجِــلاً [5] غَيْرَ آجِــلِ

---

(١) « أَبُو لَهَبٍ » : هُوَ « عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ » ـ عَمُّ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، كَبُرَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعَ دِيناً جَاءَ بِهِ ابْنُ أَخِيهِ ، وَفِي حَقِّهِ نَزَلَتْ الآيَةُ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ . كَانَ أَحْمَرَ الْوَجْهِ مُشْرِقاً ؛ فَلُقِّبَ بِالْجَاهِلِيَّةِ «بِأَبِي لَهَبٍ» . مَاتَ بَعْدَ وَقْعَةِ «بَدْرٍ» بِأَيَّامٍ وَلَمْ يَشْهَدْهَا سنة (٢هـ/٦٢٤م) » . « الأعلام : ١٣٤/٤ ـ ١٣٥ » .

(٢) الأصل : وفي بنو عبد شمس وبنو نوفل .

(٣) الأصل : « وحميته » .

(٤) التكملة يقتضيها السياق .

(٥) الأصل : « عاجل » ، وما أثبت في « الروض الأنف : ٦٦/٣ » .

كَذَبْتُمْ ـ وَبَيْتِ اللهِ ! ـ نُبْزَىٰ [١] « مُحَمَّداً »
وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ [٢]
وَنُسْلِمُهُ حَتَّىٰ نُصَرَّعَ حَوْلَهُ
وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ [٣]
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمُ
نُهُوضَ الرَّوَايَا [٤] تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ [٥]
بِكَفَّيْ [٦] فَتًى مِثْلِ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ [٧]
أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ [٨] بَاسِلِ [٩]

---

(١) « نُبْزَى مُحَمَّداً » أي : « نُسْلَبُهُ ونُغْلَبُ عَلَيْهِ » ، وجاء في « النهاية : ١٢٥/١ » : « يُبْزَى مُحَمَّدٌ » ، أي : يُقْهَرُ ويُغْلَبُ ، أرادَ « لا يُبزى » ، فحذف « لا » من جواب القسم ، وهي مُرادة ، أي : لا يُقْهَرُ ولم نقاتل عنه ونداقع .

(٢) « نُنَاضِلُ » : « نُرَامِي بِالسِّهَامِ » .

(٣) « الحلائل » : ج « حليلة » وَهِيَ « الزَّوْجَةُ » .

(٤) « الرَّوايا » : هي الإبِلُ التي تَحْمِلُ المَاءَ وَالأسقيَةَ . وَ « الرَّوَايا » ج راوية .

(٥) « الصَّلاصِل » : هي « المزادات لها صلصلةٌ بالماء » .

(٦) الأصل « بكف » ، وما أثبت في « الروض الأنف : ٦٥/٣ » .

(٧) « السَّمَيْدَعُ » : هو « السَّيِّدُ » .

(٨) الأصل : « الحفيظة » ، وما أثبت في « الروض الأنف : ٦٥/٣ » .

و « حامي الحقيقة » : قال أهل اللغة : « حَقِيقَةُ الرجلِ مَا لَزِمَهُ الدَّفْعُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بيتِهِ » .

(٩) « البَاسِلُ » : « الشجاع » .

وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ ـ لَا أَبَالَكَ ـ سَيِّداً
يَحُوطُ (١) الذِّمَارَ (٢) غَيْرَ ذَرْبٍ (٣) مُوَاكِلِ (٤)
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالُ (٥) الْيَتَامَى عِصْمَةٌ (٦) لِلْأَرَامِلِ
يَلُوذُ (٧) بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ « آلِ هَاشِمٍ »
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْداً (٨) بِأَحْمَدَ (٩)
وَإِخْوَتِهِ (١٠) ، دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ

---

(١) الأصل : « يحط » ، وما أثبت في « الروض الأنف : ٦٥/٣ » .

(٢) « الذمار » : « مَا يَلْزَمُكَ حِمَايَتُهُ » .

(٣) « الذَّرِب » ـ مُخَفَّفاً ـ : « الْفَاحِشُ الْمَنْطِقِ » .

(٤) « المُوَاكِل » : الذي لا جِدَّ عِنْدَهُ ، فَهُوَ يَتَّكِلُ أُمُورَهُ إلى غَيْرِهِ .

(٥) « ثِمَالُ الْيَتَامَى » : « الذي يشملهم ويقوم بهم » ، يقال : هو ثمال مال : أي يقوم به ، وفي « النِّهَايَةِ في غريبِ الحَدِيث : ٢٢٢/١ » : « الثِّمَالُ ـ بالكسر ـ الملجأ والغياث . وقيل : هو المُطْعِمُ في الشِّدَّةِ . وانظر : « استسقاء الرسول ـ ﷺ ـ في « الروض الأنف : ٦٩/٣ » . وما ذكره السهيلي في « الروض الأنف:١٠٤/٣ » قوله « كيف قال أبو طالب : « وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ » ولم يَرَه قط استسقى » .

(٦) « عِصْمَةٌ » : « مَلَاذٌ » .

(٧) « يلوذُ بِهِ الهُلَّاكُ » : « يحتمي به الهالكون ويستترونَ » . « النهاية في غريب الحديث : ٢٧٦/٤ ـ مادة : لوذ » .

(٨) « وَجْداً » : يقال: « وَجَدْتُ بِفُلَانَةٍ وَجْداً » ، إذا أَحْبَبْتُهَا حُبّاً شَدِيداً . « النهاية في غريب الحديث : ١٥٦/٥ » .

(٩) بالصَّرْفِ لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ .

(١٠) « وَإِخْوَتِهِ » : أَرَادَ « أَبُوطَالِبٍ » بذلك ما له من أولاد .

حَدِبْتُ [١] بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا [٢] وَالْكَلَاكِلِ [٣]

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ
يُوَالِي إِلَٰهاً لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

« فَوَاللهِ ! » لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ
تُجَرُّ عَلَىٰ أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ [٤]

لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ حَالَةٍ
مِنَ الدَّهْرِ جِدّاً [٥] غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ

لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا [٦] لَا مُكَذَّبٌ
لَدَيْنَا ، وَلَا يُعْنَىٰ بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ

---

(١) الأصل : « جذبت » ، وما أثبت في « الروض الأنف : ٦٨/٣ » .
و « حَدِبْتُ » : « عَطَفْتُ وَمَنَعْتُ » .

(٢) « الذُّرَا » ج « ذِرْوَة » : وَهِيَ أَعْلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ .

(٣) « الْكَلَاكِل » : ج « كَلْكَل » « وَهُوَ عَظْمُ الصَّدْرِ » .

(٤) « المحافل » ج « مَحْفَل » وهو « الْمَجْمَعُ » .

(٥) « الجد » : « نقيض الهزل » .

(٦) « لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا » : أطلق ذلك عَلَيْهِ مَجَازاً .

فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ في أَرُومَةٍ (١)

تَقَاصَرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ (٢) »] (٣)

فَائِدَة

(تَشْرِيفُ « بَنِي الْمُطَّلِبِ » بِتَسْمِيَتِهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ لِنُصْرَتِهِمْ « بَنِي هَاشِمٍ »)

قَالَ الْعُلَمَاءُ : « وَلِأَجْلِ نُصْرَةِ « بَنِي الْمُطَّلِبِ » « لِبَنِي هَاشِمٍ » وَمُوَالَاتِهِمْ (٤) لَهُمْ شَارَكُوهُمْ فِي التَّشْرِيفِ بِتَسْمِيَتِهِمْ « أَهْلَ الْبَيْتِ ». وَفَضْلِ الْكَفَاءَةِ عَلَىٰ سَائِرِ « قُرَيْشٍ » ، وَاسْتِحْقَاقِ سَهْمِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ، وَتَحْرِيمِ الزَّكَاةِ دُونَ الْبَطْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ ، وَلَمْ يَفْتَرِقُوا فِي « الْجَاهِلِيَّةِ » وَ « الْإِسْلَامِ ».

---

(١) « الأَرُومَة » — بفتح الهمزة — : الأصل .

(٢) « سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِل » : « السُّورَةُ — بِضَمِّ السِّينِ » : « الْمَنْزِلَةُ » وَ « السَّوْرَةُ » — بِالْفَتْحِ — : « الشِّدَّةُ وَالْبَطْشُ » . وَالمراد : « مُبَالَغَتُهُ فِي عُلُوِّ المنزلة » أو « مبَالغَتُهُ فِي الشِّدَّةِ وَالْبَطْشِ » .

(٣) انظر القصيدة بتمامها في « سيرة ابن هشام : ١/٢٧٢ — ٢٨٠ » و « الروض الأنف : ٣/٦٣ — ٦٩ » ، وتنتظم في « أربعة وتسعين بيتاً » . وذكر ابن هشام في « السيرة النبوية : ١/٢٨٠ » في ختامها قوله : « هَذَا مَا صَحَّ لِي مِنْ هَذِهِ القصيدةِ ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ أَكْثَرَهَا » . وانظر : « غاية المطالب : ١٠٠ وما بعدها » .

(٤) « الْمُوَالَاةُ » : وَهِيَ مِنَ « الْوَلَايَةِ » — بِالْفَتْحِ — وَتَكُونُ فِي النَّسَبِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمُعْتِقِ . « النهاية في غريب الحديث : ٥/٢٢٨ — مادة : « وَلَا » .

ـ(الحَدِيثُ : « بَنُو المُطَّلِبِ » وَ « بَنُو هَاشِمٍ » شَيْءٌ وَاحِدٌ)ـ

وَرَوَىٰ « الْبُخَارِيُّ » فِي « صَحِيحِهِ » عَنْ « سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ » عَنْ « جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمِ (١) بْنِ عَدِيٍّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » قَالَ : « مَشَيْتُ أَنَا وَ « عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ »ـأَيْ : « ابْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » ـ إِلَىٰ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ فَقُلْنَا : « يَا «رَسُولَ اللهِ !» أَعْطَيْتَ « بَنِي الْمُطَّلِبِ » ـ أَيْ : « ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » ـوَتَرَكْتَنَا(٢)[وَإِنَّمَا](٣) نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ (٤) ، فَقَالَ(٥) « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ : « إِنَّمَا « بَنُو الْمُطَّلِبِ » وَ « بَنُو هَاشِمٍ » شَيْءٌ وَاحِدٌ (٦) ».

وَفِي رِوَايَةٍ : « أَعْطَيْتَ « بَنِي الْمُطَّلِبِ » مِنْ خُمْسِ « حُنَيْنٍ » (٧) .

(١) الأصل : « عن جبير بن مطعم أبي بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف » ، وما أثبتناه في « تجريد أسماء الصحابة : ٧٨/١ ــ الترجمة : (٧٣٦) ــ » .

(٢) الأصل : « وتركنا » .

(٣) التكملة عن « صحيح البخاري : ٢١٨/٤ » .

(٤) الأصل : « واحد » .

(٥) الأصل : « فقالوا إنما بنو المطلب » .

(٦) « صحيح البخاري : ٢١٨/٤ ــ (٦١) كتاب المناقب ــ (٣) باب مناقب قريش » . وفيه : « إنَّمَا بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِب شيءٌ واحدٌ » .

(٧) الأصل : « خمس خمس » .

وَفِي أُخْرَىٰ : « وَلَمْ يَقْسِمِ « النَّبِيُّ » – ﷺ – « لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ » وَلَا « لِبَنِي نَوْفَلٍ » شَيْئاً » (١) .

قَالَ « الْبُخَارِيُّ » « وَقَالَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » : « عَبْدُ شَمْسٍ » وَ « هَاشِمٌ » و « الْمُطَّلِبُ » إِخْوَةٌ (٢) لِأَبٍ وَأُمٍّ ، وَأُمُّهُمْ : « عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ . وَكَانَ [« نَوْفَلُ »] (٣) أَخَاهُمْ لِأَبِيهِمْ » (٤) – انْتَهَىٰ – .

---

(١) في « سنن النَّسائي : ٧/١٣٠ – كتاب قسم الفيء » : « عَن « ابْنِ شِهَابٍ » قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ » أَنَّ « جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ » حَدَّثَهُ أَنَّهُ جَاءَ هُوَ وَ « عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ » « رَسُولَ اللهِ » – ﷺ – يُكَلِّمَانِهِ فِيمَا قَسَمَ مِنْ خُمُسِ «حُنَيْنٍ» بَيْنَ « بَنِي هَاشِمٍ » و « بَنِي المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » فَقَالَا : « يَا رَسُولَ اللهِ » قَسَمْتَ لِإِخْوَانِنَا « بَنِي المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » وَلَمْ تُعْطِنَا شَيْئاً ، وَقَرَابَتُنَا مِثْلُ قَرَابَتِهِمْ . فَقَالَ لَهُمَا « رَسُولُ اللهِ » – ﷺ – : إنما أَرَى « هَاشِماً » وَ « المُطَّلِبَ » شَيْئاً وَاحِداً ، قَالَ « جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ » وَلَمْ يَقْسِمْ « رَسُولُ اللهِ » – ﷺ – « لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ » وَلَا « لِبَنِي نَوْفَلٍ » مِنْ ذَلِكَ الخُمْسِ شَيْئاً كَمَا قَسَمَ « لِبَنِي هَاشِمٍ » وَ « بَنِي المُطَّلِبِ » .

(٢) الأصل : « لاخوة » .

(٣) التكملة عن « سيرة ابن هشام » .

(٤) و « نوفل بن عبد مَنَافٍ » ، وأمه « وافدة بنت عَمْرو المازنية » ، « سيرة ابن هشام : ١/١٠٦ » .

—(« الرَّسُولُ » — ﷺ — يَدْعُو إلى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)—

قَالَ الْعُلَمَاءُ : « وَجَعَلَ « النَّبِيُّ » — ﷺ — يَدْعُو إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّهِ بِالتَّرْغِيبِ ، وَمَرَّةً بِالتَّرْهِيبِ ، وَمَرَّةً بِالْقَوْلِ (١) اللَّيِّنِ ، وَمَرَّةً بِالْخَشِنِ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) .

—(تَعْذِيبُ « قُرَيْشٍ » لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)—

وَامْتَنَعَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ بِعَشَائِرِهِمْ مِنْ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ ، وَبَقِيَ قَوْمٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ يُعَذِّبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ « كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ » وَأَبِيهِ ، وَأُمِّهِ ، وَأُخْتِهِ ، و « بِلَالِ بْنِ حَمَامَةَ »(٣) و «خَبَابِ بْنِ الْأَرَتِّ» وَغَيْرِهِمْ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ — .

—(صَبْراً « يَا آلَ يَاسِرٍ ! » فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ)—

وَكَانُوا يَأْخُذُونَ « عَمَّاراً » وَأَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأُخْتَهُ فَيُقَلِّبُونَهُمْ ظَهْراً لِبَطْنٍ ، فَيَمُرُّ بِهِمْ « رَسُولُ اللهِ » — ﷺ — [وَيَقُولُ لَهُمْ] (٤) : صَبْراً يَا « آلَ يَاسِرٍ ! » فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ (٥) » . وَمَاتَتْ « سُمَيَّةُ » «أُمُّ عَمَّارٍ» بِذَٰلِكَ ،

(١) الأصل : « باللقول » .
(٢) « سورة النحل : ١٢٥/١٦ — ك — » .
(٣) هو « بلال بن رباح » وأمه « حمامة » . « تجريد أسماء الصحابة : ١/ ٥٦ » .
(٤) التكملة يقتضيها السِّياق .
(٥) « المستدرك : ٣٨٣/٣» و « سير أعلام النبلاء : ٢٩٣/١ .

فَكَانَتْ أَوَّلَ قَتيلٍ فِي الإِسْلَامِ فِي ذَاتِ « اللهِ » ـ تَعَالَىٰ ـ ثُمَّ مَاتَ « يَاسِرٌ » وَابْنُهُ بَعْدَهَا أَيْضاً .

—(صَبْرُ « بِلَالٍ » عَلَى العَذَابِ وثَبَاتُهُ عَلَى الإِيمَانِ بِالوَاحِدِ الأَحَدِ)—

وَأَمَّا « بِلَالٌ » فَكَانَ « أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ » يَخْرُجُ بِهِ ، فَيَضَعُ الصُّخُورَ عَلَىٰ صَدْرِهِ ، وَيَتْرُكُهَا كَذٰلِكَ حَتَّىٰ يَكَادَ يَمُوتُ فَيَرْفَعُهَا ، وَ « بِلَالٌ » يَقُولُ : « أَحَدٌ ، أَحَدٌ » . فَمَرَّ بِهِ « أَبُو بَكْرٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ « لِأُمَيَّةَ » : « أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هٰذَا الْعَبْدِ ! » فَقَالَ : « أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ عَلَيَّ » . فَقَالَ : « بِعْنِيهِ » فَبَاعَهُ مِنْهُ فَأَعْتَقَهُ .

وَكَانَ « عُمَرُ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : « أَبُو بَكْرٍ » سَيِّدُنَا ، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا [ـ يَعْنِي :] [1] « بِلَالًا » [2] . وَاشْتَرَىٰ أَيْضاً « عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ » [3] فِي سِتِّ رِقَابٍ أُخَرَ عَلَىٰ مِثْلِ ذٰلِكَ . قَالَ « الْمُفَسِّرُونَ فِي حَقِّهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ نَزَلَتْ : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ * ﴾ [4] .

---

(١) التكملة عن « صحيح البخاري : ٥/٣٣ » .

(٢) الأصل : « بلال » . انظر : « صحيح البخاري : ٥/٣٣ ـ (٦٢) كتاب مناقب المهاجرين ـ (٢٣) باب مناقب « بلال بن رباح » ـ » .

(٣) الأصل : « عامر بن فهير » .

(٤) « سورة الليل : ٩٢/١٧ ـ ٢١ ـ ك ـ » . وانظر « المستدرك : ٢ / ٥٢٥ » ـ تفسير سورة الليل ـ و « أسباب نزول الحديث : ٤٨٦ » .

فَائِـــدَة

-(فِي أنَّ الأتقَىٰ هُوَ الأفْضَلُ عِنْدَ اللهِ)-

وَلَا يَخفَىٰ دَلَالَةُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْأَتْقَىٰ هُوَ الْأَفْضَلُ عِنْدَ « اللهِ » ، لِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) .

-(لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ)-

وَأَمَّا « خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ » (٢) فَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » عَنْهُ قَالَ : « أَتَيْتُ « النَّبِيَّ » - ﷺ - ، وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَهُ (٣) ، وَهُوَ فِي ظِلِّ «الْكَعْبَةِ» ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً ، فَقُلْتُ : « يَا رَسُولَ اللهِ ! » : « أَلَا تَدْعُو (٤) اللهَ ! » فَقَعَدَ ، وَهْوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ ، فَقَالَ : « لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ / الْحَدِيدِ ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ ، أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَٰلِكَ [٧٨و] عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَىٰ مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ (٥) مَا يَصْرِفُهُ

---

(١) « سورة الحجرات : ١٣/٤٩ - م - » .

(٢) الأصل : « الارث » .

(٣) هناك روايتان : « وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَهُ » ، « وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً » . وتَوَسَّدَ بُرْدَهُ : اتخذ ثوبه وسادةً (مخدَّةً)، و « البُرْدُ » نوع من الثياب معروف ، والجمع « أَبْرَادٌ » و « بُرُودٌ » ، و « البُرْدَةُ » : « الشَّمْلَةُ المُخَطَّطَةُ . وقِيلَ كِساءٌ أسْوَدُ مُرَبَّعٌ فيهِ صِغَرٌ تَلْبسهُ الأعراب » : « النهاية : ١١٦/١ » .

(٤) الأصل : « ألا تدعوا لنا » .

(٥) الأصل : « فيشق اثنين » . والتصويب عن « صحيح البخاري : ٥٧/٥ » .

ذَٰلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ « اللهُ » هَٰذَا الْأَمْرَ ، حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ « صَنْعَاءَ » إِلَىٰ « حَضْرَمَوْتَ » مَا يَخَافُ إِلَّا « اللهَ » ، وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ [1]».

فَائِـــدَة

(فَضْلُ مَنْ ثَبَتَ عَلَى إِيمَانِهِ وَأُوذِيَ فِي دِينِهِ مِنَ « الْمُسْلِمِينَ » وَلَمْ يُفْتَنْ عَنْهُ)

قَالَ الْعُلَمَاءُ : و [هَٰذَا] [2] حَدِيثٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ التَّأَسِّي مَعَ قَوْلِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَـٰذِبِينَ * ﴾ [3] . وَقَوْلُهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ [4] . وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

(١) « صحيح البخاري : ٥/٥٦ – ٥٧ – (٦٣) كتاب مناقب الأنصار – (٢٩) باب ما لقي « النبي » – ﷺ – وأصحابه من المشركين بمكة » .

(٢) التكملة يقتضيها السِّياق .

(٣) « سورة العنكبوت : ٢٩/١ – ٣ – م – » .

(٤) « سورة البقرة : ٢/٢١٤ – م – » .

عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [١] . فَأَعْلَمَهُمْ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أَنَّ مَبْنَىٰ الدِّينِ عَلَىٰ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ مَنْ تَجَرَّدَ لِإِظْهَارِ دِينِ « اللهِ » اسْتَقْبَلَتْهُ الْمِحَنُ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ وَأَهْلِهِ ، وَإِنَّمَا أَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَٰلِكَ أَوَّلًا لِتَتَوَطَّنَ نُفُوسُهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ هَٰذِهِ سُنَّةُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ، تَعِبُوا قَلِيلًا ثُمَّ اسْتَرَاحُوا طَوِيلًا ، وَبَذَلُوا حَقِيراً فَنَالُوا خَطِيراً : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [٢] . وَمَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَىٰ أَذَاهُ ، فَقَدْ كَانَتْ عَيْنُ « اللهِ » تَرْعَاهُ .

ـ(إِيذَاءُ « أَبِي جَهْلٍ » « لِلرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » : أَنَّ « أَبَا جَهْلٍ » قَالَ : « لَئِنْ رَأَيْتُ « مُحَمَّداً » يُصَلِّي لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ عُنُقِهِ » [٣] . فَبَلَغَ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ فَقَالَ : « لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْواً عُضْواً » [٤] .

زَادَ « مُسْلِمٌ » وَ « النَّسَائِيُّ » أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِذَٰلِكَ رَأَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

(١) « سورة آل عمران : ٣/١٨٦ ـ م ـ » .

(٢) « سورة البقرة : ٢/١٥٧ ـ م ـ » .

(٣) الأصل : « لاطان عنقه » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٦/٢١٦ » .

(٤) جمع المؤلف بين روايتي « البخاري » و « مسلم » في نصه . انظر : « صحيح البُخَارِيّ : ٦/٢١٦ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٩٦) تفسير سورة العلق ـ » . و « صحيح مسلم : ٤/٢١٥٤ـ٢١٥٥ ـ (٥٠) كتاب صفات المؤمنين ـ(٦) باب قوله : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ ـ الحديث : ٣٨ ـ (٢٧٩٧) » .

خَنْدَقاً مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً فَنَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ(١) ، وَهْوَ (٢) يَتَّقِي بِيَدَيْهِ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَأَىٰ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ (٣) ، إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ ﴾ (٤) . ثُمَّ تَوَعَّدَهُ بِقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ (٥) إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (٦) ﴾ (٧) ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولَهُ بِالسُّجُودِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (٨) ﴾ (٩) .

---

(١) « نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ » أَيْ : « رَجَعَ يمشي إلى وَرَائِهِ » . قال «ابن فارس »: «النكوص»: « الإِحْجَامُ عَنِ الشَّيْءِ » .

(٢) الأصل : « وهي » .

(٣) « سورة العلق : ٩٦/٨ ـ ٩ ـ ك ـ » .

(٤) « سورة العلق : ٩٦/١٤ ـ ك ـ » .

(٥) « سورة العلق : ٩٦/١٥ ـ ك ـ » .

(٦) « الزبانية » : ـ في أصل اللغة ، الشُّرَطُ وَأَعْوَانُ الوُلَاةِ . قيل إنه جمع لا واحد له ، وقال « أبو عبيدة » : واحده « زِبْنِيَة » . والمقصود بالآية : أي سَنَدْعُو لَهُ مِنْ جُنُودِنَا القَوِيَّ المتين ، الَّذي لا قِبَلَ لَهُ بِمُغَالَبَتِهِ ، فَيُهْلِكُهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ يُرْدِيهِ فِي النَّارِ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ صَاغِرٌ . « صحيح مسلم : ٤/٢١٥٥ ـ الحاشية (٧) ـ » .

(٧) « سورة العلق : ٩٦/١٨ ـ ك ـ » .

(٨) « سورة العلق : ٩٦/١٩ ـ ك ـ » .

(٩) انظر « صحيح مسلم : ٤/٢١٥٤ ـ ٢١٥٥ ـ (٥٠) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ (٦) باب قوله : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ ـ الحديث : ٣٨ ـ (٢٧٩٧) ـ » .
ولعل هذا الحديث في « سنن النسائي الكبرى ».

ــ(الهِجْرَةُ الأُولى إلى « الحَبَشَةِ »)ــ

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ مَبْعَثِهِ ـ ﷺ ـ رَأَىٰ شِدَّةَ مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمَا نَالَهُمْ فِي دِينِ اللهِ مِنَ الْأَذَىٰ فَأَمَرَهُمْ بِالْمُهَاجَرَةِ[1] إِلَىٰ «الْحَبَشَةِ» ، وَقَالَ لَهُمْ : «إِنَّ بِهَا مَعَايِشَ وَسِعَةً وَمَلِكاً عَادِلًا لَا يُسْلِمُ جَارَهُ»[2]. فَهَاجَرَ إِلَيْهَا « عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ » [3] وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ « رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ وَ « الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ » [4] وَ « عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ » [5] وَ « عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ » [6] وَجَمَاعَةٌ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ حَتَّىٰ بَلَغُوا اثْنَيْنِ [8] وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، سِوَىٰ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ « الْحَبَشَةِ » أَكْرَمَهُمْ

---

(١) انظر : « ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة » في « الروض الأنف : ٢٠٣/٣ » ؛

(٢) انظر : « بهجة المحافل وبغية الأماثل : ٩٥/١ .

(٣) انظر : « هجرة « عثمان » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَزَوْجَتِهِ « رُقَيَّةَ » ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ في « الرَّوْضِ الأنف : ٢٠٣/٣ » .

(٤) انظر : «المُهَاجِرُونَ مِنْ « بَنِي نَوْفَلٍ » وَ « بَنِي أَسَدٍ » في « الروض الأنف : ٢٠٦/٣».

(٥) انظر : « أسماء المهاجرين من « بَنِي زُهْرَةَ » في « الروض الأنف : ٢٠٧/٣ » .

(٦) انظر : « المهاجرون مِنْ « بَنِي زُهْرَةَ » وَ « بَنِي هذيل » و « بهراء » في « الروض الأنف : ٢٠٧/٣ » .

(٧) قَالَ « السُّهَيْلِيُّ » : « كَانَ جَمِيعُ مَنْ لَحِقَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَهَاجَرَ إِلَيْهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى أَبْنَائِهِمِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا بِهِمْ مَعَهُمْ صِغَاراً وَوُلِدوا بها : ثلاثة وَثَمَانِينَ رَجُلاً إِنْ كَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فِيهِمْ ، وَهُوَ يشكُّ فِيهِ » . « الروض الأنف : ٢١٣/٣ » .

« النَّجَاشِيُّ » [١] وَأَحْسَنَ جِوَارَهُمْ ، وَسَمِعَ « الْقُرْآنَ » مِنْ « جَعْفَرٍ » [٢] فَـآمَنَ بِهِ [٣] وَصَدَّقَ وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِذَٰلِكَ فَأَبَوْا ، فَكَتَمَ إِيمَانَهُ عَنْهُمْ .

—(« قُرَيْشٌ » تُوَجِّهُ « عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ » « لِلنَّجَاشِيِّ » لِلْكَيْدِ لِمُهَاجِرِي)—
—(الْحَبَشَةِ)—

فَلَمَّا شَاعَتْ بِذَٰلِكَ الْأَخْبَارُ ، وَجَّهَتْ « قُرَيْشٌ » [٤] إِلَىٰ « النَّجَاشِيِّ » « عَمْرَو [٥] بْنَ الْعَاصِ » / فِي جَمَاعَةٍ ، وَوَجَّهُوا مَعَهُمْ بِهَدَايَا « لِلنَّجَاشِيِّ » [٧٨ ظ] وَلِخَوَاصِّهِ ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ « النَّجَاشِيِّ » وَقَدَّمُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا ، وَكَلَّمُوهُ فِي شَأْنِهِمْ لِيُمَكِّنَهُمْ مِنْهُمْ ، فَغَضِبَ وَرَدَّ هَدَايَاهُمْ عَلَيْهِمْ فَانْقَلَبُوا خَائِبِينَ .

—(عَوْدَةُ بَعْضِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ مِنَ « الْحَبَشَةِ » لَدَىٰ اسْتِمَاعِهِمْ)—
—(مَا أُشِيعَ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ « مَكَّةَ »)—

ثُمَّ إِنَّ مُهَاجِرَةَ « الْحَبَشَةِ » بَلَغَهُمْ أَنَّ أَهْلَ « مَكَّةَ » أَسْلَمُوا ، فَاسْتَخَفَّ ذَٰلِكَ الْخَبَرُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، نَحْوَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، فَأَقْبَلُوا رَاجِعِينَ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِقُرْبِ « مَكَّةَ » بَانَ لَهُمْ فَسَادُ الْخَبَرِ ، فَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ [٦] مِنْهُمْ

---

(١) انظر : « باب الهجرة إلى الحبشة » في « الروض الأُنف : ٢٢٢/٣ » .
(٢) انظر : « الحوار بين «النَّجَاشِي » وبين المهاجرين » في « الروض الأنف : ٢٤٦/٣ » .
(٣) انظر : « إسلام النجاشي والصلاة عليه » في « الروض الأنف : ٢٥١/٣ » .
(٤) الأصل : « قرشي » .
(٥) انظر : « إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها » في « الروض الأنف : ٢٤٣/٣» .
(٦) الأصل : « أحداً » .

« مَكَّةَ » إِلَّا مُسْتَخْفِياً أَوْ بِجِوَارٍ [(١)] ، وَأَقَامَ بَقِيَّةُ الْمُهَاجِرِينَ « بِالْحَبَشَةِ » إِلَىٰ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ [وَ] [(٢)] مُدَّةُ إِقَامَتِهِمْ نَحْوُ عَشْرِ سِنِينَ ، فَكَتَبَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - إِلَىٰ « النَّجَاشِيِّ » لِيُجَهِّزَهُمْ إِلَيْهِ ، فَقَدِمُوا يَوْمَ « فَتْحِ خَيْبَرٍ » فَأَسْهَمَ [(٣)] لَهُمْ . [وَ] [(٤)] قَالَ - ﷺ - : « لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أُسَرُّ ، أَبِفَتْحِ « خَيْبَرٍ » أَمْ بِقُدُومِ « جَعْفَرٍ ؟ ! » [(٥)] .

فَائِدَة

(هِجْرَةُ الْمُسْلِمِينَ الأُولى إلى « الْحَبَشَةِ » ثُمَّ الْهِجْرَةُ الْكَبِيرَةُ إلى « الْمَدِينَةِ »)

قَالَ « الْعُلَمَاءُ » : هَٰذِهِ الْهِجْرَةُ أَوَّلُ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبَعْدَهَا

---

(١) « الجوار » : « العهد والأمان للمستأمن » .

(٢) « التكملة يقتضيها السياق » .

(٣) « أَسْهَمَ لَهُمْ » : جَعَلَ لَهُمْ أَنْصِبَةً مِنْ غَنَائِمِ خَيْبَرٍ . و « السَّهْمُ » في الأَصْلِ وَاحِدُ السِّهَامِ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا فِي الميسر ، وَهِيَ « القِدَاحُ » ، ثُمَّ سُمِّيَ مَا يَفُوزُ بِهِ الفَالِجُ سَهْمَهُ ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى سُمِّيَ كُلُّ نَصِيبٍ سَهْماً ، ويجمعُ « السَّهْمُ » على « أَسْهُمٍ » وَ « سِهَامٍ » و « سهمان » . « النهاية في غريب الحديث : ٤٢٩/٢ - مادة : « سهم » .

(٤) « التكملة يقتضيها السياق » .

(٥) في « سيرة ابن هشام : ٣٥٩/٢ » : « مَا أَدْرِي بِأَيِّهِما أَنَا أَسَرُّ : بِفَتْحِ خَيْبَرٍ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟ » . وفي « المستدرك : ٦٢٤/٢ - كتاب التاريخ - » : « مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ : بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ » . وقال : « هَذَا حديثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ » .

الْهِجْرَةُ الْكَبِيرَةُ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » ، وَقَدْ حَازَهَا أَيْضاً « مُهَاجِرُو [١] الْحَبَشَةِ » « كَجَعْفَرٍ » وَ « عُثْمَانَ » وَ « الزُّبَيْرِ » . وَ « عَبْدِ الرَّحْمٰنِ » فَسُمُّوا « أَهْلَ الْهِجْرَتَيْنِ » .

وَحُكْمُ « الْهِجْرَةِ » بَاقٍ [٢] إِلَىٰ « يَوْمِ الْقِيَامَةِ » إِذَا وُجِدَ مَعْنَاهَا ، وَهُوَ الْفِرَارُ بِالدِّينِ عِنْدَ خَوْفِ الافْتِتَانِ فِيهِ ، أَوْ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ رَدِّ الْبِدَعِ الْمُنْكَرَةِ . أَمَّا عِنْدَ خَوْفِ الافْتِتَانِ فَمَنْ بَقِيَ فِي « دَارِ الْحَرْبِ » عَاجِزاً عَنْ إِظْهَارِ « دِينِ الْإِسْلَامِ » عَصِيَ مَعْصِيَةً عَظِيمَةً ؛ بَلِ اخْتُلِفَ فِي صِحَّةِ إِسْلَامِهِ ، لِقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [٣] ـ الْآيَات ـ . وَكَذَٰلِكَ يَعْصَىٰ مَنْ أَقَامَ بِبَلَدِ الْبِدَعِ وَالْمُنْكَرِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ تَغْيِيرِهِ فِيهَا ، أَوْ بِأَرْضٍ غَلَبَ عَلَيْهَا الْحَرَامُ ، فَإِنَّ طَلَبَ [تَغْيِيرِ] [٤] الْحَالِ [٥] فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ .

---

(١) الأصل : « فـهـاجـرُوا » .

(٢) الأصل : « باقي » .

(٣) « سورة النساء : ٩٧/٤ ـ م ـ » .

(٤) « التكملة يقتضيها السياق » .

(٥) الأصل : « حال » .

ـ(إسْلاَمُ « حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » وَ « عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ »)ـ

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ أَسْلَمَ سَيِّدُنَا « حَمْزَةُ [(١)] بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » عَمُّ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ . ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَهُ سَيِّدُنَا « عُمَرُ [(٢)] بْنُ الْخَطَّابِ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ فَعَزَّ بِهِمَا الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ لِإِسْلَامِهِمَا [(٣)] . وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » ـ عَنْ « عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : « لَمَّا أَسْلَمَ « عُمَرُ » اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ وَقَالُوا : « صَبَأَ [(٤)] « عُمَرُ » وَأَنَا غُلَامٌ فَوْقَ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، فَجَاءَ « الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ » فَقَالَ : « أَنَا لَهُ جَارٌ » فَتَفَرَّقُوا » [(٥)] .

---

(١) انظر : « إسلام « حمزة » ــ رحمه الله ــ في « سيرة ابن هشام : ٢٩١/١ ــ ٢٩٢ » .

(٢) انظر : « إسلام « عمر بن الخطاب » ــ رضي اللهُ عَنْهُ ــ في « سيرة ابن هشام : ٣٤٢/١ ــ ٣٥٠ » .

(٣) الأصل : « فعز بهما الإسلام اسلامهما الاسلام والمسلمون » .

(٤) « صبأ » : يقال : « صَبَأَ فُلَانٌ » : إذَا خَرَجَ مِنْ دِينٍ إلى دين غيرِه ، مِنْ قَوْلِهِمْ صبأ نابُ البَعيرِ : إذا طَلَعَ . وصبأَتِ النُّجُومُ إذَا خَرَجَتْ مِنْ مَطَالِعِهَا . وكانت العربُ تسمّي « النَّبيَّ » ــ ﷺ ــ الصَّابِيءَ ؛ لأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ « قُرَيْشٍ » إلى دِينِ « الإسلامِ » ، ويسمُّونَ مَنْ يَدْخُلُ في الإسلامِ « مَصْبُوّاً » ، لأَنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَهْمِزُونَ ، فَأَبْدَلُوا مِنَ الْهَمْزَةِ واواً . ويسمُّونَ « المُسلمينَ » الصُّبَاةَ ــ بِغَيْرِ هَمْزٍ ــ كَأَنَّهُ جمعُ « الصابي » غير مهمُوزٍ « كَقَاضٍ وَقُضَاةٍ ، وَغَازٍ وغُزَاة » . « النهاية : ٣/٣ ــ مادة « صبأ » .

(٥) « صحيح البخاري: ٦١/٥ ــ (٦٣) مناقب الأنصار ــ (٣٥) باب إسلام عمر بن الخطاب ــ » .

ـ(مُقَاطَعَةُ قُرَيْشٍ « بَنِي هَاشِمٍ » وَتَعْلِيقُ صَحِيفَةِ الْمُقَاطَعَةِ)ـ

وَفِي أَوَّلِ لَيْلَةِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ اجْتَمَعَتْ « قُرَيْشٌ » بِخَيْفِ(١) بَنِي كِنَانَةَ » وَهُوَ « الْمُحَصَّبُ » فَتَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ ، كَمَا فِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » وَذَٰلِكَ أَنَّهُمْ تَعَاهَدُوا عَلَىٰ قَطِيعَةِ « بَنِي هَاشِمٍ » و « بَنِي الْمُطَّلِبِ » ومُقَاطَعَتِهِمْ فِي الْبَيْعِ والشِّرَاءِ والنِّكَاحِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ حَتَّىٰ يَهْلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ أَوْ يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ « مُحَمَّداً » (٢) ـ ﷺ ـ وَكَتَبُوا بِذَٰلِكَ صَحِيفَةً وَعَلَّقُوهَا فِي سَقْفِ « الْكَعْبَةِ » تَأْكِيداً لِأَمْرِهَا ، فَانْحَازَ الْبَطْنَانِ (٣) إِلَىٰ « أَبِي طَالِبٍ » فِي « الشِّعْبِ » ، وَبَقَوْا هُنَالِكَ مَحْصُورِينَ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ وَتَضَوَّرُوا (٤) بِذَٰلِكَ جُوعاً وَعَطَشاً / وَعُرْياً ، وَلَحِقَتْهُمْ [٧٩ و]

(١) « المُحَصَّبُ » و « الحَصْبَةُ » و « الأَبْطَحُ » و « البَطْحَاءُ » و « خَيْفُ بَنِي كنانة » : اسمٌ لشيءٍ واحدٍ . وأصلُ « الخيف » كل ما انحدر عن الجبل وارتفعَ عن المسيل » . « صحيح مسلم : ٩٥١/٢ ـ الحاشية (١) » .

(٢) « صحيح البخاري : ١٨١/٢ ـ ١٨٢ ـ (٢٥) كتاب الحج ـ (٤٥) باب نزول « النبي » ـ ﷺ ـ مكة » .

و « صحيح مسلم : ٩٥٢/٢ ـ (١٥) كتاب الحج ـ (٥٩) باب استحباب النزول بالمُحَصَّبِ يوم النفر والصلاة به ـ الحديث : ٣٤٤ ـ (. . .) ـ » .

(٣) الأصل : « البطيان » . وَ « البَطْنَانِ » مثنى : « بَطْن » وَ « البَطْنُ » مَادُونَ « القَبِيلَةِ » وَفَوْقَ « الفَخِذِ » ويجمع على « أَبْطُنٍ وَبُطُونٍ » . « النهاية في غريب الحديث : ١٣٧/١ ـ مادة : « بطن » .

(٤) الأصل : « وتضرروا » . و « تَضَوَّرَ جُوعاً » : أي « تَلَوَّى وَضَجَّ وَتَقَلَّبَ ظَهْراً لِبَطْنٍ » وقيل : « تَضَوَّرَ » : « أَظْهَرَ الضَّوْرَ » بمعنى « الضُّرِّ » . « النهاية في غريب الحديث : ١٠٥/٣ ـ مادة : « ضَوَرَ » .

مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ بِسَبَبِ « النَّبِيِّ » - ﷺ - . وَفِي ذَٰلِكَ يَقُولُ « أَبُوطَالِبٍ » :

[« أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي عَلَىٰ ذَاتِ بَيْنِنَا (١)

لُؤَيّاً وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً

نَبِيّاً كَمُوسَىٰ خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْبِ

[وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً

وَلَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بِالْحُبِّ] (٢)

وَأَنَّ الَّذِي لَفَّقْتُمُ (٣) مِنْ كِتَابِكُمْ

لَكُمْ كَائِنٌ نَحْساً كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ (٤)

أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ (٥) الثَّرَىٰ

وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً كَذِي الذَّنْبِ

(١) « ذَات بيننا » : صفة لمحذوف مؤنث ، كأنَّهُ يُرِيدُ الحال التي هي ذات بينهم ، فلما حذف الموصوف وبقيت الصفة صارت كالحال .

(٢) « التكملة أُلحقت عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٢/١ » .

(٣) في « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » : « ألصقتم » .

(٤) الأصل : « كراعية السقب » وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » .

و « رَاغِيَةِ السَّقْبِ » : هو من « الرُّغاء » وهو أصوات الإبل . و « السَّقْبُ » : « وَلَدُ النَّاقَةِ » وَأَرَادَ بِهِ هُنَا : وَلَدَ نَاقَةِ صَالِحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

(٥) الأصل : « تحفر الثرى » .

وَلَا تَتْبَعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُــوا
أَوَاصِــرَنَــا (١) بَعْــدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُــرْبِ

[وَتَسْتَجْلِبُــوا حَرْبــاً عَــوَانــاً (٢) وَرُبَّمَا
أَمَرَّ عَلَىٰ مَنْ ذَاقَــهُ جَلَبُ الْحَــرْبِ] (٣)

فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ ! نُسْلِمُ أَحْمَــداً
لِعَــزَّاءَ (٤) مِنْ عَضِّ (٥) الزَّمَــانِ وَلَا كَــرْبِ

وَلَمْ تَبِنْ مِنَّــا وَمِنْكُــمْ سَــوَالِفٌ (٦)
وَأَيْــدٍ أُتِــرَّتْ (٧) بِالْقُسَاسِيَــةِ (٨) الشُّهْبِ »

(١) الأصلُ : « إذا صيرْنَا » ، وَمَا أُثبت في « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » . و « الأَوَاصِرُ » : « أَسْبَابُ القَرَابَةِ والمَوَدَّةِ » .

(٢) « الحَرْبُ العَوَان » : « هي الحربُ التي قُوتل فيها مراراً » .

(٣) « التكملة أُلحقت عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » .

(٤) « العَزَّاء » : « الشِّدَّةُ » .

(٥) الأصل : « غض الزمان » : والتصويب عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » وَ « عَضُّ الزَّمَانِ » : « شِدَّتُهُ » .

(٦) « السَّوَالِفُ » ج « سالفة » : وهي صفحة العنق .

(٧) الأصل : « ايداترب » ، وما أُثبتَ عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » : و « أَيْدٍ أُتِرَّتْ » : أي : « وَأَيْدٍ قُطِعَتْ » .

(٨) « القُسَاسِيَّةُ » : « سيُوفٌ تُنْسَبُ إلى قُسَاس ، وَهُوَ جَبَلٌ « لِبَنِي أَسَدٍ » فيه مناجم الحديد » .

[بِمُعْتَرَكٍ ضَيْقٍ تَرَىٰ كِسَرَ الْقَنَـــا
بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ (١) يَعْكُفْنَ (٢) كَالشَّرْبِ (٣)
كَأَنَّ مُجَـالَ الْخَيْـلِ فِي حُجَـرَاتِهِ (٤)
وَمَعْمَعَةَ (٥) الأَبْطَـالِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ] (٦)

أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِـمٌ شَـدَّ أَزْرَهُ
وَأَوْصَـىٰ بَنِيـهِ بِالطِّعَـانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلُّ الْحَـرْبَ [حَتَّىٰ تَمَلَّنَـا] (٧)
وَلَا نَشْتَكِي مَا قَـدْ يَنُوبُ (٨) مِنَ النَّكْبِ (٩)

---

(١) « الطُّخْمُ » : « السُّودُ الرُّؤُوسُ » .
(٢) « يَعْكُفْنَ » : « يَقُمْنَ وَيُلَازِمْنَ » .
(٣) « الشَّرْبُ » : « الْجَمَاعَةُ مِنَ الْقَوْمِ يَشْرَبُونَ » .
(٤) « الْحُجُرَاتُ » : « النَّوَاحِي » .
(٥) « الْمَعْمَعَةُ » : « صَوْتُ الشُّجْعَانِ فِي الْحَرْبِ » .
(٦) ما بينَ الحاصرتين ألحقناه عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » .
(٧) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » .
(٨) الأصل : « ولا نتشكى ما ينوب » . وما أثبت عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » .
(٩) الأصل : « النكت » ، وما أثبت عن « سيرة ابن هشام : ٣٥٣/١ » . وَ « النَّكْبُ » : « المُصِيبَةُ » .

وَلٰكِنَّنَــا أَهْــلُ الْحَفَــائِظِ [(١)] وَالنُّهَــى
إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَــاةِ [(٢)] مِنَ الرُّعْبِ [(٣)] »] [(٤)]

ـ(نَقْضُ الصَّحِيفَــةِ)ـ

فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ حَلَّ مَا عَقَدُوهُ وَإِبْطَالَ مَا أَكَّدُوهُ اجْتَمَعَ فِي آخِرِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ سِتَّةٌ مِنْ سَادَاتِ « قُرَيْشٍ » لَيْلًا بِأَعْلَىٰ « مَكَّةَ » ، فَتَعَاقَدُوا عَلَىٰ نَقْضِ « الصَّحِيفَةِ » [(٥)] مِنْهُمْ : « الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ النَّوْفَلِيُّ » وَ « زَمْعَةُ ابْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ أَسَدٍ الْأَسَدِيُّ » . فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ قَائِلُهُمْ : « أَنَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلْكَىٰ [(٦)] ؟ «وَاللهِ!» لَا أَقْعُدُ حَتَّىٰ تُشَقَّ هٰذِهِ الصَّحِيفَةُ . فَقَالَ « أَبُو جَهْلٍ » : « كَذَبْتَ «وَاللهِ ! » ، فَقَالَ الْآخَرُ : « أَنْتَ «وَاللهِ!» الْكَاذِبُ » وَوَثَبُوا ، فَقَالَ «أَبُو جَهْلٍ» : « هٰذَا الْأَمْرُ قَدْ بُرِمَ بِلَيْلٍ » ، ثُمَّ قَامَ [(٧)] « الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ » إِلَىٰ الصَّحِيفَةِ

---

(١) « أَهْلُ الحفائظ » : « المدافعون عن أعراضهم » .

(٢) « الكُمَاة » ج « كَمِيّ » : وهو لابس السلاح ، والشجاع المقدِمُ الجريء كَانَ عَلَيْهِ سلاحٌ أم لم يكن » .

(٣) « الرَّعْبُ » ــ بالفَتْحِ ــ : « التَّوَعِيدُ » .

(٤) « سيرة ابن هشام : ٣٥٢/١ ــ ٣٥٣ » و « الروض الأنف : ٢٨٣/٣ » .

(٥) انظر : خبر الصحيفة في « سيرة ابن هشام : ٣٧٤/١ ــ ٣٧٧ » .

(٦) الأصل : « هلك » .

(٧) الأصل : « ثم قاموا إلى الصحيفة » .

لِيَشُقُّهَا ، فَأَخْبَرَهُمُ « النَّبِيُّ » - ﷺ - أَنَّ الْأَرَضَ [١] قَدْ أَكَلَتْ جَمِيعَهَا إِلَّا مَا فِيهِ اسْمُ « اللهِ » فَوَجَدُوهُ كَمَا ذَكَرَ - ﷺ - .

وَخَرَجَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - و « بَنُو هَاشِمٍ » و « الْمُطَّلِبُ » مِنَ « الشِّعْبِ » فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ .

-(آيَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ)-

وَفِي مَوْسِمِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ سَأَلَتْ « قُرَيْشٌ » « النَّبِيَّ » - ﷺ - آيَةً « بِمِنًى » فَأَرَاهُمْ « انْشِقَاقَ الْقَمَرِ » شِقَّتَيْنِ . - رَوَاهُ « الْبُخَارِيُّ » [٢] و « مُسْلِمٌ » [٣] . وَفِي رِوَايَةٍ : « حَتَّى رَأَوْا « حِرَاءَ » بَيْنَهُمَا » [٤] .

---

(١) « الأَرَضُ » : ج « أَرَضَة » : وهي دُوَيْبَةٌ مِنْ فصيلةِ الأَرَضِيَّات ، تقرضُ الأخشابَ وتعيش في البلاد الحارة مجتمعةً في معسكرات .

(٢) انظر : « صحيح البخاري : ٢٥١/٤ - (٦١) كتاب المناقب - (٢٧) باب سؤال المشركين أنْ يُرِيَهُمُ « النَّبيُّ » - ﷺ - آيةً فأراهم انشقاق القمر » .

(٣) « صحيح مسلم : ٢١٥٨/٤ - (٥٠) كتاب صفات المنافقين - (٨) باب انشقاق القمر - الحديث : ٤٣ - (٢٨٠٠) والحديث : ٤٤ - (. . .) - » .

(٤) « صحيح البخاري : ٦٢/٥ - (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٣٦) باب انشقاق القمر » .

فَائِــدَة

ـ(مُعْجِزَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ لاَ تَعْدِلُهَا مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ)ـ

قَالَ « الْعُلَمَاءُ » : « انْشِقَاقُ [الْقَمَرِ] [1] مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَكَادُ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ « الْأَنْبِيَاءِ » ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ إِذْ لَا يَطْمَعُ أَحَــدٌ بِحِيلَةٍ إِلَىٰ التَّصَرُّفِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ ، فَصَارَ الْبُرْهَانُ أَظْهَرَ ، وَلِهَــٰذَا نَصَّ عَلَيْهِ « الْقُرْآنُ » بِقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [2] .

ـ(وَفَاةُ « أَبِي طَالِبٍ »)ـ

وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مَاتَ « أَبُوطَالِبٍ » [3] فَاشْتَدَّ حُزْنُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ .

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » أَنَّ « أَبَا طَالِبٍ » لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَـاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ وَعِنْدَهُ [4] « أَبُو جَهْلٍ » فَقَالَ : « أَيْ عَمِّ !»

---

(١) « التكملة يقتضيها السياق » .

(٢) « سورة القمر : ١/٥٤ ـ ك ـ » .

(٣) انظر : وفاة « أبي طالب » في « صحيح البخاري : ٦٥/٥ ـ ٦٦ ـ (٦٣) مناقب الأنصار ـ (٤٠) باب قِصَّةِ « أَبِي طَالِبٍ » و ٨٧/٦ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٩) سورة براءة ـ (١٦) باب » وفي « سيرة ابن هشام : ٤١٥/١ ـ ٤١٨ » . ، و « طبقات ابن سعد » : ١٤٢/١ » و « عيون الأثر : ١٦١/١ ـ ١٦٦ » .

(٤) الأصل : « فَوَجَدَ عِنْدَهُ أبا جهل » . وما أثبت في « صحيح البخاري : ٦٥/٥ » .

قُلْ : « لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ(١) لَكَ بِهَا عِنْدَ « الله » ـ تَعَالَىٰ ـ » .
فَقَالَ « أَبُو جَهْلٍ » [وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ] (٢) : « يَا أَبَا طَالِبٍ ! »
أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ « عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ » [فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ](٣) حَتَّىٰ قَالَ آخِرَ
شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ (٤) : « عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » فَقَالَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ :
« لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ » (٥) فَنَزَلَتِ [الْآيَةُ] : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴾(٦) ، أَيْ : فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ
/حَتَّىٰ نَزَلَتْ . [٧٩ ظ]

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » أَيْضاً أَنَّ « الْعَبَّاس » ، قَالَ « لِلنَّبِيِّ »
ـ ﷺ ـ : « مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ »

---

(١) « أُحَاجُّ لَكَ بِهَا » : يُقَالُ : « حَاجَجْتُهُ حِجَاجاً وَمُحَاجَّةً ، فَأَنَا مُحَاجٌّ وَحَجِيجٌ » « فَعِيلٌ بمعنى مُفَاعِلٌ » ، وَ « الْمُحَاجَّةُ » : « إِظْهَارُ الْحُجَّةِ » ، و « الْحُجَّةُ » : الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ .

(٢) التكملة عن « صحيح البخاري : ٦٦/٥ » .

(٣) التكملة عن « صحيح البخاري : ٦٦/٥ » .

(٤) الأصل : « تَكَلَّمَ بِهِ » .

(٥) الأصل : « عَنْكَ » . وما أثبت في « صحيح البخاري : ٦٦/٥ » .

(٦) « سورة التوبة : ١١٣/٩ ــ م ــ » .

فَقَالَ : « هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ [١] مِنْ نَارٍ [٢] وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ [٣] مِنَ النَّارِ » [٤] لِأَنَّ كُفْرَهُ كُفْرُ إِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَىٰ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِ بِذٰلِكَ وَتَيَقُّنِهِ . وَمَا شَاءَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

ـ(وَفَاةُ « خَدِيجَةَ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهَا ـ)ـ

ثُمَّ مَاتَتْ [٥] « خَدِيجَةُ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَعْدَ مَوْتِ « أَبِي طَالِبٍ » بِثَلَاثَةِ [٦] أَيَّامٍ ، فَتَضَاعَفَ حُزْنُهُ ـ ﷺ ـ وَلٰكِنْ كَانَ « اللهُ » لَهُ خَلَفاً عَنْ كُلِّ فَائِتٍ .

---

(١) الأصل : « صحصاح » . و « الضَّحْضَاحُ » في الأصل : « مَا رَقَّ مِنَ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ ، فَاسْتَعَارَهُ لِلنَّارِ » . « النهاية في غريب الحديث : ٧٥/٣ ـ مادة : « ضحضح » .

(٢) الأصل : « من النار » .

(٣) الأصل : « الدرك السفل » . و « الدَّرْكُ الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ » ، « الدَّرَكُ » ـ بالتحريك ، وَقَدْ يُسَكَّنُ ـ واحد « الْأَدْرَاكِ » ، وَهِيَ مَنَازِلُ فِي النَّارِ ، و« الدَّرَكُ » إلى أسفلٍ ، و « الدَّرَجُ » إلى فَوْقٍ » . « النهاية : ١١٤/٢ ـ مادة : « درك » .

(٤) « صحيح البخاري : ٦٥/٥ ـ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار ـ (٤٠) باب قصة « أبي طالب » .

(٥) انظر : « وفاة « خديجة » ـ رضي الله عنها ـ في « سيرة ابن هشام : ٤١٥/١ ـ ٤١٦ » .

(٦) الأصل : « بلثه » .

ـ(مَا لَقِيَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ مِنْ أَذَى « الْمُشْرِكِينَ » وَ « الْمُنَافِقِينَ »)ـ

وَلَمَّا مَاتَ « أَبُو طَالِبٍ » نَالَتْ « قُرَيْشٌ » مِنَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ مِنَ الْأَذَىٰ بَعْدَ وَفَاتِهِ مَا لَمْ تَكُنْ تَنَلْهُ فِي حَيَاتِهِ (١) .

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » عَنْ « عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ » قَالَ : سَأَلْتُ « عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ : « بَيْنَا (٢) « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ يُصَلِّي بِفِنَاءِ « الْكَعْبَةِ » (٣) إِذْ أَقْبَلَ « عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ » ـ أَيْ مُصَغَّراً ، بِمُهْمَلَتَيْنِ ـ فَأَخَذَ (٤) [بِمَنْكِبِ « رَسُولِ اللهِ » ـ ﷺ ـ وَلَوَىٰ] (٥) ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً ، فَأَقْبَلَ « أَبُو بَكْرٍ » فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ [وَقَالَ] (٦) : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (٧) ـ الْآيَة .

---

(١) انظر : إيذاء قريش « للرسول » ـ ﷺ ـ في : « صحيح البخاري : ١٥٩/٦ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (٤) سورة المؤمن ـ غافر ـ (١) باب ـ » .
و « طبقات ابن سعد : ١٤٢/١ » .

(٢) الأصل : « بينما » .

(٣) الأصل : « يصلي في الحجر » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ١٥٩/٦ » .

(٤) الأصل : « فوضع » .

(٥) « ساقطة في الأصل » ، والتكملة عن « صحيح البخاري : ١٥٩/٦ » .

(٦) التكملة عن « صحيح البخاري : ١٥٩/٦ » .

(٧) « سورة غافر : ٢٨/٤٠ ـ ك ـ » .

ــ(حديثُ « ابْنِ مَسْعُودٍ » في صبْرِ « النَّبِيِّ » ــ ﷺ ــ على أذَى « قُرَيْشٍ »)ــ

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » و « مُسْلِمٍ » ــ : عَنْ « ابْنِ مَسْعُودٍ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ : « بَيْنَمَا « النَّبِيُّ » ــ ﷺ ــ يُصَلِّي عِنْدَ « الْكَعْبَةِ » وَ [جَمْعُ] (١) « قُرَيْشٍ » فِي مَجَالِسِهِمْ فِي « الْمَسْجِدِ » إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : « أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَىٰ هَٰذَا الْمُرَائِي (٢) ؟ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَىٰ جَزُورِ (٣) بَنِي (٤) فُلَانٍ فَيَجِيءُ بِسَلَاهَا (٥) فَيَضَعُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ إِذَا سَجَدَ ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ « عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ » أَيْضاً فَعَلَ ذَٰلِكَ ، فَضَحِكُوا حَتَّىٰ مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ ، وَثَبَتَ « النَّبِيُّ » ــ ﷺ ــ سَاجِداً ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَىٰ « فَاطِمَةَ » ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةٌ (٦) فَأَقْبَلَتْ تَسْعَىٰ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ ، فَلَمَّا قَضَىٰ « رَسُولُ اللهِ » ــ ﷺ ــ الصَّلَاةَ قَالَ : « اللَّهُمَّ ! عَلَيْكَ

---

(١) التكملة عن « صحيح البخاري : ١٣٨/١ » .

(٢) الأصل : « المراائى » ، وما أثبت في صحيح البخاري : ١٣٨/١ » ــ . و « المُرَائِي » : اسم فاعل من الفعل « رَاءَاهُ » مُرَاءَاةً ورِئَاءً وَرِيَاءً : أَرَاهُ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالخيرِ وَالصَّلاحِ عَلَى خِلافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ . « المعجم الوسيط ٣٢٠/١ ــ مادة : ــ رأى ــ .

(٣) « جزور » أي : « ناقة » .

(٤) في « صحيح البخاري : ١٣٨/١ » : « جزور آل فلان » .

(٥) « السَّلَا » : « هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان ، وَهِيَ مِنَ الآدَمِيَّةِ المشيمة » . « صحيح مسلم : ١٤١٨/٣ ــ الحاشية (٢) ــ » .

(٦) « جُوَيْرِيَةُ » : هو تصغير « جَارِيَةٍ » ، بِمَعْنَى شَابَّة . يَعْنِي أَنَّهَا إِذْ ذَاكَ لَيْسَتْ بِكَبِيرَةٍ .

« بِقُرَيْشٍ » ثَلَاثاً ، ثُمَّ سَمَّىٰ رِجَالًا [(١)] . قَالَ « عَبْدُ اللهِ » : «فَوَ اللهِ !» لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَىٰ « يَوْمَ بَدْرٍ » ثُمَّ سُحِبُوا إِلَىٰ « الْقَلِيبِ » [(٢)] - قَلِيبِ بَدْرٍ - [(٣)] .

-(تحقيق حول مولد « فاطمة » وأخواتها)-

قُلْتُ : « وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَوْلِدَ «فَاطِمَةَ» - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - مُتَقَدِّمٌ عَلَىٰ « لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ » ، بِمُدَّةِ عَشْرِ سِنِينَ فَأَكْثَرَ ، وَسَبَقَ أَنْ أُخْتَهَا « رُقَيَّةَ » مِنْ « مُهَاجَرَةِ الْحَبَشَةِ » ، فَلَعَلَّ « زَيْنَبَ » و « أُمَّ كُلْثُومٍ » كَذٰلِكَ ، أَوْ مَنَعَهُنَّ [(٤)] الْحَيَاءُ مِنَ الْخُرُوجِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

---

(١) في « صحيح البخاري: ١٣٨/١ » : « ثُمَّ سَمَّى اللّهُمَّ عَلَيْكَ « بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ »، و « عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ » ، و « شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ » ، وَ « الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ » ، و«أُمَيَّةَ ابْنِ خَلَفٍ » وَ « عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ » وَ « عُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ » .

(٢) « الْقَلِيبُ » : « الْبِئْرُ الَّتِي لَمْ تُطْوَ ، ويذكَّر ويؤنَّث » . « النهاية في غريب الحديث : ٩٨/٤ - مادة : قلب » .

(٣) « صحيح البخاري : ١٣٨/١ - (٨) كتاب الصلاة - (١٠٩) باب المرأة تَطْرَحُ عَلى المصلي شَيْئاً مِنَ الأذى » . و « صحيح البخاري : ٦٩/١ - (٤) كتاب الوضوء - (٦٩) باب إذا أُلْقي على ظهْرِ المصلي قَذَرٌ أو جيفَةٌ لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلاتُهُ » . و « صحيح البخاري: ٥٦/٦ - ٥٧ - (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٢٩) باب ما لقي « النبي » - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة » .

و « صحيح مسلم : ١٤١٨/٣ - ١٤١٩ - (٣٢) كتاب الجهاد والسير (٣٩) باب ما لقي « النبي » - ﷺ - من أذى المشركين والمنافقين - الحديث : ١٠٧ - (١٧٩٤) » .

(٤) الأصل : « منعهم » .

ـ(إِسْلَامُ « أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَيْضاً أَنَّ « أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ لِأَخِيهِ [ـ أُنَيْسٍ ـ] (١) ارْكَبْ إِلَىٰ [هَٰذَا الْوَادِي . فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَٰذَا] (٢) الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي ، فَانْطَلَقَ [الْأَخُ] (٣) حَتَّىٰ قَدِمَ «مَكَّةَ» وَسَمِعَ [مِنْ] (٤) قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ (٥) إِلَىٰ « أَبِي ذَرٍّ » فَقَالَ لَهُ : «رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَكَلَاماً [مَا] (٦) هُوَ بِالشِّعْرِ» ، فَقَالَ : « مَا شَفَيْتَنِي (٧) مِمَّا أَرَدْتُ ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً (٨) لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّىٰ قَدِمَ « مَكَّةَ » ، فَأَتَىٰ الْمَسْجِدَ ، فَالْتَمَسَ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ (٩) ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ فَاضْطَجَعَ ، فَرَآهُ « عَلِيٌّ » فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ ، وَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَصْبَحَ ، ثُمَّ احْتَمَلَ / قِرْبَتَهُ [٨٠ و]

---

(١) في الأصل ، زيادة على نص « البخاري : ٥٩/٥ » .

(٢) التكملة عن « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .

(٣) التكملة عن « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .

(٤) التكملة عن « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .

(٥) الأصل : « ثمَّ رجع فقال لأبي ذر » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .

(٦) التكملة عن « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .

(٧) « مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ » : أي : « مَا بَلَّغْتَنِي غَرَضِي ، وَأَزَلْتَ عَنِّي هَمَّ كَشْفِ هَذَا الْأَمْرِ » .

(٨) « الشَّنَّةُ » : « الْقِرْبَةُ الْبَالِيَةُ » .

(٩) في « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » : « ولا يعرفه » .

وَزَادَهُ [١] إِلَىٰ الْمَسْجِدِ ، وَظَلَّ ذٰلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ [٢] « النَّبِيُّ » - ﷺ - حَتَّىٰ أَمْسَىٰ ، فَعَادَ إِلَىٰ مَضْجَعِهِ ، فَمَرَّ بِهِ « عَلِيٌّ » فَقَالَ : « أَمَا آنَ لِلرَّجُلِ [٣] أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ ، لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ [٤] الثَّالِثِ فَعَادَ [٥] عَلَىٰ مِثْلِ ذٰلِكَ ، فَأَقَامَهُ [« عَلِيٌّ »] [٦] مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ [لَهُ] [٧] : « أَلَا تُحَدِّثُنِي ؟ » مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ ؟ » قَالَ : « إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْداً وَمِيثَاقاً لَتُرْشِدَنَّنِي فَعَلْتُ ، فَفَعَلَ ، فَأَخْبَرَهُ». قَالَ [«عَلِيٌّ»][٨] : «فَإِنَّهُ حَقٌّ» ، وَهُوَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - » فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئاً أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّىٰ تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ [٩] حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ « النَّبِيِّ » - ﷺ - وَدَخَلَ مَعَهُ ، فَسَمِعَ مِنْ

---

(١) الأصل : « زاده وقربته » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .
(٢) الأصل : « وَلَمْ يَرَه » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .
(٣) في « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » : « أما نَالَ للرجل » .
(٤) الأصل : « اليوم الثالث » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥٩/٥ » .
(٥) الأصل : « فعل مثل ذلك » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥٩/٥ ــ الحاشية : (٩) » .
(٦) زيادة عما في نص « البخاري : ٥٩/٥ » .
(٧) زيادة عما في نص « البخاري : ٥٩/٥ » .
(٨) زيادة عما في نص « البخاري : ٦٠/٥ » .
(٩) « يَقْفُوهُ » : « يَتْبَعُهُ » .

قَوْلِهِ ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ ، فَقَالَ لَهُ « النَّبِيُّ » - ﷺ - : « ارْجِعْ إِلَىٰ قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي » ، قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! »[١] لَأَصْرُخَنَّ بِهَا [٢] بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ [٣] ، فَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ « الْمَسْجِدَ » ، فَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ « مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ » [٤] ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّىٰ أَضْجَعُوه ، وَأَتَىٰ « الْعَبَّاس » فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، قَالَ : « وَيْلَكُمْ [٥] ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ « غِفَارٍ ؟ » وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ [٦] إِلَىٰ « الشَّامِ » . ! » فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَكَبَّ « الْعَبَّاس » عَلَيْهِ » فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ [٧] - هٰذَا لَفْظُ « الْبُخَارِيِّ » . زَادَ «مُسْلِمٌ» فِي رِوَايَتِهِ عَنْهُ قَالَ :فَأَتَيْتُ أَخِي «أُنَيْساً» فَقَالَ:

---

(١) الأصل : « وَالَّذِي بَعثك بالحق » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥/٦٠ » .

(٢) « لَأَصْرُخَنَّ بِهَا » : « أي لَأَرْفَعُ صَوْتِي بِهَا » .

(٣) الأصل : « بين أظهرهم » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥/٦٠ » .

« وَبَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ » : أي « بينهم » ، وهو بفتح النون ، ويقال : « بين ظهريهم » .

(٤) في الأصل : « وَأَنَّ محمداً رسول الله » - ﷺ - » .

(٥) الأصل : « ويحكم » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥/٦٠ » .

(٦) الأصل : « تجارتكم » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٥/٦٠ » .

(٧) « صحيح البخاري : ٥/٥٩ - ٦٠ - (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٣٣) باب إسلام أبي ذر - رضي اللهُ عَنْهُ - » .

و « صحيح مسلم : ٤/١٩٢٣ - ١٩٢٥ - (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (٢٨) باب من فضائل « أبي ذر » - رضي اللهُ عنه - : ١٣٣ - (٢٤٧٤) » .

« مَا صَنَعْتَ ؟ » قُلْتُ : « صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ » قَالَ : « مَابِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ [١] ، فَإِنِّي أَيْضاً قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ » قَالَ : فَأَتَيْنَا أُمَّنَا ، فَقَالَتْ : « مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ فَاحْتَمَلْنَا [٢] حَتَّىٰ أَتَيْنَا قَوْمَنَا « غِفَاراً » فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ ،......... وَقَالَ نِصْفُهُمْ : « إِذَا قَدِمَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ « الْمَدِينَةَ » أَسْلَمْنَا » ، فَقَدِمَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي .

وَجَاءَتْ « أَسْلَمُ » فَقَالُوا : « يَا رَسُولَ اللهِ ! » « أَسْلَمْنَا عَلَىٰ مَا أَسْلَمَ عَلَيْهِ إِخْوَتُنَا » . فَقَالَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « غِفَارٌ » غَفَرَ اللهُ لَهَا » ، وَ « أَسْلَمُ » سَالَمَهَا اللهُ » [٣] .

ـ(خُرُوجُهُ ـ ﷺ ـ إِلَىٰ « الطَّائِفِ »)ـ

وَفِي هَٰذِهِ السَّنَةِ وَهِيَ الْعَاشِرَةُ خَرَجَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ إِلَى « الطَّائِفِ » [٤] إِلَىٰ « ثَقِيفٍ » وَأَقَامَ فِيهِمْ شَهْراً يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ « اللهِ »

---

(١) « مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ » : أيْ : « لاَ أَكْرَهُهُ ، بل أَدْخُلُ فِيهِ » .

(٢) « فَاحْتَمَلْنَا » ، يَعْنِي : « حَمَلْنَا أَنْفُسَنَا وَمَتَاعَنَا على إِبِلِنَا ، وَسِرْنَا » .

(٣) « صحيح مُسْلِم : ١٩١٩/٤ ـ ١٩٢٢ ـ (٤٤) كتاب فضائل الصحابة ـ (٢٨) باب من فضائل « أبي ذَرٍّ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ الحديث : ١٣٢ ـ (٢٤٧٣) ـ الطرف الأخير من الحديث » .

(٤) انظر : « خُرُوجُ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ إلى « الطائف » في : « سيرة ابن هشام : ٤١٩/١ » ، و « سبل الهدى والرَّشاد : ٥٧٦/٢ » .

وَسَأَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُ فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَكْتُمُوا عَنْهُ لِئَلَّا تَشْمَتَ (١) بِهِ « قُرَيْش » فَلَمْ يَفْعَلُوا (٢) ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ أَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ يَصِيحُونَ خَلْفَهُ وَيَسُبُّونَهُ حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَأَلْجَؤُوهُ إِلَىٰ حَائِط (٣) وَاشْتَدَّ كَرْبُهُ لِذٰلِكَ ـ ﷺ ـ وَدَعَا حِينَئِذٍ بِدُعَاءِ الْكَرْبِ (٤) :

« لَا إِلٰهَ إِلَّا « اللهُ » الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا « اللهُ » رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا « اللهُ » رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ » (٥).

ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ (٦) أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي (٧) ؟ أَمْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ / أَمْرِي ؟ [٨٠ ظ]

---

(١) الأصل : « يشمت » .

(٢) الأصل : « فلم يفعوا » .

(٣) « الحائط » : « البستان » .

(٤) « دُعَاءُ الْكَرْبِ » : « هٰذَا حَدِيثٌ جَلِيلٌ يَنْبَغِي الاعْتِنَاءُ بِهِ وَالإِكْثَارُ مِنْهُ عِنْدَ الْكَرْبِ وَالأُمُورِ الْعَظِيمَةِ » . قَالَ الطَّبَرِيُّ : « كَانَ السَّلَفُ يَدْعُونَ بِهِ وَيُسَمُّونَهُ : « دُعَاءَ الْكَرْبِ » .

(٥) « صحيح البخاري : ٩٣/٨ ـ (٨٠) كتاب الدعوات (٢٧) باب الدعاء عند الكَرْبِ » ، و « صحيح مسلم : ٢٠٩٣/٤ ـ ٢٠٩٤ ـ (٤٨) كتاب الذكر والدعاء ـ (٢١) باب دعاء الكَرْب ـ الحديث : ٨٣ ـ (٢٧٣٠) ـ » .

(٦) الأصل : « اللهم إني إليك أشكو » .

(٧) « يَتَجَهَّمُنِي » : « أَيْ يَلْقَانِي بِالْغِلْظَةِ وَالْوَجْهِ الْكَرِيهِ » .

إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ [١] فَلَا أُبَالِي ، وَلَٰكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي . أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَه[٢] الظُّلُمَاتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [مِنْ] [٣] أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ ، لَكَ الْعُتْبَىٰ [٤] حَتَّىٰ تَرْضَىٰ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » [٥] فَنَزَلَ عَلَيْهِ « جِبْرِيلُ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ « وَقَالَ : « إِنَّ « اللَّهَ » قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ [٦] ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ « مَلَكَ الْجِبَالِ » لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . . . . [٧] ، فَقَالَ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ « اللَّهُ » مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ « اللَّهَ » وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » [٨] .

---

(١) الأصل : « إِنْ لَمْ يَكُنْ غَضَبٌ عَلَيَّ » . وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٤٢٠/١ » .

(٢) الأصل : « بِه » .

(٣) التكملة عن « سيرة ابن هشام : ٤٢٠/١ » .

(٤) « لَكَ الْعُتْبَى » : أي : « لك الاسترضاء بالرجوع عن الذَّنْبِ والإساءَةِ » .

(٥) « سيرة ابن هشام : ٤٢٠/١ » .

رواه الطبراني برجالٍ ثقاتٍ عن « عبد الله بن جعفر » ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ « رَسُول الله » ـ ﷺ ـ لمَّا انصرف عنهم أتى ظِلَّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ ـ الدُّعَاء ـ ، انظر : « سُبل الهدى والرشاد : ٥٧٧/٢ » .

(٦) الأصل : « إنَّ اللهَ قد سمع قولك وسمع قولهم » .

(٧) اختصار في الحديث .

(٨) « صحيح البخاري : ١٤٠/٤ ـ (٥٩) كتاب بدء الخلق ـ (٧) باب إذا قال أحدكم آمين » ـ ـ طرفٌ من حديث ـ .

ـ(حَدِيثُ « عَائِشَةَ » فِي شِدَّةِ « قُرَيْشٍ » عَلَى « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ)ـ

وَرَوَىٰ « الْبُخَارِيُّ » و « مُسْلِمٌ » فِي « صَحِيحَيْهِمَا » عَنْ « عَائِشَةَ » ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : سَأَلْتُ « رَسُولَ « اللهِ » ـ ﷺ ـ : « هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ[1] مِنْ « يَوْمِ أُحُدٍ ؟ » قَالَ : « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ [« يَوْمَ الْعَقَبَةِ »][2] إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ « ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ـ أَيْ : بِتَحْتِيَّةٍ مُكَرَّرَةٍ ـ ابْنِ عَبْدِ كُلَالٍ[3] » ـ أَيْ : بِالضَّمَّةِ ـ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ . فَانْطَلَقْتُ ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا « بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ » فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا « جِبْرِيلُ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : « إِنَّ « اللَّهَ » قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ « مَلَكَ الْجِبَالِ » [لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ][4] ، فَنَادَانِي

(١) الأصل : « كان أشد عليك من يوم أحد » ، والتصويب عن « البخاري » و « مسلم » .

(٢) التكملة عن « صحيح البخاري : ١٣٩/٤ ـ كتاب بدء الخلق ـ باب إذا قال أحدكم آمين » . و « صحيح مسلم : ١٤٢٠/٣ ـ الحديث ١١١ » . و « يَوْمُ العقبة » هو اليوم الذي وقف ـ ﷺ ـ عند « العَقَبَةِ » « بِمِنىً » ، داعياً الناس إلى الإسلام فما أجابوه ، وآذوه . وذلك اليوم صار معروفاً » ، « صحيح مسلم : ١٤٢٠/٣ ـ الحاشية (٢) » .

(٣) الأصل : « كلاب » ، والتصحيح عن « البخاري » و « مسلم »

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصل .

« مَلَكُ الْجِبَالِ » فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ! » [إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَأَنَا « مَلَكُ الْجِبَالِ » وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ](١) مِمَّا شِئْتَ (٢) ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ « الْأَخْشَبَيْنِ ؟ » ـ أَيْ : « جَبَلَيْ «مَكَّةَ» فَقَالَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ « اللهُ » مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ « اللهَ » وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » (٣) .

ـ إِنَّ « عَبْدَ كُلَالٍ » هَٰذَا هُوَ وَإِخْوَتُهُ رُؤَسَاءُ « أَهْلِ الطَّائِفِ » .

فائدة

ـ(فِي أَنَّ الاسْتِهْزَاءَ وَشَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ أَشَدُّ مِنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ)ـ

قَالَ الْعُلَمَاءُ : جَعَلَ ـ ﷺ ـ مَا نَالَهُ مِنَ الاسْتِهْزَاءِ أَوْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ أَشَدَّ مِمَّا لَاقَاهُ « يَوْمَ أُحُدٍ » مِنْ قَتْلِ « حَمْزَةَ » فِي سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مَعَ مَا نَالَهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْجِرَاحَةِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ نَفْسَ الْكَرِيمِ تَتَأَذَّىٰ بِالْأَذَىٰ بِالْقَوْلِ وَالسَّبِّ أَشَدَّ مِمَّا تَتَأَذَّىٰ بِهِ مِنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، وَلِهَٰذَا

(٢) ما بين الحاصرتين من نص « مسلم » في « صحيحه » .

(٣) الأصل : « بما شئت بأمرك » .

(٤) « صحيح البخاري : ١٣٩/٤ ـ (٥٩) كتاب بدء الخلق ـ (٧) باب إذا قال أحدكم آمين» و « صحيح مسلم : ١٤٢٠/٣ ـ (٣٢) كتاب الجهاد والسير ـ (٣٩) باب مالقي « النبي » ـ ﷺ ـ من أذى المشركين والمنافقين ـ الحديث : ١١١ ـ (١٧٩٥) ـ » .

عَفَا - ﷺ - عَنْ كُلِّ مَنْ تَعَرَّضَ لِقَتْلِهِ، وَأَهْدَرَ (١) دَمَ كُلِّ مَنْ تَعَرَّضَ لِشَتْمِهِ، وَمَعَ ذَٰلِكَ، فَقَدْ كَانَ - ﷺ - صَابِراً عَلَىٰ مَا نَالَهُ مِنَ الْأَذَىٰ فِي نَفْسِهِ أَوْ عِرْضِهِ أَوْ أَهْلِهِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الامْتِحَانَ عُنْوَانُ الإِيمَانِ يُكْرَمُ [عِنْدَهُ] (٢) الرَّجُلُ أَوْ يُهَانُ. وَأَنَّ « أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً : « الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ» (٣) زِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمْ وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ، ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

ـ(طَوَافُ « الرَّسُولِ » - ﷺ - بِالْكَعْبَةِ بِجِوَارِ « الْمُطْعِمِ بْنِ (٥) عَدِيٍّ »)ـ

وَلَمَّا بَلَغَ - ﷺ - فِي مَرْجِعِهِ مِنَ « الطَّائِفِ » « حِرَاءَ » بَعَثَ إِلَىٰ « الْأَخْنَسِ (٦) بْنِ شَرِيقٍ » لِيُجِيرَهُ، فَاعْتَذَرَ وَقَالَ : « إِنَّمَا أَنَا حَلِيفٌ،

---

(١) « أَهْدَرَ دَمَهُ » : « أَبَاحَهُ وَأَسْقَطَ فِيهِ الْقِصَاصَ وَالدِّيَةَ » .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

(٣) « سنن الترمذي : ٢٨/٤ - أبواب الزهد - (٤٥) باب الصبر على البلاء - الحديث : ٢٥٠٩».

(٤) « سورة آل عمران : ١٦٣/٣ - م - » .

(٥) انظر في : « سيرة ابن هشام : ٣٨١/١ » : كيف أجارَ « الْمُطْعِمُ » « رَسُولَ اللهِ » - ﷺ - » .

(٦) قال « ابن هشام » : « هُوَ « أُبَيٌّ » وَإِنَّمَا سُمِّيَ « الأَخْنَسَ » لأَنَّهُ خَنَسَ بِالْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ » . « سيرة ابن هشام : ٢٨٢/١ » .

وَقَالَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » : « وَالأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقِ بْنِ عمرو بنِ وهبِ الثقفي » حليف « بني زُهْرَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَمِمَّنْ يُسْتَمَعُ مِنْهُ » . « سيرة ابن هشام : ٣٦٠/١ » .

وَالْحَلِيفُ لَا يُجِيرُ » ، فَبَعَثَ إِلَىٰ « سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو » فَاعْتَذَرَ وَقَالَ : « إِنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ » لَا تُجِيرُ عَلَىٰ « بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ » ، فَبَعَثَ إِلَىٰ « الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ النَّوْفَلِيِّ » فَلَبِسَ سِلَاحَهُ ، هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَخَرَجُوا إِلَىٰ « الْمَسْجِدِ » ، وَبَعَثُوا إِلَىٰ « النَّبِيِّ » - ﷺ - ادْخُلْ ، فَدَخَلَ - ﷺ - فِي جِوَارِهِمْ فَطَافَ /« بِالْكَعْبَةِ » وَانْصَرَفَ . فَلَمَّا كَانَ « يَوْمَ [٨١ظ] بَدْرٍ » قَالَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - لَوْ كَانَ « الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ » حَيّاً وَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ - يَعْنِي : الْأَسْرَىٰ - لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ ، وَكَانُوا سَبْعِينَ أَسِيراً .

(عَرْضُ « الرَّسُولِ » - ﷺ - نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ وموقف « قريش » منه)

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ ، فِي الْمَوْسِمِ مِنْهَا ، اجْتَهَدَ - ﷺ - فِي عَرْضِ نَفْسِهِ عَلَىٰ الْقَبَائِلِ فِي تَجَامُعِهِمْ بِالْمَوْسِمِ « بِمِنًى » وَ « عَرَفَاتٍ » أَيُّهُمْ يَمْنَعُهُ وَيُؤْوِيهِ ؟ » .

وَاجْتَمَعَتْ « قُرَيْشٌ » إِلَىٰ « الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ [1] » لِيَأْمُرَهُمْ بِمَا يَرْمُونَ بِهِ « النَّبِيَّ » - ﷺ - فِي الْمَوْسِمِ ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً . وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولُوا شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ أَوْ كَاهِنٌ [2] أَوْ مَجْنُونٌ فَقَالَ : « وَاللهِ ! » مَا هُوَ

(١) انظر خبر اجتماع « الوليد بن المغيرة » بنفرٍ من قريش للاتفاق على قول موحد بما يصفون به « الرسول » - ﷺ - للقبائل في اجتماعها بالموسم في « سيرة ابن هشام : ١/٢٧٠ » .

(٢) الأصل : « شاعرا أو ساحرا أو كاهنا » .

بِشَاعِرٍ وَلَا سَاحِرٍ وَلَا كَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ . ولَقَدْ قَالَ قَوْلًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ » .

قَالُوا : « فَكَيْفَ نَقُولُ فِيهِ ؟ » .

فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ : « أَقْرَبُ الْقَوْلِ فِيهِ أَنْ تَقُولُوا : سَاحِرٌ ، جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ » [١] . وَجَعَلُوا يُلْقُونَهُ إِلَىٰ مَنْ قَدِمَ مِنْ « أَهْلِ الْمَوْسِمِ » .

وَكَانَ « أَبُولَهَبٍ » يَقْفُو أَثَرَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ فَكُلَّمَا أَتَىٰ قَوْماً وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ « اللهِ » كَذَّبَهُ عَمُّهُ وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ .

وَفِي « الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ » أَنْزَلَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيداً [٢] * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ [٣] * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [٤] ـ الآيَاتُ ـ .

---

(١) « سيرة ابن هشام : ٢٧٠/١ ــ ٢٧١ » . وجاء في الأصل: « ساحر يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وأخيه » .

(٢) « عَنِيداً » : « خَصِيماً » ، وقال ابنُ هشامٍ : « عَنِيدٌ » : « مُعَانِدٌ مُخَالِفٌ » .

(٣) « بَسَرَ » : « كَرَّهَ وَجْهَهُ » .

(٤) « سورة المدثر : ١٦/٧٤ ــ ٢٤ ــ ك ــ » . وانظر : « سيرة ابن هشام : ٢٧١/١ » .

ـــ(عَرْضُ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ نَفْسَهُ عَلى الأَنْصَارِ)ـــ

وَلَمَّا أَرَادَ « اللهُ » كَرَامَةَ « الأَنْصَارِ »[١] وَإِعْزَازَ دِينِهِ بِهِمْ ، لَقِيَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ فِي ذَٰلِكَ الْمَوْسِمِ [٢] نَفَراً [٣] مِنَ « الأَنْصَارِ » ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا عَرَضَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ[٤] ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ : « وَاللهِ » ! إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدُنَا [٥] بِهِ « الْيَهُودُ » ، فَلَا يَسْبِقُونَا إِلَيْهِ .

ـــ(قَوْلُ « الْيَهُودِ » للأَنْصَارِ : أَظَلَّ زَمَانُ « نَبِيٍّ » سَوْفَ نَتَّبِعُهُ وَنَقْتُلُكُمْ)ـــ

وَكَانَ «الْيَهُودُ» يَقُولُونَ لَهُمْ:« قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ نَبِيٍّ سَوْفَ نَتَّبِعُهُ وَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ . قَالَ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [٦] ـ أَيْ : يَسْتَنْصِرُونَهُ ـ ﴿ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْكَٰفِرِينَ ﴾ [٧] .

---

(١) انظر في « سيرة ابن هشام : ٤٢٨/١ » : « بَدْءُ إِسْلَامِ الأَنْصَارِ » .

(٢) « المَوْسِمُ » : « هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الحَاجُّ كُلَّ سَنَةٍ ، كَأَنَّهُ وُسِمَ بِذَلِكَ الْوَسْمِ ، وَهُوَ مَفْعِلٌ مِنْهُ ، اسْمٌ لِلزَّمَانِ ، لأَنَّهُ مَعْلَمٌ لَهُمْ » . « النهاية في غريب الحديث : ١٨٦/٥ ـ مادة : وسم » .

(٣) الأصل : « نفر » .

(٤) يريد : « الإسلام » .

(٥) الأصل : « تواعدنا » .

(٦) و (٧) « سورة البقرة : ٨٩/٢ ـ م ـ » .

—(الوَعْدُ بِوَضْعِ التَّكَالِيفِ وَحِلِّ الطَّيِّبَاتِ عَلَى لِسَانِهِ — ﷺ — لِلْيَهُودِ)—

وَكَانُوا قَدْ وُضِعَتْ عَلَيْهِمْ تَكَالِيفُ[1] شَاقَّةٌ ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ[2] أُحِلَّتْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ ، فَوُعِدُوا بِوَضْعِ[3] التَّكَالِيفِ وَحِلِّ الطَّيِّبَاتِ عَلَىٰ لِسَانِ « مُحَمَّدٍ » — ﷺ — ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ — : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾[4] — أَيْ : حِمْلَهُمُ الثَّقِيلَ — ﴿وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[5] ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا

---

(١) « التَّكَالِيفُ » : « التَّكَلُّفُ » اسمٌ لِمَا يُفْعَلُ بِمَشَقَّةٍ أَوْ تَصَنُّعٍ أَوْ تَشَبُّعٍ ، ولذلكَ صَارَ التَّكَلُّفُ عَلَى ضَرْبَيْنِ ، مَحْمُودٍ : وَهُوَ مَا يَتَحَرَّاهُ الإِنْسَانُ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إلى أَنْ يَصِيرَ الفِعْلُ الَّذِي يَتَعَاطَاهُ سَهْلاً عَلَيْهِ ، وَيَصِيرَ كَلِفاً بِهِ ، وَمُحِبّاً لَهُ ، وَبِهَذَا النَّظَرِ يُسْتَعْمَلُ التَّكْلِيفُ في تَكَلُّفِ العِبَادَاتِ .
وَالثَّانِي : مَذْمُومٌ ، وَهُوَ مَا يَتَحَرَّاهُ الإِنْسَانُ مُرَاءَاةً . « مفردات الراغب : ٤٥٦ — مادة : « كلف » .

(٢) « الطَّيِّبَاتُ » : ما كانَ في عِدادِ « الحلال » .

(٣) « بوضع التكاليف » ، أَيْ : « بِإِسْقَاطِهَا عَنْهُمْ وَتَحَلُّلِهِمْ مِنْهَا » .

(٤) و (٥) « سورة الأعراف : ١٥٧/٧ » : وجاءَ فِي تَفْسِيرِهِمَا : في « تفسير الطبري : ١٦١/١٣ و ١٦٥/١٣ و ١٦٦/١٣ و ١٦٨ » :

« قَالَ « أَبُو جَعْفَرٍ » : وَهَذَا القَوْلُ إِبَانَةٌ مِنَ « الله » — جَلَّ ثَنَاؤُهُ — عَنْ أَنَّ الَّذِينَ وَعَدَ « مُوسَىٰ » نَبِيَّهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — أَنْ يَكْتُبَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ =

إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ (١) .

= الَّتِي وَصَفَهَا ـ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ـ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، هُمْ أُمَّةُ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ ، لأَنَّهُ لاَ يُعْلَمُ للهِ « رَسُولٌ » وُصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَعْنِي « الأُمِّيَّ » غَيْرَ نَبِيِّنَا « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ » .

وَ « يَأْمُرُ هَذَا « النَّبِيُّ » الأُمِّيُّ أَتْبَاعَهُ بِالمَعْرُوفِ ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، فَذَلِكَ « المَعْرُوفُ » الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ » وَيَنْهَاهُمْ عَنِ « المُنْكَرِ » وَهُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ ، والانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَاهُمُ « اللهُ » عَنْهُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ،وَذَلِكَ مَا كَانَتِ «الجاهِلِيَّةُ» تُحَرِّمُهُ مِنَ « البَحَائِرِ » و « السَّوَائِبِ » وَ « الوَصَائِلِ » وَ « الحَوَامِي » . و « يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ » وَذَلِكَ « لَحْمُ الخِنْزِيرِ » ، وَ « الرِّبَا » ، وَمَا كَانُوا يَسْتَحِلُّونَهُ مِنَ المَطَاعِمِ وَالمَشَارِبِ الَّتِي حَرَّمَهَا « اللهُ » .

« وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ،وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ » .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : « يَعْنِي بِـ « الإِصْرِ » ، العَهْدَ وَالمِيثَاقَ الَّذِي كَانَ أَخَذَهُ عَلَى « بَنِي إِسْرَائِيلَ » بِالعَمَلِ فِي « التَّوْرَاةِ » .

« قَالَ « أَبُو جَعْفَرٍ » : « وَأَوْلَى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ « الإِصْرَ » هُوَ العَهْدُ . . . . وَأَنَّ مَعْنَى الكَلاَمِ : وَيَضَعُ « النَّبِيُّ » الأُمِّيُّ العَهْدَ الَّذِي كَانَ « اللهُ » أَخَذَهُ عَلَى « بَنِي إِسْرَائِيلَ » مِنْ إِقَامَةِ « التَّوْرَاةِ » وَالعَمَلِ بِمَا فِيهَا مِنَ الأَعْمَالِ الشَّدِيدَةِ ، كَقَطْعِ الجِلْدِ مِنَ البَوْلِ ، وَتَحْرِيمِ الغَنَائِمِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ مَفْرُوضَةً ، فَنَسَخَهَا حُكْمُ القُرْآنِ ، . . . . . وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُؤْمِنُوا « بِالنَّبِيِّ » فَيَضَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ » .

(١) « سورة البقرة : ٢٨٦/٢ ــ م ــ » . وجاء في « تفسير الطبري : ١٣٥/٦ » في تفسير هذه الآية : « قَالَ « أَبُو جَعْفَرٍ » : وَيَعْنِي بِذَلِكَ ــ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ــ : قُولُوا: ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً ﴾ يَعْنِي بِـ « الإِصْرِ »: العَهْدَ، وَإِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً ﴾ ، ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا «عَهْداً» فَنَعْجِزَ عَنِ القِيَامِ=

—(اجتماعُ « الرَّسُولِ » —ﷺ— بِنَفرٍ مِنَ « الأَنْصَارِ » وَانْتِشَارُ الإِسْلامِ في « المدينة »)—

فَلَمَّا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ السِّتَّةِ النَّفَرِ [(١)] مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَوْهُ لَيْلًا ، فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَقَالُوا : « إِنَّ قَوْمَنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ، فَإِنْ جَمَعَنَا اللهُ بِكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ » . فَلَمَّا قَدِمُوا « الْمَدِينَةَ » أَخْبَرُوا قَوْمَهُمْ ، وَفَشَا فِيهِمُ الْإِسْلَامُ ، فَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ « رَسُولِ اللهِ » — ﷺ — وَكَانَ ذٰلِكَ عَقِيبَ « يَوْمِ بُعَاثَ » [(٢)] — بِمُوَحَّدَةٍ مَضْمُومَةٍ ، ثُمَّ مُهْمَلَةٍ ، وَمُثَلَّثَةٍ — .

= بِهِ وَلاَ نَسْتَطِيعُهُ . ﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾، يَعْنِي : عَلَى « اليَهُودِ » وَ« النَّصَارَى» الَّذِينَ كُلِّفُوا أَعْمَالاً ، وَأُخِذَتْ عُهُودُهُمْ وَمَوَاثِيقُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا ، فَلَمْ يَقُومُوا بِهَا ، فَعُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ ، فَعَلَّمَ « اللهُ » — عَزَّ وَجَلَّ — أُمَّةَ « مُحَمَّدٍ » — ﷺ — الرَّغْبَةَ إِلَيْهِ بِمَسْأَلَتِهِ أَنْ لاَ يُحَمِّلَهُمْ مِنْ عُهُودِهِ وَمَوَاثِيقِهِ عَلَى أَعْمَالٍ — إِنْ ضَيَّعُوهَا أَوْ أَخْطَئُوا فِيهَا أَوْ نَسُوهَا — مِثْلَ الَّذِي حَمَّلَ مَنْ قَبْلَهُمْ ، فَيُحِلُّ بِهِمْ بِخَطِيئَتِهِمْ فِيهِ وَتَضْيِيعِهِمْ إِيَّاهُ ، مِثْلَ الَّذِي أَحَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ » .

(١) « النَّفَرُ » : « هُمْ رَهْطُ الإِنْسَانِ وَعَشِيرَتُهُ ، وَهُوَ اسْمُ جَمْعٍ ، يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ خَاصَّةً مَا بَيْنَ الثَّلاَثَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ وَلاَ وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .» . « النهاية فِي غَرِيبِ الحديث : ٩٣/٥ — مادة : « نفر » — » .

(٢) الأصل « بغاث » ، — وقد جَاءَ ضَبْطُهَا « بُعَاث » بضمّ المُوَحَّدَةِ ، وَحَكَى « الْقَزَّازُ » فِي « الجامِعِ » فَتْحَهَا ، وبِتَخْفِيفِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وآخِرُهُ الْمُثَلَّثَةُ — قَالَ « الجُمْهُورُ » وقالَ « ابنُ دريد » وَذَكَرَ عَنِ « الخَلِيلِ » إِعْجَامَهَا » . ولمْ يُسْمَعْ مِنْ غيرِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ . وَذَكَرَ «الأَزْهَرِيُّ» أَنَّ الَّذِي =

ـ(يَـوْمُ بُعَـاثٍ)ـ

وَهُوَ يَوْمٌ وَقَعَتْ فِيهِ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ « الْأَوْسِ » وَ « الْخَزْرَجِ » فِي شَوَّالٍ مِنْ هَٰذِهِ السَّنَةِ .

وفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » : « كَانَ « يَوْمُ بُعَاثٍ » يَوْماً قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ [ـ ﷺ ـ] (١) ، فَقَدِمَ [« رَسُولُ اللهِ »] (٢) ـ ﷺ ـ وَقَدِ افْتَرَقَ / مَلَؤُهُمْ (٣) ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ (٤) ، وَجُرِّحُوا (٥) [فَقَدَّمَهُ اللهُ [٨١ظ] لِرَسُولِهِ ـ ﷺ ـ] (٦) فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ » (٧) .

= صحَّفَهُ هو « اللَّيْثُ » كما زعم في روايته عَنِ « الخَلِيلِ » . وذكَرَ القاضي أنَّ (عبد الله بن إبراهيم الأموي) الأصيلي أحد رواة « الصحيح » رواه بالوجهين ، أي : بالعين المعجمة والعين المهملة ،وأن وجهاً واحداً هو الذي وقع في رواية « أبِي ذَرٍّ » بالغين المعجمة ، ويقال : إنَّ أبَا عُبَيْدَةَ ذَكَرَهُ بِالمُعْجَمَةِ أيْضاً . « سبل الهدى والرشاد : ٢٦٥/٣ » . وانظر : « تهذيب اللغة ٣٣٤/٢ و ٩٣/٨ » .

(١) و (٢) التكملتان عن « صحيح البخاري : ٣٨/٥ » .

(٣) الأصل : « ملاوهم » .

(٤) « سَرَوَاتٌ » : (جج) (سَرِي) ، و « السَّرِيُّ » جمعها : « أسرياء » ، و « سَرَاة » بالفتح على غير قياس ، وقد تُضَمُّ السين ـــ والاسم منه « السَّرْوُ » . و « السَّرَوَاتُ » : «الأَشْرَافُ».

(٥) الأصل : « وخرجوا فدخلو في الإسلام » .

(٦) التكملة عن « صحيح البخاري : ٣٨/٥ » .

(٧) « صحيح البخاري : ٣٨/٥ ـــ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار (١) باب مناقب الأنصار » . وانظر في « سبل الهدى والرشاد : ٢٦٥/٣ » شرح هذا الحديث .

—(عَقْدُ « الرَّسُولِ » — ﷺ — عَلَى « عَائِشَةَ »)—

وَفِي « شَوَّالٍ » مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ [١] عُقِدَ نِكَاحُ « عَائِشَةَ » — رَضِيَ اللهُ عَنْهَا — .

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » : « تُوُفِّيَتْ « خَدِيجَةُ » قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ [٢] سِنِينَ ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيباً [٣] مِنْ ذَلِكَ [وَنَكَحَ « عَائِشَةَ »] [٤] وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ، وَدَخَلَ بِهَا [٥] « وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ [سِنِينَ] » [٦] أَيْ : بَعْدَ سَنَةٍ وَنِصْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي شَوَّالٍ أَيْضاً .

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ — ﷺ — قَالَ « لِعَائِشَةَ » : [أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُ الْمَلَكَ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ [٧] مِنْ حَرِيرٍ ، فَقَالَ :

---

(١) الأصل : الثانية عشر .

(٢) في « صحيح البخاري : ٧١/٥ » : « توفيتْ « خديجةُ » قبلَ مخرجِ « النبيِّ » — ﷺ — إلى « المدينةِ » بثلاث سنينَ » .

(٣) الأصل : « قريب » .

(٤) التكملة عن « صحيح البخاري : ٧١/٥ » .

(٥) في « صحيح البخاري : ٧١/٥ » : « ثُمَّ بَنَى بِهَا » .

(٦) التكملة عن « صحيح البخاري : ٧١/٥ — (٦٣) كتاب مناقب الأنصار — (٤٤) باب تزويج « النبي » — ﷺ — « عائشة » — » .

(٧) « رَأَيْتُ المَلَكَ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ » أَيْ : « فِي قِطْعَةٍ مِنْ جَيِّدِ الحَرِيرِ » ، وَجَمْعُ « سَرَقَةٍ » « سَرَقٌ » . وَ « السَّرَقُ » قَالَ « أَبُو عُبَيْدٍ » : هِيَ الشُّقَقُ إلاَّ أَنَّهَا البِيضُ مِنْهَا خَاصَّةً ، وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ ، أَصْلُهَا : « سَرَه » وهُوَ : « الجَيِّدُ » . « النهاية في غريب الحديث : ٣٦٢/٢ — مادة : « سرق » .

« هَٰذِهِ زَوْجَتُكَ » فَأَكْشِفُ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: « إِنْ يَكُنْ [هَٰذَا] [١] مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ [٢] »][٣].

---

(١) التكملة عن « صحيح البخاري: ٦/٧: - (٦٧) كتاب النكاح - (٩) باب نكاح الأبكار ».

(٢) « إِنْ يَكُنْ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ »: قَالَ « القاضي »: « إِنْ كَانَتْ هَٰذِهِ الرُّؤْيَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَقَبْلَ تَخْلِيصِ أَحْلَامِهِ - ﷺ - مِنَ الأَضْغَاثِ فَمَعْنَاهَا: إِنْ كَانَتْ رُؤْيَا حَقٍّ. وَإِنْ كَانَتْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَلَهَا ثَلَاثُ مَعَانٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ تَكُنِ الرُّؤْيَا عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرِهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ وَتَفْسِيرٍ، فَسَيُمْضِيهِ « اللهُ » - تَعَالَى - وَيُنْجِزُهُ، فَالشَّكُّ عَائِدٌ إِلَى أَنَّهَا رُؤْيَا عَلَى ظَاهِرِهَا أَمْ تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ وَصَرْفٍ عَنْ ظَاهِرِهَا.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ كَانَتْ هَٰذِهِ الزَّوْجَةُ فِي الدُّنْيَا يُمْضِهَا اللهُ. فَالشَّكُّ فِي أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا أَمْ فِي الْجَنَّةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لَمْ يَشُكَّ، وَلَٰكِنْ أَخْبَرَ عَلَى التَّحْقِيقِ وَأَتَى بِصُورَةِ الشَّكِّ، كَمَا قَالَ: أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ؟ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْبَدِيعِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ يُسَمُّونَهُ تَجَاهُلَ الْعَارِفِ، وَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ: « مَزْجَ الشَّكِّ بِالْيَقِينِ ». « صحيح مسلم: ١٨٩٠/٤ - الحاشية (٢) - ».

(٣) « صحيح البخاري: ٧١/٥ - (٦٧) مناقب الأنصار (٤٤) باب تزويج « النبي » - ﷺ - « عائشة ». و « صحيح البخاري: ٦/٧ - (٦٧) كتاب النكاح - (٩) باب نكاح الأبكار - ». و « صحيح البخاري: ٤٦/٩ - (٩١) كتاب التعبير (٢٠) باب كشف المرأة في المنام. و (٢١) باب ثياب الحرير في المنام - ». و « صحيح مسلم: ١٨٨٩/٤ - ١٨٩٠ - (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (١٣) باب في فضل « عائشة » - رَضي الله عنها - الحديث: ٩ - (٢٤٣٨) - ».

ـ(بَيْعَةُ « الْعَقَبَةِ الأُولى » وَإِسْلَامُ « السَّعْدَيْنِ »)ـ

وَفِي الْمَوْسِمِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ (١) وَافَاهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَبَايَعُوهُ (٢) عِنْدَ « الْعَقَبَةِ » « بَيْعَةَ النِّسَاءِ » عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً ـ الْآيَة ـ (٣) ، وَرَجَعُوا وَبَعَثَ « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ مَعَهُمْ « مُصْعَبَ ابْنَ عُمَيْرٍ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ يُقْرِئُهُمُ « الْقُرْآنَ » ، فَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ « السَّعْدَانِ » ـ « سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ » ، « سَيِّدُ الْأَوْسِ » وَ « سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ » « سَيِّدُ الْخَزْرَجِ » ـ فَأَسْلَمَ لِإِسْلَامِهِمَا كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِمَا .

ـ(بَيْعَةُ « الْعَقَبَةِ الْكُبْرَى (٤) »)ـ

وَفِي الْمَوْسِمِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ خَرَجَ « حُجَّاجُ الْأَنْصَارِ » مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا « مَكَّةَ » وَاعَدُوا « رَسُولَ اللهِ » ـ ﷺ ـ [فِي] « الْعَقَبَةِ » مِنْ أَوْسَطِ لَيَالِي التَّشْرِيقِ ،

---

(١) الأصل : « الثانية عَشر » .

(٢) انظر : خبر « بيعة العقبة الأولى » في « سيرة ابن هشام : ٤٣١/١ » . و « طبقات ابن سعد : ١٤٧/١ » . و « عيون الأثر : ١٩١/١ » . و « إمتاع الأسماع : ٣٢/١ » .

(٣) ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، « سُورة الممتحنة : ١٢/٦٠ ـــ م ـــ » . وانظر : « صحيح البخاري : ١١/١ ـ (٢) كتاب الإيمان (١١) باب حدثنا أبو اليمان ـ » .

(٤) انظر : « بيعة العقبة الكبرى » في « سيرة ابن هشام : ٤٣٨/١ ، و « عيون الأثر : ١٩٢/١ » .

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْمِيعَادِ بَاتُوا مَعَ قَوْمِهِمْ فَلَمَّا مَضَى ثُلُثٌ[١] مِنَ اللَّيْلِ خَرَجُوا مُسْتَخْفِينَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِالشِّعْبِ عِنْدَ « الْعَقَبَةِ » جَاءَهُمْ «رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - وَمَعَهُ عَمُّهُ « الْعَبَّاس » وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بَاقٍ عَلَىٰ دِينِهِ ، لَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَثَّقَ لِابْنِ أَخِيهِ ، فَتَكَلَّمَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - وَقَالَ : « أَنَا مَعَكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ[٢] نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ »[٣] . قَالُوا : «نَعَمْ !» فَقَالَ لَهُمْ : « أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً[٤] كُفَلَاءَ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ» فَأَخْرَجُوهُمْ ، وَهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ « الْخَزْرَجِ » : « أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ »[٥] - بِضَمِّ الزَّاي[٦] - .وَ « الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ » - بِمُهْمَلَاتٍ - ، وَ«رَافِعُ بْنُ مَالِكِ ابْنِ عَجْلَانَ » ، وَ « سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ » ، وَ « سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ »[٧] ، وَ « عُبَادَةُ ابْنُ الصَّامِتِ » ، وَ « عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ » ، وَ « عَبْدُ اللهِ [بْنُ عَمْرٍو][٨] ابْنُ حَرَامٍ » - « وَالِدُ جَابِرٍ » - ، و « الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو »[٩] . وَثَلَاثَةٌ مِنَ

---

(١) الأصل : « مضى ثلثا من الليل » .

(٢) الأصل : « عنه » .

(٣) انظر : « ذكر بيعة العقبة مفصّلاً » في « المستدرك : ٦٢٥/٢ - كتاب التاريخ - » .

(٤) انظر : « تمام خبر العقبة » في « سيرة ابن هشام : ٤٤٣/١ » .

(٥) الأصل : « اسعد بن دراه » .

(٦) الأصل : « بضم الدال » .

(٧) الأصل : « سعد بن عباده وسعد » .

(٨) التكملة عن « سيرة ابن هشام : ٤٤٤/١ » .

(٩) الأصل : « المنذر بن عمر » ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٤٤٤/١ » .

« الْأَوْسِ » وَهُمْ : « أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ »[(١)] ـ مُصَغَّرَيْنِ ، وَبِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ ، وَصَادٍ مُعْجَمَةٍ ـ ، و « رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ » ، وَ « سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ » ـ بِمُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَتَحْتِيَّةٍ ، ثُمَّ مُثَلَّثَةٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ فَقَالَ لَهُمْ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « أَنْتُمْ كُفَلَاءُ عَلَىٰ قَوْمِكُمْ كَكَفَالَةِ « الْحَوَارِيِّينَ » [(٢)] « لِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ » وَأَنَا الْكَفِيلُ عَلَىٰ قَوْمِي » ، قَالُوا : « نَعَمْ ! » فَبَايَعُوهُ ، وَوَعَدَهُمْ عَلَىٰ الْوَفَاءِ الْجَنَّةَ ، وَجُمْلَتُهُمْ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ . وَرُوِيَ أَنَّ « جِبْرِيلَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ كَانَ إِلَىٰ جَنْبِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ عِنْدَ مُبَايَعَتِهِمْ ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ .

وَلَمَّا تَمَّتِ « الْبَيْعَةُ » صَاحَ « إِبْلِيسُ » ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ صَيْحَةً [(٣)] عَظِيمَةً مُنْكَرَةً ، مُشَبِّهاً صَوْتَهُ بِصَوْتِ « مُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيِّ » : « يَا أَهْلَ « مِنَىٰ ! » هٰذَا « مُحَمَّدٌ » وَأَهْلُ « يَثْرِبَ » قَدِ [(٤)] اجْتَمَعُوا

---

(١) الأصل : « أسيد بن حصين » ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٤٤٤/١ » .

(٢) « الحَوَارِيُّونَ » : ج « حَوَارِيّ » ، وَ « الحَوَارِيُّونَ » : أَصْحَابُ « المَسِيحِ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أَيْ : خُلَصَانُهُ وَأَنْصَارُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ « التَّحْوِيرِ » : « التَّبْيِيضِ » . قِيلَ : إِنَّهُمْ كَانُوا « قَصَّارِينَ » يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ : أي : يُبَيِّضُونَهَا ، قَالَ « الأَزْهَرِيُّ » : « الحَوَارِيُّونَ » : خُلَصَانُ الأَنْبِيَاءِ ، وَتَأْوِيلُهُ الَّذِينَ أُخْلِصُوا وَنُقُّوا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ » . « النهاية في غريب الحديث : ٤٥٧/١ ـ ٤٥٨ ـ مادة : « حَوَرَ » ـ » .

(٣) الأصل : « صحه » .

(٤) الأصل : « واجتمعوا » ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٤٤٧/١ » .

لِحَرْبِكُمْ » فَقَالَ لَهُ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « أَيْ عَدُوَّ اللهِ ! أَمَا « وَاللهِ ! » لَأَفْرَغَنَّ لَكَ » ثُمَّ تفرقوا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَتْ عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءُ / « قُرَيْشٍ » [٨٢ و] وَقَالُوا : « يَا مَعْشَرَ « الْخَزْرَجِ ! » بَلَغَنَا أَنَّكُمْ جِئْتُمْ إِلَىٰ صَاحِبِنَاتَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، وَتُبَايِعُونَهُ عَلَىٰ حَرْبِنَا ، وَإِنَّهُ وَاللهِ مَا [مِنْ] (١) حَيٍّ مِنَ « الْعَرَبِ » أَبْغَضُ إِلَيْنَا(٢) أَنْ تَنْشَبَ(٣) الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مِنْكُمْ . فَحَلَفَ «مُشْرِكُو الْأَنْصَارِ» مَا كَانَ مِنْ هَٰذَا وَلَا عَلِمْنَاهُ ، وَصَدَّقُوهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوهُ (٤) ، فَلَمَّا نَفَرَ (٥) النَّاسُ مِنْ « مِنًى » فَتَّشَتْ « قُرَيْشٌ » عَنِ الْخَبَرِ فَوَجَدُوهُ قَدْ كَانَ ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ فَفَاتُوهُمْ(٦) إِلَّا أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا « سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ » فَرَجَعُوا بِهِ أَسِيراً يَضْرِبُونَهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْهُمْ « مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ » وَ « الْحَارِثُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ » لِصَنَائِعَ كَانَتْ « لِسَعْدٍ » فِي رِقَابِهِمَا ، وَخَوَّفُوا « قُرَيْشاً » مِنْ تَعَرُّضِ « الْأَنْصَارِ » لَهُمْ عَلَىٰ طَرِيقِ « الشَّامِ » .

---

(١) التكملة عن « سيرة ابن هشام : ٤٤٨/١ » .

(٢) ما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٤٤٨/١٠ » ، والأصل : « علينا » .

(٣) الأصل : « تنشهب » ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٤٤٨/١ » .

(٤) الأصل : « لم يعلموا » .

(٥) الأصل : « فلما تفرقوا الناس » ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ٤٤٩/١ » .

(٦) الأصل : « ففاتوهم » .

ـ(طَلَائِعُ الْهِجْرَةِ إِلَى « الْمَدِينَةِ »)ـ

ثُمَّ إِنَّ « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « إِنَّ « اللهَ » قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وَدَاراً تَأْمَنُونَ بِهَا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » فَهَاجَرُوا إِلَيْهَا ، فَلَقَوْا عِنْدَ « الْأَنْصَارِ » خَيْرَ دَارٍ وَخَيْرَ جِوَارٍ ، آثَرُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَقَاسَمُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ، بِذٰلِكَ أَثْنَىٰ « اللهُ » عَلَيْهِمْ فِي مُحْكَمِ « كِتَابِهِ الْعَزِيزِ » بِقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1] ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُمْ ـ .

ـ(ثَنَاءُ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ عَلَى « الْأَنْصَارِ »)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ ـ ﷺ ـ قَالَ : « لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ « الْأَنْصَارِ » ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَشِعْباً ، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ[2] .

---

(١) « سورة الحشر : ٩/٥٩ ـ م ـ » .

(٢) تخريج الحديث : « صحيح مسلم : ٧٣٩/٢ ـ (١٢) كتاب الزكاة ـ (٤٦) باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ـ الحديث : ١٣٩ ـ (١٠٦١) » . و « صحيح البخاري : ٣٨/٥ ـ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار ـ (٢) باب قول « النبي » ـ ﷺ ـ : « لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار » .

—(تَوْصِيَةُ « الرَّسُولِ » — ﷺ — أَصْحَابَهُ « بِالأَنْصَارِ » خَيْراً)—

وَفِيهِمَا أَنَّهُ — ﷺ — قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ : « أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ [خَيْراً][1] فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي [2] ، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » [3] .

—(انْتِظَارُ « الرَّسُولِ » — ﷺ — « الْوَحْيَ » لِلإِذْنِ لَهُ مِنْ رَبِّهِ فِي الهِجْرَةِ إلى المدينة)—

وَأَقَامَ — ﷺ — « بِمَكَّةَ » يَنْتَظِرُ الإِذْنَ فِي الْهِجْرَةِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَإِلَّا « أَبُو بَكْرٍ » وَ « عَلِيٌّ »[4] — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — فَإِنَّهُمَا حَبَسَا أَنْفُسَهُمَا عَلَى صُحْبَةِ « رَسُولِ اللَّهِ » — ﷺ — [5] .

(١) زيادة على نص « صحيح البخاري : ٤٣/٥ » .

(٢) « الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي » : « أَرَادَ أَنَّهُمْ بِطَانَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ وَأَمَانَتِهِ ، وَالَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِ ، وَاسْتَعَارَ الْكَرِشَ وَالْعَيْبَةَ لِذَلِكَ ، لأَنَّ الْمُجْتَرَّ يَجْمَعُ عَلَفَهُ فِي كَرِشِهِ ، وَالرَّجُلُ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي عَيْبَتِهِ » .
وَقِيلَ : أَرَادَ بِالْكَرِشِ الجَمَاعَةَ . أيْ : « جَمَاعَتِي وَصَحَابَتِي . وَيُقَالُ : « عَلَيْهِ كَرِشٌ مِنَ النَّاسِ » ، أي : « جَمَاعَةٌ » . « النهاية في غريب الحديث : ١٦٣/٤ — ١٦٤ — مادة : « كرش » — » .

(٣) « صحيح البخاري : ٤٣/٥ — (٦٣) مناقب الأنصار — (١١) باب « اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مُسِيئِهِمْ » .

و « صحيح مسلم : ١٩٤٩/٤ — (٤٤) كتاب فضائل الصحابة — (٤٣) باب من فضائل الأنصار — رضي الله عنهم — .

(٤) الأصل : « عمر » ، وَهُوَ خطأٌ . انظر : « سيرة ابن هشام : ٤٨٠/١ » .

(٥) انظر خبر « هجرة « الرسول » — ﷺ — في « سيرة ابن هشام : ٤٨٠/١ » .

—(حَدِيثُ رُؤْيَا « النَّبِيِّ » — ﷺ — بِمُهَاجَرَتِهِ مِنْ « مَكَّةَ » إلى أَرْضٍ بها نَخْلٌ)—

وَفِي « صَحِيحَيْ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » أَنَّهُ — ﷺ — قَالَ : « رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ (١) مِنْ « مَكَّةَ » إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهْلِي (٢) إِلَىٰ أَنَّهَا « الْيَمَامَةُ » [أَوْ « هَجَرُ » (٣)] فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ « يَثْرِبُ » (٤) .

قُلْتُ : « هَٰكَذَا سَمَّاهَا « يَثْرِبَ » (٥) ثُمَّ سَمَّاهَا « طَيْبَةَ » وَنَهَىٰ عَنْ تَسْمِيَتِهَا « يَثْرِبَ » » .

—(الْمُهَاجِرُونَ الأَوَائِلُ مِنْ « مَكَّةَ » إلى « المَدِينَةِ »)—

وَفِيهِمَا : — عَنِ « الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ » — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — قَالَ : «أَوَّلُ

---

(١) الأصل : « أني هاجرت » ، وما أثبت في « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » .

(٢) « وَهْلِي » ، يقال : « وَهَلَ إلى الشَّيْءِ ، بالفَتْحِ ، يَهِلُ ، بالكَسْرِ ، وَهْلاً ، بالسُّكُونِ ، إذا ذَهَبَ وَهْمُهُ إِلَيْهِ » . « النهاية في غريب الحديث : ٥/٢٣٣ — مادّة : « وَهَلَ » — » .

(٣) التكملة عن « صحيحي البخاري ، ومسلم » .

(٤) « صحيحُ البُخَارِيِّ : ٩/٥٢ — (٩١) كتاب التعبير — (٣٩) باب إذا رأى بَقَراً تُنْحَرُ — » . و « صحيح مُسْلِمٍ : ٤/١٧٧٩ — (٤٢) كتاب الرؤيا — (٤) باب رُؤْيَا « النَّبِيِّ » — ﷺ — — الحديث : ٢٠ — (٢٢٧٢) » .

(٥) عَدَّدَ « السَّمْهُودِيُّ » فِي كِتَابِهِ : « وَفَاءُ الوَفَا بِأَخْبَارِ دَارِ المصطَفَى : ١/٨–٢٧ » أَرْبَعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً لِلْمَدِينَةِ « يثرب » ، وَأَوْضَحَ اشْتِقَاقَ كُلِّ اسمٍ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ ، وذكر « الشمس الشاميُّ » في كتابِهِ « سبل الهدى والرَّشاد : ٣/٤١٤ — ٤٢٦ » « خَمْسَةً وَتِسْعِينَ اسماً لها » .

مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا « مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ » وَ « ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ » وَكَانَا يُقْرِئَانِ (١) النَّاسَ ، ثُمَّ قَدِمَ « سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ » ، وَ « بِلَالٌ » ، وَ « عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ » ، ثُمَّ قَدِمَ « عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ « النَّبِيِّ » - ﷺ - ، ثُمَّ قَدِمَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - [فَمَا رَأَيْتُ « أَهْلَ الْمَدِينَةِ » فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ « اللهِ » - ﷺ - حَتَّىٰ جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ : « قَدِمَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - » (٢)] (٣) .

(تآمُرُ « قُرَيْشٍ » عَلَى « الرَّسُولِ » - ﷺ - في « دَارِ النَّدْوَةِ »)

فَلَمَّا رَأَتْ « قُرَيْشٌ » مَا لَقِيَ أَصْحَابُ « رَسُولِ اللهِ » - ﷺ - مِنْ حُسْنِ الدَّارِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ خَافُوا خُرُوجَ « النَّبِيِّ » - ﷺ - فَاجْتَمَعُوا فِي أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ (٤) فِي « دَارِ النَّدْوَةِ » وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ ، وَتَصَوَّرَ لَهُمْ « إِبْلِيسُ » فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِيٍّ ، مُشَارِكاً لَهُمْ فِي الرَّأْيِ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : « أَرَىٰ أَنْ تَرْبِطُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَتُغْلِقُوا دُونَهُ الْأَبْوَابَ حَتَّىٰ يَمُوتَ » (٥) . وَقَالَ آخَرُ : « أَرَىٰ أَنْ تُخْرِجُوهُ / مِنْ [٨٢ ظ]

(١) الأصل : « وكانوا يقرون الناس » ، وما أثبت في « صحيح البخاري : ٨٤/٥ » .

(٢) التكملة عن « صحيح البخاري : ٨٤/٥ » .

(٣) « صحيح البخاري : ٨٣/٥ - ٨٤ - (٦٣) مناقب الأنصار - (٤٦) باب مقدم « النبيّ » - ﷺ - وأصحابه « المدينة » .

(٤) الأصل : « الرابعة عشر » .

(٥) « سيرة ابن هشام : ٤٨١/١ » .

بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ ، وَإِنْ قَتَلَهُ غَيْرُكُمْ كَفَاكُمْ شَرَّهُ ، وَإِنْ ظَفِرَ « بِالْعَرَبِ » فَعِزُّهُ عَنْ عِزِّكُمْ » . فَقَالَ « أَبُو جَهْلٍ » : « الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تُخْرِجُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلًا فَيَقْتُلُوهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ فَيَعْجَزَ قَوْمُهُ عَنْ طَلَبِ الثَّأْرِ بِهِ». فَقَالَ «الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ» : «هَٰذَا «وَاللهِ!» هُوَ الرَّأْيُ . فَتَفَرَّقُوا عَلَىٰ ذَٰلِكَ » (١) .

ـ(إِخْبَارُ « جِبْرِيلَ » « الرَّسُولَ » ـ ﷺ ـ بِمَا بَيَّتَتْهُ لَهُ « قُرَيْشٌ »)ـ

فَأَخْبَرَ « جِبْرِيلُ » « النَّبِيَّ » ـ ﷺ ـ بِمَا قَصَدُوا لَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ لَيْلَةَ كَذَا ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي عَلِمَ « اللهُ » أَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ بِهِ فِيهَا . وَفِي [ذَٰلِكَ] (٢) يَقُولُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ مُذَكِّراً لَهُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ﴾ (٣) ـ أَيْ : يَحْبِسُوكَ ـ ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ﴾ (٤) ـأَي : يُحَارِبُهُمْـ ﴿ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) انظر : « سيرة ابن هشام : ١/٤٨٠ ـ ٤٨٢ » وانظر أيضاً : « طبقات ابن سعد : ١/١٥٣ » .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

(٣) و (٤) و (٥) « سورة الأنفال : ٨/٣٠ ـ م ـ » .

ـ(إِعْدَادُ « أَبِي بَكْرٍ » الْعُدَّةَ لِلْهِجْرَةِ مَعَ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ إلى « الْمَدِينَةِ »)ـ

وَكَانَ « أَبُو بَكْرٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَدْ كَانَ يُجَهِّزُ لِلْهِجْرَةِ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » ، فَقَالَ لَهُ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « عَلَىٰ رِسْلِكَ » ـ أَيْ : أَمْهِلْ ـ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي فَعَلَفَ « أَبُو بَكْرٍ » رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَ « وَرَقِ السَّمُرِ » .

قَالَتْ « عَائِشَةُ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا [١] ـ : « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ إِذْ أَقْبَلَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ قَالَتْ : فَلَمَّا رَآهُ أَبِي [٢] قَالَ : مَا جَاءَ [٣] « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ فِي هَٰذِهِ السَّاعَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا إِلَّا لِأَمْرٍ قَدْ حَدَثَ ، فَلَمَّا دَخَلَ ـ ﷺ ـ قَالَ لَهُ : « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » قَالَ : « فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ » . قَالَ : « فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، وَوَاعَدَهُ وَقْتَ السَّحَرِ ، وَأَمَرَهُ بِالتَّجْهِيزِ . قَالَتْ « عَائِشَةُ » : فَجَهَّزْنَاهُمَا بِأَحَبِّ الْجِهَازِ [٤] ، وَاسْتَأْجَرَ رَجُلًا دَلِيلًا مَاهِراً ، قَدْ دَفَعَا إِلَيْهِ

---

(١) الأصل : « عنهما » .

(٢) الأصل : « فقال أبو بكر فرآه أبي وأمي » .

(٣) الأصل : « ما حانا في هذه الساعة » .

(٤) « الجِهَازُ » : « مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُسَافِرُ ، وَالْغَازِي ، وَالْجَيْشُ ، وَالْقَافِلَةُ ، وَالْعَرُوسُ » .

رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ « غَارَ ثَوْرٍ » ثَلَاثَ لَيَالٍ ، ثُمَّ لَحِقَا « بِالْغَارِ » فَمَكَثَا فِيهِ ثَلَاثاً ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا (١) « عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ » ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَطِنٌ ، وَيَدَّلِجُ (٢) مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ ، فَيُصْبِحُ « بِمَكَّةَ » مَعَ « قُرَيْشٍ » كَبَائِتٍ [فِيهَا] (٣) ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْراً « يُكَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ ، وَأَتَاهُمَا بِذٰلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا « عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ » ــ مَوْلَى « أَبِي بَكْرٍ » ــ مَنَايِحَ (٤) مِنْ غَنَمٍ ، فَيُرِيحُهَا (٥) عَلَيْهِمَا عَشِيّاً ، وَيَنْعَقُ (٦) بِهَا مِنْ عِنْدِهِمْ .

---

(١) الأصل : « يبيت عندها » .

(٢) « يَدَّلِجُ » : يُقَالُ : « ادَّلَجَ » ــ بالتشديد ــ إذا سَارَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، والاسم : « الدَّلْجَةُ » .

ويقالُ : « أَدْلَجَ ــ بِالتَّخْفِيفِ ــ إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَالاسْمُ : « الدُّلْجَةُ »

انظر : « النهاية في « غريب الحديثِ : ١٢٩/٢ ــ مادة : « دلج » » .

(٣) التكملة يقتضيها السِّياقُ .

(٤) « يَرْعَى عَلَيْهِمَا مَنَايِحُ » : أي « يَرْعَى عَلَيْهِمَا غَنَمٌ فِيهَا لَبَنٌ لِغِذَائِهِمَا » ، و « المَنَايِحُ » جمع « مِنْحَةٍ » ، وَ « المِنْحَةُ » عِنْدَ العَرَبِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ :

أحدهما أَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ صِلَةً فَتَكُونُ لَهُ .

والأُخْرَى أَنْ يَمْنَحَهُ شَاةً أَوْ نَاقَةً ينتفعُ بلبنِهَا وَوَبَرِهَا زَمَاناً ثُمَّ يَرُدُّهَا ، وَهُوَ تَأْوِيلُ قولِهِ ــ ﷺ ــ : « المِنْحَةُ مَرْدُودَةٌ » ــ » .

« النهاية في غريب الحديث : ٣٦٤/٢ ــ الحاشية (١) ــ » .

(٥) « يُرِيحُهَا » : « يَأْوِي بِهَا لَيْلاً » . « النهاية في غريب الحديث : ٢٧٣/٢ ــ مادة : « روح » ــ » .

(٦) « يَنْعَقُ بِغَنَمِهِ » : يصيح بِهَا . وَيُقَالُ : « نَعَقَ الرَّاعِي بِالْغَنَمِ يَنْعَقُ نَعِيقاً فَهُوَ نَاعِقٌ : إِذَا دَعَاهَا لِتَعُودَ إِلَيْهِ » . « النهاية في غريب الحديث : ٨٢/٥ ــ مادة : « نعق » ــ » .

—(خُرُوجُ « النَّبِيِّ » – ﷺ – مِنْ بَيْتِهِ في « مَكَّةَ » مُهَاجِراً إلى « المَدِينَةِ »)—

« وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَبْلَ خُرُوجِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – مِنْ دَارِهِ قَدْ قَعَدُوا لَهُ عَلَىٰ بَابِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَقَالَ « النَّبِيُّ » – ﷺ – « لِعَلِيٍّ » – رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ – : « نَمْ عَلَىٰ فِرَاشِي وَتَسَجَّ [1] بِبُرْدِي هَٰذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ فَنَمْ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ [2] . وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ « رَسُولُ اللهِ » – ﷺ – وَبِيَدِهِ حُفْنَةٌ [3] مِنَ التُّرَابِ ، وَهُوَ يَتْلُو [4] صَدْرَ « سُورَةِ يَس » إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [5] ، فَأَعْمَىٰ « اللهُ » أَبْصَارَهُمْ عَنْهُ وَجَعَلَ يَنْثُرُ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمُ التُّرَابَ فَأَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ : « مَا تَنْتَظِرُونَ [هَٰهُنَا ؟] [6] » قَالُوا : « مُحَمَّداً » قَالَ: « خَيَّبَكُمُ [7] اللهُ ! « واللهِ ! » وَ « اللهِ ! » لَقَدْ خَرَجَ عَلَيْكُمْ « مُحَمَّدٌ » وَمَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَاباً ، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ ؟ قَالَ : فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهَا تُرَابٌ ، كَمَا قَالَ [8] .

---

(١) « تَسَجَّى بِالثَّوْبِ » : « غَطَّىٰ بِهِ جَسَدَهُ وَوَجْهَهُ » .

(٢) « سيرة ابن هشام : ١/٤٨٢ – ٤٨٣ » .

(٣) « الحَفْنَة » وَ « الحُفْنَةُ » : « هِيَ مِلْءُ الكَفِّ أَوْ مِلْءُ الْكَفَّيْنِ مِنْ شَيْءٍ » .

(٤) الأصل : « يتلو فيها » .

(٥) « سورة يس : ٣٦/٩ – ك – » .

(٦) التكملة عن « سيرة ابن هشام : ١/٤٨٣ » .

(٧) الأصل : « أخيبكم الله » ، وما أثبت في « سيرة ابن هشام : ١/٤٨٣ » .

(٨) النص ماخص عن « سيرة ابن هشام : ١/٤٨٢ – ٤٨٣ » .

ثُمَّ نَظَرُوا إِلَىٰ الْفِرَاشِ فَوَجَدُوا « عَلِيّاً » الْمُسَجَّىٰ بِالْبُرْدِ فَبَقَوْا مُتَحَيِّرِينَ ، وَفَتَرَ حِرْصُهُمْ عَلَىٰ « النَّبِيِّ » - ﷺ - فَلَمَّا عَلِمُوا بِخُرُوجِهِمْ وَقَعُوا فِي الْأَسَفِ ، فَطَلَبُوهُمْ بِأَشَدِّ وُجُوهِ الطَّلَبِ ، وَأَخَذُوا عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ / بِالرَّصَدِ ، [٨٢ و] وَجَعَلُوا دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ أَسَرَهُ أَوْ قَتَلَهُ ، وَمَرُّوا عَلَىٰ غَارِهِمَا ، فَأَعْمَىٰ « اللهُ » أَبْصَارَهُمْ عَنْهُمَا ، وَأَلْهَمَ « اللهُ » الْعَنْكَبُوتَ فَنَسَجَتْ عَلَىٰ فَمِ الْغَارِ ، وَحَمَامَتَيْنِ فَعَشْعَشَا عَلَىٰ فَمِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَٰلِكَ قَالُوا : « لَوْ دَخَلَ أَحَدٌ مَا كَانَ هٰكَذَا » .

-(الحَدِيثُ : مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟)-

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » مِنْ حَدِيثِ « أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ » عَنْ « أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ ، فَقُلْتُ : « يَا « رَسُولَ اللهِ ! » لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا [1] تَحْتَ قَدَمَيْهِ » فَقَالَ : « يَا « أَبَا بَكْرٍ ! » مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا » [2] . وَفِي ذَٰلِكَ يَقُولُ اللهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ

---

(١) وجاء في « صحيح مسلم : ٤/١٨٥٤ » : « أبصرنا » .

(٢) « صحيح البخاري : ٤/٥ - (٦٢) فضائل أصحاب « النبي » - ﷺ - - (٢) باب مناقب المهاجرين » . و « صحيح البخاري : ٦/٨٣ - (٦٥) كتاب التفسير - سورة براءة (٩) - (٩) باب قوله : ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » .

و « صحيح مسلم : ٤/١٨٥٤ - (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (١) باب من فضائل أبي بكر الصديق - الحديث : ١/ (٢٣٨١) - » .

فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ [1] .

—(المُعْجِزَاتُ فِي « هِجْرَتِهِ » — ﷺ — فِي « بُرْدَةِ الْبُوصِيرِيِّ »)—

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ صَاحِبِ « الْبُرْدَةِ » :

« أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةٌ مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ [2] مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

فَالصِّدْقُ [3] فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ [4] لَمْ يَرِمَا [5]
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ [6]

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

---

(١) « سورة التوبة : ٩/٤٠ — م — » .

(٢) « الطَّرْفُ » : « الْعَيْنُ » .

(٣) « الصدق » : « هو نبينا الصادق — ﷺ — .

(٤) « الصدِّيق » : لَقَبُ « أبي بكر » — رضي الله عنه — .

(٥) « لم يرما الغار » : « لم يبرحاه » .

(٦) « مَا بالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ » : أي : « أَحَدٌ » .

وِقَـايَـةُ اللهِ أَغْنَتْ عَـنْ مُضَاعَفَـةٍ
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَـنْ عَـالٍ مِـنَ الْأُطُمِ (١) » (٢)

وَبَعْدَ الثَّلَاثِ جَاءَهُمُ الدَّلِيلُ بِالرَّاحِلَتَيْنِ فَارْتَحَلُوا ، وَأَرْدَفَ « النَّبِيُّ » - ﷺ - « عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ » لِيَخْدُمَهُمَا فَأَخَذَهُمَا الدَّلِيلُ [عَنْ] (٣) طَرِيقِ السَّوَاحِلِ .

ـ(حَدِيثُ الرَّحْلِ)ـ

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » - مِنْ حَدِيثِ « الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ » - رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُمَا ، عَنْ « أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ » - رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ - قَالَ : « فَأَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا . حَتَّىٰ قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ(٤) ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ ، حَتَّىٰ رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ(٥) طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ [بَعْدُ](٦) ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا ، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ (٧) بِيَدِي مَكَاناً ، يَنَـامُ فِيـهِ

(١) « الأُطُمُ » ج آطام : « حصن مبني بالحجارة » .
(٢) « ديوان البوصيري : ٢٤٣ » .
(٣) التكملة يقتضيها السياق .
(٤) « قائم الظهيرة » : نصف النهار . وهو حال استواء الشمس . سمي قائماً لأَنَّ الظِّلَّ لا يَظهَرُ ، فكأنَّهُ واقفٌ قائمٌ .
(٥) « رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ » : أيْ : « ظَهَرَتْ لأَبْصَارِنَا » .
(٦) ساقطة في الأصل ، والتكملة عن « صحيح مسلم : ٢٣٠٩/٤ » .
(٧) الأصل : « وسويت » ، وما أثبت في « صحيح مسلم : ٢٣٠٩/٤ » .

« رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - [فِي ظِلِّهَا] [١] ، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً . ثُمَّ قُلْتُ : « نَمْ يَا «رَسُولَ اللهِ! » وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ [٢] ، فَنَامَ ، وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي [٣] غَنَمٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا ، فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ : « لِمَنْ أَنْتَ ؟ » «يَا غُلَامُ! » فَقَالَ : « لِرَجُلٍ مِنْ « أَهْلِ الْمَدِينَةِ »[٤] - يَعْنِي : «مَكَّةَ» فَهُوَ صِفَةٌ لَا عَلَمٌ - قُلْتُ : « أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : « أَفَتَحْلِبُ لِي ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » فَأَخَذَ شَاةً ، فَقُلْتُ لَهُ : « انْفُضِ الضَّرْعَ [٥] مِنَ الشَّعْرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَىٰ » [٦] ، فَحَلَبَ لِي ، فِي قَعْبٍ مَعَهُ - أَي : قَدَحٍ

(١) التكملة عن « صحيح مسلم : ٢٣٠٩/٤ » .

(٢) « وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ » : أَيْ : أَحْرُسُكَ وَأَطُوفُ هَلْ أَرَى طَلَباً ، « يُقَالُ : « نَفَضْتُ الْمَكَانَ وَاسْتَنْفَضْتُهُ وَتَنَفَّضْتُهُ » : إِذَا نَظَرْتَ جَمِيعَ ما فيه » ، وَ « النَّفْضَةُ » - بِفَتْحِ الفَاءِ وَسُكُونِهَا - ، وَ « النَّفِيضَةُ » : قَوْمٌ يُبْعَثُونَ مُتَجَسِّسِينَ ، هَلْ يَرَوْنَ عَدُوّاً أَوْ خَوْفاً » . « النهاية في غريب الحديث : ٩٧/٥ - مادة : نفض - » .

(٣) الأصل : « براعٍ مقبلٍ » ، وَمَا أثبت في « صحيح مسلم : ٢٣١٠/٤ » .

(٤) لَمْ يُطْلَقْ عَلَى « يَثْرِبَ » اسْمُ « الْمَدِينَةِ » إِلاَّ بَعْدَ هِجْرَةِ « الرَّسُولِ » - ﷺ - إِلَيْهَا ، فَعُرِفَتْ بَعْدَئِذٍ بِاسْمِ مَدِينَةِ « النَّبِيِّ » - ﷺ - ثُمَّ سُمِّيَتِ «الْمَدِينَةَ» اخْتِصَاراً .

(٥) الأصل : « الدرع » .

(٦) « الْقَذَى » ج « قَذَاةٍ » ، وهُوَ مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَالْمَاءِ وَالشَّرَابِ مِنْ تُرَابٍ أَوْ تِبْنٍ أَوْ وَسَخٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . « النهاية في غريب الحديث : ٣٠/٤ - مادة : « قذا » .

[مِنْ خَشَبٍ مُقَعَّرٍ [1]] - كُثْبَةً [2] مِنْ لَبَنٍ . قَالَ وَمَعِي إِدَاوَةٌ [3] أَرْتَوِي [4] فِيهَا لِلنَّبِيِّ - ﷺ - لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ . قَالَ : فَأَتَيْتُ « النَّبِيَّ » - ﷺ - . وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ ، فَوَقَفْتُ حَتَّىٰ اسْتَيْقَظَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ [5] ، فَصَبَبْتُ عَلَىٰ اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ [6] حَتَّىٰ بَرَدَ أَسْفَلُهُ . فَقُلْتُ : « يَا « رَسُولَ اللهِ ! » اشْرَبْ مِنْ هَـٰذَا اللَّبَنِ . قَالَ فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَضِيتُ . ثُمَّ قَالَ : « أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ ؟ » قُلْتُ : « بَلَىٰ » ، قَالَ : فَارْتَحَلْنَا [7] بَعْدَ مَا زَالَتِ الشَّمْسُ . وَاتَّبَعَنَا [8] « سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ » قَالَ : وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ - أَيْ : مَوْضِعٍ صَلْبٍ - . فَقُلْتُ :

---

(١) التكملة يقتضيها التوضيح .

(٢) الأصل : « كتبه » وَ « الْكُثْبَةُ » : هي قَدْرُ الْحَلْبَةِ . قالهُ ابنُ السِّكِّيت ، وقيل : هي القليل مِنْهُ .

(٣) « الإِدَاوَةُ » - بالكسر - : « إناءٌ صغيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُتَّخَذُ لِلْمَاءِ كَالسَّطِيحَةِ وَنَحْوِها ، وَجَمْعُهَا « أَدَاوَى » . « النهاية في غريب الحديث : ٣٢/١ - مادة : « أدا » .

(٤) « أرْتَوِي » : « أَسْتَقِي » .

(٥) وجاء في « صحيح مسلم : ٢٣١٠/٤ » : « فَوَافَقْتُهُ استيقظ » .

(٦) الأصل : « فصببتُ من اللبن على الما » . وجاء في « صحيح البخاري : ٤/٥ » : « فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ » . وما أثبت في « صحيح مسلم : ٢٣١٠/٤ » .

(٧) الأصل : « فارتحلنا » ، وما أثبت في « صحيح مسلم : ٢٣١٠/٤ » .

(٨) الأصل : « فاتبعنا » ، وما أثبت في « صحيح مسلم : ٢٣١٠/٤ » .

« يَا «رَسُولَ اللهِ! » أُتِينَا » . فَقَالَ : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ [١] ، فَدَعَا عَلَيْهِ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَىٰ بَطْنِهَا [٢] . [أُرَىٰ] [٣] فَقَالَ : « إِنِّي قَدْ [٤] عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ » فَادْعُوَا لِي ، فَاللهُ [٥] لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ ، / فَدَعَا لَهُ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ اللهَ [٨٣ ظ] فَنَجَا ، فَرَجَعَ [٦] لَا يَلْقَىٰ أَحَداً [٧] إِلَّا قَالَ : « قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هٰهُنَا . فَلَا [٨] يَلْقَىٰ أَحَداً إِلَّا رَدَّهُ ، قَالَ وَوَفَىٰ لَنَا » [٩] .

فَأَقَامَ ـ ﷺ ـ «بِقُبَاءٍ» ، ثُمَّ دَخَلَ «الْمَدِينَةَ» يَوْمَ الإِثْنَيْنِ أَيْضاً . قَالَ «أَبُو بَكْرٍ» ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : فَقَدِمْنَا « الْمَدِينَةَ » لَيْلًا ، فَتَنَازَعَهُ الْقَوْمُ [١٠] ،

---

(١) « سورة التوبة : ٩/٤٠ ـ م ـ » .

(٢) « فَارْتَطَمَتْ فرسُه إلى بطنِها » ، أي : « غاصَت قوائمها في تلك الأرض الجَلَدِ » .

(٣) التكملة عن « صحيح مسلم » : ٤/٢٣١٠ » .

(٤) الأصل : « إني علمت » ، وما أثبت في « صحيح مسلم » : ٤/٢٣١٠ » .

(٥) الأصل : « والله » ، وما أثبت في « صحيح مسلم » : ٤/٢٣١٠ » .

(٦) الأصل : « فجعل » .

(٧) الأصل : « أحد » .

(٨) الأصل : « ما يلقى » .

(٩) « صحيح البخاري : ٥/٣ ـ ٤ ـ (٦٢) كتاب أصحاب « النبي » ـ ﷺ ـ (٢) باب مناقب المهاجرين وفضلهم » .

و « صحيح مسلم : ٤/٢٣٠٩ ـ ٢٣١٠ ـ (٥٣) كتاب الزهد ـ (١٩) باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل ـ الحديث : ٧٥ ـ (٢٠٠٩) ـ » .

(١٠) الأصل : « فتنازعوا على أيهم ينزل » ، وما أثبت في « البداية والنهاية : ٣/١٩٦ » .

أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ [« رَسُولُ اللهِ » — ﷺ —] (١) : « أَنْزِلُ عَلَى « بَنِي النَّجَّارِ » أَخْوَالِ « عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » أُكْرِمُهُمْ بِذٰلِكَ » (٢) .

فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ يُنَادُونَ: « جَاءَ « مُحَمَّدٌ » جَاءَ « رَسُولُ اللهِ » (٣) .

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » أَنَّ « سُرَاقَةَ » قَالَ : « فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ « عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ » فَكَتَبَ » (٤) .

زَادَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » عَنْهُ ، فَلَقِيَهُ « بِالْجِعْرَانَةِ » فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ ، فَقُلْتُ : [« يَا « رَسُولَ اللهِ ! »] هٰذَا كِتَابُكَ لِي ، وَأَنَا « سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ »

---

(١) التكملة عن « البداية والنهاية : ١٩٦/٣ » .

(٢) « البداية والنهاية : ١٩٦/٣ » .

(٣) انظر : « المستدرك : ١٢/٣ — ١٣ — كتاب الهجرة — » .

(٤) « صحيح البخاري : ٧٧/٥ — (٦٣) مناقب الأنصار — (٤٥) باب هجرة « النبي » — ﷺ — إلى « المدينة » . و « المستدرك : ٦/٣ — ٧ — كتاب الهجرة — » .

وجاء في « سُبُلِ الهُدَى وَالرَّشَادِ : ٣٥٣/٣ » روايتان :

« الأولى » : « فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ مُوَادَعَةٍ آمَنُ بِهِ ، قالَ : اكْتُبْ يَا أَبَا بَكْرٍ ! » .

و « الثانية » : فَأَمَرَ « عامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ » فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ، ثُمَّ مَضَى « رَسُولُ اللهِ » — ﷺ — .

وانظر الخبرَ فِي « سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : ٤٩٠/١ » .

فَقَالَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - « نَعَمْ » هٰذَا يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ ، أُدْنُهْ » . قَالَ : « فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَأَسْلَمْتُ » .

-(« نُزُولُ الرَّسُولِ » - ﷺ - فِي خَيْمَةِ « أُمِّ مَعْبَدٍ »)-

قَالَ « عُلَمَاءُ السِّيَرِ » : « وَلَمْ تَدْرِ « قُرَيْشٌ » أَيْنَ تَوَجَّهَ « رَسُولُ اللهِ » - ﷺ - حَتَّىٰ سَمِعُوا وَقْتَ الصُّبْحِ هَاتِفاً مِنْ مُؤْمِنِي الْجِنِّ يُنْشِدُ « بِمَكَّةَ » فِي الْهَوَاءِ :

جَزَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ (١) خَيْرَ جَزَائِهِ
رَفِيقَيْنِ حَلَّا (٢) خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ (٣)

---

(١) في « طبقات ابن سعد : ١/١٥٦ » و « سيرة ابن هشام : ١/٤٨٧ » و « تاريخ الطبري : ٢/٣٨٠ » و « الاكتفاء: ١/٤٤٨ » و « أنساب الأشراف : ١/٢٦٢ » و « المستدرك - للحاكم - ٣/١٠ » و « السيرة الحلبية ٢١/٢٢٩ » : « رب الناس » . وما أثبت في « الأصل » و « بهجة المحافل : ١/١٥٢ » .

(٢) في « طبقات ابن سعد: ١/١٥٥ » و « الاكتفاء : ١/٤٤٨ » و « نهاية الأرب : ١٦/٣٢٧ » : « قالا » .

(٣) « أم معبد » : هي « عاتكة بنت خالد بن منقذ الخزاعية » انظر حديث « أم معبد » وأخبارها في : « الروض الأنف : ٤/٢٢٠ - ٢٢٨ » و « الاستيعاب : ٤/١٨٧٦ و ١٩٥٨ » .

هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَحَّلَا (١) فَيَا فَوْزَ (٢) مَنْ أَمْسَىٰ رَفِيقَ مُحَمَّدِ

فَيَالَ قُصَيٍّ (٣) مَا زَوَىٰ اللهُ عَنْكُمُ (٤) بِهِ مِنْ فَخَارٍ (٥) لَا يُجَارَىٰ (٦) وَسُؤْدُدِ (٧)

(١) في « طبقات ابن سعد : ١/١٥٥ و ١/١٥٦ » و « أنساب الأشراف : ١/٢٦٢ » و « نهاية الأرب : ١٦/٣٣٧ » و « البداية والنهاية : ٣/١٩٣ » : « هما نزلا بالبر وارتحلا به .
وجاء في « الاستيعاب : ٤/١٩٦٠ » و « الاكتفاء : ١/٤٤٨ » و « بهجة المحافل : ١/١٥٢ » : « هما نزلاها بالهدى فاهتدت به » ، وجاء في « المستدرك : ٣/١٠ » : « واهتدت به » .
وجاء في « سيرة ابن هشام : ١/٤٨٧ » و « تاريخ الإسلام ــ للذهبي : ٢/٢٢٧ » و « الروض الأنف : ٤/١٨٥ » : « هما نزلا بالبر ثم تروحا » .
وجاء في « تاريخ الطبري : ٢/٣٨٠ » : « هما نزلاها بالهدى واغتدوا بِهِ » ، وجاء مكسوراً في « عيون الأثر : ١/٢٢٩ » : « هما نزلا بالهدى واغتدوا به » .
وما أثبت في « الأصل » و « السيرة الحلبية : ٢/٢٢٩ » و « الروض الأنف : ٤/٢٢٠ » .

(٢) في « الاستيعاب : ٤/١٩٦٢ » و « بهجة المحافل ١١/١٥٢ » و « الاكتفاء : ١/٤٤٨ » و « المستدرك : ٣/١٠ » : « فقد فاز » . وجاء في « طبقات ابن سعد : ١/١٥٦ » و « البداية والنهاية : ١/١٩٣ » و « نهاية الأرب : ١٦/٣٣٧ » و « تاريخ الإسلام ــ للذهبي ــ : ٢/٢٢٧ » و « أنساب الأشراف : ١/٢٦٢ » و « عيون الأثر : ١/٢٢٩ » و « الروض الأنف : ٤/١٨٥ و ٢٢٠ » : « فَأفلح » .

(٣) « فَيَالَ قُصَيٍّ » : أي « يا آلَ قُصَيٍّ » ويعني : « قُرَيْشاً » .

(٤) « زَوَى الشَّيْءُ فَانْزَوَى » أي : « نَحَّاهُ فَتَنَحَّى » : أي : « مَا نَحَّى عَنْكُمْ مِنَ الخَيْرِ وَالْفَضْلِ » . « النهاية في غريب الحديث : ٢/٣٢٠ » .

(٥) في « طبقات ابن سعد : ١/١٥٦ » : « مِنْ فَعَالٍ » . وما أثبت في « الأصل » و « بهجة المحافل : ١/١٥٢ » .

(٦) في « طبقات ابن سعد : ١/١٥٦ » : « لا يجازى » ، وما أثبت في « الأصل » و « بهجة المحافل : ١/١٥٢ » .

(٧) « السُّؤْدُدُ » : مصدر سادَ ، وهو العظمة والمجد .

لِيَهْنِ «بَنِي كَعْبٍ» مَكَانُ[١] فَتَاتِهِمْ
وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ[٢] عَنْ شَائِهَا وَإِنَائِهَا[٣]
فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ

أَتَتْهُ بِشَاةٍ حَائِلٍ[٤] فَتَحَلَّبَتْ
عَلَيْهِ بِدَرٍّ[٥] ضَرَّةُ[٦] الشَّاةِ مُزْبِدِ

وَكَانُوا مَرُّوا عَلَىٰ خَيْمَةِ «أُمِّ مَعْبَدٍ[٧] الْخُزَاعِيَّةِ الْكَعْبِيَّةِ» فَسَأَلُوهَا الزَّادَ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا إِلَّا شَاةً هَزِيلَةً قَدْ تَخَلَّفَتْ لِضَعْفِهَا عَنِ الْغَنَمِ ، فَمَسَحَ ـ ﷺ ـ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ عَلَىٰ ضَرَّتِهَا ـ أَيْ : ضَرْعِهَا ـ فَدَرَّتْ لَهُمْ بِلَبَنٍ

---

(١) وجاء في « الاستيعاب ٤/١٩٦٠ » : « مقام » .

(٢) « سلوا أختكم » : أي : « سلوا أمَّ معبد » .

(٣) الأصل : « وأتانها » ، وما أثبت في « طبقات ابن سعد : ١/١٥٦ » .

(٤) « الحائل من الغنم » : « هي غير الحامل منها » .

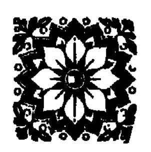
(٥) جاء في « طبقات ابن سعد : ١/١٥٦ » و « الروض الأنف : ٤/٢٢٠ » و « الاكتفاء: ١/٤٤٩» و « نهاية الأرب : ١٦/٣٣٧ » : « له بصريحٍ » ، وجاء في « الاستيعاب : ٤/١٩٦ » و « المستدرك : ٣/١٠ » : « عليه صريحاً » . و « الدرُّ » : « اللبن » .

(٦) « الضَّرَّةُ » : « أصل الثدي ، الثّدي أو الضَّرْعُ كُلُّهُ » ـ المنجد ـ .

(٧) انظر « حديث « أم معبد » في « المستدرك : ٣/١٠ » و « الروض الأنف : ٤/١٨٥ ـ ٢٢٨ » و « قصة أم معبد » في « سبل الهدى والرشاد : ٣/٣٤٦ ـ ٣٤٨ » .

غَزِيرٍ ، شَرِبَ مِنْهُ « النَّبِيُّ » - ﷺ - وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ ارْتَوَوْا وَأَفْضَلُوا « لِأَهْلِ الْخَيْمَةِ » مَا يَرْوِيهِمْ .

ثُمَّ أَتَىٰ زَوْجُهَا فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ : «وَاللهِ!» إِنَّهُ لَصَاحِبُ « قُرَيْشٍ » فَحِينَئِذٍ عَلِمَتْ « قُرَيْشٌ » أَنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَىٰ « الْمَدِينَةِ » وَأَنَّ « اللهَ » نَاصِرُ عَبْدَهُ ، وَمُظْهِرٌ لَا مَحَالَةَ دِينَهُ .



البَابُ الثَّامِنُ

فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الإِسْرَاءِ مِنَ العَجَائِبِ وَاحْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الأَسْرَارِ وَالغَرَائِبِ

مِنَ ٱلْعُرُوجِ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى

ثُمَّ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى

وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى

وَٱلْمُنَاجَاةِ، وَٱلرُّؤْيَةِ، وَإِمَامَةِ الأَنْبِيَاءِ

مِمَّا أَكْرَمَهُ ٱللهُ - تَعَالَى - بِهِ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ـ(الإِسْـرَاءُ)ـ

قَالَ « الْقَاضِي عِيَـاضٌ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ ـ : « وَكَانَ قَبْـلَ الْهِجْـرَةِ بِسَنَةٍ »(1) . ـ أَيْ : [فِي](2) السَّنَةِ الثَّانِيَـةَ عَشْرَةَ(3) . ثُمَّ قَـالَ بَعْضُهُمْ ، فِي رَمَضَـانَ(4) مِنْهَـا . وَقَـالَ « النَّوَوِيُّ »

(1) « الشفا : ١٠٨/١ » .

(2) التكملة يقتضيها السياق .

(3) الأصل : « الثانية عشر » .

(4) اخْتُلِفَ فِي تَارِيخِ الإِسْرَاءِ فِي أَيِّ سَنَةٍ كَانَ ، وَفِي أَيِّ شَهْرٍ ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ ، وَفِي أَيِّ لَيْلَةٍ مِنَ الأُسْبُوعِ . فأمَّا سَنَةُ الإِسْرَاءِ فَقَالَ « الزُّهْرِيُّ » : كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِخَمْسِ سِنِينَ ، حَكَاهُ « الْقَاضِي عِيَاضٌ » وَرَجَّحَهُ « الْقُرْطُبِيُّ » و « النَّوَوِيُّ » ، وَقِيلَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَةٍ قَالَهُ « ابْنُ حَزْمٍ » وادَّعَى فِيهِ الإِجْمَاعَ ، رَوَاهُ « ابنُ الأَثِيرِ » في « أَسَدِ الْغَابَةِ » عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » وَ « أَنَسٍ » وَحَكَاهُ « الْبَغَوِيُّ » فِي « مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ » عَنْ « مُقَاتِلٍ » . وقِيلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ ، قَالَهُ « السُّدِّيُّ » وَأَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ « الطَّبَرِيِّ » وَ « الْبَيْهَقِيِّ » فَعَلَى هَذَا يَكُونُ فِي شَوَّالٍ . وَفِي « أَسَدِ الْغَابَةِ » قَالَ « السُّدِّيُّ » قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ . وَقِيلَ كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وَثَلاثَةِ أَشْهُرٍ . فَعَلَى هَذَا يَكُونُ فِي ذِي الحِجَّةِ ، وَبِهِ جَزَمَ « ابْنُ فَارِسٍ » . وَقِيلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ ذَكَرَهُ « ابْنُ الأَثِيرِ » كَذَا فِي « الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ » ، وَأَمَّا شَهْرُ الإِسْرَاءِ ، فَقِيلَ : « ربيع الأَوَّلِ » ، قَالَهُ « ابْنُ الأَثِيرِ » و « النَّوَوِيُّ » فِي « شَرْحِ مُسْلِمٍ » . وقيل : « رَبِيعُ الآخِرِ » ، قَالَهُ « الْحَرْبِيُّ » وَ « النَّوَوِيُّ » فِي « فَتَاوِيهِ » ، وَقِيلَ : « رَجَبٌ » حَكَاهُ « ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ » وَقَبْلَهُ « ابْنُ قُتَيْبَةَ » ، وَبِهِ جَزَمَ « النَّوَوِيُّ » فِي « الرَّوْضَةِ » . وَعَنِ « الْوَاقِدِيِّ » : « رَمَضَانُ » . وَعَنِ « السُّدِّيِّ » وَ « الْمَاوَرْدِيِّ » : « شَوَّالٌ » وَعَنِ « ابْنِ فَارِسٍ » : « ذُو الحِجَّةِ » كَمَا مَرَّ .

=

في « رَوْضَتِهِ » (١) فِي رَجَبٍ .

وَالْأَصْلُ فِيهِ مِنَ « الْقُرْآنِ » قَوْلُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ سُبْحَـٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ﴾ (٢) ، وَقَوْلُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ (٣) إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ (٤) .

= وَأَمَّا أَنَّ « الإِسْرَاءَ » فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ كَانَ ، فَعَنِ « ابْنِ الأَثِيرِ » لَيْلَةَ سَبْعٍ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ . وَعَنِ « الْحَرْبِيِّ » فِي ثَالِثَ عَشَرَيْ رَبِيعِ الآخَرِ ، وَقِيلَ : لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الآخَرِ ، وَعَنِ « الْوَاقِدِيِّ » فِي سَابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ .

وَأَمَّا لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ ، فَقِيلَ : لَيْلَةُ الجُمُعَةِ ، وَقِيلَ : لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَعَنِ « ابْنِ الأَثِيرِ » لَيْلَةُ الإِثْنَيْنِ ، وَقَالَ « ابْنُ دِحْيَةَ » إِنْ شَاءَ اللهُ يَكُونُ « لَيْلَةَ الإِثْنَيْنِ » لِيُوَافِقَ المَوْلِدَ وَالمَبْعَثَ وَالمِعْرَاجَ والهجرةَ والوَفَاةَ ، فَإِنَّ هذهِ أَطْوَارُ الانتقالاتِ وُجُوداً وَنُبُوَّةً وَمِعْرَاجاً وَهِجْرَةً وَوَفَاةً » . كَذَا فِي « المَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ » ، « تاريخ الخميس في أَحْوَالِ أَنْفَسِ نَفِيسٍ : ١/٣٠٧ » .

(١) رَجَّحَ « النَّوَوِيُّ » فِي « الرَّوْضَةِ : ١٠/٢٠٦ » : أَنَّهَا اللَّيْلَةُ السَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ مِنْ رَجَبٍ » .

(٢) « سورة الإسْرَاءِ : ١٧/١ ـ ك ـ » .

(٣) « سورة النجم : ٥٣/٨ ـ ١١ ـ ك ـ » .

(٤) « سورة النجم : ٥٣/١٧ ـ ١٨ ـ ك ـ » .

«وَلَا خِلَافَ بَيْنَ «أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ» ، وَ«عُلَمَاءِ الدِّينِ» فِي صِحَّةِ «الْإِسْرَاءِ» بِهِ - ﷺ - إِذْ هُوَ نَصُّ « الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ » ، وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كَمَا أَخْرَجَهُ «الْحَافِظُ» فِي «أُصُولِ الْإِسْلَامِ / الْمَشْهُورَةِ» ، وَلَٰكِنَّ أَكْمَلَهَا [٨٤ و] تَرْتِيباً وَوَصْفاً مَا رَوَاهُ « مُسْلِمٌ » فِي « صَحِيحِهِ » .

—(حَدِيثُ الإِسْرَاءِ)—

عَنْ « ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ » عَنْ « أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ » - رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ - أَنَّ « رَسُولَ اللهِ » - ﷺ - : قَالَ : « أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ [(١)] (وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ) قَالَ : فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ «بَيْتَ الْمَقْدِسِ» ، فَرَبَطْتُهُ [(٢)] بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهِ [(٣)] «الْأَنْبِيَاءُ» ، ثُمَّ دَخَلْتُ «الْمَسْجِدَ» فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ خَرَجْتُ . فَجَاءَنِي « جِبْرِيلُ » [- عَلَيْهِ السَّلَامُ -] بِإِنَاءٍ [(٤)] مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ « جِبْرِيلُ » [- ﷺ -] [(٤)] اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ، ثُمَّ عَرَجَ

---

(١) سُمِّيَ بِذَلِكَ لِنُصُوعِ لَوْنِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ ، وَقِيلَ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ شَبَّهَهُ فِيهِمَا بِالْبَرْقِ ، « النهاية في غريب الحديث : ١٢٠/١ - مادة : « بَرَقَ » - » .

(٢) الأصل : « فربطه » .

(٣) الأصل : « التي تربط بها » وما أثبت في « صحيح مسلم » : ١٤٥/١ » .

(٤) التكملة عن « صحيح مسلم : ١٤٥/١ » - (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله - ﷺ - .

بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ «جِبْرِيلُ» فَقِيلَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ «جِبْرِيلُ» ، قِيلَ [١] : « وَمَنْ مَعَكَ ؟ » قَالَ : « مُحَمَّدٌ » . قِيلَ : « وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ » . قَالَ : « قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ » . فَفُتِحَ لَنَا . فَإِذَا أَنَا « بِآدَمَ » . فَرَحَّبَ [٢] بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ . فَاسْتَفْتَحَ « جِبْرِيلُ » [- عَلَيْهِ السَّلَامُ -] [٣] . فَقِيلَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ : « جِبْرِيلُ » ، قِيلَ : « وَمَنْ مَعَكَ ؟ » قَالَ : « مُحَمَّدٌ » قِيلَ : « وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ » قَالَ : « قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ » فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ « عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ » وَ « يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ » - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ (فَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ) [٤] فَفُتِحَ لَنَا . فَإِذَا أَنَا « بِيُوسُفَ » - عَلَيْهِ السَّلَامُ - . إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ [أَيْ نِصْفَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْطَىٰ عُشْرَهُ أَوْ دُونَهُ ، أَوْ فَوْقَهُ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أُكْمِلَ لَهُ الْحُسْنُ وَيُتَعَيَّنُ أَنَّهُ « مُحَمَّدٌ » - ﷺ -] [٥]

---

(١) الأصل : « فقيل » .

(٢) الأصل : « فرحت » .

(٣) التكملة عن « صحيح مسلم : ٤٥/١ » .

(٤) اختصارٌ للاستفتاح لتكرار ورود صيغته .

(٥) شرح وتعليق من المؤلف .

قَالَ : « فَرَحَّبَ [١] بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ » . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ (فَذَكَرَ مِثْلَهُ) [٢] فَإِذَا أَنَا « بِإِدْرِيسَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَرَحَّبَ بِي [٣] وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . قَالَ « اللهُ » تَعَالَىٰ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ [٤] . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ [فَذَكَرَ مِثْلَهُ] [٥] . فَإِذَا أَنَا « بِهَارُونَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي [٦] بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ . . . . [٧] فَإِذَا أَنَا « بِمُوسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَرَحَّبَ [٨] بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ [فَذَكَرَ مِثْلَهُ] [٩] فَإِذَا أَنَا « بِإِبْرَاهِيمَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَىٰ « الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ » وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ [١٠] بِي إِلَىٰ

(١) الأصل : فرحت .

(٢) اختصار للاستفتاح .

(٣) الأصل : « فرحت » .

(٤) « سورة مريم : ١٩/٥٧ ـ ك ـ » .

(٥) اختصار للاستفتاح .

(٦) الأصل : « ودعاني » .

(٧) اختصار في الحديث .

(٨) في « صحيح مسلم : ١٤٦/١ » : « فرَحَّبَ وَدَعَا لي بخير » .

(٩) اختصار للاستفتاح .

(١٠) الأصل : « ثم ذهب به بي » .

سِدْرَةِ (١) الْمُنْتَهَىٰ ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ (٢) .
قَالَ : فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ . (أَيْ : تَلَوَّنَتْ (٣) بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ) (٤) فَمَا وَاحِدٌ (٥) مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا .
قَالَ : فَأَوْحَىٰ « اللهُ » إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ . فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَىٰ «مُوسَىٰ» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٦) ـ فَقَالَ : «مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ ؟ » قُلْتُ : « خَمْسِينَ صَلَاةً » . قَالَ : « ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ . فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَٰلِكَ . فَإِنِّي [قَدْ] (٧) بَلَوْتُ « بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ »(٨) قَالَ ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي فَقُلْتُ : « يَا رَبِّ ! » خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي » . فَحَطَّ (٩) عَنِّي خَمْساً ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ « مُوسَىٰ » فَقُلْتُ :

---

(١) في « صحيح مسلم : ١٤٦/١ » : « إلى السدرة المنتهى » . وقال ابْنُ عَبَّاسٍ : والمُفَسِّرُونَ وَغَيْرُهُمْ : سُمِّيَتْ سِدْرَةَ المُنْتَهَى لأَنَّ عِلْمَ المَلَائِكَةِ يَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَلَمْ يُجَاوِزْهَا أَحَدٌ ، إلاَّ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ . وَحُكِيَ عَنْ « عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ، لأَنَّهَا يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا وَمَا يَصْعَدُ مِنْ تَحْتِهَا مِنْ أَمْرِ « الله » ـ تَعَالَى ـ .
(٢) « الْقِلَالُ » : جمع « قُلَّة » . و « القُلَّةُ » : جَرَّةٌ كَبِيرَةٌ تَسعُ قربتين أو أكثر .
(٣) الأصل : « تلوت » .
(٤) شرح وتوضيح للحديث للمؤلف .
(٥) في « صحيح مسلم : ١٤٦/١ » : « فما أحدٌ » .
(٦) في « صحيح مسلم : ١٤٦/١ » : صلى الله عليه وسلم .
(٧) التكملة عن « صحيح مسلم : ١٤٦/١ » .
(٨) الأصل : « وحرتهم » .
(٩) « حَطَّ » : « أَنزَلَ وَأَلْقَى » .

« حَطَّ عَنِّي خَمْساً » . قَالَ : « إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَٰلِكَ فَارْجِـعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِـعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ « مُوسَىٰ » حَتَّىٰ قَالَ : « يَا « مُحَمَّدُ ! » إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَٰلِكَ (١) خَمْسُونَ صَلَاةً . وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ / حَسَنَةً . فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا [٨٤ ظ] لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً ــ وَفِي رِوَايَةٍ : كُتِبَتْ حَسَنَةً ــ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، قَالَ : فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ « مُوسَىٰ » ــ عَلَيْهِ السَّلَامُ ــ (٢) فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : « ارْجِـعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ » فَقَالَ « رَسُولُ اللهِ » ــ ﷺ ــ فَقُلْتُ : « قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ » (٣) .

قُلْتُ : مَعَ مَا قَدْ أَفْهَمَهُ ــ ﷺ ــ مِنَ الْإِلْزَامِ بِقَوْلِهِ : « هِيَ (٤) خَمْسٌ [وَهِيَ خَمْسُونَ] (٥) ، وَفِي رِوَايَةٍ أَيْضاً : « لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ » (٦) .

---

(١) الأصل : « فتلك » .

(٢) في « صحيح مسلم : ١٤٧/١ » ــ ﷺ ــ .

(٣) « صحيح مسلم : ١٤٥/١ ــ (١) كتاب الإيمان ــ (٧٤) باب الإسراء « برسول الله » ــ ﷺ ــ إلى السماوات وفرض الصلاة ــ الحديث : ٢٥٩ ــ (١٦٢) » .
و « صحيح البخاري : ٦٦/٥ ــ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار ــ (٤٢) باب المعراج » .

(٤) الأصل : « إنهن » .

(٥) « صحيح مسلم : ١٤٩/١ ــ (١) كتاب الإيمان : (٧٤) باب الإسراء برسول الله ــ ﷺ ــ الحديث : ٢٦٣ ــ (١٦٣) ــ » .

(٦) الآية الكريمة : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ « سورة ق : ٢٩/٥٠ ــ ك ــ » .

قَالَ الْقَاضِي « عِيَاضٌ »[١] ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ـ : « جَوَّدَ « ثَابِتٌ » ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ هَٰذَا الْحَدِيثَ عَنْ « أَنَسٍ » مَا شَاءَ . وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ عَنْهُ بِأَصْوَبَ مِنْ هَٰذَا ، وَقَدْ خَلَّطَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ « أَنَسٍ » تَخْلِيطاً كَثِيراً [لَا سِيَّمَا [مِنْ رِوَايَةِ][٢] « شَرِيكِ [ابْنِ عَبْدِ اللهِ][٣] بْنِ أَبِي نَمِرٍ »[٤] . ثُمَّ ـ انْتَهَىٰ .

قُلْتُ : وَحَدِيثُ «شَرِيكٍ» مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ «الشَّيْخَان»[٥] وَإِنَّمَا لَمْ يُورِدِ « الْبُخَارِيُّ » حَدِيثَ « ثَابِتٍ هَٰذَا إِلَّا « مُسْلِماً » إِنَّمَا رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ « حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ » وَهُوَ مَتْرُوكٌ عِنْدَ « الْبُخَارِيِّ » لَمْ يَرْوِ[٦] لَهُ إِلَّا تَعْلِيقاً وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ « الشَّيْخَانِ » أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ « أَبِي ذَرٍّ » وغَيْرِهِ .

---

(١) « الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١٠٨/١ » .

(٢) التكملة عن « الشفا : ١٠٨/١ » .

(٣) التكملة عن « صحيح مسلم : ١٤٨/١ » و « ميزان الاعتدال : ٢٦٨/٢ » .

(٤) الأصل : « شريك بن أبي أنس » ، وما أثبت في « صحيح مسلم : ١٤٨/١ » ، و « ميزان الاعتدال : ٢٦٨/٢ » وانظر الحديث برواية « شريك بن عبد الله » في : « صحيح البخاري : ١٨٢/٩ ـ (٩٧) كتاب التوحيد (٣٧) باب قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾ .

(٥) انظر : « صحيح مسلم : ١٤٨/١ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧٤) باب الإسراء « برسول الله » ـ ﷺ ـ الحديث : (٢٦٢) ـ (. . .) ـ » . و « صحيح البخاري : ١٨٢/٩ ـ (٩٧) كتاب التوحيد ـ (٣٧) باب قوله : وكلم الله موسى تكليما ـ » .

(٦) الأصل : « لم يروي » .

فَائِـدَة

ـ(دَقَائِقُ في الإِسْرَاءِ)ـ

وَفِي قَوْلِهِ : « بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ[1] به الأَنْبِيَاءُ » إِشَارَةٌ [إِلَىٰ][2] أَنَّ رُكُوبَ الْبُرَاقِ [فِي][2] الإِسْرَاءِ غَيْرُ مُخْتَصٍّ « بِمُحَمَّدٍ » - ﷺ - وَيُشِيرُ إِلَىٰ ذَٰلِكَ قَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الآتِيَةِ : « فَمَا رَكِبَكَ عَبْدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ « مُحَمَّدٍ »[3] . لَٰكِنْ فِي ظَاهِرِ قَوْلِ «أَهْلِ كُلِّ سَمَاءٍ» : «وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ » إِشْكَالٌ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِبَعْثِهِ إِلَّا بَعْدَ مُضِيِّ هَٰذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ كَثْرَةِ تَرَدُّدِ « جِبْرِيلَ » فِيهَا وانْتِشَارِهَا عِنْدَ «أَهْلِ الأَرْضِ» ،فَضْلًا عَنْ «أَهْـلِ السَّمَاءِ» ، وَأَجَابَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ سُؤَالٌ عَنِ الْبَعْثِ إِلَيْهِ لِلْعُرُوجِ مُتَوَقَّعٌ عِنْدَهُمْ لِقَوْلِهِ : « إِلَيْهِ » وَهُوَ جَوَابٌ حَسَنٌ وَإِنَّمَا لَمْ يَفْتَحْ لَهُ قَبْـلَ مَجِيئِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّمَا فُتِـحَ مِنْ أَجْلِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ [- ﷺ -] :[4] « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ »[5] .

---

(١) فربطته بالحلقة التي يَرْبِط بـه الأنبياء. قال صاحب التحرير : «المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس».
وجاء في الأصل : بالحلقة التي تربط بهـا الأنبياء ، وما أثبت في « صحيح مسلم : ١٤٥/١
(١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله - ﷺ - إلى السماوات، الحديث : ٢٥٩ (١٦٢) .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

(٣) « سنن الترمذي : ٣٦٣/٤ - أبواب تفسير القرآن - من سورة بني إسرائيل - الحديث : ٥١٣٨ » .

(٤) التكملة للتوضيح .

(٥) « صحيح مسلم : ١٨٨/١ - (١) كتاب الإيمان - (٨٥) باب أنا أول الناس يشفع في الجنة - الحديث : (٣٣١) » .

وَالْحِكْمَةُ فِي الْإِسْرَاءِ بِهِ إِلَىٰ « بَيْتِ الْمَقْدِسِ » مَا ذَكَرَهُ « كَعْبُ الْأَحْبَارِ» أَنَّ بَابَ السَّمَاءِ الَّذِي يُسَمَّىٰ «مَصْعَدَ الْمَلَائِكَةِ» يُقَابِلُهُ «بَيْتُ الْمَقْدِسِ »[1]، كَمَا أَنَّ « الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ » مُقَابِلُ « الْكَعْبَةِ » أَيْضاً لِيَحُوزَ - ﷺ - فَضِيلَةَ شَدِّ الرِّحَالِ إِلَىٰ « الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ » .

وَقَوْلُهُ : يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ لايَعُودُونَ إليهِ، يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ أَيْضاً لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَيَكُونُ فِي ذَٰلِكَ دَلَالَةٌ عَلَىٰ سَعَتِهِ ، وَعَلَىٰ كَثْرَةِ « جُنُودِ اللهِ » - تَعَالَىٰ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

وَعِنْدَهُمَا أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَالَ : « مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، إِلَّا « آدَمَ » وَ « إِبْرَاهِيمَ » - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَقَالَا لَهُ[2]: « وَالْابْنِ الصَّالِحِ » .

فَائِدَة

-(لِقَاءُ « النَّبِيِّ » - ﷺ - بِالأَنْبِيَاء)-

الظَّاهِرُ أَنَّ أَرْوَاحَ «الْأَنْبِيَاءِ» تَشَكَّلَتْ لَهُ فِي « الْعَالَمِ الْأَعْلَىٰ » وَيَجُوزُ نَقْلُ أَجْسَادِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِكْرَاماً لَهُمْ أَجْمَعِينَ . وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ : « فَصَلَّىٰ « بِأَهْلِ السَّمَاءِ » وَفِيهِمْ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ » .

---

(١) « سبل الهدى والرشاد : ٣١/٣ » .

(٢) الأصل : « فقاله » .

وَالظَّاهِرُ أَيْضاً أَنَّ اخْتِصَاصَ مَنْ لَقِيَهُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ سَمَاءٍ، وَهُمْ : « آدَمُ » و « عِيسَىٰ » و « يُوسُفُ » و « إِدْرِيسُ » وَ « هَارُونُ » وَ « مُوسَىٰ » وَ « إِبْرَاهِيمُ » بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي الدَّرَجَاتِ. «فَـآدَمُ» فِي «سَمَاءِ الدُّنْيَا»، لِأَنَّهُ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ « عِيسَىٰ » فِي الثَّانِيَةِ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْأَنْبِيَاءِ عَهْـداً « بِمُحَمَّدٍ » و « يُوسُفُ » فِي الثَّالِثَةِ، لِأَنَّ « أُمَّةَ مُحَمَّدٍ » يَدْخُلُونَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، وَ « إِدْرِيسُ » فِي الرَّابِعَةِ، لِأَنَّهَا الْوُسْطَىٰ وَقَدْ رَفَعَهُ اللهُ مَكَاناً [عَلِيّاً] (١) . / وَ « هَارُونُ » فِي الْخَامِسَةِ، لِقُرْبِهِ مِنْ أَخِيهِ [مُوسَىٰ] (٢) . [٨٥و] و « مُوسَىٰ » فِي السَّادِسَةِ، لِفَضْلِهِ بِالتَّكْلِيمِ، و « إِبْرَاهِيمُ » فِي السَّابِعَةِ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ ، وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وَالظَّاهِرُ مِنِ اخْتِصَاصِ مُرَاجَعَةِ « مُوسَىٰ » كَوْنُهُ أَشْبَهَ الرُّسُلِ بِهِ فِي كَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ، وَشَرَفِ الْكِتَـابِ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

---

(١) التكملة يقتضيها السياق ، وفي ذلك إشارة إلى الآيتين الكريمتين : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ . « سورة مريم : ١٩/٥٦ و ٥٧ ـ ك ـ » .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

ـ(عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى)ـ

وَفِي رِوَايَةٍ : « فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ ؟ » ثُمَّ أُدْخِلْتُ « الْجَنَّةَ » . قَالَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ عِنْدَ [١] سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [٢] .

وَفِي أُخْرَىٰ :[« وَانْتُهِيَ بِي إِلَىٰ «سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ» وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ] [٣] ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي [٤] مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا [وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي] [٥] ، مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، [قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ ، قَالَ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ] [٦] .

[وَفِي ثَالِثَةٍ] [٧] : [هَٰذِهِ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ ، خَلَا عَلَىٰ سَبِيلِكَ ، وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ] [٨] .

---

(١) الأصل : « عِنْدَ السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى » .

(٢) « سورة النجم : ١٤/٥٣ ـ ١٦ ـ ك ـ » .

(٣) التكملة عن « صحيح مسلم : ١٥٧/١ » وانظر الرواية الأخرى في « صحيح مسلم : ١٤٦/١» حيث ورد ذكر سدرة المنتهى في السماء السابعة .

(٤) الأصل : « يتبين » . (٥) التكملة عن « صحيح مسلم : ١٥٧/١ » .

(٦) « صحيح مسلم : ١٥٧/١ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧٦) باب في ذكر سدرة المنتهى ـ الحديث : ٢٧٩ ـ (١٧٣) . » .

(٧) التكملة يقتضيها السياق .

(٨) التكملة عن : « الشفا : ١١٠/١ » .

وَفِي رَابِعَةٍ : يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ (١) ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَاماً ، [وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظِلَّةُ الْخَلْقِ] (٢) ، فَغَشِيَهَا نُورٌ ، وَغَشِيَتْهَا « الْمَلَائِكَةُ » .

وَفِي خَامِسَةٍ : « ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى (٣) أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ (٤) الْأَقْلَامِ » (٥) .

وَفِي سَادِسَةٍ : أَنَّ « جِبْرِيلَ » لَمَّا جَاءَ «بِالْبُرَاقِ» فَذَهَبَ لِيَرْكَبَ ، فَاسْتَعْصَتْ (٦) عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا «جِبْرِيلُ» اسْكُنِي ،« فَوَاللهِ ! » مَا رَكِبَكِ عَبْدٌ

(١) الأصل : « اسن » . و « التصويب عن « الشفا : ١/١١٠ » .

(٢) التكملة عن « الشفا : ١/١١٠ » وانظر : « مجمع الزوائد : ١/٧١ » .

(٣) الأصل : « بمستوى » . والتصويب عن « صحيح مسلم : ١/١٤٩ » .
و « ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى » : « ظَهَرْتُ » : « عَلَوْتُ » ، و « المُستوى » : قَالَ الخَطَّابِيُّ أرادَ بِهِ : المصعد ، وقيل : المكان . « صحيح مسلم : ١/١٤٩ ـ الحاشية (١) ـ » .

(٤) « صَرِيفُ الأَقْلَامِ » : « تَصْوِيتُهَا حَالَ الكِتَابَةِ » . قَالَ الخَطَّابِيُّ : « هُوَ صَوْتُ مَا تَكْتُبُهُ الملائكَةُ مِنْ أَقْضِيَةِ « اللهِ » ـ تَعَالَى ـ وَوَحْيِهِ ، وَمَا يَنْسَخُونَهُ مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ » . « صحيح مسلم : ١/١٤٩ ـ الحاشية (٢) ـ » .

(٥) « صحيح مسلم : ١/١٤٩ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧٤) كتاب الإيمان » .

(٦) الأصل : « فاستصعت عَلَيْهِ » . والتصويب عن : « سنن الترمذي : ٤/٣٦٣ ـ أبواب تفسير القرآن ـ من سورة بني إسرائيل ـ الحديث رقم : ٥١٣٨ » .
و « اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ » : « لَمْ تَنْقَدْ لَهُ لأنها لَمْ تَكُنْ مُذَلَّلَةً لِلرُّكُوبِ » .

أَكْرَمُ عَلَىٰ « اللهِ » مِنْ « مُحَمَّدٍ » – ﷺ – فَرَكِبَهَا حَتَّىٰ أَتَىٰ بِهَا الْحِجَابَ الَّذِي يَلِي عَرْشَ الرَّحْمٰنِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ « النَّبِيُّ » – ﷺ – مَنْ هٰذَا يَا « جِبْرِيلُ ! ؟ » قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيّاً ، إِنِّي لَأَقْرَبُ الْخَلْقِ مَكَاناً ، وَإِنَّ هٰذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هٰذِهِ ، فَأَذَّنَ الْمَلَكُ وَأَقَامَ ، وَأَخَذَ بِيَدِ « مُحَمَّدٍ » – ﷺ – فَقَدَّمَهُ فَصَلَّىٰ بِأَهْلِ السَّمَاءِ ، وَفِيهِمْ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – ثُمَّ قَالَ « مُحَمَّدٌ » : « يَا رَبِّ ! » إِنَّكَ اتَّخَذْتَ « إِبْرَاهِيمَ » [خَلِيلًا ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً عَظِيماً] [1] ، وَكَلَّمْتَ « مُوسَىٰ » تَكْلِيماً » . وَآتَيْتَ « دَاوُدَ » الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ، وَأَلَنْتَ لَهُ « الْحَدِيدَ» ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ[2] ، وَوَهَبْتَ « سُلَيْمَانَ » [3] مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ [4] ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الرِّيحَ بِأَمْرِهِ رُخَاءً – أَيْ : لَيِّنَةً – حَيْثُ أَصَابَ [5] ، – أَيْ : قَصَدَ – ﴿ وَالشَّيٰطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [6] ،

(١) التكملة عن « الشفا : ١/١١٠ » .

(٢) إشارةً إلى الآية الكريمة : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ – « سورة الأنبياء : ٢١/٧٩ – ك – » .

(٣) الأصل : « لسيمان » .

(٤) إشارةً إلى الآية الكريمة : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ – « سورة ص : ٣٨/٣٥ – ك – » .

(٥) إشارةً إلى الآية الكريمة : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ – « سورة « ص » : ٣٨/٣٦ – ك – » .

(٦) « سورة « ص » : ٣٨/٣٧ – ك – » .

﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (١) ـ « الْأَصْفَادُ » : أَيْ : « الْقُيُودُ » ، وَعَلَّمْتَ « عِيسَىٰ » « التَّوْرَاةَ » وَ« الإِنجِيلَ » (٢) ، وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣) ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِكَ (٤) . فَقَالَ « اللهُ » ـ تَعَالَىٰ ـ : « يَا « مُحَمَّدُ ! » قَدِ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا وَحَبِيباً ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي « التَّوْرَاةِ » : « مُحَمَّدٌ » حَبِيبُ الرَّحْمٰنِ ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ [الْأَوَّلُونَ وَهُمُ] (٥) الْآخِرُونَ بَعْثـاً ، وَالسَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحاً وَخَاتِماً ، وَأَعْطَيْتُكَ السَّبْعَ الْمَثَانِي ـأَيْ: الْفَاتِحَةَـ وَخَوَاتِمَ « سُورَةِ الْبَقَرَةِ » مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي ، وَلَمْ أُعْطِ ذٰلِكَ أَحَداً (٦) مِنْ خَلْقِي .

---

(١) « سورة « ص » : ٣٨/٣٨ ـ ك ـ » .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ « سورة المائدة : ٥/١١٠ ـ م ـ » .

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ـ « سورة آل عمران : ٣/٣٦ ـ م ـ » .

(٤) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ ـ « سورة آل عمران : ٣/٤٩ ـ م ـ » .

(٥) التكملة عن « الشفا : ١/١١١ » .

(٦) الأصل : « احد » .

فَائِـــدَة

ــ(الحكمة من رُكوبِ البُراق)ــ

الْحِكْمَةُ فِي رُكُوبِ «الْبُرَاقِ» مَعَ قُدْرَةِ اللهِ ــ تَعَالَىٰ ــ عَلَىٰ [تَقْرِيبِ] الْمَسَافَةِ لَهُ إِكْرَامُهُ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مَعَ خَرْقِهَا ، إِذِ الْمُلُوكُ يَبْعَثُــونَ لِمَنِ اسْتَدْعَوْهُ بِمَرْكُوبٍ .

[٨٥ ظ] وَجَزَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ بِأَنَّهُ لَمْ يُجَاوِزْ / سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ أَحَدٌ إِلَّا « مُحَمَّدٌ » ــ ﷺ ــ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ : « فَأُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ »[١] . ــ زَادَ فِي رِوَايَةٍ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » : « وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ »[٢] . وَفِي آخَرَ «لِلْبَزَّارِ» : « وَإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ »[٣] ، قُلْتُ : وَبِتَمَامِ الْأَرْبَعَةِ يُعْلَمُ أَنَّهُ أُتِيَ مِنْ كُلِّ نَهْرٍ بِإِنَاءٍ مِنَ الْأَنْهَارِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ « سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ » الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ ، ثُمَّ فِي قَوْلِهِ ــ تَعَالَىٰ ــ :

(١) « صحيح مسلم : ١/١٤٥ ــ (١) كتاب الإيمان ــ (٧٤) باب الإسراء « برسول الله » ــ ﷺ ــ إلى السماوات ــ الحديث : (٢٥٩) ــ (١٦٢) ــ » .

(٢) « صحيح البخاري : ٥/٦٦ ــ ٦٩ ــ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار ــ (٤٢) باب المعراج » .

(٣) في « مجمع الزوائد : ١/٧١ » : « فَقِيلَ لَهُ هَذِهِ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهِي كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ ، وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرَةٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى » .

﴿ فِيهَا أَنْهَـٰرٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَـٰرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ (١) وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » (٢) — عَنْ «أَنسٍ» — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — عَنِ «النَّبِيِّ» — ﷺ — قَالَ : « لَمَّا عَرَجَ بِي « جِبْرِيلُ » إِلَىٰ « سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ » وَدَنَا الْجَبَّارُ ، رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّىٰ ، حَتَّىٰ كُنْتُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ — « قَابَ » أَيْ : « قَدْرَ » — فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ بِمَا شَاءَ . » .

وَعَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — أَنَّ « النَّبِيَّ » — ﷺ — قَالَ : « فَارَقَنِي « جِبْرِيلُ » فَانْقَطَعَتْ عَنِّي الْأَصْوَاتُ ، فَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي — جَلَّ وَعَلَا — يَقُولُ : « — لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ : أَيْ : لِيَسْكُنْ خَوْفُكَ — ، ادْنُ (٣) يَا « مُحَمَّدُ ! » ادْنُ » (٤) .

---

(١) « سورة محمد : ٤٧/١٥ — م — » .

(٢) وجدت ما أثبت طرفاً من حديث في «صحيح البخاري : ٩/ ١٨٢ — ١٨٤ — (٩٧) كتاب التوحيد — (٣٧) باب قوله — تعالى — كَلَّمَ اللهُ موسى تكليماً» — برواية شَرِيكِ بن عبد الله سماعاً عن «ابن مالك» وهذا نصه : « . . . . ودنا الجبار رب العزة فتدلَّى حتى كان منه قابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَىٰ ، فَأَوْحَىٰ « اللهُ » فيما أَوْحَىٰ إِلَيْهِ خَمْسِينَ صلاةً على أُمَّتِكَ

(٣) الأصل : « اذن يا محمد اذن » .

(٤) وَرَدَ في هَـٰذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ مُنَاجَاتِهِ « لله » — تَعَالَى — وَكَلَامِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الأَحَادِيثُ ، فَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُوحِي هُوَ « اللهُ » — عَزَّ وَجَلَّ — إِلَى « جِبْرِيلَ » ، وَ « جِبْرِيلُ » إِلَى « مُحَمَّدٍ » =

وَفِي « الْبُخَارِيِّ » ـ عَنْ « أَنَسٍ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ عَنِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ قَالَ : ـ لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ ـ « بَيْنَمَا (١) أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا [أَنَا] (٢) بِنَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ (٣) الْمُجَوَّفِ ، قُلْتُ (٤) : « مَا هَٰذَا يَا « جِبْرِيلُ ! ؟ » قَالَ : « هَٰذَا « الْكَوْثَرُ » الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ (٥) » (٦) .

= ـ ﷺ ـ إِلاَّ شُذُوذاً مِنْهُمْ ، فَذُكِرَ عَنْ « جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ » قَالَ : « أَوْحَى إِلَيْهِ بِلاَ وَاسِطَةٍ » وَنَحْوُهُ عَنِ « الْوَاسِطِيِّ » ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ « مُحَمَّداً » كَلَّمَ رَبَّهُ فِي « الإِسْرَاءِ » . وَحُكِيَ عَنِ « الأَشْعَرِيِّ » وَحَكَوْهُ عَنِ « ابْنِ مَسْعُودٍ » و « ابْنِ عَبَّاسٍ » وَأَنْكَرَهُ آخَرُونَ .

وَذَكَرَ « النَّقَّاشُ » عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » فِي قِصَّةِ « الإِسْرَاءِ » عَنْهُ ـ ﷺ ـ فِي قَوْلِهِ : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ ، قَالَ : « فَارَقَنِي « جِبْرِيلُ » ـ الحديث « الشفا : ١٢٤/١ » .

(١) الأصل : « بينا » .

(٢) التكملة عن « صحيح البخاري : ١٤٩/٨ » .

(٣) الأصل : « قباب اللولو » . وما أثبت في « صحيح البخاري : ١٤٩/٨ » .

(٤) الأصل : « فقلت » .

(٥) « طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ » : أي : « طَيِّبُ الرِّيحِ » . وَ « الذَّفَرُ » ـ بِالتَّحْرِيكِ ـ : يَقَعُ عَلَى الطَّيِّبِ وَالْكَرِيهِ ، وَيُفْرَقُ بَيْنَهُمَا بِمَا يُضَافُ إِلَيْهِ وَيُوصَفُ بِهِ ، وَمِنْهُ صِفَةُ « الجَنَّةِ » : « وَتُرَابُهَا مِسْكٌ أَذْفَرُ » . « النهاية في غريبِ الحديثِ : ١٦١/٢ ـ مادة : « ذَفَرَ » ـ » .

(٦) « صحيح البخاري : ١٤٩/٨ ـ (٨١) كتاب الرقاق ـ (٥٣) باب في الحوض ـ » . و « صحيح البخاري : ٢١٩/٦ ـ (٦٥) كتاب التفسير ـ (١٠٨) « سورة : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ـ باب (١) ـ » . و « سنن الترمذي : ١١٩/٥ ـ أبواب تفسير القرآن ـ من سورة الكوثر : الحديث : ٣٤١٨ » .

وَفِي « سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ » ـ عَنْ « أَنَسٍ » أَيْضاً قَالَ : قَالَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ بِهَا وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ : « مَنْ هَؤُلَاءِ يَا «جِبْرِيلُ ؟! » قَالَ : « هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » [1] .

وَرَوَىٰ « التِّرْمذِيُّ » فِي « جَامِعِهِ » وَقَالَ : « حَدِيثٌ حَسَنٌ » ـ عَنِ « ابْنِ مَسْعُودٍ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهُ ـ قَالَ ، قَالَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « لَقِيتُ « إِبْرَاهِيمَ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ : « يَا «مُحَمَّدُ!» أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي [2] السَّلَامَ (عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا السَّلَامُ) وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ [3] ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا « سُبْحَانَ اللهِ » ، وَ «الْحَمْدُ لِلهِ» ، وَ « لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ » ، وَ « اللهُ أَكْبَرُ »[4].

* * *

(١) « سنن « أبي داود » : ٥٦٨/٢ ـ كتاب الأدب ـ باب في الغيبة » .

(٢) الأصل : « عني » .

(٣) « قِيعَان » : ج « قَاعٍ » وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُسْتَوِي الْوَاسِعُ فِي وَطْأَةٍ مِنَ الأَرْضِ يَعْلُوهُ مَاءُ السَّمَاءِ فَيُمْسِكُهُ وَيَسْتَوِي نَبَاتُهُ . »، « النهاية في غريب الحديث : ١٣٣/٤ » .

(٤) « سنن الترمذي : ١٧٣/٥ ـ كتاب الدعاء ـ (٦٠) باب ـ الحديث : ٣٥٢٩ » .

وَرَوَىٰ « الطَّبَرَانِيُّ » بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَ « الْحَاكِمُ » وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ « الشَّيْخَيْنِ » عَنِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ قَالَ : « لَمَّا دَخَلْتُ « الْجَنَّةَ » « أَتَيْتُ عَلَىٰ قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ فَقُلْتُ : « لِمَنْ هَٰذَا الْقَصْرُ ؟ » فَقَالُوا : لِـ « عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » [1] .

ثُمَّ قَالَ « رَسُولُ اللهِ » ـ ﷺ ـ : « مَنْ قَرَأَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [2] إِحْدَىٰ عَشْرَةَ [3] مَرَّةً بَنَى اللهُ لَهُ قَصْراً فِي الْجَنَّةِ . وَمَنْ قَرَأَهَا عِشْرِينَ بَنَىٰ اللهُ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ « عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»: « إِذاً تَكْثُرُ قُصُورُنَا يَا « رَسُولَ اللهِ ! » . قَالَ : «فَضْلُ اللهِ أَوْسَعُ مِنْ ذَٰلِكَ» [4].

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَنَّهُ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « لَمَّا

(١) لم أجد هذا الحديث في « مستدرك الحاكم » ـ وجاء في « صحيح مسلم : ١٨٦٢/٤ ـ (٤٤) كتاب فضائل الصحابة ـ(٥) باب فضائل عمر ـ الحديث ١٩ ـ (٢٣٩٣) ما يقارب معناه .

(٢) « سورة الصمد : ١/١١٢ ـ ك ـ » .

(٣) الأصل : « أحد عشره » .

(٤) جاء في « مجمع الزوائد : ١٤٥/٧ « سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ وما ورد فيها من الفضل وما ضم إليها من الفضل، عن معاذ بن أنس، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة. فقال عمر بن الخطاب: إذاً نستكثر ـ ﷺ ـ يا رسول الله : فقال « رسول الله » ـ ﷺ ـ : الله أكثر وأطيب » . ولم أجد هذا الحديث بنصه » .

كَذَّبَتْنِي « قُرَيْشٌ » قُمْتُ فِي « الْحِجْرِ » فَجَلَّىٰ (١) « اللهُ » لِي « بَيْتَ الْمَقْدِسِ » فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » (٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ (٣) : « ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ « خَدِيجَةَ » وَمَا تَحَوَّلَتْ عَنْ جَانِبِهَا » . ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَأَخْبَرْتُ « قُرَيْشاً » . « فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي « الْحِجْرِ » وَ« قُرَيْشٌ » تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ وَصْفِ « بَيْتِ الْمَقْدِسِ » لَمْ أُثْبِتْهَا (٤) / فَكُرِبْتُ كُرْبَةً (٥) [مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ] (٦) « فَجَلَّىٰ اللهُ [٨٦و] لِي « بَيْتَ الْمَقْدِسِ » إِلَىٰ آخِرِهِ .

(١) « فَجَلَّى اللهُ لي بَيْتَ المَقْدِسِ » ، « فَجَلَا اللهُ لي بَيْتَ المَقْدِسِ » : رُوِيَ بتشديدِ اللامِ وتخفيفِهَا . وَهُمَا ظَاهِرَانِ ، وَمَعْنَاهُ : « كَشَفَ وَأَظْهَرَ » . « صحيح مسلم : ١٥٦/١ ــ الحاشية (١) » و « النهاية في غريب الحديث : ٢٩١/١ ــ مادة : « جَلَا » .

(٢) « صحيح البخاري : ٦٦/٥ ــ (٦٣) كتاب مناقب الأنصار ــ (٤١) باب حديث الإسراء » . و « صحيح البخاري : ١٠٤/٦ ــ (٦٥) كتاب التفسير ــ سورة بني إسرائيل ــ (٣) باب » . و « صحيح مسلم : ١٥٦/١ ــ (١) كتاب الإيمان ــ (٧٥) باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ــ الحديث : ٢٧٦ ــ (١٧٠) ــ » . و « سنن الترمذي : ٣٦٣/٤ ــ كتاب التفسير ــ باب سورة بني إسرائيل ــ الحديث رقم : (٥١٤٠) ــ » .

(٣) هي رواية عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ في حديث الإسراء عَنْهُ ــ ﷺ ــ ، « انظر « الشفا : ١١٦/١ » .

(٤) « لَمْ أُثْبِتْهَا » : أَيْ : لَمْ أَحْفَظْهَا وَلَمْ أَضْبطها لاشتغالي بِأَهَمَّ مِنْهَا » . « صحيح مسلم : ١٥٧/١ ــ الحاشية (١) ــ » .

(٥) الأصل : « فَكُرِبْتُ كَرْباً » .

(٦) التكملة عن « صحيح مسلم : ١٥٧/١ » .

وَقَوْلُهُ : « فَكُرِبْتُ كُرْبَةً ما كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ » الضمير في « مثله » يعودُ علَى مَعْنَى الكُرْبَةِ ، وهُوَ الكَرْبُ أو الغَمُّ أو الهَمُّ ، أوِ الشيءُ » ، قال « الجَوْهَرِيُّ » : « الكُرْبَةُ » : الغَمُّ الذي يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ ، وكذلكَ « الكَرْبُ » . وَ« كَرَبَهُ الغَمُّ » إذا اشتَدَّ عَلَيْهِ ». « صحيح مسلم : ١٥٧/١ ــ الحاشية (٢) ــ » .

فَائِـــدَة

—(رواية الإمام أحمد بن حنبل : فَجِيءَ بالمسجد الأقصىٰ)—

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْإِمَامِ « أَحْمَدَ »: «فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ [وَأَنَا أَنْظُرُ](١) حَتَّىٰ وُضِـعَ دُونَ « دَارِ عَقِيلٍ » فَنَعَتُّهُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » (٢) . قَالَ الْعُلَمَاءُ: « وَهَٰذَا أَبْلَغُ مِنْ كَشْفِ الْحُجُبِ الَّتِي بَيْنَ «الْحَرَمِ» وَ«الْقُدْسِ» ، لِأَنَّهُ نَظِيرُ إِحْضَارِ « عَرْشِ بَلْقِيسَ » « لِسُلَيْمَانَ » فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ (٣) . قُلْتُ : وَذَٰلِكَ بِطَرِيقِ انْزِوَاءِ الْأَرْضِ بِأَنْ تَنْقَبِضَ أَجْزَاؤُهَا حَتَّىٰ يَصِيرَ الْمَوْضِـعُ الَّذِي فِيهِ « بَيْتُ الْمَقْدِسِ » « بِمَكَّةَ » . وَمِنْ ذَٰلِكَ قَوْلُهُ ـ ﷺ ـ : « زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ » (٤) وَمِنْهُ أَنِّي قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا (٥) : « بَلَغَنِي أَنَّكَ تُصَلِّي أَيَّ فَرْضٍ شِئْتَ جَمَاعَةً « بِحَرَمِ مَكَّةَ » ، فَعَلَىٰ أَيِّ كَيْفِيَّةٍ هَٰذَا ؟! » فَقَالَ :

---

(١) التكملة عن مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١/٣٠٩ » .

(٢) « مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١/٣٠٩ » .

(٣) انظر : « زاد المسير في علم التفسير : ٦/١٧٢ ـ ١٧٦ » في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، « سورة النمل : ٢٧/٣٨ ـ ك ـ و ٢٧/٤٠ ـ ك ـ » .

(٤) « النهاية في غريب الحديث : ٢/٣٢٠ ـ مادة : « زوى » جاء فيه : « زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا » أَيْ : « جُمِعَتْ » يُقَالُ : « زَوَيْتُهُ أَزْوِيهِ زَيّاً » .

(٥) أي أحد أصحاب مصنف هٰذا الكتاب .

بِمُجَرَّدِ أَنْ يَخْطُرَ ذَٰلِكَ بِبَالِي ، صِرْتُ تِجَاهَ « الْكَعْبَةِ » ، ثُمَّ إِذَا خَطَرَ بِبَالِي الْعَوْدُ ، صِرْتُ بِمَكَانِي [1] « بِحَضْرَمَوْتَ » ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَفِي رِوَايَةٍ : « فَقِيلَ « لِأَبِي بَكْرٍ » : « إِنَّ « مُحَمَّداً » يَزْعُمُ أَنَّهُ بَلَغَ « بَيْتَ الْمَقْدِسِ » وَرَجَعَ » فَقَالَ : « إِنَّا نُصَدِّقُهُ [2] فِي نُزُولِ الْوَحْيِ فِي طَرْفَةِ [عَيْنٍ][3] ، فَأَنْزَلَ « اللَّهُ » فِي « أَبِي بَكْرٍ » : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [4] ، وَأَنْزَلَ سُبْحَانَهُ فِي تَصْدِيقِ نَبِيِّهِ - ﷺ - وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ فِي ذَٰلِكَ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ وَالْهَوَىٰ

---

(١) الأصل : « صرت مكاني » .

(٢) أَوْرَدَ الحَاكِمُ فِي « المُسْتَدْرَكِ » : ٦٢/٣ » في كتاب « معرفة الصَّحَابَةِ » - الحَدِيثَ التَّالِي عَنْ « عَائِشَةَ » - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « لمَّا أُسْرِيَ « بِالنَّبِيِّ » - ﷺ - إلى « المَسْجِدِ الأَقْصَى » أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَسَعَوْا بِذَٰلِكَ إلى « أَبِي بَكْرٍ» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَقَالُوا : « هَلْ لَكَ إلى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إلى « بَيْتِ المَقْدِس» قَالَ : « أَوَ قَالَ ذَلكَ ؟ » قَالُوا : « نَعَمْ » قَالَ : « لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلكَ لَقَدْ صَدَقَ » . قَالُوا : أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إلى « بَيْتِ المَقْدِسِ » وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَٰلِكَ ! أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ ، فَلِذَٰلِكَ سُمِّيَ « أَبُو بَكْرٍ » : « الصِّدِّيقَ » .

(٣) التكملة يقتضيها السياق .

(٤) « سورةُ الزمر : ٣٣/٣٩ - ك - » .

قَوْلَهُ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (١) إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ (٢) فَأَقْسَمَ - تَعَالَىٰ - « بِالنَّجْمِ » وَهُوَ « الثُّرَيَّا » « إِذَا هَوَىٰ » أَيْ : « سَقَطَ لِلْغُرُوبِ » عَلَىٰ نَفْيِ الضَّلَالِ عَنْهُ - ﷺ - وَالْغَيِّ الْمُسْتَلْزِمِ ، لِإِثْبَاتِ الْهُدَىٰ وَالرُّشْدِ ، وَعَلَىٰ صِدْقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ ، وَنَفْيِ النُّطْقِ عَنِ الْهَوى ، وَأَن ذَٰلِكَ وَحْيٌ يُوحَىٰ إِلَيْهِ مِنَ « اللهِ » - سُبْحَانَهُ - عَلَّمَهُ إِيَّاهُ « جِبْرِيلُ » شَدِيدُ الْقُوَىٰ .

ثُمَّ لَمَّا كَانَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ عَظِيمِ مَلَكُوتِهِ لَا تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَةُ رَمَزَ إِلَيْهِ بِالْإِشَارَةِ فَقَالَ : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (٣) ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ تَصْدِيقِ « فُؤَادِهِ » - وَهُوَ : « قَلْبُهُ » - بِمَا رَأَىٰ بَصَرُهُ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ (٤) - أَيْ : بِمَا رَآهُ الْبَصَرُ ، وَعَنْ حُسْنِ أَدَبِهِ ، وَعَدَمِ الْتِفَاتِ قَلْبِهِ إِلَىٰ غَيْرِ رَبِّهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (٥) ، فَقَدِ اسْتَقَلَّتْ هَٰذِهِ الْآيَاتُ

---

(١) « سورة النجم : ٥٣/١ و ٢ — ك — » .

(٢) « سورة النجم : ٥٣/١٨ — ك — » . وانظر تفسير الآيات : ١ — ١٨ — من « سورة النجم » في « زاد المسير : ٨/٦٢ — ٧١ » . و « سبل الهدى والرشاد : ٣/٣٨ — ٨١ » .

(٣) « سورة النجم : ٥٣/١٠ — ك — » .

(٤) « سورة النجم : ٥٣/١١ — ك — » .

(٥) « سورة النجم : ٥٣/١٧ — ك — » .

الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ تَزْكِيَةِ لِسَانِهِ ـ ﷺ ـ وَبَصَرِهِ وَفُؤَادِهِ . وَبِقَوْلِهِ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[1] .

وَصَحَّ عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[2] أَنَّهُ قَالَ : « رَأَىٰ « مُحَمَّدٌ » رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ وَكَلَّمَهُ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ »[3]. قَالَ الْعُلَمَاءُ : « وَلَا يَقُولُ ذَٰلِكَ « ابنُ عَبَّاسٍ » إِلَّا بِتَوْقِيفٍ . فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الْمَرْفُوعِ ، إِذْ لَيْسَ لِلرَّأْيِ فِي هَٰذَا مَدْخَلٌ » .

وَعَنْ « كَعْبِ الْأَحْبَارِ » أَنَّ « اللهَ » ـ تَعَالَىٰ ـ قَسَمَ كَلَامَهُ وَرُؤْيَتَهُ بَيْنَ « مُوسَىٰ » وَ « مُحَمَّدٍ » ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ وَكَلَّمَهُ « مُوسَىٰ » مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ ، بِغَيْرِ وَسَاطَةٍ[*] مَرَّتَيْنِ ، وَرَآهُ [« مُحَمَّدٌ »][4] بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ مَرَّتَيْنِ » ، نَقَلَهُ « الْمَاوَرْدِيُّ »[5] عَنْهُ .

---

(١) « سورة النجم : ٥٣/١١ ـ ك ـ » .

(٢) « سورة النجم : ٥٣/١٣ ـ ك ـ » .

(٣) قَالَ « ابنُ عَبَّاسٍ » : « رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ؛ وَبَيَانُ هَذَا أَنَّهُ تَرَدَّدَ لأَجْلِ الصَّلَوَاتِ مِرَاراً ، فَرَأَى رَبَّهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَرَّاتِ مَرَّةً أُخْرَى » . « زاد المسير : ٨/٦٨ » .
وجاء في « صحيح مسلم : ١/١٥٨ ـ ١٥٩ ـ (١) كتاب الإيمان ـ (٧٧) باب معنى قَولِ « الله » ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ » ، وَهَلْ رَأَى « النَّبِيُّ » ـ ﷺ ـ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ ؟ ـ الحديث : ٢٨٤ ـ (١٧٦) ـ » . عن « ابْنِ عَبَّاسٍ » : قَالَ : « رَآهُ بِقَلْبِهِ » . وفي روايةٍ أُخرى : قالَ : « رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ » .

(٤) التكملة يقتضيها السياق .

(٥) لَمْ أَقَعْ عَلَى مصدر هذا النص المنقول .

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً ﴾ (١) أَيْ : مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَلَا حِجَابٍ ، بَلْ مَعَ الْمُشَاهَدَةِ وَذَٰلِكَ « لِمُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ خَاصَّةً لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ ، قَالُوا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ ﴾(٢) ، كَمُنَاجَاتِهِ « لِمُوسَىٰ » ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ (٣) وَهُوَ « جِبْرِيلُ » فَيُوحِي بِإِذْنِهِ إِلَىٰ رُسُلِهِ مَا يَشَاءُ كَأَكْثَرِ أَحْوَالِ « مُحَمَّدٍ » / وَ « مُوسَىٰ » ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ [٨٦ ظ] وَلِسَائِرِ أَحْوَالِ غَيْرِهِمَا مِنَ « النَّبِيِّينَ » ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ ـ .

وَقَالَ الإِمَامُ «أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ» ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : « كُلُّ آيَةٍ أُوتِيهَا نَبِيٌّ فَقَدْ أُوتِيَ نَبِيُّنَا مِثْلَهَا وَخَصَّهُ اللهُ بِالرُّؤْيَةِ ، قَالَ : « مُحَمَّدٌ » رَأَىٰ رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ » (٤) . قَالَ « ابْنُ عَطَاءٍ » : « أَيْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلرُّؤْيَةِ كَمَا شَرَحَ صَدْرَ « مُوسَىٰ » لِلتَّكْلِيمِ » .

قَالَ « الْعُلَمَاءُ » : « وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَٰلِكَ إِنْكَارُ « عَائِشَةَ » ـ رَضِيَ « اللهُ » عَنْهَا ـ لِذَٰلِكَ ـ لِأَنَّهَا لَمْ تَقُلْهُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهَا ، وَأَمَّا احْتِجَاجُهَا بِقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ (٥) فَقَالَ « ابْنُ عَبَّاسٍ »

---

(١) و (٢) و (٣) « سورة الشورى : ٤٢/٥١ ـ ك ـ » .
(٤) لم أتمكن من الكشف عن مصدر هٰذا النقل .
(٥) « سورة الأنعام : ٦/١٠٣ ـ ك ـ » .

مَعْنَاهُ : « لَا تُحِيطُ بِهِ » . وَلَوْ قِيلَ بِإِطْلَاقِهَا لَزِمَ مِنْهُ امْتِنَاعُ رُؤْيَتِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فِي الْآخِرَةِ أَيْضاً لِلْإِيرَادِ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ « أَهْلُ السُّنَّةِ » . قَالَ « الْعُلَمَاءُ » : وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ جَوَازِهَا فِي الدُّنْيَا سُؤَالُ « مُوسَىٰ » - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَهَا إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ مَا يَجُوزُ عَلَىٰ اللهِ ، وَمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ، وَمَعْنَىٰ : « لَنْ تَرَانِي » : «لَنْ تُطِيقَ رُؤْيَتِي» كَمَا لَا يُطِيقُ الْجَبَلُ . قُلْتُ : وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجَبَلَ وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ جُزْءٌ مِنْ نُورِ « مُحَمَّدٍ » - ﷺ - فَلَا يَجِبُ أَنْ يُطِيقَ مِنَ التَّجَلِّي مَا لَا يُطِيقُهُ الْجَبَلُ ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَحِلْ [(١)] شَيْءٌ مِنَ الْعَقْلِ . وَلَمْ يَزَلْ دَلِيلٌ قَاطِعٌ مِنَ النَّقْلِ عَلَىٰ امْتِنَاعِهِ وَجَبَ . فَقَوْلُهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ . وَمَنْ أَهَّلَهُ « اللهُ » لِشَيْءٍ تَأَهَّلَ [لَهُ] [(٢)] ، وَمَنْ لَا فَلَا . أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ فِي حَقِّهِ - ﷺ - عِنْدَ رُؤْيَةِ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [(٣)] ، وَيَقُولُ : ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ [(٤)] ، هٰذَا وَهُمْ بَشَرٌ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [(٥)] .

---

(١) الأصل : « لم يستحيل » .

(٢) التكملة يقتضيها السياق .

(٣) « سورة النجم : ١٧/٥٣ – ك – » .

(٤) « سورة الكهف : ١٨/١٨ – ك – » .

(٥) « سورة البقرة : ٢٥٥/٢ – م – » .

ــ(الإِسْرَاءُ فِي شِعْرِ « الْبُوصِيرِي »)ــ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي حَدِيثِ « الْإِسْرَاءِ » قَوْلُ « صَاحِبِ الْبُرْدَةِ » :

[« يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ (١) الْعَافُونَ (٢) سَاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْنُقِ الرُّسُمِ (٣)

وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَىٰ لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَىٰ حَرَمٍ
كَمَا سَرَىٰ الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرْقَىٰ إِلَىٰ أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ (٤) لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسْلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَىٰ خَدَمِ

---

(١) « يَمَّمَ » : « قَصَدَ » .

(٢) « الْعَافُونَ » : ج عافٍ ، وهو طالب الرزق .

(٣) « الأَيْنُق الرُّسُم » : النياق التي ترسم الأرض أي تعلمها .

(٤) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ، « سورة النجم : ٩/٥٣ ــ ك ــ » .

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ
حَتَّىٰ إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ
مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقًىٰ لِمُسْتَنِمِ (١)
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ (٢) مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ
عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتِمِ
فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ
بُشْرَىٰ لَنَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ
لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ
بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ »] (٣)

❁ ❁ ❁

(١) « الْمُسْتَنِمُ » : طالب الرفعة إلى السنام ، وهو أعلى الشيء .
(٢) بالإضافة إلى مقامك . و « الرَّفعُ » : « الارتفاع » . وفيه توريةٌ برفع الإعراب عند النحاة .
(٣) « ديوان البوصيري : ٢٤٥ — ٢٤٦ » .

فهرس أبواب الكتـــاب ومحتوياته

مقدمـــة النـــاشر

الصفحة

عصـر المؤلف

نسخة أصـل « حدائق الأنوار »

فهرس الموضوعات

(القسم الأول)

(في المبادىء والسوابق ويحتوي على ثمانية أبواب)

❋ ❋ ❋

صدر حديثاً عن المكتبة المكية

رسالة في أصول الفقه

للشيخ الإمام العلامة أبي علي الحسن بن شهاب بن الحسن
العكبري الحنبلي المتوفى سنة (٤٢٨هـ)

دراسة وتحقيق وتعليق
الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

